Shark el-Haitami ala el-Hamziyeh

شرح الامام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى على متن
الهمزية فى مدح خير البرية للشيخ الامام شرف
الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد
البوصيرى نفعنا الله
ببركتهما
آمين

Ahmad b. Muhammad, ed. Ibn Hajar, al-Haithamī.

وبهامشه حاشيته لشيخ الاسلام ملك العلماء الاعلام العارف بالله تعالى
سيدى محمد الحفنى تغمده الله برضوانه ورحمته ونفعنا والمسلمين ببركته

الطبعة الاولى
(بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية)
(سنة ١٣٠٧ هجرية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء وأعجز البلغاء عن التفوه بمثل أقصر سورة من سوره بل آية من آياته وبجوامع الكلم وبدائع الحكم وعظيم الخلق فى سائر أقواله وأفعاله وحالاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات له بهرت العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيره وآياته وبخصوصيات قطعت الخلائق عن ان يصلوا الشأو علاه وكمال شرفه وشرف كمالاته وبامة سطع عليها بدر وجوده فى أفق سعوده وفاض عليها فائض جوده فى عالم شهوده فأنار من أخلاقها وعقولها وكمل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها وراض ما استصعب من ابائها وأعاض ما اشرأب من نوائها ماصارت به خير الامم والعدول والشهود على من عليهم تقدم بنص القرآن وقطعى البرهان القاصم لظهور المعاند وترهاته وأوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه ذكر مناقبه ومآثره وبيان أوصافه السنية وأحواله العلية وخصائصه ومعجزاته ولذلك ذهب الناس فى هذه الفنون كل مذهب وأظهروا تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب لخباهم بلطفه واسعافه وامداداته وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أنتظم بها فى سلك أهل عناياته وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخوارق هباته والمفوض اليه امداد الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالى القرب وبيناته صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال قرة عيون أعيان العارفين وغرة جباه وجوه وجوه العارفين ملاذ من الى جنابه التجا ومعاذ كل ملهوف منقطع الرجا من لعوارف المعارف حاوى الواصل الكامل سيدى محمد الحفناوى متع الله بوجوده الوجود وأظلهم فى ظل امداده الممدود * بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن جعل أحبابه أدلاء على سبيل الهداية وأمدهم بلوامع الانوار وسواطع الاسرار فى البداية والنهاية وصلاة وسلاما على صاحب الرتب العلية وعلى آله وأصحابه كنوز المعارف الالهية (وبعد) فيقول فقير المغنى عبد مولاه محمد الحفنى هذه حواش تفوق نفائس الدرر على شرح الهمزية للعلامة الشهاب ابن حجر جادبها الكريم الوهاب ايام قراءتى المتن ومطالعتى عليه هذا الكتاب ضاعف الله لى ولمؤلفيهما الاجور انه جواد كريم غفور (قوله اختص) يستعمل لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص والاختصاص كناية عن التمييز أى ميز نبينا بكذا (قوله بكتاب) الباء داخلة على المقصور وهو فصيح ونقل عن السيد أن دخولها على المقصور عليه هو القياس الا كثر كاختص السواد بزيد وقد أطال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء عند الكلام على خطبته فى هذا المقام فراجعه ان شئت (قوله ما اشرأب) قال فى الصحاح اشرأب للشئ اشرئبابا مد عنقه لينظر (قوله وترهاته) الترهات الاباطيل والطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة وهو فارسى معرب استعير فى الباطل (قوله ومآثره) جمع مأثرة بفتح الثاء وضمها أى مكرمة لانها تؤثر أى تذكر

وسلم وعلى آله وأصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زائغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه وأهل طاعاته ﴿وبعد﴾ فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد أن كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى وان أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط فى مخلوق وان حقه على الكمل فضلا عن غيرهم أعظم الحقوق وانه لا يقوم ببعض ذلك الا من بذل وسعه فى اجلاله وتوقيره واعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه وان المادحين لجنابه العلى والواصفين لكماله الجلى لم يصلوا الا الى قل من كل لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول الى غايته ومن ثم كان أبلغ بيت هذا المطالع الآتى كما يعلم مما يأتى فيه وفى بردة المديح

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ثم يليه

فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك كيف وآى الكتاب مفصحة عن علاء عما يبهر العقول ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وقد قيل

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه * من بعد ما مدحت حم تنزيل

فعلم من ذلك انه لو بالغ الاولون والآخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض نحرها ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحقيق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذى نال أطول

ولا بلغ المهدون فى القول مدحة * ولو حذقوا الا الذى فيه أفضل

ولابن خطيب الاندلسى

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى

واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وقد روى العارف المحقق السراج بن الفارض السعدى رضى الله عنه فى النوم فقيل له لم لا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم أى بالتصريح والا فنظمه فى الحقيقة انما فى الحضرة الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

أرى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه فأكثرا

اذا الله أثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورى

وقال البدر الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قلا من كثر هذا وان من أبلغ ما مدح به النبى صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع وأحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع وأجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ما أشارت اليه منظومة من بدائع كمالاته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل الهمام المفنن المحقق البليغ الاديب المدقق

(قوله وتحريفاته) أى تغييراته اذ التحريف التغيير (قوله وغيض من فيض) أى قليل من كثير قال فى المختار فى فصل الغين المعجمة غاض الماء قل ومنه قوله تعالى وما تغيض الارحام أى ما تنقص وقال فى فصل الفاء وفاض الماء أى كثر (قوله حذقوا) بابه ضرب حذقا وحذاقا بكسر أولهما وحذاقة وحذق بالكسر أيضا لغة فيه أى مهروا كذا فى المختار (قوله قصار) أى غاية (قوله أى بالتصريح الخ) هذا لا يلائم جوابه بقوله أرى كل مدح الخ اذ المدح بالتلويح كالمدح بالتصريح مقصر فتأمل (قوله وكل غلو) أى مجاوزة حد (قوله النطاق) قال فى الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر على الارض وليس له حجزة ولا نيفق ولا ساقان والجمع نطق (قوله الهمام) هو الذى اذا هم بالشئ أمضاه

(قوله دلاص) بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة أيضا كورة بصعيد مصر من الجانب الغربي و بوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية و بالراء بلدة بصعيد مصر كذا قيدها في اللباب كاصله والمراصد وقد اشتهر على ألسنة العامة أبوصير بلفظ الكنية اسم للبلد و يقولون الابوصيري ولا وجه لذلك كذا نقل من خط العجمي (قوله اليعمري) بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بني ليث (قوله فأعطيته اياها) الذي رأيته في كلام غيره فأنشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها وقد يقال طلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فاعطاها له (قوله اشتد رمده) الذي رأيته في كلام غيره ان الذي اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد أن أنشدتها للصالح ودعني وانصرف ثم بعد أيام استدعاني الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال أنشدني القصيدة التي مدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فأنشدته اياها فسر بها وكتبتها له بيدي فلم تزل عنده متبركا بها يقرؤها في المهمات حتى مات فاستمرت عند ولده فخر الدين ثم حصل رمد لسعد الدين الفارقي تابع فخر الدين أشرف منه على العمى فرأى في منامه من يقول له اما النبي أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدي فخر الدين وأخبره فاخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذي أصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة بان حصل رمد لناظمها فشفي بما ذكره الشارح وحصل لسعد الدين فشفي بوضعها فلا منافاة ولا معارضة (قوله المرسي) نسبة لمرسية بضم الميم مدينة بالغرب وذلك واما مرسة بفتح الميم فقرية بقرب المدينة المنورة كما في ع ش (قوله من قصيدته) بيان لما من قوله ماصاغه صوغ التبر (قوله الجزلة) اللفظ الجزل خلاف الركيك كما في الصحاح وقال السنوسي في شرح كبراه الجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة الحروف وتناسب مخارجها (قوله اذ لم ينسج أحد الخ) بضم السين وكسرها مضارع نسج اذا ضم اللحمة الى السدى على وجه يستحكم به تداخلهما وتشبيه التصنيف بالثوب الرفيع في بديع صنعته وتفرده بحسن أسلوبه استعارة بالكناية واثبات المنوال له استعارة تخييلية والنسج ترشيح ويحتمل أن يكون المعنى ولم يصنف مصنف على طريقته التي أنشأ عليها فتكون استعارة في هذه الاجزاء تحقيقية لكنها تبعية في الاول والثاني أصلية في الثالث قال في الصحاح المنوال الخشب الذي يلف عليه الحائك الثوب وهو النول أيضا وجمعه أنوال و يقال للقوم اذا استوت أخلاقهم هم على منوال واحد أي نسق واحد (قوله ففاته الشنب) في المختار الشنب حدة في الاسنان وقيل برد وعذوبة وامرأة شنباء بينة الشنب انتهى والمراد هنا فاته الامر المحبوب المستلذ المقبول الذي تميل اليه نفوس البلغاء

امام الشعراء وأشعر العلماء و بليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي كان أحد أبويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمري أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ماقاله المقريزي لكن صوب شيخ الاسلام العسقلاني انه توفي سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى في النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التي تسبب نظمها عن وقوع فالج به أعيا الاطباء ففكر في اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فأنشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فأعطيته اياها وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرأ عليه شيأ منها فتفل في عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى ان صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعاني صناعة الكتابة على الجبايات و باشر ببلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ مالم يصل اليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني العديمة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج أحد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهان القيراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتضلعه من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والادبية لاسيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته من بدايته أراد أن يحاكيها ففاته الشنب وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب

(قوله لطلاوة نظمها) الطلاوة مثلثة الحسن والبهجة والقبول قاموس (قوله ودستور) قال فى شرح المطالع الدستور بضم الدال فارسى معرب معناه فى الاصل الدفتر الذى جمع فيه قوانين الملك وضوابطه وفى مفتاح العلوم الدستور نسخة الجماعة المنقولة من السواد ثم سمى به الوزير الكبير الذى يرجع الى ما رسمه فى أحوال الناس لكونه صاحب هذا الدفتر ومتصرفا فيه انتهى (قوله تأنيقها) أى تحسينها قال فى المصباح أنق الشئ من باب تعب ثم قال وتأنق فى عمله أحكمه وقال فى شيد الشيد بالكسر الجص وشدت البيت أشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته (٥) انتهى ع ش (قوله أفضل القرى) بكسر القاف قال فى المصباح قريت الضيف أقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (قوله لقراء) بكسر اللام وضم القاف وتشديد الراء جمع قارئ (قوله شارحها) قد شرحها شرحين صغيرا وكبيرا (قوله ولا أعلم لها شارحا الخ) لعل هذا باعتبار حالة الشروع والا فقد نقل الشارح رحمه الله تعالى فى مواضع تتعلق بالنظم عن شارحها أحمد بن يوسف الشهير بابن قطيع المالكى بصيغة قال بعضهم وينقل كلامه بلفظه وقد شرحها أيضا شيخ الشارح الفاضل المتقن الشمس الدلجى شرحا لطيفا مشتملا على كثير من أسرار البلاغة ودقائق المعانى والبديع معرقة المبانى وحسن الترصيع وشرحها أيضا الشيخ أبو الفضل المالكى وشرحها أيضا العلامة الشيخ أحمد ابن عبد الحق السنباطى شرحا لطيفا لكن شرح السنباطى متأخر عن شرح حج (قوله لان من يعرف الخ) لا يخفاك ما فى ذلك من المنع على ان الشارح معارض بما ذكره فى هذا الشرح من أنواع العلوم التى لا يقف على بعضها الا المشايخ كأنواع الاستعارة وأسرار المعانى الدقيقة وأما علما العروض والقافية فأمرهما يسير على المحصل كما لا يخفى انتهى طبلاوى (قوله غير السابع) صوابه غير السادس (قوله وهو من جملة الزحاف) صوابه من العلة الجارية مجرى الزحاف فى عدم اللزوم (قوله لا سيما الاقتباس القرآنى) لم يذكر الاقتباس الحديثى وان كان هو الغالب فيها للعلم بان مبناها على ذكر شمائله الفاخرة وصفاته الباهرة ومعجزاته المتظاهرة وأكثر ذلك بينته الاحاديث كما بين الكتاب أيضا بعضها

وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها وبراعة صنعها وامتلاء الخافقين بأنوار جمالها وادحاض دعاوى أهل الكاذبين ببراهين جلالها فهى دون نظائرها الآخذة بأزمة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لأكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع أعناق أفكار الشعراء عن ان تشرئب الى محاكاة تلك المحكيات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على أخرى وضرب على آخر ومن حيث فن القوافى كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه قبل سبعة أبيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف الروى والاقواء وهو اختلاف حركته ولكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس أبكارها على منصات الالباب مع الاختصار ويظهر مخبآت أسرارها ظهور الشمس فى رابعة النهار ويفتح مقفلات معمياتها عما قد يوجب القصور والعثار وينبه على نفائس فرائدها وينوه بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها وبدائع تأنيقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى فى شرح كذلك وان كنت لست هنالك راجيا ان اندرج به فى سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان أطوق بسببه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا سائر أمورى اليه وسائلا منه بدائع ألطافه وتتابع اتحافه وتيسير هذا المطلب ونجاح هذا المأرب انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم ﴿وسميته﴾ المنح المكية فى شرح الهمزية ثم بلغنى ان الناظم سماها أم القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها احتوت بطريق التصريح والايماء على ما فى أكثر المدائح النبوية وحينئذ سميته أفضل القرى لقراء أم القرى وقد بين شارحها الامام المحقق فى العلوم الآلية والشرعية الشمس الجوجرى شيخ مشايخنا رحمه الله تعالى ولا أعلم شارحا لها غيره رحمه الله تعالى وشكر سعيه بحرها وعروضها وضربها وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف بما أطال فيه لكنه ليس له كبير جدوى هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد التذكير ومن لا يعرفه يستوى عنده ذكر ذلك وحذفه اليسير منه والكثير وخلاصة شئ منه انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة أجزاء سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين وقد يدخله الخبن فى مستفعلن فيصير متفعلن فينقل الى مفاعلن لانه أخف بل وفى جميع أجزائه فيحذف ثانى كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض أو الكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث بان تفقد صورة الوتد فيصير مفعولن على صورة ثلاثة أسباب خفيفة ووقع فى كثير من أبيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان أجرى مجرى العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس ههنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التى هى الروى والقافية قيل هى آخر كلمة من البيت والاصح انها من آخر حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الآتى على الاول لفظ سماء وعلى الاصح من الميم منه وسترى كثرة ما راعاه الناظم من أنواع البديع لا سيما الاقتباس

القرآني لكن فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة المحقق منه انه مجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء قاطبة في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلاء منهم بالمنصوص والمنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث له والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا في كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه ورده استعمال مالك رضي الله تعالى عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر والقاضي عياض وقد نقل الشيخ داود المناخلي اتفاق المالكية والشافعية على جوازه وفي شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين ان يزاد على لفظ القرآن أو ينقص منه أو يغير اعرابه وأن لا قال السكاكي اعلم ان شأن الاعجاز عجيب لا يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطن السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال غيره لا تدرك معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدليل عليه كما ان التي أدوت في المحاسن قد يكون أحلى منها في العيون والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة وأهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل وبالخطب وبالكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فاليه يرجع في فضل بعض الكلام على بعض ولكون علم المعاني والبيان والبديع بهذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين كما أشار الى ذلك الكمال ابن الانباري والعسكري وغيرهما وقد حصلت لي رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة منها بل اعلاها اني أرويها عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المحققين المتأخرين أبي يحيى زكريا الانصاري الشافعي عن العز أبي محمد بن الفرات عن العز أبي عمر بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن حجر عن الامام المجتهد السراج البلقيني والسراج بن الملقن والحافظ زين الدين العراقي عن العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله وأرويها أيضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطي عن جماعة منهم الشمني بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله ابن علي الحنبلي كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم وقد راعى الناظم رحمه الله أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة للحديث الحسن والصحيح كل أمر ذي بال أي حال يهتم به لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم أي مقطوع البركة ولا تنافيه رواية الحمد لله لان القصد البداءة بأي ذكر كان كما أفادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة لبيان أفضل الذكر لا غير ومن ثم ابتدئ القرآن بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على أفضل العلوم والمعلومات فهي أحق بالبداءة بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما ماهو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعاني وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال في النظم والنثر بان يكون مبدأ الافتتاح دالا على ما بني ذلك النظم أو النثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول أبي تمام الطائي

(قوله الا بالذوق) هو قوة وجدانية يدرك بها دقائق الكلام ووجوه محاسنه الخفية فان كان سليقيا فذاك والا احتيج في تحصيله الى خدمة هذين العلمين واذا تأيد السليقي بقواعد اكتسابية فهو الغاية القصوى في ادراك اعجاز القرآن (قوله ولا يمكن الخ) وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة رقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الانف معتدلة القامة والاخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها ولا يدري سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والشهادة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام انتهى من الاتقان (قوله البداءة) صريحه ان الناظم أتى بالبسملة أول نظمه والظاهر انه أثبتها خطا فكان المناسب لهذا المحقق ان يكتبها بالاحمر قبل قوله كيف ترقى فان حمل كلام الشارح على البداءة اللفظية دون الخطية بان ثبت عنده التلفظ بها دون رقمها كان عدم كتابتها بالاحمر كما صنع هو المناسب انتهى (قوله فيما ليس كهذه القصيدة) كالقصائد المشتملة على هجو محرم أو تشبيب بمعين من أمرد او امرأة أجنبية (قوله براعة المطلع) أي المطلع البارع الفائق على غيره قال في المختار برع الرجل فاق على أصحابه في العلم وغيره فهو بارع وبابه خضع وظرف انتهى (قوله ورقة التشبيب) هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر فسمي ابتداء كل أمر تشبيبا وان لم يكن في ذكر الشباب انتهى مطول ونقل عن ع ش ان التشبيب التحسين قال في المصباح شبب قصيدته حسنها وزينها بذكر الشباب (قوله وقد انتزعوا الخ) يفيد أن براعة الاستهلال أخص من براعة المطلع حيث ذكر في بيان حقيقتها زيادة عن بيان حقيقة براعة المطلع كون مبدا الافتتاح دالا على ما بني النظم والنثر عليه فتأمل (قوله كقول أبي تمام) يهنئ المعتصم بالله الملقب بسيف الدولة في فتح عمورية وكان

أهل التنجيم قد زعموا انها لا تفتح في ذلك الوقت انتهى مطول (قوله فلله دره) قال في المختار يقال من المدح لله دره أي عمله ولله دره من رجل ويقال من الذم لا دردره أي لا كثر خيره واستعمال الدر في الخير ونفيه في الشر مجاز والا فحقيقة الدر اللبن وانما استعمل ما ذكر في المدح تعظيما ومعنى لله دره ان اللبن الذي نبت لحمه بسببه وتربى به لا يثبت لغيره تعالى لخروج كمال الممدوح به عن العادة فلم يضف لغيره سبحانه (قوله كيف ترقى رقيك الانبياء) اعلم ان هذا الشطر كقوله لم يساووك الخ انما يفيد ان نفي المساواة وبالاولى تنتفي شهادتهم عليه المصرح به في قوله ياسماء ما الخ واما نفي مقاربتهم له فلم يستفد من كلامه هنا وقد صرح به في قصيدته المسماة بالبردة حيث قال فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم لكنه قاصر على نفي المقاربة في صفتي العلم والكرم مع انهم صلوات الله وسلامه عليهم وان بلغوا في علو الشان ما بلغوا لا يقاربونه في جميع صفات الكمال (قوله في الاصل) الاولى حذفه لان الحكم المذكور ثابت لها في الاصل والحال وقد يجاب بان مراده ان الاسمية والبناء على الفتح أصليان لا طارئان فيها تأمل (قوله اسم) لدخول الجار عليها في قولهم على كيف تبيع الاحمرين أي اللحم والخمر فاذا قلت الاحامرة دخل فيه الخلوف وهو اللبن أو الطعام المتغير طعمه كما في القاموس ولابدال الاسم الصريح منه نحو كيف زيد أصحيح أم سقيم (قوله وترد للشرط) قال في المغني فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو كيف تصنع أصنع ولا يجوز كيف تجلس اذهب باتفاق انتهى وبهذا تعلم رد قول الشارح وخرج الخ لعدم مماثلة جوابها لشرطها في اللفظ والمعنى ولعل هذا هو وجه عزوه لغيره بالبناء للمفعول كالمتبري منه لكن اذا لم تكن شرطية جريا على كلام المغني فاذا تكون لانها لا تخرج عن الاستفهام والشرط وغير خاف عدم صحة استفهاميتها ولعل الظاهر ان كلام المغني جرى على الغالب في استعمالها فيكون ما في الآية من النادر فحرر لكن يعكر عليه قوله باتفاق الا ان يقال اتفاق الاكثر (قوله من ترقى) أي من فاعل ترقى (قوله يستفهم بها الخ) ومن ثم قال شارحها الدلجي السؤال ليس للاستفهام عن حال الرقي بل لانكار ذاته بانكار حاله بطريق الكناية لان حال الشئ تابع لذاته ولازم لها فهو من حيث كونه تابعا لها بمنزلة الخاصة المساوية لها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها فيكون امتناع ثبوتها مستتبعا لامتناع ثبوته ضرورة انتفاء التابع والعارض بانتفاء متبوعه ومعروضه واذا كان امتناع ثبوته تابعا لامتناع ثبوتها كان انكاره انكارا لها بطريق الكناية من حيث التبعية فكما يكنى باثبات التابع عن اثبات متبوعه يكنى بانكاره عن انكاره اي لا ترقى رقيك الانبياء (قوله عما يصح الخ) أي وذلك صفات غير الله وأما صفات الله فلا يقال فيها شبيه لان صفاته سبحانه كذاته وافعاله لا شبيه لها وحينئذ فلا يستفهم عنها بكيف تأمل ان كان هذا هو المراد فانظر ما المانع من أن يقال كيف صفات الله من جهة تعلقها وعدمه أي على أي حالة هي من هذه الجهة وجوابها حينئذ منها ما يتعلق ومنها ما لا يتعلق فحرر (قوله شبيه وغير شبيه) انظر المراد منه ثم رأيت عن مفردات الراغب بعد قوله شبيه وغير شبيه كالابيض والاسود والصحيح والسقيم (قوله كما في كيف تكفرون بالله) كيف في هذه الآية منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه

الطائي السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة جمع فيه تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى على متأمل لغرضه وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما بعده من المدح الى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه لمثله * (كيف) هي في الاصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط أو الاستفهام على الفتح لخفته وعلى حركة لالتقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليها نحو ينفق كيف يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وللاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيد أو غيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي كما يعلم مما يأتي وكما في الآيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغني نحو كيف أنت وحالا قبل ما يستغني نحو كيف جاء زيد أي على أي حالة جاء ومنه ما هنا في النظم اذ هي حال من ترقى أي على أي حالة ترقى رقيك الانبياء عليهم الصلاة والسلام أي لا يكون ذلك ولا كان وعن سيبويه انها ظرف فموضعها نصب دائما وتقديرها في أو على أي حال وجوابها المطابق على خير ونحوه وأنكر ذلك الاخفش والسيرافي فموضعها عند الاخفش والسيرافي رفع مع المبتدا نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد أصحيح زيد ونحو كيف جاء زيد أراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل أحد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على أي حال لكونها سؤالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا لانها في تأويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما مجازا قال ابن هشام وهذا أحسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم بها عن حال الشئ لا عن ذاته قال الراغب وانما يسئل بها عما يصح ان يقال فيه شبيه وغير شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكل ما أخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله قوما كفروا وفرق الزمخشري بين

أى فى أى حال تكفرون وعلى الحال عند الاخفش أى على أى حال تكفرون والعامل فيها على القولين تكفرون وصاحب الحال الضمير فى تكفرون وجاء تكفرون مضارعا لا ماضيا لان المنكر الدوام على الكفر والمضارع هو المشعر بذلك ولئلا يكون ذلك توبيخا لمن آمن بعد كفره انتهى من اعراب السمين (قوله وتوقيت) لم يظهر لى فاين التوقيت فى المثال الذى ذكره (قوله بمكة) فيه ان الاسراء من مكة والرقى من المسجد الاقصى ففى العبارة تساهل (قوله صريف الاقلام) أى صوتها حال كتابتها

كيف والهمزة بان كيف سؤال تفويض لاطلاقه فكأن الله فى الآية الاولى فوض الامر اليهم فى ان يجيبوا بأى شئ أجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيت فانك تقول أجدك راكبا أم ماشيا فتوقت وتحصر ومعنى الاطلاق ماقاله صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم فيه الاحوال كلها والكفار حين صدور الكفر عنهم لابد ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله تعالى أو جاهلين به فاذا قيل كيف تكفرون بالله أفاد أفى حال العلم تكفرون بالله أم فى حال الجهل هذا معنى التفويض فى الآية (ترقى رقيك) الحسى فماضيه مكسور القاف من رقى السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسراء قبل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقى وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل والمعنوى من رقى بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة أخرى وخلق آخر أكمل وأعظم وهكذا الى مالا غاية له ففى كلامه استعمال المشترك فى معنييه أو الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عندنا فى الاصول وعلى مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز (الانبياء) جمع نبى فعيل بمعنى فاعل أو مفعول من النبأ بهمز وقد لايهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر أو مخبر عن الله تعالى أو من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لاتقولوا يانبىء الله بالهمز بل قولوا يانبى الله بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوى الاسلام وتواترت به القراءة نسخ النهى عنه لزوال سببه وهو حر ذكر من بنى آدم سالم من منفر كعمى وما وقع ليعقوب وشعيب صلى الله على نبينا وعليهما وسلم لم يكن عمى حقيقيا وكذا بلاء أيوب صلى الله عليه وسلم لم يستقر بل صار بدنه بعد الشفاء أجمل منه قبله أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فان أمر فرسول أيضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الاشهر فالرسول أخص مطلقا من النبى ولا يطلق على غير الآدمى كالملك والجنى الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره فى الاول اذ هو فيه ايحاء ما يتعبد به هو وأمته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه فان قلت نفى رقى الانبياء رقيه لا يستلزم نفى رقى الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لادلالة له على الاخص والمراد انما هو نفى رقى كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلت ممنوع بل هى وافية بل مصرحة به لان قوله ماطاولتها سماء صريح فى نفى رقى الكل رقيه كما يعلم مما يأتى فى شرحه لان النكرة فى حيز النفى للعموم وفى أنه أراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل وأيضا فنفى الحقيقة مطلقة كالنبوة التى تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ماذكره الناظم ولا يصح ذكر الرسل فتأمله على ان المحقق الكمال بن الهمام نقل فى مسايرته ان المحققين على ترادف النبى والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وان كنت رددته فى شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة الصحيحة فى عدد

(قوله من رقى بالفتح) كرعى يرعى وعكس ذلك على وعلا فعلى بالكسر يعلى بالفتح فى المكارم علاء بفتح العين والمد وأما علا يعلو علوا ففى المحسوس كالجبل بمعنى صعد وعلا فى الارض علوا تجبر وتكبر ولا يخفاك اختلافهما مضارعا ومصدرا بخلاف رقى ورقى فان مضارعهما ومصدرهما واحد ثم رأيت فى المختار ان على يعلى فى المعانى ماضيا ومضارعا لا مصدرا كما سيأتى فى شرح قوله فى علاك (قوله يانبىء الله بالهمز) وفى المواهب والصغانى انما أنكره لان الاعرابى أراد يامن خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من أرض الى أرض اذا خرجت منها الى أخرى (قوله ولم يؤمر) ليس شرطا فى النبى فكان الظاهر ان يقول كغيره وان لم انتهى وقد يدفع باحتمال انه انما أراد تعريف النبى المنفرد عن الرسول ويرشح له قوله فان الخ تأمل لكن هذا لا يلائم الحكم بعموم النبى من جهة التبليغ وعدمه وخصوص الرسول بالتقييد بالتبليغ فتدبر (قوله ولم تف به عبارته) فيه ان العام يستغرق افراده من غير حصر والانبياء هنا كذلك وفى كلام الشارح اشارة لذلك (قوله صريح) انما هو صريح فى عدم زيادة كل عليه لان ذلك معنى المطاولة وهذا لا يستلزم نفى المساواة فتدبر وأما وفاء عبارته بنفى مساواة الرسل أيضا على كون المراد بالانبياء ما يشمل الرسل فظاهر

الانبياء

الانبياء والرسل وسيأتى بعضها * (تنبيهات) * منها ماصرح به كلامه لما مر فى معنى كيف انها استفهام متضمن لنفى رقيهم كرقيه وللتعجب ممن يتشكك فى ذلك وهو أولى ممن قال وللتعجب من وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقى بعينيه السابقين وانه المنفرد بغاية كمال الشرف والرفعة اجماع اما الاول فواضح وأما الثانى فكذلك عند من تأمل آى القرآن وما اشتملت عليه اما تصريحا أو تلويحا من الاشارة الى انافة قدره العلى عنده وانه لا مجد يساوى مجده وقال المفسرون فى قوله تعالى ورفع بعضهم درجات يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشرى فى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذى لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس ومن تلك الدرجات ان آياته ومعجزاته أكبر وأبهر اذ ما من معجزة لنبى قبله الا وله مثلها أو أبهر منها كما بينه الائمة وسيأتى بعضه وزاد عليهم بمعجزات لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فانه لا تتناهى معجزاته ولا تنقضى آياته وان أمته أزكى وأكثر وأخير وأطهر من بقية الامم بنص كنتم خير أمة أخرجت للناس وخيرية الامة تستلزم خيرية نبيها وأفضلية دينها اذ لاشك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته أعلى وأجل وذاته أفضل وأكمل كما يصرح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاوصاف الحميدة ثم أمره ان يقتدى بجميعهم وذلك يستلزم أن يأتى بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفى حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منها واعترافه بانه ليس أهلا لها التصريح بذلك أيضا وكذلك الحديث الصحيح انا سيد ولد آدم وفى رواية انا أكرمهم على ربى وفى حديث الترمذى انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وهو صريح فى دخول آدم كحديث البخارى وغيره انا سيد الناس يوم القيامة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم واعترض وبذلك تعلم أفضليته على الملائكة لان آدم أفضل منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتى على الاثر ليس أحد من الملائكة وحديث الترمذى الحسن كما بينه البلقينى فى فتاويه ردا على الترمذى وانا أكرم الاولين والآخرين وهذا صريح فى شموله الانبياء والملائكة جميعهم وحديث قال آدم يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لى الحديث وفيه انه تعالى قال يا آدم كيف عرفته ولم أخلقه قال يارب لما خلقتنى بيدك أى بقدرتك الباهرة ونفخت فى من روحك أى سرك العجيب الذى لا يعلم حقيقته أحد غيرك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس رضى الله عنهما وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وفى روايات أخر لولاه ما خلقت السماء والارض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا أول من تنشق عنه الارض فالبس الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الملائكة يقوم ذلك المقام غيرى وفى رواية ذكرها السراج البلقينى فى فتاويه انه تعالى قال له قد مننت عليك بسبعة أشياء أولها انى لم أخلق فى السموات والارض أكرم على منك وفى أخرى ذكرها أيضا ان جبريل عليه السلام قال له أبشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر حباك الله بما لم يحب به أحدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن بحيرا الراهب وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيأ الا عنه هذا سيد العالمين وصح عن عبد الله ابن سلام الصحابى الجليل امام أهل الكتاب بشهادته صلى الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة

(قوله اجماع) بالرفع فى نسخة المصنف وهو خبر ما فى قوله ماصرح والمعنى اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقى والتفرد بغاية كمال الشرف والرفعة مجمع عليه (قوله تنصل) أى تبرأ كل يقال تنصل الشئ من موضعه من باب قتل خرج منه ومنه تنصل فلان من ذنبه والمراد بتنصلهم منها تباعدهم وعدم تعاطيهم لها (قوله لوائى) قيل المراد باللواء علو شأنه بحيث صارت الانبياء أتباعا له وظهر عليهم أمره فى الآخرة ظهور اللواء الذى يرى فى الجيش لعامة الناس فيقتدون به وقيل غير ذلك اهـ ع ش على المواهب (قوله لما غفرت لى) أى الا كما فى رواية

أمور امنها وان أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فاين الملائكة فضحك
وقال للسائل يا ابن أخي هل تدرى ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق السموات والارض والرياح
والسحاب والجبال وسائر الخلق التى لا تعصى الله شيأ وان أكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله
عليه وسلم وبين السراج البلقينى ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك فانه من أجل الصحابة فلا يقول الا
عنه صلى الله عليه وسلم أو عما صح من التوراة قال واختيار الباقلانى والحليمى أفضلية الملائكة يمكن
حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم أى وبهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشى أو على
تفضيل فى نوع خاص أى لانه قد يوجد فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل ثم قال ولا يظن
باحد من أئمة المسلمين انه يتوقف فى أفضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك سائر الانبياء وأطال فى
الحط والرد على من توقف فى ذلك وزعم ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فان هذا
من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان بسوق أدلتها وايضاحها على كل
من تأهل لذلك وقد صح فى الحديث المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله
أحب اليه مما سواهما وتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل صريحا فى كل ما ذكرناه * ومنها ما أفاده
كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو ما عليه عامة العلماء لما مر من
الادلة الصريحة فيه وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل اليهم
وأما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء لا تفضلونى على الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهى
اما قبل علمه بالتفضيل وانه أفضلهم واما محمولة على التواضع منه صلى الله عليه وسلم لتصريحه
بالتفضيل أو على تفضيل يؤدى الى تنقيص أو الى غض من مقام أحدهم وعليه ما يدل سياق
الحديث أو على التفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة فانهم كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه
وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل
بآرائنا ليس فى محله لان تفضيل ذلك بالرأى المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه
لمنعه وأما الحديثان الصحيحان ما ينبغى لاحد أن يقول انا خير من يونس بن متى من قال أنا خير من
يونس بن متى فقد كذب فحكمة التخصيص فيهما بيونس نفى توهم التفاوت بينهما فى القرب من
الحق لاختلاف محلهما الصورى برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس صلى الله
عليه وسلم الى قعر البحر أى لا تتوهموا من هذا التفاوت الصورى تفاوتا فى القرب والبعد من الله
تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان فهو نهى عن
تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا * ومنها ان قوله الانبياء يشمل من عرف منهم ومن لم يعرف قال تعالى
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك واختلفوا فى عدد من عرف منهم والمشهور فيه
ما فى حديث أبى ذر عند ابن مردويه فى تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة ألف
وأربعة وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت
يا رسول الله من كان أولهم قال آدم ثم قال يا أباذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو
ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أباذر وأول نبى من
بنى اسرائيل أى ممن بعد أولاد اسرائيل وهو يعقوب صلى الله على نبينا وعليه وسلم موسى وآخرهم
عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان فى كتابه
الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزى فذكره فى موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام
قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث
فالله أعلم وبينت فى شرح المنهاج فى الخطبة ان حديث كون الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرين
ألفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه وروى أبو يعلى كان فيمن خلا من

(قوله مردوية) بضم الميم واسكان الراء المهملة وضم الدال واسكان الواو بعدها ياء مفتوحة (قوله وأول نبى) انظر هذا مع ان أولاد يعقوب الذين منهم يوسف ونبوته بالاتفاق هم قبل موسى وقد يقال أولهم ممن أنزل عليه الكتاب انتهى وهذا الايراد المحوج للجواب المذكور غير وارد مع قوله أى ممن بعد الخ

اخوانى من الانبياء ثمانية آلاف نبى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت أنا (يا) حرف نداء للبعيد أو للقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد رتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق أو تسامى (سماء) بالتنوين والنصب بناء على أنها نكرة موصوفة وهى من حيز الشبيه بالمضاف فينتصب لاغير على الاصح وقال الكسائى يجوز فيها النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة كما هنا وكيارجلا ضرب زيدا والرفع اذا كان ضمير خطاب كيارجل ضربت زيدا ﴿تنبيه﴾ لا يأتى هنا الخلاف فى النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعى لاتنادى مطلقا والمازنى لايتصور نداؤها لانه يقتضى الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضى عدمه قال ولا يتصور ان يوجد فى النداء نكرة غير مقبل عليها الى أن قال وما جاء منونا منها فتنوينه ضرورة والكوفيون شرط صحة ندائها ان تكون صفة فى الاصل حذف موصوفها نحو ياذاهبا والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان محال هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف النكرة بمفرد أو جملة أو ظرف والا جاز نداؤها مطلقا اتفاقا * فان قلت سماء هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتى وموصوفة بجملة ماطاولتها سماء كما تقرر وحكمهما متناف فان قصدها يوجب بناءها على الضم ووصفها يوجب نصبها على الاصح كما تقرر فما المغلب منهما حينئذ قلت لم أر للنحاة فى مثل هذه الصورة نصا وانما أطلقوا فى المقصودة البناء وفى الموصوفة النصب ومفهومهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة يقتضى انه لافرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضى انه لافرق بين الموصوفة وغيرها لايقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظر واللقصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لابدع ان الاعمى يقول يارجلا صالحا خذ بيدى من غير ان يقصد أحدا بعينه ولكن لايبعد ان يدار الامر فى هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر الوصف أجرى عليه حكمه السابق أو القصد أجرى عليه حكمه المذكور له ﴿فائدة﴾ يجوز تنوين المنادى المبنى للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء الضم أو الاولى النصب فالخليل وسيبويه والمازنى على الاول علما كان أو نكرة مقصودة وعيسى ابن عمرو والجرمى والمبرد على الثانى ردا الى أصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه فى الضرورة واختار ابن مالك فى شرح التسهيل ابقاء الضم فى العلم والنصب فى النكرة المعينة لان شبهها بالمضمر أضعف وبعض المتأخرين العكس وهو اختيار النصب فى العلم لعدم الالتباس فيه والضم فى النكرة المعينة لئلا تلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لافارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما فى التنوين اذا تقرر ذلك وقلنا بأن النكرة المنونة هنا مبنية على الضم على أحد شقى كلام الكسائى أو على ماذكرته انه اذا أريد بالنكرة الموصوفة مقصود بنيت على الضم فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثانى والثالث النصب والذى أقوله ان الضم متعين هنا على الكل لانه الظاهر خلافا لما يوهمه الرأى الرابع ان محل الخلاف حيث لا الباس يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور لايهامه ان السماء الاولى نكرة غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى لان النكرة غير المقصودة لايصح نفى مطاولة نكرة غير مقصودة أيضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اذ هى اسم جنس يشمل سائر الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى هى التى لا تطاولها سماء أى مرتفع غيرها لانه لم يوجد فى هذا الوجود أرفع منها فتأمل ذلك حق التأمل واحفظه فانه مما يتعين استفادته لاسيما مع النظر لما قاله الشارح مما لم يعثر فيه على شئ مما ذكرته (ما) نافية (طاولتها) أى غالبتها فى الطول والارتفاع (سماء) وهذا الشطر الثانى كالدليل للشطر الاول اذ التقدير لم يرتق أحد منهم ارتقاءك لانه

(قوله وفصل الفراء) وجه تفصيل الفراء انه اذا كان العائد ضمير خطاب كان التعريف حينئذ أتم فتعين البناء على الضم كزيد فى يازيد (قوله والرفع) مراده به الضم (قوله الاربعة) فيه نظر فان الاقوال ثلاثة قول الاصمعى وقول المازنى وقول الكوفيين بالتفصيل المذكور (قوله قلت الخ) قال العلامة الدنوشرى ردا على الشارح النحاة مصرحون بان النكرة المقصودة اذا وصفت نصبت وهذا تقييد لقولهم ان النكرة المقصودة يجب بناؤها على الضم فهم المطلقون والمقيدون (قوله والذى اقوله الخ) فيه نظر فانا لانسلم ان النصب هنا يوهم المحذور الذى ذكره الشارح لدفعه بالسوابق واللواحق فان قوله كيف ترقى الخ نص فى أن المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله لم يساووك الخ ويلزم على ماذكره الشارح تخطئة الناظم فانه أتى بالنكرة منصوبة لا مضمومة وقوله اذ هى اسم جنس مردود بأن النكرة المقصودة المراد بها معين وقوله يشمل سائر الاجرام ربما ينافى ذلك وسيأتى فى كلام الشارح ان المراد بسماء الاولى نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم اه (قوله كالدليل الخ) لايخفى ان المراد بنفى المطاولة نفى زيادتهم عليه وحينئذ لايظهر كونه علة لانه يصير التقدير لايرتقون مثل رقيك أى لايساوونك لانهم لايزيدون عليك فى الرقيين وفيه خفاء فتأمل فالظاهر انه تصريح بما علم بالطريق الاولى من نفى مساواتهم له فيما ذكر تأمل وأيضا قوله كالدليل زاد على هذا الشارح الدلجى

قوله ويمكن رده الى صورة قياس استثنائى هكذا لو رقوا ارقيك لطاولوك لكن اللازم منتف فكذا ملزومه ومما ورد على صورة القياس الاقترانى قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أى الاعادة أهون من البدء وكل ماهو أهون فهو أدخل فى الامكان فالاعادة أدخل فى الامكان وقوله فلما أفل قال لا أحب الآفلين أى القمر أفل وربى ليس بآفل اهـ كلامه وقولنا فى صدر القولة لا يخفى ان المراد الخ فيه ان المطاولة المغالبة فى الطول والارتفاع كما صرح به الشارح فيما يأتى ومثله فى القاموس لا الزيادة قال فى القاموس طاولنى فطلته كنت أطول منه فى الطول اهـ فلم تعلم الزيادة الا من قوله فطلته والا فالمطاولة المغالبة فى الطول أى الارتفاع اللهم الا ان يراد أصل الفعل بأن يراد بقوله ماطاولتها ماطالت أى ارتفعت عليها سماء وحينئذ يظهر ماذكرناه اذا علمت ذلك فلا يظهر القياس الذى ذكره الدلجى اذ يصير نظمه لو رقوا مثل رقيك لزادوا الخ وغير خاف ان الزيادة لا تترتب على رقيهم مثل رقيه وقد أشار الشارح الى صحة كونه كالدليل لما قبله وعلة له بحمله النظم على عدم استطاعتهم رقيا مثل رقيه فكأن الناظم قال لا ترقى الانبياء مثل رقيك لان الله سلبهم القدرة والاستطاعة ان يساووك وان يأخذوا فى أسباب ذلك فتدبر (قوله وفيه استعارة) أى تحقيقية وعبارة الدلجى والسماء اسم جنس يقع على واحد فأكثر والمراد بها هنا هذه الاجرام وقد استعار اسمها للانبياء بجامع العلو والرفعة وان اختلفا حسا ورتبة (١٢) اذ هى أعلى مايرى من الاجرام وهم أعلى مايرى من البشر فى درجات الكمال بعضهم أفضل من بعض مشبها لهم بها على طريق الاستعارة التحقيقية وقرنها بما يلائم المستعار منه أعنى الارتقاء أو بما لزم بقرينة المقام من نفى المطاولة من الارتفاع ترشيحا للمجاز من رشحت الام ولدها باللبن قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وفلان يرشح للوزارة أى يربى لها ويؤهل لها فكأن المستعار له يرشح ويؤهل بما تقترن به الاستعارة من صفة أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه كأن يكون من جنسه أو فردا من افراده مبالغة فى التشبيه مما يورث الكلام زيادة رونق وبهاء والمجاز كمال حالية علو وسناء وأكثر ما يكون فى الاستعارة وقد يكون فى المجاز المرسل مثل وله اليد الطولى أى القدرة الكاملة (قوله لفظ السماء الاول) قد جعله الشارح الدلجى جناسا تاما مماثلا وفيه نظر اذ المعنى لم يختلف وغايته انه استعار اللفظ الاول لنبينا والثانى لسائر الانبياء كما أفاده الشارح وعبارة الدلجى وفيه الجناس التام بين سماء وسماء لاتفاقهما فى أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها كما فى قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة اهـ وقوله لم يختلف غير مسلم لظهور اختلاف المعنى (قوله ورشح) تقدم له ان الرقى مستعمل فى الرقيين الحسى والمعنوى وحينئذ فلا يظهر كونه ترشيحا ملائما للمشبه به الا ان أريد به الرقى الحسى فتدبر وفى البيت الترديد لتعليقه ترقى أولا بالانبياء وثانيا به صلى الله عليه وسلم والتصريع وهو موافقة العروض لضربها فيما تنسب اليه القصيدة ثم قد يتعلق أول مصراعى البيت بثانيه فيسمى تصريعا وقد لا يتعلق به كما هنا ورد العجز على الصدر فى ترقى ورقيك اهـ دلجى (قوله جمع عليا) ويجوز ان يكون العلا بمعنى الشرف والرفعة كما يأتى وعليا هنا بضم العين ككبرى وكبر والمذكر أكبر فليس كاحمر وحمراء (قوله وعلى بالكسر) عبارة المختار وعلى فى الشرف بالكسر علاء بالفتح والمد وعلى يعلى لغة فيه (قوله وتبعه غيره) هو الشهاب البرلسى المالكى الشهير بالاقيطع (قوله وهو عجيب) لا عجب اما أولا فلانا نمنع مساواة كيف ترقى لهذا فى الدلالة على ماذكر واما ثانيا فلان الشارح الجوجرى رحمه الله تعالى قال قبل ذلك والشطر الثانى كالدليل للشطر الاول وكأنه يقول لم يرتق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك أى معالاتك فى الطول أو الطول

لم يستطع مطاولتك فى ارتقائك الحسى ولا المعنوى وان كانت درجاتهم كلها ومراتبهم وصفاتهم باسرها أرفع الدرجات وأكمل المراتب وأجل الصفات قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الآية صريحة فى فضلهم على جميع الملائكة بل الخلق اذ العالم ماسوى الله تعالى وانما جمع جمع العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ السماء الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانى لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان السماء أعلى مايرى من الاجرام الحسية كما انهم أعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملايم للمستعار منه (لم يساووك) جملة مستأنفة على ما يأتى فيكون من اسلوب الحكيم أو حال من فاعل ترقى (فى علاك) جمع عليا تأنيث الأعلى من علا بالفتح يعلو علوا فى المكان وعلى بالكسر يعلى وعلى بالفتح يعلى علاء فى الشرف قال الشارح ولما كان نفى المطاولة لا يلزم منه نفى المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفى المطاولة نفى المساواة أشار الى نفيهما وان كان يؤخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح اهـ وهو عجيب مع مامر فى كيف انه أفاد بطريق التصريح نفى رقى كل أحد منهم رقيه وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تأكيد واطناب فقط على ان لذكره فائدة أخرى هى البرهان عليه بطريق أخرى وحينئذ يكون ماسلكه من ذكر الجملة الاولى فى شطر البيت الاول والبرهان عليها بما فى الشطر الثانى ثم اعادتها بعينها فى أول البيت الثانى والبرهان عليها بما فى بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته والله أعلم (وقد حال) أى حجز ومنع جملة مستأنفة أو

حالية من الفاعل أو المفعول وقد هنا واجبة الذكر أو التقدير عند البصريين قالوا التقرب الماضى من الحال واعترضهم المحقق السيد الجرجانى وتبعه المحقق الكافيجى وغيره بأن هذا غلط منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال الذى تقربه قد حال الزمان والحال المبين للهيئة حال الصفات ولك رده بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربان كما هو شأن الحال وعاملها وحينئذ لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة لها فى الزمن فتأمله فانه مهم اذ تغليط أولئك الائمة الذين لا يحصرون مع امكان تأويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح على الاول بعيد كتخصيصه له بفاعل ترقى البعيد دون فاعل يساوونك القريب وان كان متحدا والاول أولى لما قدمته ان هذه الجملة كالبرهان أو التعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد ذلك هنالك أيضا على أنها الظاهر المتبادر (سنا) بالقصر أى ضوء عظيم ظاهر (منك) خصك الله تعالى به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وغيرها التى اختصه الله بها وأمره بأنه يسأله ان يزيده منها وهو مقتبس من تسميته تعالى للقران نورا فى آيات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الذى أنزل معه وعما اختصه الله تعالى به من جمال المنظر الظاهر بما آتاه من الحسن فى خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف فضلا عن غيره كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وفى خلقه بما ابان الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم وهو مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورا فى نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك وتفضل الله تعالى عليه به ليزداد شكره وشكر أمته على ذلك كما أمرنا بالدعاء الذى فى آخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله تعالى به لذلك ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا للكثيف وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل أصلا خرقا للعادة كما خرقت له فى شق صدره وقلبه مرارا ولم يتألم بذلك (دونهم وسناء) بالمد أى رفعة عظيمة أوتيتها لم ينته مخلوق اليها أى انتفت مساواتهم له لمانع منعهم عن اللحوق به وهو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل أحد الى أدنى شأوهما فضلا عن كماله وفى جعله هذين حاجزا استعارة تجريدية كما ان فى جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد أحدهما بزيادة حرف آخر فى آخره كقولهم العار ذل العارف وهو أحد أقسام الجناس الناقص ومنها نحو الساق والمساق ويسمى بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس نحو داء ردواء ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة مكتنف أى متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف بأكثر من حرف نحو من آمن ويسمى متوجا نحو جهد ومجاهد وجوا وجوانح سماه فى التلخيص مذيلا وأهل البديعيات على ان الزائد من آخره حرف أو أكثر يسمى مذيلا ومن أوله كذلك يسمى مطرفا ((تنبيه)) الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فلذا أكثر منه

(قوله أو المفعول) أو منهما (قوله وقد هنا الخ) أى على جعله الجملة حالية (قوله تقرب به) أى تقرب به منه فهو من الحذف والايصال (قوله ولك رده الخ) يوضح ذلك ما ذكره الدمامينى فى الجواب عن اشكال السيد بان التحلى بقد يشعر بالحضور حال وقوع العامل لانها للتقريب الى الحاضر فى الجملة فان الماضى لاستقلاله بالمضى لا يفيد المقارنة وان كان العامل أيضا ماضيا بل ربما يوهم انه ماض بالنسبة اليه اهـ فما ذكره الشارح للرد غير صالح له فهو ممنوع (قوله منك) قال الدلجى أتى بلفظ منك احترا سا عما عسى يتوهم ان ما حال بينهم وبين مساواته ليس منه (قوله لا يظهر له ظل) هذا ظاهر فى ذاته عليه أفضل الصلاة والسلام ومعلوم انه كان عليها ملبوس وهو ليس نورا فله ظل وقد يقال ان ملبوسه وان كان بالنظر لنفسه كثيفا لكن لملابسته ذاته التى هى نور صار ذلك الملبوس بواسطة نورها نورا فلا يظهر له ظل أيضا (قوله دونهم) دون فى الاصل ظرف بمعنى أدنى مكان من الشئ ثم استعير للرتب المتفاوتة فيقال زيد دون عمرو أى أدنى منه شرفا ثم تجوز به واستعمل فى تجاوز حكم الى حكم نحو فعلت بزيد الاكرام دون الاهانة أو محكوم عليه الى آخر نحو اكرمت زيدا دون عمرو أفاده اللقانى فى بعض حواشيه والظاهر انها فى المتن حال كمثالى التجوزين الاخيرين فى عبارة اللقانى والمعنى وقد حال سنا وسناء منك حال كونهما متجاوزين ما فيهم من السنا والسناء فيكون من تجوز استعمالها فى الرتب المتفاوتة فتدبر (قوله وفى جعل هذين الخ) الاستعارة انما هى فى السنا المقصور وأما الممدود فباق على حقيقته ويصح المجاز العقلى فى اسناد حال الى السنا والسناء تأمل وكون الممدود باقيا على حقيقته غير ظاهر فى الرفعة المعنوية تأمل (قوله تجريدية) قال الدنوشرى انظر ما مراده اهـ وقد قالوا فى نحو قولهم لقينى من زيد اسد ان فيه تجريدا أى لان المتكلم جرد من ذات زيد اسدا وحكم عليه باللقاء وجعل ذلك تجريدا ظاهر لكن لا استعارة للجمع بين الطرفين ولعله لما عبر بقوله منك وجعل الشئ ظاهرا منه كانه جرد من ذاته وجعل مشبها أطلق على ذلك تجريدا فتأمل

(قوله أتدعون بعلا) البعل صنم كانت تعبده بعل المسماة أيضا ببعلبك بالشام أى أتعبدون هذا الصنم وتتركون أحسن الخالقين (قوله لراعى الجناس) هذا كلام حق لا يدل على الغباوة نعم لو قال بعد ذلك وهو أحسن أو نحوه لدل على مزيد الغباوة تأمل (قوله بمستبق) والبيت بتمامه ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث * أى الرجال المهذب أى لا تجمعه على تفرق وذميم خصال فصدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه للانكار أى لا مهذب فى الرجال انتهى مطول (قوله عند الجمهور) ومقابله قوله الآتى وأنكر قوم افادة انما له (قوله قيل الخ) اعلم أن اثبات الالوهية لله فى نحو انما الهكم الله منطوق اتفاقا واما نفى الالوهية الحقة عن غيره ففيه خلاف قيل مفهوم وهو مذهب الجمهور وقيل منطوق أى بالاشارة وهو المنطوق غير الصريح أى لم يوضع له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فقوله قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم خاص باحد شقى ما يستفاد من انما وهو نفى الحكم عن غير المذكور اذ هو محل الخلاف والا فاثبات الحكم للمذكور منطوق به اتفاقا كما عرفت واما نحو ما قائم الا زيد مما يشتمل على نفى واثبات فمنطوقه اتفاقا نفى القيام عن غير زيد وأما اثبات القيام لزيد فقيل مفهوم وهو الراجح وقيل منطوق أى صراحة لسرعة تبادره الى الاذهان وعليه فلا مفهوم له بل له منطوقان صريحان كذا يؤخذ من المحلى الاصولى وحواشيه فى مبحث المفاهيم ثم رأيت عن التمهيد للاسنوى وعن الشيخ أبى على فى الشيرازيات توجيه القول بكون نفى الحكم عن غير المذكور فى انما قائم زيد ونحوه منطوقا بان ما للنفى وان للاثبات فجمع بينهما على الوجه الممكن أى فيكون حكمهما كحكم ما والا فى خلافا القول بان نفى الحكم فى تركيبهما عن غير المذكور منطوق ورد هذا التوجيه ظاهر اذ لا دلالة لما فى انما على النفى بوجه فتأمل وحينئذ فالتوجيه الصحيح ان يقال انما كان مفهوم انما منطوقا لان قولك انما زيد قائم وانما القائم زيد معناه لا قاعد فى الاول ولا عمرو فى الثانى فمحل النطق فى الاول زيد وفى الثانى القائم والنفى حال من أحواله فيكون منطوقا لانه معنى دل عليه اللفظ فى محل النطق لكنه لم يوضع

الناظم فى هذه القصيدة ورعا ترك التنبيه على كثير منه فى محله استغناء بظهوره أو تقدم التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل والاصغاء فمحل مراعاته ما لم تعارضه قوة المعنى وتمكنه مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولم يقل بمصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لى انه قال لى صدقت ومعنى مؤمن لى انه صدقنى وأمننى والمقصود الثانى لا الاول فترك الجناس لذلك وترك أيضا فى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين اما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الوعد والاحسان لا فى مقام التهويل أو لان يدع أخص من يذر لانه ترك الشئ مع سبق الاعتناء به فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون مبالغة فى التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية فى الاعراض عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء فى قوله لو قال وتدعون لراعى الجناس وبقيت اجوبة أخرى ليست بذاك فلذا تركتها وفى قوله وقد الخ التذييل وهو ان يؤتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجرى مجرى العلة لتؤكد ما قبلها وتحققه كقوله تعالى وهل يجازى الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقول النابغة أى الرجال المهذب بعد ولست بمستبق الخ ((تنبيه ثان)) سيمر بك استعارات بليغة يحتاج الى معرفتها فى هذه القصيدة فلا بأس بالاشارة الى بعض شئ مما يتعلق بها فخذها انها مجاز يتضمن تشبيه ما عنى به بما وضع له فهى مجاز لغوى لانها لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرأيت اسدا يرمى ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع أن فى كل قطع المسافة أولا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهى باعتبار طرفيها والجامع أقسام كثيرة باعتبارات كلا اما عقلى أو حسى ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو تأويلا كعلم أشعر بوصف سميت أصلية أو فعلا أو مشتقا منه بان يقصد به المعنى القائم بالذات أو حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه المقتضى لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه أو مشاركا للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقائق أى الامور الثابتة دون معانى الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلائم أحد طرفيها سميت مطلقة أو بما يلائم المستعار له فمجردة أو بما يلائم المستعار منه فمرشحة وهى أبلغ لان مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شئ يشبهه وما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور يسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد فى أمر انى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى * وبقى من أقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويتان غير داخلتين فى تعريف المجاز فاذا أضمر التشبيه فى النفس ولم يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شئ من خواص ذلك المشبه به سمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به (انما) للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر

خلا فالمن فرق وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويعبر عنه أيضا بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر موصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقى واما مجازى فالحقيقى نحو ما زيد الا كاتب أى لا صفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شئ فى القرآن والمجازى نحو وما محمد الا رسول أى مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت الذى استعظموه ذهولا عن كونه من شأن الاله وانكر قوم افادة انما له ويرد عليهم آيات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما يأتيكم به الله واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان مفاد انما قائم زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفى غيره عنه (مثلوا) أى صوروا الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الواصفون اشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت بالحجاب (صفاتك) جمع صفة وهى ما دل على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض أو معقول كالعالم (للناس) من الانس فيختص ببنى آدم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا لا للتعويض أل عنها للجمع بينهما أو من نوس اذا تحرك فيعم الجن كذا قيل والذى فى القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع أنسى أصله أناس جمع عزيز ادخل عليه أل ثم قال وناس الابل ساقها وأناسه حركه (لـ) نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق لمثلوا أى تمثيلا مثل (ما) مصدرية (مثل النجوم الماء) أصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل أبيض وقيل أسود والمعنى على ان الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام أن ما شاركتهم فيه من الصفات وان كملت لم يصلوا الا دناها لانها بلغت فيه من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهى فيه حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حائل وفيهم كصور النجوم التى ترى فى الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلى كقول الموحد أنبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا التصوير كنهها لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير وفى هذا من الابلغية فى المدح ما لا يخفى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كمالهم الاكبر اذا عجزوا عن ادراك حقائق صفاته العلية كان غيرهم أعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما يأتى فى قوله * الا بشرت قومها بك الانبياء * لان ذلك فى مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا فى بيان صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان أكثروا الاوصاف وتفننوا فى ايرادها على أبلغ أنواع البلاغة وأكمل قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان أدركوا الواضح منها وعجزوا عن ادراك شئ من حقائقها كما ان غاية من يرى النجوم فى الماء انه يدرك مبادى أوصافها ويعجز عن ادراك حقائقها وقد شرح الناظم هذا بقوله فى بردة المديح اعيا الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة التذييل أيضا بناء على المعنى الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفى المساواة بل فى الحقيقة القصيدة كلها برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما مر * ولما قرر ان ما أوتيه من المزايا لا تدرك غاياتها بل ولا حقائقها زاد ذلك تقريرا وتمكينا فى النفوس فقال (أنت) أيها العلم المفرد الذى لا يساوى بل ولا يدانى (مصباح) أى سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا (كل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وأجزاء المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر أى على كل أجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم تكن نعتا لنكرة ولا توكيد المعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال

له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فيكون غير صريح وغير مقصود للمتكلم لا يتوقف عليه (١٥) صدق ولا صحة فيكون اشارة (قوله ويعبر عنه الخ) لكن التعريف الاول أولى لشموله نحو انما زيد قائم اذ لا يصح ان يقال فيه ونفيه عما سواه وانما فيه اثبات الحكم المذكور ونفى غيره عنه كما سيأتى فى الشرح فتأمل (قوله وهى ما دل) كان الظاهر وهى معنى زائد الخ ويمثل بدل الابيض والعالم بالبياض والعلم وكان الشارح اشتبه عليه اصطلاح النحاة بغيرهم تأمل (قوله أو من نوس) صرح بالواو ليفيد انها أصل الالف والافكان يقول من ناس تأمل (قوله البيتين) وهما

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى
فى القرب والبعد منه غير منفحم * كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

أى قرب (قوله وهذا البيت) قال الدلجى وفى البيت الاتساع وهو أن يؤتى ببيت يتسع فيه التأويل (قوله برهان على مطلعها) فيه انه جعل البيت تذييلا لنفى المساواة وليس ذلك من المطلع بل هو من البيت الذى يليه وقد يقال المراد بنفى المساواة أى المستفاد من قوله كيف ترقى الخ فتأمل (قوله المعرف) فيه نظر لانها فى الآية مضافة الى منكر سواء أضيفت لفظ قلب أم لا فهى لاستغراق الاجزاء فى اضافتها للمنكر اذا لم ينون قلب ولاستغراق الافراد اذا نون وفى الشارح اشارة لذلك فافهم ومثال اضافتها للمفرد المعرف فتكون لاستغراق أجزائه كل زيد حسن (قوله بأن تلاها) صوابه تلت العامل

(قوله وعلى كل ضامر) أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه أو استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان بيضاوى وفى المغنى ليس الضامر مفردا فى المعنى لانه قسيم الجمع وهو رجالا بل هو اسم جمع كالجامل والباقر أو صفة لجمع محذوف أى كل نوع ضامر ونظيره ولا تكونوا أول كافر به فان كافرا نعت لمحذوف مفرد لفظا مجموع معنى أى أول فريق كافر به ولولا ذلك لم يقل كافر بالافراد (قوله وكل أتوه) أى كل من فى السموات والارض أتوه فى الموقف صاغرين وقرئ أتاه بالافراد مراعاة للفظ كل (قوله بان سبقتها أداة) أى ولو رتبة بدليل التمثيل بقوله كل الدراهم لم آخذ فان أداة النفى وان تأخرت لفظا سابقة رتبة (قوله مفهومه الخ) تأمل هذه العبارة فان الظاهر بدلها ان يقول مفهومه اثبات المحبة لبعض مختال فخور (قوله من وراء وراء) قال السيوطى فى البدور السافرة ضبط بفتح الهمزة وضمها على حد من قبل ومن بعد واختاره أبو البقاء بلا تنوين فيهما بناء قال النووى وغيره الفتح أشهر ومعناه لم أكن فى التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقال صاحب التحرير هذه كلمة تقال على وجه التواضع انتهى ما قاله الجلال وقيل مراده ان الفضل الذى أعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكأنه قال أنا من وراء موسى الذى هو من وراء محمد صلى الله عليه وسلم (قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) فان الظاهر العكس لان الخطاب لعبدة الاوثان الذين سموها آلهة تشبيها لها بالله سبحانه فجعلوا غير الخالق كالخالق فخولف فى خطابهم لانهم بالغوا فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد على وفق ذلك اه من الاتقان للسيوطى (قوله واذا تقرر الخ) يقتضى ان ما ذكره من التشبيه قد مضى وليس كذلك بل سيأتى فيما مهدله وكان حق التعبير ان يقول واذا تقرران كمالاته المشبهة بالمصباح مستمد منها كمالات المؤمنين غيره المعبر عنها بكل فضل الخ فتأمله (قوله الا ضوئك) بالجر (قوله فجعل ذلك النور) ومن هنا قال العارف السراج بن الفارض على لسان حضرته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بأبوتى (قوله العرش) وقد خلقه الله قبل القلم كما فى المواهب أى خلق العرش بعد النور المحمدى (قوله فخلق من الاول السموات) فى المواهب زيادة وهى فخلق من الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث بقية الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول السموات الخ

واعلم انها حيث أضيفت لمنكر وجب فى ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شئ فعلوه فى الزبر وعلى كل ضامر يأتين أو لمعرف جاز مراعاة لفظها فى الافراد والتذكير ومراعاة معناها وكذا اذا قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل أتوه داخرين وأنها حيث وقعت فى حيز نفى بان سبقتها أداته أو فعل منفى نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم لم آخذ لم يتوجه النفى الا لسلب شمولها فتفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفى فى حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم فى خبر ذى اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لانه لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغى أن يستفاد ويحفظ (فضل) وكمال أبرز لغيرك فى الوجود لانك الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائى وخبر انما أنا قاسم والله يعطى وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى وخبر ان ابراهيم قال انما كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافى ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن انه من التشبيه المقلوب كما فى قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرران كمالات غيره المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذى هو الضوء الاعلى (ف) بسبب ذلك (ما يصدر) أى يبرز فى الوجود ضوء ينشأ عن ضوء أحد مطلقا (الا) ضوئك فانت المخصوص بانك الذى تبرز (عن ضوئك) الذى أكرمك الله به (الاضواء) كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجودك عن جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نور نبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله اخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار

(قوله ومن الثالث نور أنسهم الخ) والباقى من نوره بقى حتى أودع فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام أى بعد أن خلقت منه أرواح الانبياء كما سيأتى التصريح به عند قوله أمره الخ فان أرواحهم مخلوقة من نوره صلى الله عليه وسلم وما بقى من النور جعل فى ظهر آدم الخ فحرر (قوله باربعة عشر ألف عام) عبارة عن طول الزمن أو عن مدة لو قدرت بزمن بلغت ذلك فلا يقال لا زمن ثم لان الزمن يقدر بحركة الفلك وهو لم يخلق (قوله ذلك النور) أى بعضه كما عرفت (قوله وآدم بين الروح والجسد) فان أورد ان حقيقة آدم هذا الهيكل المخلوق من طين المنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو آدم فما معنى البينية أجيب بانه مجاز عما قبل تمام خلقه قريبا منه كما يقال فلان بين الصحة والمرض أى فى حالة تقرب منهما وقال فى النسيم الظاهر انه ظرف زمان بمعنى ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه فى عالم الارواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أى بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذى صححوه فيكون رواية بالمعنى اذ لم يوجد بهذا اللفظ قال الشارح فى النعمة الكبرى بمولد سيد أهل الدنيا والاخرى ولفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين لم يوجد مرويا انتهى (قوله وليس المراد من ذلك التقدير) أى كما نقله فى المواهب عن الغزالى وقوله بل الاشارة الخ أى كما ذكره التقى السبكى متعقبا به الغزالى كما قاله فى المواهب أيضا حيث قال فقد تكون الاشارة الى روحه الشريفة أو الى حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهى ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله كل حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبى صلى الله عليه تعالى وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله (١٧) ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل حالة من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته محل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم لاجلها أخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى (قوله بل الاشارة الخ) ما المانع من تحقق النبوة والرسالة لروحه الشريفة حينئذ بأن خلقت قبل الارواح ثم أمرت بان تأمر الارواح بأمور شرعها الله لها حينئذ أو بان تخبرها بما يتعلق بها من الاحكام بعد خلق الاجساد بشروطه وهذا بعث وارسال فليتأمل ابن قاسم (قوله بألفى عام) وروى بأربعة آلاف اه ابن قاسم (قوله لما خلق نور نبيه الخ) قضية هذا ان نور الانبياء مخلوق قبل نور نبينا صلى الله عليه وسلم لما هو معلوم من أن تعلق الحكم على الشئ يستدعى وجوده قبله ويمكن الجواب بان المراد لما أكمل خلق نبينا باضافة الكمالات والنبوة عليه أمره الخ وهو يقتضى تأخر ذلك عن خلق أنوار الانبياء وهو لا ينافى تقدم خلق نوره على سائر الموجودات كما مر أو ان المراد انه لما خلق نوره أخرج منه أنوار بقية الانبياء ثم أمره بذلك ولو قبل افاضة النبوة على ذلك النور لكن الاول أوفق بقوله آمنا به وبنبوته اذ المتبادر افاضة النبوة عليه بالفعل انتهى ع ش على المواهب (قوله أمره) أى النور أى بعد أن جعله صورة روحانية هى صورته صلى الله عليه وسلم وكذا يقال فى قوله الى نور الانبياء (قوله واذ أخذ الله الخ) سيأتى للشارح فى شرح قول الناظم ما مضت فترة البيت ما ينبغى مراجعته لانه يوضح ما هنا فراجعه ان شئت (قوله على تقدير مجيئه)

المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح حديث أول ما خلق الله القلم وجاء باسانيد متعددة أن الماء لم يخلق قبله شئ ولا ينافيان ما فى الاول فى نور نبينا لان الاولية فى غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض وفى حديث عند ابن القطان كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام وفى الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الحديث وصح خبر متى كنت أو كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد وليس المراد من ذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها فى عالم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت قبل الاجساد بألفى عام وفى حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمره أن ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا من الذى غشينا نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين وفى هذه الآية كما قاله التقى السبكى من التنويه بقدره العلى ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى اممهم

أى فى زمنهم (قوله واستعارة المصباح) أى واثبات المصباح الخ أى لان اثبات المصباح للفضل هو التخييلية وتشبيه الفضل بالبيت هو المكنية على أحد المذاهب تأمل (قوله يحتاج الناس الى دخوله) عبارة الدلجى فشبه فضله صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستعارة التحقيقية بالضوء بجامع الانتفاع اذ كل فضيلة كالعلم مماله ضياء واشراق يوصل الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل كما ان بالضياء يدرك المطلوب ويفصل بين الاشياء بعد تشبيهه صلى الله عليه وسلم لاستمداد كل فضل من افضاله بمصباح تستمد منه الاضواء على أسلوب حمل المشبه به على المشبه وهو كما فى الكشاف عند محققى علماء البيان يسمى تشبيها بليغا نظرا الى ظاهر جعل المشبه نفس المشبه به مذكورا معه على وجه ينبئ عن التشبيه اما اذا ذكر معه بطريق لا ينبئ عنه فيكون استعارة لانها وان كانت مبنية على التشبيه فبنية أيضا على تناسيه سواء ذكر الطرفان أو احدهما كما هو الغالب ومن ثم قال فى المفتاح ان القمر فى قوله قد زر أزراره على القمر استعارة أى تحقيقية مجردة لاقترانها بما يلائم المشبه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم لوروده على وجه لا ينبئ عن التشبيه لعدم حسن دخول اداة التشبيه على المشبه به اذ لا يحسن ان يقال وهم كيد (قوله جعل الشمس ضياء) (١٨) أى ذات ضياء أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة وكذا يقال فى نورا (قوله غالبا

فيه ان ذو لا تقطع عن الاضافة ابدا فكان الظاهر حذف قوله غالبا تأمل (قوله فقالوا ذاتى) وصفات ذاتية (قوله وكما فى قول خبيب) هو من الصحابة صلب على خشبة بمكة فانشد وهو مصلوب

ولست أبالى حين اقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

الشلو بكسر الشين وسكون اللام هو العضو والاوصال المفاصل (قوله فى ذات الاله) أى فى طاعة الله اوسبيل الله انتهى كرمانى (قوله العلوم) هى هنا المعلومات فانها للنبى صلى الله عليه وسلم دون آدم على ما يأتى واما العلم بمعنى الصفة المذكورة وبمعنى الادراك الجازم على المذكور فلا يختص ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم فقول الشارح وهو هنا الخ فيه شئ فليتأمل (قوله لا يقال لله عارف) وفى شرح الورقات لابن امام الكاملية انه ورد اطلاق العارف على الله انتهى ولعله لم يصح لكون المشهور خلافه (قوله لانها تستدعى الخ) وخصص بعضهم العلم بادراك المركبات والكليات والمعرفة بادراك البسائط والجزئيات وقيل المعرفة تقال للادراك المسبوق بالعدم أو للاخير من الادراكين المتعلقين بشئ بعد تخلل العدم بينهما بان وقع الادراك به ثم الذهول عنه ثم الادراك والعلم الادراك المجرد عن هذين الاعتبارين ولذا يقال فى الله عالم ولا يقال عارف (قوله بان اليقين خاص) قال الفنرى فى حاشية المطول واليقين العلم بزوال الشك ولهذا لا يوصف به البارى (قوله حال كونها) أى العلوم (قوله فى الروع) هو بضم الراء القلب وبفتحها الخوف (قوله من عالم الغيب) قال بعضهم الذى هو فرد من مسمى العالم الذى هو كل جنس يعلم به الله سواء كان من ذوى العلم ام لا كالخاتم والطابع لما يختم ويطبع به يقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الملك وعالم الملكوت وعالم الافلاك وعالم النبات وعالم الشهادة وعالم الغيب انتهى وقوله فى صدر القولة الذى هو الخ يفيد ان عالما بفتح اللام وفى الشرح ما يفيد انه بكسرها حيث قدر فيض بين من وعالم والاول هو الرواية ويمكن فتح اللام مع تقدير فيض يعنى من عالم الغيب الفائض أى الكثير وفى قول الشارح فالكل من عالم الشهادة ما يؤيد الرواية فتأمل

فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا يكونون كلهم يوم القيامة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم * واستعارة المصباح للفضل المبنى على تشبيهه ببيت واسع يحتاج الناس الى دخوله وسراج فيه استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية والضوء الذى هو أعلى من النور بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا الصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع ان كلا من الضوأين المعنوى والحسى يهدى الى المقصود وأيضا الكمالات الدينية تنور الظاهر والباطن (لك) لا لغيرك (ذات) أصلها مؤنث ذو المقتضية لموصوف والملازمة للاضافة غالبا كرجل ذى مال ثم استعملوها استعمال الاسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا للفظها فقالوا ذاتى وقد تستعمل بمعنى نفس الشئ وحقيقته كما هنا وكما فى قول خبيب رضى الله تعالى عنه وذلك فى ذات الاله (العلوم) جمع علم وهو هنا صفة ينجلى بها المذكور لمن قامت به انجلاء تاما أو الادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض وحد بحدود اخرى كلها مدخولة ايضا وترادفه المعرفة لكن لا يقال لله تعالى عارف لانها تستدعى سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شأنه ان يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتهما يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك أو بالالقاء فى الروع أو بخلق العلم الضرورى أو بسماع الكلام النفسى (من) فيض (عالم الغيب) مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل أى الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة الينا وأما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول أى المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر

(قوله بمعنى المعلومات) ربما يشير بذلك الى أن فى كلام الشارح استخداما فان الضمير راجع الى العلوم بغير هذا المعنى كما أشار الى ذلك الشارح سابقا وقد علمت ما فيه (قوله بالسكون) أى للدال و بالفتح أى فتحها وأما الهمزة فهى مضمومة فيهما (قوله وأديم الارض الخ) لانه خلق منه كما فى حديث فخرجت ذريته على ألوان الارض وطباعها فمنها الابيض والاسود والاحمر والسهل بفتح فسكون أى الرفق واللين والحزن بفتح فسكون أى العنف والغلظة والطيب والخبيث فمن سهلها سهل الخلق ومن حزنها ضده ومن طيبها المؤمن الذى هو نفع كلامه ومن خبيثها الكافر الذى هو ضرر وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجيزته ومذاكيره من السادسة وساقه وقدميه من السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان طينة آدم من ست أرضين وأكثرها من السادسة وليس فيها من السابعة شئ لان فيها نار جهنم وروى عنه انه قال خلق من أقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من الدهناء وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وكان طوله ستين ذراعا وعاش ألف سنة وذكر بعض الائمة انه ورد ان الله لما أراد (١٩) خلق آدم أمر جبريل ان يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض فهبط فلما أراد قبضها أقسمت عليه الارض فقالت بالذى أرسلك لا تقبض منى ما يخلق منه من يعصيه فوق ظهرى فبرقسمها فارسل لها ميكائيل فحصل مثل ذلك فارسل لها اسرافيل فحصل مثل ذلك فأرسل لها عزرائيل فلما أقسمت عليه قال لها طاعة ربى خير من طاعتك ثم هز الارض فاختلط بعضها ببعض ثم قبض من ترابها ألوانا مختلفة فقال له الله تعالى من قبض شيأ فعليه تسليمه أنت قابض الارواح ونازعها من الاشباح ثم أمر الله الملائكة بعجن التراب بماء الرحمة فلم يلتئم فقال صبوا عليه من ماء الحزن فصبوا عليه فانعجن فقال تعالى قد سبق فى علمى أنه وذريته يعيشون فى الدنيا فى حزن فمن صبر وأطاعنى فله الجنة ومن لم يصبر على قضائى وعصانى انتقل من حزن الى حزن أكبر منه ثم خمرت أربعين سنة قبل أن يصور بشرا ففضلت من الطين فضلة صورها الله نخلة ثم أوقف روحه بين يديه سبحانه وأمرها بالدخول من يافوخه فاستضيقته فقال لها أدخلى كرها وستخرجى كرها فلما وصلت الى أنفه عطس فلما وصلت الى فمه ألهمه الله ان يقول الحمد لله رب العالمين فقال لها فقال له الله يرحمك ربك يا آدم ولرحمتى خلقتك ثم وصلت لسرته فنظر الى سرادق العرش فرأى مكتوبا بيد القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فقال ومن محمد يارب فقال تعالى ذلك سيد أولادك لولاه ما خلقتك فقال آدم أشهدك انى أقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وصلت الروح الى قدميه نهض ليقوم عريانا فمنع وألبس ثوبا ولباسا وتاجا وعمامة ولما نفخت فيه الروح كان نور النبى فى ظهره فصارت الملائكة خلفه صفوفا متعجبين من ذلك النور فسأل الله ان يجعله فى مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله فى جبهته فسأل الله أن يجعله فى محل يراه فكان فى سبابته فسأل ربه هل بقى منه شئ فى ظهرى فقال نعم نور اخصاء اصحابه فقال يارب اجعله فى بقية اصابعى فكان نور الاربعة فى اصابعه الاربع

على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الآية لان العلم به افخم وأظهر ولان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التى قال فيهن صلى الله عليه وسلم فى خمس لا يعلمهن الا الله تعالى لانها جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء من ذلك ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وسيأتى بسط جملة مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات فى شرح قوله وكم أخرج خبأ له الغيوب خباء وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب (ومنها) أى العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسماء (لآدم) أبى البشر صلى الله عليه وسلم وأصله أأدم لكنهم لينوا الهمزة الثانية تخفيفا وجعلوها فى التصغير واوا نظرا التليينها من الادمة بالسكون أو الفتح أو من أديم الارض كما صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وورد عن على وابن مسعود رضى الله عنهما واديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد ومن قال يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافى السمرة لانها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربى وبه صرح الجواليقى وغيره ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب وأجيب بان الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد أطبقوا على ان التفرقة بين اللفظ العربى والعجمى بصحة الاشتقاق وصح خبر ان آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسريانى (الاسماء) مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم الى هذا التفصيل مع العلم به

مما قبله لان آدم ميزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التى علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه بذمه ومدحهم أنفسهم بقولهم أتجعل فيها من يفسد الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد فى المفضول ما ليس فى الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان آدم عليه الصلاة والسلام لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقائقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا أعلى واجل من العلم بمجرد اسمائها لانها انما يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير ذلك ان المقصود من خلق آدم صلى الله عليه وسلم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجد الملائكة لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى جبينه ثم ما سلكه الناظم من ان آدم انما علم أى بأحد الطرق السابقة آنفا الاسماء فقط أى الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعانى هو الوارد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعليه فقيل علم الاسماء الموضوعة بكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا فى البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوى ما هو الاصح فى الاصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالوضع ويقابل ما سلكه الناظم قولان أحدهما انه انما علم مدلولاتها لان المزية فى العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أى لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح فى الاسماء فقط ومعنى ثم عرضهم أى الاعيان لانها التى تعرض دون الاسماء أنها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها ولا تأييد فيه لكون العلم بالمسميات خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذى سلكه صاحب الكشاف أنه علم الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى * ولما ذكر شرف ذاته وترقيه صلى الله عليه وسلم بما يبهر العقول انتقل الى ذكر نسبه كذلك فقال مستأنفا (لم تزل) حال كونك (فى ضمائر الكون) أى الوجود وضمائره مستوراته الخفية من الاصلاب والارحام (تختار) أى تصطفى (لك الامهات) جمع أم وهى الوالدة وان علت واصلها امهة لجمعه على أمهات وقيل أمهات للآدميات وأمات لغيرهن (والآباء) جمع أب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا أى كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن فى أمهاتك من لدن حواء الى امك آمنة ولا فى آبائك من لدن آدم الى أبيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وحديث الترمذى بسند حسن ان الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا أى روحا وذاتا وخيرهم بيتا أى اصلا وحديث الطبرانى ان الله اختار الخلق فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار الا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم * واعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام ولد من حواء أربعين ولدا فى عشرين بطنا الا شيثا وصيه فانه ولد منفردا اكرامه لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفى وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضع هذا النور الذى كان بجبهة آدم ثم انتقل الى شيث الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الى أن وصل ذلك النور الى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الاحاديث كحديث فى سنن البيهقى ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين

زناهم

(قوله انما سجد الملائكة الخ) قال عمر بن عبد العزيز لما أمرت الملائكة بالسجود لآدم كان أول من سجد منهم اسرافيل فجازاه أن كتب القرآن فى جبهته انتهى من البداية لابن كثير (قوله فبالوضع) أى ممن الهمهم الله وضع تلك اللغات (قوله من خير قرون) قال الهروى فى غريبه القرن كل طبقة مقترنين فى وقت ومنه قيل لاهل كل مدة بعث فيها نبى قلت السنون أو كثرت قرن ومنه الحديث خيركم قرنى يعنى اصحابى ثم الذين يلونهم يعنى التابعين باحسان واشتقاقه من الاقتران وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون وقيل القرن مائة سنة دل على ذلك ما روى فى الحديث انه مسح رأس غلام فقال عش قرنا فعاش مائة سنة (قوله أربعين ولدا) مقتضى قوله الا شيثا ان يقول تسعة وثلاثين ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين الا الخ تأمل (قوله الا شيثا) قال النووى الفصيح صرفه ويجوز تركه وكذا كل أعجمى ثلاثى ساكن الوسط انتهى قال السيد النسابة فى شرح منظومة ابن العماد ودفن شيث فى غار أبى قبيس مع أبيه آدم عليهما الصلاة والسلام (قوله وسفاحهم)

زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب ابن الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم مائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية * والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شئ * وأبو نعيم لم يلتق أبواى قط على سفاح ولم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما * وابن مردويه قرأ صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم أى بفتح الفاء وقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح * (تنبيه) * لك ان تأخذ من كلام الناظم الذى علمت ان الاحاديث مصرحة به لفظا في أكثره ومعنى في كله أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان الآباء كرام والامهات طاهرات وأيضا فهم الى اسمعيل كانوا من أهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا من بين كل رسولين وأيضا قال تعالى وتقلبك في الساجدين على أحد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ فهذا صريح في ان أبوى النبي صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة لانهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه أن الله تعالى احياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القرآن والاجماع ليس في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى على رضى الله تعالى عنه العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم في صحة هذا لا يجدى أيضا وخبر انه تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لامه اما كان قبل احيائها له وايمانها به أو ان المصلحة اقتضت تأخر الاستغفار لها عن ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ * فان قلت اذا قررتم انهما من أهل الفترة وانهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء * قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزية الايمان زيادة في شرف كمالهما لحصول تلك المراتب لهما وفي هذا مزيد ذكرته في الفتاوى ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان الله تعالى ذكر في كتابه العزيز انه أبو ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان أهل الكتابين أجمعوا على انه لم يكن أباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم أبا بل في القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من أخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد تساهل واستروح وحديث مسلم قال رجل يارسول الله أين أبى قال في النار فلما قفا دعاه قال ان أبى وأباك في النار يتعين تأويله وأظهر تأويل له عندى انه أراد بأبيه عمه أبا طالب لما تقرر ان العرب تسمى العم أبا وقرينة المجاز فيه الآية الشاهدة بخلافه على أصح محاملها عند أهل السنة وان عمه الذى كفله بعد جده عبد المطلب أو أمه انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد للوقوع في سمعه أولا أن أباه في النار بدليل انه انما قاله له بعد ان ولى أو كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال هم من آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة واما قول النووى رحمه الله تعالى في حديث مسلم ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهم في النار

قال ابن الاثير في النهاية مأخوذ من سفحت الماء اذا صببته ودم مسفوح أى مراق (قوله مائة أم) كذا في نسخة المؤلف وفي بعض النسخ خمسمائة قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وقدمت الجواب عن استشكاله بان أمهاته لا تبلغ ذلك بان مراده الجدات وجدات الجدات من قبل الابوين انتهى وقال التلمساني في شرح الشفاء هذا العدد والله أعلم يرجع الى أمه عليه الصلاة والسلام وأم أبيه وأم كل أصل من الطرفين من جهة الآباء والامهات انتهى (قوله نسبا) قال العزيزى يعنى قرابة النسب وصهر النكاح انتهى تلمساني على الشفاء (قوله في الاستغفار لامه) ما وجه المنع من الاستغفار قبل ذلك مع الحكم عليهم أنهم في حكم المسلمين وأنهم غير معذبين انتهى طبلاوى ولعل وجه المنع انه لم ينزل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكان قبل علمه بان أهل الفترة غير معذبين كما سيأتي الجواب بذلك في الشارح عن نظير ذلك (قوله أو انه انما قصد الخ) ان كان مراده بهذا ان المراد أبو النبي حقيقة فغير ظاهر لان مجرد مراعاة تطييب خاطره خشية ما ذكر مع علمه بانه ناج من النار لا يجوز ذلك فكان الظاهر أن يجعل ذلك عذرا لارتكاب ذلك التجوز من رسول الله وقصده بذلك الخ تأمل (قوله قبل ان ينزل الخ) أى وقبل احيائها والايمان به (قوله من آبائهم) في نسخة مع

وليس فى هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى فبعيد جدا للاتفاق على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسمعيل اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الاوثان الذين ورد فيهم انهم فى النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازى القريب من كلام النووى ثم رأيت الابى شارح مسلم بالغ فى الرد على النووى بان كلامه متناف لحكمه عليهم بانهم أهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا أهل فترة لانهم الامم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا أدركوا الثانى ثم قال ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان أهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما أحسن قول بعض المتوقفين فى هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبرانى لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات انتهى واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من أهل الفترة فلا يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من أهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء من ان أهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك اننا عهدنا فى الغلام الذى قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله تعالى وحده فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله تعالى ورسوله فلا يرد هؤلاء نقضا على ما استفيد من الآية ومشى عليه أولئك الائمة ان أهل الفترة لا يعذبون وهذا الذى ذكرته فى الجواب أولى من الجواب بان أحاديثهم أخبار آحاد فلا تعارض القطع بان أهل الفترة لا يعذبون أو بان التعذيب المذكور فى الاحاديث مقصور على من بدل أو غير من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وكأن قائل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق بين من غير وبدل وغيره ماعدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه لانه لا قياس فى ذلك وقول أبى حيان ان الرافضة هم القائلون ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنون مستدلين بقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين فلك رده بان أبا حيان انما يرجع اليه فى علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم مؤمنون ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم أئمة أهل السنة قائلون به قصور وأى قصور وتساهل وأى تساهل (مامضت فترة) وهى ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذى يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى قدرها والمشهور أنه ستمائة سنة أى زمن خال (من الرسل) جمع رسول ومر تعريفه أول الكتاب أى ما مضى زمن خال من الرسل نبى فيه ذكرك (الا) جددته و(بشرت) من البشارة وهى الخبر السار (قومها) ليس فيه اضمار قبل الذكر لان مرجع الضمير الفاعل وهو متقدم رتبة وان تأخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة أى الا بشرت الاقوام الكائنين فى تلك الفترة (بك) أى بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك (الانبياء) أى الرسل الذين أتوا بعد تلك الفترة وهذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على السنة الرسل وانه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم وأممهم وشاهد ذلك قول الله عن عيسى صلى الله عليه وسلم ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة أبى ابراهيم أى فى آية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى

آبائهم (قوله بان كلامه متناف) زعمه التنافى ممنوع بل وهم فان مراد النووى بقوله فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء لا ينافى فرض الكلام فى الفترة فانه ليس المراد دعوة ابراهيم وغيره لهم بل لغيرهم فهم أهل فترة اذ لم يدعهم رسول فلا يؤاخذون على المعاصى لكنهم يعذبون على عبادة الاوثان لانهم بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره بالمنع منها وان كانت الدعوة لغيرهم لان المنع منها لما اتفقت الانبياء عليه ثبت فى حق كل أحد وان لم يكن مدعوا منهم ومنشأ الوهم انه فهم ان المراد دعوة ابراهيم وغيره لهم وهو غلط كما تقرر انتهى سم (قوله وقول أبى حيان) أى فى البحر (قوله بأن أبا حيان الخ) هذا لا يحوج الى الوقيعة فى أبى حيان فان نسبته ذلك للرافضة غير ضار وكأنه ترك النقل عن غيرهم ممن ذكر لمزيد شهرته لنص القرآن وكيف يقال مثل ذلك فى أبى حيان مع تفسيره القرآن التفاسير العديدة ومعلوم ان التفسير محتاج لعلوم كثيرة من أصول وغيرها فكيف يكون عن الاصول بمعزل (قوله آنفا) بمد الهمزة والنصب على الظرفية أى أول وقت يقرب منى وهو الآن انتهى قسطلانى وقيل منصوب على الحال (قوله مامضت فترة) لو قال مامضى مرسل من الرسل لكان أحسن ليشمل آدم صلى الله عليه وسلم فانه ليس قبله نبى انتهى دنوشرى (قوله بقرب بعثتك) لو حذف القرب لكان أحسن فلفظ القرب فيه بعد انتهى دنوشرى (قوله التابعون) نعت مقطوع عن التبعية والا لقال التابعين

واذ

واذ أخذ الله ميثاق النبيين أى وأممهم وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع لما مفتوحة توطئة للقسم الذى تضمنه أخذ الميثاق ولتؤمنن به سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة أى لاجل ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية * وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله على وابن عباس رضى الله عنهم وتبعهم الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله انه تعالى أخذ على كل نبى بعثه من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم أن من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنهم ان أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه ودعوى أن هذا هو معنى الآية دون الاول مردودة ولا ينافى الاول العلم بان الانبياء لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم فى آخر الآية بالفسق على من تولى عن ذلك لان التعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى الى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين والمقصود انه لو فرض انه بعث وهم أحياء لزمهم ذلك كما ان القصد من هاتين الآيتين الفرض والتقدير أيضا ومن ثم قال الامام التقى السبكى دلت الآية على انهم لو أدركوا زمنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء وأممهم من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله وأرسلت للناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم وأممهم بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر فى الآخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان بكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه * ثم بين الناظم بعض فوائد تلك البشارات فى تلك الفترات فقال (تتباهى) أى تتفاخر (بك) أى بوجودك (العصور) أى الازمنة الطويلة من لدن آدم الى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفخر على العصر الذى قبله لوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن أعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم شق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر دعائك الخلق الى دين الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معاريجك ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك وفتوحك ثم عصر دخول الناس فى دين الله تعالى أفواجا ثم عصر حجك ثم عصر أتباعك على تفاوتهم الى يوم القيامة كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طائفة من أمتى فمزاياه تتزايد فى كل عصر من أعصار حياته صلى الله عليه وسلم على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصر أتباعه بتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه فيفخر كل عصر على غيره بحسب ذلك أيضا وأعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال للكل ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله بكل حال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف للنبى صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شئ يقصر عن ادراك كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى فى فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته وفضيلته التى يعطاها فى الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته فكل هذه العصور تفتخر وتسمو به بحسب ما يقع فيها من كماله لان الازمنة والامكنة تشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها اغا هو لاجله أيضا (وتسمو) أى تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت وعليت (بك) أى بتلبسها بك مرتبة (علياء) تانيث الاعلى (بعدها) فى الزمان والعلو مرتبة أخرى (علياء) أى أعلى منها أى لك فى كل عصر من العصور

(قوله وجواب ما الشرطية) أى التى هى مفعول آتيتكم ومن كتاب تفسير لما وآتيتكم ماض أريد به المستقبل والآية مما اجتمع فيه القسم والشرط فالجواب للسابق منهما وهو القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه فقول الشارح سد مسد جوابه وجواب القسم فيه نظر ولعله أراد بيان المعنى لا بيان الاعراب والا فالشرط يقتضى جوابا يعمل فيه جزما والقسم ليس كذلك ومحال ان يكون الشئ الواحد موضع من الاعراب ولا موضع له (قوله لاجل ما آتيتكم) أى الذى آتيتكموه فالعائد محذوف وكذا من قوله ثم جاءكم أى به أى بنظيره (قوله ان هذا) أى أخذ الميثاق على كل نبى دون الامم والاول أخذه على الانبياء والامم (قوله أى تتفاخر) يعنى تتمدح بذكر هذا الامر الجميل الذى لا يدانيه جميل

(قوله ليغان) قال فى المختار غين على كذا غطى عليه ومنه الحديث انه ليغان على قلبى (قوله هذا غين أنوار الخ) نقل الشيخ زروق فى بعض شروحه على الحكم العطائية ان أبا الحسن الشاذلى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال انك قلت انه ليغان على قلبى قال نعم قال ماهذا الغين فقال له صلى الله عليه وسلم هو غين أنوار لا غين اغيار يامبارك فسماه مباركا وأجابه بهذا الجواب (قوله غفل عنه) ماوجه نسبة الشارح للغفلة مع ان كلامه مفيد له ومقرر لما أفاده المتن ومنه قوله لكل عصر من العصور به افتخار لوجوده فيه ولو كان فى عالم الاصلاب والارحام وأعظمها افتخارا عصر ميلاده الى قوله ولا ينبغى ان يفهم من هذا انقطاع تفاخر العصور بوفاته صلى الله عليه وسلم بل ذلك باق الى يوم القيامة نظرا الى أزمنة استقامة شريعته وحسن العمل على سنته فان ذلك باق الى يوم القيامة لقوله لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وأيضا فان ثواب كل عامل على عمله من أمته لاحق به صلى الله عليه وسلم أخذا من قوله من استن بسنة حسنة فله أجرها وأجر العامل بها الى يوم القيامة فهو فى كل عصر متزايد الكمال متميز الشرف والجلال وله كمال ليس فوقه كمال الاجلال الله جل جلاله ولا ينقطع أيضا بقيام الساعة بل يفتخر به ذلك اليوم أيضا لوجود علو مرتبته فيه من المقام المحمود والشفاعة العظمى ورجوع الناس كلهم الى شفاعته صلى الله عليه وسلم وفى الجنة لما يعطاه من الوسيلة والفضيلة ومالا عين رأت ولا أذن سمعت صلى الله عليه وسلم ولا منافاة فيه لما قرره الشارح بل هو موف بجميع ماقرره فى معنى البيت فتأمله بانصاف وأما التصريح بقوله وفى قول الناظم الخ فهو مستغنى عنه لظهوره لاسيما فى المقام وتقرير الكلام (قوله منها مايكون الخ) قال الدلجى ومنها مايكون بباء تجريدية فى المنتزع منه كما فى لئن سألت فلانا لتسألن به البحر بالغ فى وصفه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها ومايكون بباء فى المنتزع كما فى قوله * وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم * أى تعدو بى ومعى من نفسى لابس لأمة أى درع لكمال استعداده للحرب بالغ فى وصف نفسه باستعداده للحرب حتى انتزع منها مستعدا مثله لابس لأمة قال فى المختار وفرس شوهاء صفة ممدوحة فيها قيل المراد به سعة أشداقها وقوله صارخ الوغى أى المعلن بالصوت للاستغاثة فى الوغى أى الحرب ومايكون بفى فى المنتزع منه كما فى قوله تعالى لهم فيها أى فى جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها فيها تهويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار ومايكون بلا حرف كما فى قوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم أى الا ان يموت كريم بالغ فى وصف نفسه بالكرم حتى انتزع منها كريما (قوله من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم) كان الظاهر ان يزيد ومن لدن حواء الى آمنة لان المراد بالآباء مايشمل الامهات كما صرح به على الاثر ثم يعبر بفاء التفريع بدل الواو فى قوله وأراد

المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها مابعدها وهكذا الى مالا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالى وقل رب زدنى علما ولا شك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة الى مالا نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فأستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلى هذا غين أنوار لا غين أغيار أى لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى ان ماقبلها دونها فيستغفر الله تواضعا طلبا لتزايد كماله وفى قول الناظم وتسموا الخ من المدح مالا يخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هى التى تسمو وترتفع به ولم يجر على ماهو المتبادر أنه الذى يسمو ويرتفع بها لما هو الحق انه تعالى خلقه فى عالم الامر على أكمل كمال لم يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه فى عالم الخلق متدرجا فى تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها فتأمل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح رحمه الله تعالى (وبدا) أى ظهر (للوجود) أى لهذا العالم (منك كريم) أى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا أحد أنواع التجريد الذى هو من أدق أنواع البديع وهو أعنى التجريد أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو أنواع منها مايكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لى من فلان صديق حميم أى قريب يهتم لامرى أى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه فلان آخر مثله فى الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد (من) أصل أب وأم (كريم) أى سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر ويأتى وهذا ظاهر فى اسلام أبويه صلى الله عليه وسلم ومر مافى ذلك (آباؤه) أى جميعهم كما أفادته الاضافة من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم وأراد بالآباء مايشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم متلازمان لهما واحد (كرماء) أى سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم * (تنبيه) * قال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز عدنان وفى مسند الفردوس عن ابن عباس

عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا لكن قال البيهقى الاصح ان هذا من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا اقرأ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون أى لانهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين اسمعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم أنكر مالك رضى الله تعالى عنه على من يرفع نسبه الى آدم وقال من أخبره بهذا أى ان ذلك من كلام المؤرخين الذى لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة هذا (نسب) عظيم بل لا أظهر ولا أجل منه فى الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذى يجمع متفرقها (تحسب) أيها المخاطب أى تظن (العلا) جمع عليا تأنيث اعلى كام (بحلاه) بضم أوله وكسره وهو أفصح جمع حلية بكسر أوله أى بسبب حلى ذلك النسب (قلدتها) أى العلا فى محل مفعول تحسب الثانى والاول العلا (نجومها) أى بنجومها (الجوزاء) اسم لبرج فى السماء كما فى القاموس وعليه فنجومه هى الآتية وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها وحينئذ لا بدع ان ينسب الى الشئ من حيث هو مجموع أنه قلد غيره كلا من تلك الافراد التى اشتمل عليها أو يقال ان المراد بنجومها هنا ما حواليها من النجوم التى تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء كما قال القائل

لو لم تكن قبة الجوزاء تخدمه * لما رأيت عليها عقد منتطق

أى من كمال هذا النسب وشرفه أن من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها أى جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد من أولئك الآباء الكرام قد ارتفع فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك

(قوله تحسب) قال فى المختار وحسبته صالحا بالكسر أحسبه بالفتح والكسر محسبة ومحسبة بفتح السين وكسرها وحسبانا بالكسر ظننته اه وقوله والكسر فيه ان فعل بكسر العين لا يأتى مضارعه على يفعل بكسرها قياسا فيكون كسرها فى المضارع شاذا والفتح هو القياس كما يؤخذ من شرح الاشمونى على الخلاصة فى باب ظن (قوله تحسب العلا بحلاه الى آخر البيت) حاصله ان المراد بالحلى نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكأنه قال تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها الخ والعلا هى المراتب الشريفة ويكون الشارح ناظر البيان الحلى فى الاصل لا للمراد بها هنا ويصح ان يراد بالحلى الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الشارح ظاهرا وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى فى النجوم حيث شبه افراد النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى علو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم لتلك الافراد الثانية فى الجوزاء حيث شبه مجموع تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب اسم لمجموع أفراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد كل والشهرة الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب الثالثة فى قوله قلدتها حيث (٢٥) شبه اعطاء النسب افراده تلك المراتب العلية لتتزين تلك المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منها قلدتها بمعنى أعطتها فتكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب أيها المتأمل فيه بسبب الزينة القائمة به ان مراتبه العالية القائمة بأفراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها فيكون فى هذا البيت قد جرى على اسلوب ما سبق فى قوله وتسمو بك علياء بعدها علياء حيث جعل هناك المرتبة العالية هى التى تعلو به على خلاف المعتاد من ان الشخص يعلو ويرتقى بالرتب العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هى التى تتزين وتتقلد بالافراد فأفراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه قال تحسب العلا تقلدت بأفراد النسب لكن على هذا فى الكلام اظهار فى مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها ههنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيهه بالجوزاء وادعاء انه هى (قوله جمع عليا) بضم العين ككبرى وكبر وهى كل فعلة عالية توجب لصاحبها الشرف والرفعة اه (قوله نطاق) قال فى القاموس المنطقة كمكنسة ما ينتطق به وكمنبر وكتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل يجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان وانتطقت لبستها والرجل شد وسطه بمنطقة كتنطق اه وقال فى نفق نيفق السراويل بالفتح أى فتح النون الموضع المتسع منه فكسر النون من لحن العامة (قوله وان مجموع هذا النسب الخ) وفى الدلجى شبه مجموع النسب لشرفه وسموه محله بمجموع نطاقها المشبه بالقلادة استعارة مكنية خيل لها بقوله قلدتها فكان نسبه صلى الله عليه وسلم قلادة فى عنق العلا المشبهة على طريقة الاستعارة المكنية بذوات قلائد مقلدة بها

(قوله ولما قرر) أى بطريق الاشارة من قوله قلدا اذ التقليد انما يكون للعقد وتقدم ان المراد بالنجوم نسبه الشريف وأما بطريق التصريح فمما يقرر من قوله عقد (قوله أى صار حبيبا) أى محبوبا فهو كظرف وقوله لا حبب بالفتح أى لانه بمعنى صار محبا وليس بمراد هنا (قوله شائع) انظر ما فائدته (قوله عقد سودد ونخار) قال الدلجى وعقد سودد ونخار تشبيه بليغ لاضافته الى ما يليه فأخرجهما من سلك الاستعارة ولولاه لانتظما (٢٦) فيه ولذا أثبت فيه اليتيمة اللهم الا أن يكون واردا على تناسى التشبيه مع ذكر طرفيه فيكون استعارة وان كانت مبنية على طى ذكر المشبه اذ قد يتناسى مع ذكرهما كما فى *قد زر أزراره على القمر* بادعاء ان المشبه نفس المشبه به لا غيره مشبها به انتهى فقول الدلجى تشبيه بليغ أى سودد ونخار كالعقد والسودد بضم السين كما فى المختار وقوله تشبيه بليغ الخ اضافته لما ذكر لا تعين ذلك فلا يحتاج لما تكلفه فى تقرير الاستعارة بل هى جارية فى العقد وما بعده تجريد (قوله أنت فيه) قد يقال لا تظهر الظرفية لان النسب المعبر عنه بالعقد اسم لاصوله عليه الصلاة والسلام فهو ليس منه فكيف يظرف اللهم الا ان يقال راعى كونه نورا فى الاصلاب والارحام وظرفيته بهذا المعنى ظاهرة فان روعى جسمه احتيج لتكلفه جعل فى بمعنى من أى أنت اليتيمة العصماء حالة كونك كائنا منه أى منفصلا منه (قوله التى لا شبيه لها) فى القاموس اليتيم الفرد وكل شئ يعز نظيره اه ثم ان كان المراد بقوله الفرد أى المنفرد عن النظير ساوى قول الشارح لا شبيه لها وقوله فيما يأتى العديمة النظير ويكون قوله وكل شئ الخ مفيد المعنى آخر لليتيم أى اثبات النظير لكنه عزيز تأمل (قوله ومحيا) معطوف على عقد فهو معرب اعراب فى وكالشمس صفة أولى له ومضىء صفة ثانية فما تكلفه الشارح من الشمس

المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته فى مبحث الاستعارة من أنواعها ما فى هذا البيت من المبالغة البالغة الغاية فى البلاغة كاستعارة نجوم الجوزاء المتتابعة لتتابع ذلك النسب فى الشرف وعلو المراتب العلية ولما قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذى تقلدته تلك المراتب العلية أخذ فى مدح ذلك فقال (حبذا) هى كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب للقلب وأصله حبب بالضم أى صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم أدغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير ولان فيه حذفا تقديره فى نحو حبذا هند حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا أمره وشأنه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر وانما حذف وأقيم المضاف اليه مقامه أو لانه على ارادة جنس شائع أقوال والاكثرون على الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم هل هو مبتدأ خبره المخصوص أو عكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل والمخصوص مبتدأ الجملة هى خبره والرابط ذا وقيل مبتدأ محذوف الخبر وقيل عكسه وكأنه قيل من المحبوب فقيل زيد أى هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عنها فلا تساويها فى تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل المخصوص أو بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا رجلين الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف منتشر فيه والناظم حذف هذا لدلالة المقام عليه والتقدير حبذا كمالا وتدخل عليها لا فتساوى بئس فى العمل والمعنى مع زيادة ما تقدم ضده فى حبذا وهى غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال وان توقف أبو حيان فى الاخيرين وتجرد من ذا فضم أولها ويجوز بقاء فتحه وجر فاعلها بالباء كحب بها وانما أطلت فى هذا لان كلام الشارح فيها غير موف بالمراد مع أنه لا يخلو كالنظم فى حذف ما مر من ايهام فتأمله (عقد) بكسر أوله وهو القلادة من الجوهر (سودد) أى سيادة (ونخار) أى تمدح بالخصال الجليلة (أنت فيه) أى ذلك العقد وفى نسخ فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة (اليتيمة) التى لا شبيه لها فى حسنها (العصماء) من العصمة أى الحفظ أو المنع لان من شأن هذه الدرة ان يبالغ فى حفظها ومنعها عن ان تصل اليها يد الاغيار وجملة أنت وما بعده صفة لعقد أو حال منه لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أى حبذا نسبك الذى اذا ذكر وعدت معه آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على جميع الجواهر وكنت أنت أعظمها وأنفسها وأغلاها بحيث تكون أنت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول ويفوق الوصف وشاهد هذا ما مر من الاحاديث الصحيحة الصريحة فى انه صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين والخليفة الاكبر عن رب العالمين ولما تمم مدح كماله ونسبه أخذ فى مدح ذاته فقال (و) حبذا أيضا (محيا) أى وجه (كالشمس منك) حال من محيا (مضىء) مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا أو حال منه لتخصيصه بمنك وشاهد هذا حديث البخارى عن الربيع بنت مسعود لو رأيته لقلت الشمس طالعة وحديث أحمد والترمذى والبيهقى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن

الشمس تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف في الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفي حديث علي عند الترمذي والبيهقي لم يكن بالمطهم أي كمعظم السمين الفاحش السمن ولا بالمكلثم أي المدور الوجه كان في وجهه تدوير أي قليل مع سهولة خديه وهو أحلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر أنهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر لا مطلقا فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما أخذا من قول أبي نواس

تتيه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كأنهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي * وان البدر ينقصه المسير

نعم قول ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ربما يفوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يملأ نوره الارض أحوج ما كانت اليه ويؤنس كل من شاهده فهو مجمع النور من غير أذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تعشي البصر وتمنع من تمكن الرؤية اليها ولك أن تقول لا نفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى فيه الاشراق والاضاءة وحينئذ فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها أبلغ منه بالقمر قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما (أسفرت) صفة أو حال أيضا أي انحسرت وانقضت (عنه) أي عن ذلك المحيا أو أضاءت متجاوزة عنه (ليلة) عظيمة (غراء) أي بيضاء بظهور نوره فيها أو عمها وهذا أولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثاني عشر أو لكونها من الغرر بناء على انها ليلة ثاني الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة وهي بياض في وجه الفرس فهو غرة في وجه الدهر ثم أبدل منها قوله (ليلة المولد) بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما هنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمي أي ليلة الولادة (الذي كان) أي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما (للدين) وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبي الكريم وحد أيضا بانه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود (سرور) أي فرح عظيم (بيومه) واليوم في عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفي عرف الشرع من طلوع الفجر وأضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة في زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع للظرف التابع له فكيف بذاته (وازدهاء) أي هذه الليلة الغراء هي ليلة ولادتك وأنت أشرف مولود فلاجل ذلك سر الدين وأهله اليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام *(تنبيه)* أضاف الناظم كلا من اليوم والليلة الى المولد فاحتمل ان يكون من القائلين بانه ولد ليلا

الاغراب التابع فيه للجوهري لا داعي له (قوله كان وجه) أي أكان فهمزة الاستفهام مقدرة (قوله سهولة خديه) أي قلة لحمهما قال في القاموس رجل سهل الوجه قليل لحمه ويقال اسيل الخدين ناعمهما مع طول قليل انتهى (قوله يملأ نوره الارض) قد يقال الشمس يملأ نورها الارض فلا فرق نعم بانضمام المعطوف لذلك يحصل الفرق تأمل (قوله تعشي البصر) أي تضعفه كما في المختار (قوله غراء) أي بظهوره فيها ان قلنا ولد ليلا أو عمها ان قلنا ولد نهارا وهو الاصح (قوله أو لكونها من الغرر) أي الذي هو جمع غرة بمعنى أول الشهر بقرينة ما بعده والا فالغرة بمعنى البياض الذي ذكره وجعله المراد هنا

جمعها غرر أيضا تأمل (قوله وبفتحها مكانها) اسم الزمان والمكان من الولادة كلاهما على وزن مفعل بكسر العين لا غير فانظر كلام الشارح انتهى دنوشري قال أبو الفضل في شرحه المولد بالكسر زمن الولادة ومكانها انتهى (قوله وازدهاء) قال الفاضل الدلجي وأصل ازدهاء ازتهاء من الزهو أعني التكبر والفخر وقعت تاء الافتعال وهي من الحروف الرخوة بعد زاي شديدة فتنافرتا فأبدلت دالا ثم أبقيت بلا ادغام ويجوز ادغامها بعد قلبها زايا أو الزاي دالا في الاخرى وقد شبه الدين على طريقة الاستعارة المكنية بمن يتأتى له ان يسر ويفرح وخيل له بالسرور لوروده به صلى الله عليه وسلم موارد الاظهار على الدين كله وانتطاقه الشرف وتوشحه وشاح الاستقامة الى يوم القيامة بشهادة لا تزال طائفة من أمتي الحديث وفي البيت مراعاة النظير ويسمى توفيقا وائتلافا وتلفيقا وهو جمع امر وما يناسبه لا بالتضاد أمرين مثل الشمس والقمر بحسبان والسرور والازدهاء هنا أو ثلاثة كقول م الشجري يصف ابلا كالقسي المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار أو أربعة كقوله للمهلب أنت أيها الوزير اسماعيلي الوعد شعيبي التوفيق يوسفي العفو محمدي الخلق أو أكثر كقول ابن رشيق أصح وأقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الامير تميم فناسب بين الصحة والقوة والسماع والخبر والاحاديث والرواية وبين السيل والحيا وكف تميم مع ما في الثاني من صحة الترتيب في العنعنة حيث جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الاحاديث فان السيول أصلها المطر وأصل المطر البحر على ما قيل وأصل البحر كف تميم ادعاء من الشاعر انتهى

(قوله في الفضائل) قال الكمال بن أبي شريف فاذا ثبت لعمل فضل شرعا على الاطلاق كالصلاة والدعاء والذكر وورد حديث يتضمن فضل دعاء أو ذكر خاص أو صلاة خاصة وذلك الحديث ضعيف استحب العمل بمقتضى ذلك الحديث لا بمعنى اثبات الاستحباب الذي هو حكم شرعي بذلك الحديث بل لدخول ذلك (٢٨) فيما ثبت فضله مطلقا مع احتمال صحة ذلك الحديث الضعيف انتهى (قوله حجة)

واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء أنظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلى النجوم وبتصريح عائشة رضي الله عنها أيضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بأنه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الآتي * يوم نالت بوضعه ابنة وهب * وهذا هو الاصح كما صرح به حديث مسلم وغيره لكن بعيد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضائل والمناقب حجة اتفاقا فمن أطلق انه ولد ليلا أراد بالليل ما قبيل طلوع الشمس أو أراد مجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الآتية ما يدل على ان ذلك كان قبيل الفجر لانها تكون بعيد الفجر فيمكن تدليها حينئذ بل بعيد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم * وعلى انه ولد ليلا فقيل ليلة مولده أفضل من ليلة القدر واستدل قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها ان حقق ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر أو ربيع الاول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو يوم عاشوراء أقوال والاصح انه في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره أكثر أهل الحديث وغيرهم بل أجمع عليه أهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم أو رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه صلى الله عليه وسلم لو دفن فيها لكان يفضل تبعا لها فانفرد صلى الله عليه وسلم بموضع مفضول عند أكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك أقوال أخر خمسة وخمسون شهرا أربعون شهرا عشر سنين خمس عشرة سنة وأيد كونه بعده بانه ارهاص لنبوة هذا الذي ولد بمكة ومقدمة لظهوره صلى الله عليه وسلم وفي مكانها والصواب انه ولد في مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد المشهور الآن بالمولد وزعم انه بعسفان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض أئمتنا ان أول واجب على الاولياء أن يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل ان انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو محمد (وتوالت) أي تتابعت (بشرى) أي بشارة (الهواتف) للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه أي صوته وقيل صوت الجني ولا يرى شخصه والمراد هنا أعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتب الله تعالى وعلى ألسنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه أهل السير وجمع أكثره ابن ظفر في كتابه البشر بخير البشر (أن) أي بأن متعلق ببشرى (قد ولد المصطفى) أي المختار على الخلق كلهم (وحق) أي ثبت (الهناء) أي الفرح والسرور اللائق به قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * والبشارات به صلى الله عليه وسلم

قيده الحافظ ابن حجر بأن لا يكون شديد الضعف وان يكون مندرجا تحت أصل عام وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته فخرج بالاول من انفرد بالكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه وبالثاني ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا وقوله في الثالث وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته أي لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله انتهى (قوله بل قيل الخ) قد يدعى ضعف هذا القيل لعدم تسليم دليله الذي ذكره اذ لا يلزم من عدم علم محل دفنه وولادته انكار وجوده عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى (قوله بشارة) بضم الباء وكسرها (قوله والمراد هنا أعم) فيشمل ما يرى شخصه كالاحبار (قوله في كتب الله) كان الظاهر أن يقول جاءت في ألسنة الخ بحذف الكتب لانه علق قوله ان قد ولد بقوله بشرى والبشارة بوقوع الولادة بالفعل لم تأت في كتب الله القديمة وانما أتت فيها البشارة به صلى الله عليه وسلم فتأمله (قوله الاحبار) جمع حبر أي عالم والرهبان جمع راهب أي متعبد أي علماء النصارى وعبادهم (قوله وحق) قال ابن السبكي حق يحق بالضم والكسر انتهى وحق بفتح الحاء وقوله أي ثبت قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي ثبتت وهو من أسمائه تعالى بهذا المعنى لانه الثابت أزلا وأبدا لذاته ويقال الحق لما يقابل الباطل لانه جدير بالثبوت كما ان الباطل جدير بالزهوق انتهى من شرح

وسلم على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء أنه حين ولد هتف هاتف على الجون وقال

فاقسم ما أنثى من الناس أنجبت * ولا ولدت أنثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر * مجنبة لؤم القبائل ماجده

وهتف آخر على جبل أبي قبيس بأربعة أبيات فيها معنى ذلك وزيادة * ومنها ان سواد بن قارب الدوسي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه أخبره ان رئيه أنشده أبياتا ثلاث ليال متوالية وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث سواد بن قارب على المجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه * ومنها ما جاء بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك أن يولد منكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه وقد طلع نجمه البارحة فاسميته قال محمدا وروى الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان بمكة يهودي فصاح ليلة ولادته يا أهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد هذه الليلة نبي الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس فادخلوه على أمه وأخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل وذكر الحافظ أبو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد الله بن عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح من فيه رائحة المسك الاذفر وكانوا يستسقون به فيسقون نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فتحير فيمن فعل به ذلك فانطلق به أبوه الى كهنة قريش فقالوا له ان اله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج ونام مرة أخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم كانت اندرست فرأى عبد المطلب ما دله عليها فحفرها فآذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده الحرث فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن أحدهم لله تعالى فلما تموا عشرة بنين رأى من يأمره بوفاء نذره فانتبه وذبح كبشا فرأى انه لا يجزئه وهكذا حتى أمر أن يذبح أحد بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله فجاء به ليذبحه عند باب الكعبة فمنعه سادة قريش وأمروه بمشاورة كاهنة فأشارت أن يقرع بينه وبين عشر من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليها زاد عشرة فلما بلغت مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم اقر من قال له ذلك والثاني اسمعيل وعلى انه اسحق وعليه الاكثرون فقد امر أن العرب تسمي العم أبا (و) من عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انه (تداعى) أي تهادم أي اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى خرابه (ايوان) بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهري بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج أي مبني طولا غير مسدود الوجه أي فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع بابه قال وهو فارسي وقيل هو البيت العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرافات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما (كسرى)

منهاج البيضاوي لابن السبكي (قوله الجون) بفتح الحاء جبل باعلى مكة (قوله رئيه) أي جنيه قال في القاموس الرئي كغني ويكسر جني والحية العظيمة تشبيها لها بالجني انتهى (قوله وذكر الحافظ الخ) ما ذكره الشارح من هنا الى المتن غير مناسب للمقام لان الكلام في البشارة بولادته وليس فيما ذكره بشرى بأنه ولد وانما يدل على مناقب وكرامات لعبد الله والد رسول الله ببركة أسعد الخلق (قوله الاذفر) الذفر بفتحتين كل ريح ذكية يقال مسك أذفر بين الذفر وبابه طرب انتهى من المختار (قوله كلما خرجت القرعة) أي على ابنه عبد الله (قوله شقا) وهذا الشق باق الى الآن كما نقله ابن الجوزي (قوله ايوان) أصله اووان قلبت احدى واويه ياء لكسر ما قبلها وقوله بكسر الهمزة أي بوزن الديوان وجمعه أواوين كدواوين وايوانات انتهى طبلاوي وقد بناه سابور ذو الاكتاف ولم يتمه فأتمه ابرويز بن هرمز الملقب بكسرى في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع وسمكه أي ارتفاعه كذلك وعرضه خمسون ذراعا مبني بالجص والآجر ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان وأخرجوا منه ألف ألف دينار (قوله ككتاب) وجمعه على هذا اون كخوان وخون بوزن دون انتهى طبلاوي (قوله ذو شرافات) جمع شرافة ويقال فيها شرفة وجمعها شرف كغرف وغرفة وطول كل شرفة خمسة عشر ذراعا (قوله كسرى) ذكر الدميري ان كسرى هذا اول من اقتص من قاتله وذلك انه قال له منجموه انك تقتل فقال والله لاقتلن قاتلي فعمد الى سم ناقع فوضعه في حق وكتب عليه دواء للباءة صحيح مجرب اذا استعمل منه وزن كذا وكذا انعظ وجامع كذا وكذا فلما قتله ابنه قباذ فتح خزائنه فوجد ذلك الحق مختوما فقرأ ما كتب عليه فقال بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء ففتحه واستعمل منه ما ذكر فمات وكان

لكسرى ثلاثة آلاف امرأة انتهى وكان كسرى مجوسيا (قوله أنوشروان) معناه بالعربية مجدد الملك انتهى من نور النبراس (قوله معرب قسرى) فى الجوهرى وهو معرب خسرو والنسبة اليه كسروى وكسرى بحرمى وجمعه أكاسرة على غير قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون بفتح السين انتهى (قوله وتبع) كان رجلا صالحا انتهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سبه لانه آمن به قبل المبعث بسبعمائة سنة (قوله وفرعون) فقوله تعالى وقال موسى يا فرعون فيه محاورة من موسى لفرعون حيث خاطبه باحسن ما يدعى به وأحبها اليه اذ كان من ملك مصر يقال له فرعون وفى تفسير القرطبى ان فرعون كان علجا من همذان قاله الحسن وعن مجاهد كان من أهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أهل اصبهان طوله أربعة أشبار انتهى قال فى المختار العلج بوزن العجل الواحد من كفار العجم والجمع علوج واعلاج وعلجة بوزن عنبة وقوله من همذان بفتح الهاء والميم والذال المعجمة ومن خاصيتها ان لا يكون الانسان بها حزينا ولو كان ذا مصائب كذا فى عجائب البلدان للقزوينى (قوله آية) نقل أبو الفضل فى شرحه عن سيبويه ان أصلها أوية قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها (قوله ثم قتل فى زمن عثمان) بذلك تعلم رد ما ذكره بعض أهل السير من قتله فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فلا كسرى) أى فلا كسرى مثله (قوله وقال لسراقة الخ) أى حين أراد الانصراف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق الهجرة وقد خاص فرسه بعد أن خسف به الى الركبتين وطلب من رسول الله كتابة أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتبه له فى ورقة أخرجها سراقة للنبى يوم حنين فأمنه وكل من يلوذ به فعلمت ان النبى لم يقل له ذلك فى حفر الخندق وان توهمه بعضهم فى عبارة الشارح لان سراقة لم يكن فى حفر الخندق لانه انما أسلم بالجعرانة بعد الانصراف من غزوة حنين وذلك بعد حفر الخندق وبعد فتح مكة هكذا ذكر بعضهم ثم رأيت فى الاصابة نقلا عن رواية البخارى قصة سراقة انه أسلم يوم الفتح وقد أنشد بعد اسلامه رضى الله عنه مخاطبا لابى جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لأمر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(قوله الموبذان) بضم الميم ثم واو ساكنة ثم موحدة مكسورة ثم ذال معجمة وهو للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين والجمع الموابذة (قوله عرابا) هى خلاف البراذين والفرس ان كان أبواه عربيين فهو عتيق وان كانا أعجميين فهو برذون وان كان الاب عربيا والام عجمية فهو هجين وان كان بالعكس فهو مقرف (قوله فدلهم الخ) أى لان كسرى قال له هل عندك علم بما أريد ان اسألك عنه قبل ان أسألك فقال هذا يعلمه خال لى يسكن الشام يقال له سطيح فبعثه كسرى اليه فأتى اليه فاخبره سطيح بما ذكر من غير ان يذكر له شئ منه (قوله سطيح) السطيح المستلقى على قفاه من الزمانة واسمه ربيع عاش سبعمائة سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وروى انه هلك عند مولد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ان الله خلق سطيحا لحما على وضم وكان يحمل فيؤتى به حيث شاء ولم يكن فيه عصب ولا عظم

أنوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب قسرى أى واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشى لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك (ولولا) حرف امتناع لوجود أى امتنع جوابها الوجود تاليها (آية) صادرة (منك) الى الوجود أى علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له رأس وفيه التفات من الغيبة الى الحضور والاصل منه أى من المصطفى صلى الله عليه وسلم (ما تداعى البناء) أى هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام الذى كان يظن به انه لا تهدمه الا نفخة الصور فاذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرافة حينئذ فليس ذلك الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم للوجود على نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرافة الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر فملك عشرة فى أربع سنين وأربعة الى زمن عثمان وقد فتح فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه أكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم أخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أمواله وكنوزه تنفق فى سبيل الله تعالى فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم أمته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء الصحابة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما أتى بهما عمر رضى الله عنه ألبسهما اياه أى اظهارا للمعجزة وذلك عذر مبيح وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ولما رأى كسرى ما وقع بايوانه ورأى تلك الليلة الموبذان أعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فأفزع كسرى ذلك فسأل الرائى فقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر ملك العرب ان يرسل اليه أعلم من فى أرضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغسانى وكان معمرا فأخذ يسأله عن ذلك فقال علم ذلك عند خال لى فدلهم على خاله سطيح وهو بالشام فامره كسرى بالذهاب اليه فجاءه

فجاءه فوجده مشفيا على الموت فاخبره سطيح بما من جملته عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثه ملك ساسان لارتجاس الايوان أى تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى السماوة أى قرية بين الكوفة والشام وليست من العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وسمى صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك فى يده القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا اليه صلى الله عليه وسلم قال القاضى وأراها العصا المذكورة فى حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن أى لاجلهم ليتقدموا ويسمى أيضا صاحب القضيب أى السيف كما فى الانجيل فهو صاحب العصا يرعى بها الاخيار والقضيب يبيد به الاشرار (و) من العجائب التى ظهرت ليلة ولادته أيضا ليتنبهوا ويسألوا عن سبب ذلك انه (غدا) أى صار فى تلك الليلة (كل بيت نار) أى كل واحد من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويشتد انقيادهم لها حتى ان لها ألف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء (و) هى للحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشرى وأبو البقاء والجزولى وابن عصفور فجعلوه خبرا سواء كانت بمعنى صار او بمعنى وقع بقلة فى وقت الغدو أو الرواح وجعلوا من ذلك اغد عالما وحديث تغدوا خماصا وغدا زيد ضاحكا أى صار فى حال ضحك (فيه كربة) بضم أوله أى غم يأخذ الانفس وربما أهلكها (من) أجل (خمودها) أى سكون لهبها من غير ان يطفأ جمرها والا قيل همدت (وبلاء) عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه الههم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان فى اقليم الفرس من بيوت النار الموقدة المئات من السنين ما تحيل العادة انطفاءه فى الزمن الكثير فاذا انطفأت تلك النيران كلها فى ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كما مر (و) من تلك العجائب أيضا (عيون) فهو مبتدأ سوغه وصفه بقوله (للفرس) بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم وهم أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح أى الشجاعة وكسرى من أجل ملوكهم (غارت) فى الارض حتى لم يبق منها قطرة * ومنها بحيرة طبرية التى كان فيها من كثرة المياه وسعتها ما تحيل العادة غيضها ولذا قيل طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة لبلد معروف بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام (فهل) استفهام للتعجب من حالهم أو لتوبيخهم وتقريعهم (كان لنيرانهم بها) أى بتلك المياه التى غارت (اطفاء) أى لا بل لم يطفئها الا سر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل لهو وباطل ولذا قال (مولد) عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف (كان) أى صار على الدوام (منه)

الا الجمجمة والعنق والكفين وكان يطوى من ترقوته كما يطوى الثوب ولم يكن فيه شئ يتحرك الا لسانه ولا يتكلم الا بالسجع والوضم كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب أو نحوه يقيه من الارض والمراد هنا انه لحم خلقه الله من غير عظم يوضع على شئ يقيه من الارض (قوله مشفيا) وفى نسخة مشرفا (قوله مشيح) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتيه وحاء مهملة أى مسرع (قوله الضريح) أى القبر (قوله الهراوة) بكسر الهاء هى العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو مثل المطايا (قوله بحيرة ساوة) ويقال لها عين ساوة وبحيرة طبرية وساوة بلد معروف وطول تلك العين ستة أميال وعرضها كذلك كانت تحيل العادة ان يغيض ماؤها لكثرته وبحيرة بصيغة التصغير وهو تصغير تعظيم لما علمت من عظم سعتها (قوله وخمدت) بفتح الميم من باب دخل (قوله قال القاضى الخ) قال النووى هذا ضعيف لان المراد يوصفه بالهراوة تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدلون بها على صدقه وانه المبشر به فى الكتب السابقة ولا يصح تفسيره بعصا تكون فى الآخرة (قوله اذود) أى اطرد من لا يستحق الشرب (قوله ليتقدموا) أى مجازاة لحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام (قوله وفيه) أى فى أهله على حد قوله واسأل القرية (قوله فجعلوه خبرا) فيه ان الواو هنا مانعة من الخبرية لان الخبر لا يقترن بها فتأمل (قوله أو الرواح) يعنى اذا كان الفعل راح (قوله تغدوا الخ) فى التمثيل بذلك نظر لان الظاهر ان تغدوا بمعنى تذهب وتروح بمعنى ترجع فليسا بمعنى صار وعليه فانتصاب ما بعدهما على الحال ليس الا (قوله خماصا) جمع خميص البطن وهو الضامر (قوله همدت) بابه دخل وكذلك خمد (قوله طولها ستة أميال) كانت تسير فيها السفن الى ما حولها من البلدان فاصبحت ليلة مولده يابسة كان لم يكن بها ماء ثم بنى محلها مدينة ساوة (قوله الرى) مدينة مشهورة قيل أول من بناها رازين خراسان ولهذا كانت النسبة اليها رازى كذا فى عجائب البلدان للقزوينى (قوله من المولد) أى فى قوله ليلة المولد

(قوله أي في نحو الخ) جعل ماذكر تفسيرا لقوله في طالع الكفر ولم يظهر ذلك والظاهر ان ذلك من اضافة الصفة للموصوف أي في الكفر الطالع اه دنوشري ثم رأيت في ابن عبد الحق في طالع أهل الكفر الذي يطلع به على ما يحل بهم من نجم أو رؤيا أو غيرهما وبال أي مكروه عظيم ثم رأيت بخط بعض الفضلاء ماهو أوضح من ذلك حيث قال الطالع في الاصل اسم لنجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على أمور تحدث في العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلاني يحصل كذا وأضيف للكفر من حيث تعويلهم عليه واستعير هذا للامور التي دلت على وقوع الوبال والوباء بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على أمر خفي وان كانت دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقق وعلى هذا فالظرفية من ظرفية المدلول في الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال وتنوين وبال ووباء للتعظيم لان سببهما أكبر الكبائر اذ هو الركن الاعظم في حصولهما (٣٢) ومن ثم جعل طالعه ظرفا (قوله الجناس اللاحق) وهو اختلاف اللفظين في حرفين متباعدي المخرج فمخرج اللام بعيد من مخرج الهمزة وأما المضارع فبخلافه كقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه فالهاء والهمزة متقاربان مخرجا وبسط ذلك في فن البديع (قوله هنيأ) قال الاشموني أي ثبت الخير هنيأ أو يهنؤك هنيأ انتهى وكتب من حشاه أي هي مؤسسة على الاول مؤكدة على الثاني (قوله مؤكدة لعاملها) فيه نظر فان المؤكدة هي ما يستفاد معناها بدون ذكرها نحو ولى مدبرا ولا تعثوا في الارض مفسدين بل هي مؤسسة لعدم استفادة معناها من عاملها فتأمل أي لان حل الشارح يقتضي ان الحال من الفضل أو من ضميره في الخبر وان العامل ثبت قبله ويمكن تصحيحه بان الحال هو الجملة وان هنيأ حال من محذوف دل عليه السياق والعامل من مادته والمعنى هنئت بالفضل حالة كونه هنيأ وعلى جعل الجملة حالا التقدير ثبت الفضل حالة كون الفضل هنئت به هنيأ أي مهنئا لها فقول الشارح حالة كونه هنيأ أي مهنئا ليكون وصفا مأخوذا من الجملة المجعولة حالا ويرشح هذا التصحيح قوله مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره فتدبر (قوله اسم فاعل) مراده به ما يشمل الصفة المشبهة (قوله من هنئ أو هنؤ) كفقه وفقه هناءة بالمد أي صار هنيأ لا آفة فيه (قوله حملت) قال في القاموس حملت المرأة تحمل علقت ولا يقال حملت به أو قليل انتهى وقال أبو الفضل المالكي الحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو رأس شجرة والحمل بكسر الحاء ما كان على رأس أو ظهر (قوله بالتنوين للضرورة) هو سبق نظر والصواب عدم التنوين للنظم فهو على أصله (قوله ابن زهرة) قال في الصحاح زهرة بضم الزاي وسكون الهاء حي من قريش وهو اسم امرأة كلاب بن مرة نسب ولده اليها وهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم وزهرة بفتح الهاء نجم

أي من أجله ومن لابتداء الغاية (في طالع الكفر) أي في نحو النوم أو الالهام الذي يطلع به على عواقب الكفر وغايات أهله المترتبة عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح السابقين آنفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه أطلع كل ذي بصيرة على ان الفرس أو الكفار يحل بهم (وبال) أي وخم عظيم (عليهم) أي على أهله الذين هم الفرس بدليل السياق أو اعم بدليل الواقع (ووباء) ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وهما فيهما الجناس اللاحق كنايتان عما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم على الزوال ومما حل بهم من البوار والهوان والوبال والنكال (ف) بسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه ولامهاته صلى الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حتى ان يقال في شأن أمه (هنيأ به لآمنة الفضل) أي ثبت لها الفضل أي الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيأ أي لا آفة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال المبرد انه مصدر كالعاقبة وأصل ذلك انهم أنابوا عن المصدر صفات كعائذا بك وهنيأ لك قال بعض المغاربة وهي موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازم صفة وهنيأ اسم فاعل من هنئ أو هنؤ كشريف من شرف وهو ما أتاك بلا مشقة (الذي شرفت به حواء) فمن دونها من أمهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها اليهن بواسطة ولآمنة بدونها فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد في مدحها بانها شرفت بما شرفت به أم البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها هذا وللجمع بين طرفي الولادة الاول والآخر ولينبه على ان حواء امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حواء بذلك (من) استفهام استبعادي بمعنى النفي (لحواء) أي من ذا الذي يفرح لها بأنها أو يشفع لها في (انها حملت أحمد) بالتنوين للضرورة أي حملت به وهو من غرر أسمائه صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام كما في الحديث وعيسى صلى الله عليه وسلم كما في القرآن وهو منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه يوم القيامة عند سجوده تحت العرش ليسأل في الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد لم يفتح على أحد

قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد و يكون تحته آدم فمن دونه (أو أنها به نفساء) أى اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة سمى بذلك لانه اثر نفس أى و بانها ولدته بلا واسطة أى لو قدر لها أن تحمله وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الشرف لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق فى علم الله تعالى انها الفائزة بشرف الانتهاء وهو أفضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال (يوم) بدل من مولد اسم زمان (نالت) أى أعطيت (بوضعه) أى بسببه آمنة (ابنة وهب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهى تلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم من جهة آبائه فى كلاب وكان وهب سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وأم آمنة مرة ابنة عبد العزى بن قصى بن عبد الدار ابن قصى بن كلاب (من) بيانية (فخار) وهو التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية (مالم تنله النساء) حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضى أفضليتها على حواء مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة أو مزايا لا يقتضى الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام فى حق حواء على ايمانها الكامل وآمنة وقع الخلاف فى ايمانها بل وفى نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمهما ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما أخرجه أبو نعيم والخرائطى وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤيا التى رآها وقد مرت رأته كاهنة قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه ومن ثم كان أجمل رجل رئى فى قريش فسألته ان يقع عليها وتعطيه مائة من الابل فابى وقال * أما الحرام فالممات دونه * فمر به أبوه حتى أتى به وهبا أبا آمنة فزوجه بها وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين أيام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها لم تعرضى نفسك الآن على قالت فارقك النور الذى سألتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش فى جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودى فى الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر وقد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها أفضل قومها حسبا وأزكاهم أصلا وفرعا وفى حديث ابن اسحق انها احدثت انها لما حملت به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ماشعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما أى فى الابتداء لرواية انها وجدته وحملت على غير الابتداء جمعا بين الاحاديث وأتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام ثم أمهلنى حتى دنت ولادتى أتانى فقال لى قولى

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت أبيات أخر مشهورة ولا أصل لها كما قاله الزين العراقى وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال كان فى دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت قد حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومرت وحوش

(قوله بيانية) أى لما فى قوله مالم بتقديم البيان على المبين (قوله مالم تنله النساء) احتراس ويسمى تكميلا وهو ان يؤتى فى كلام موهم خلاف المقصود بما يدفعه اما فى أثناء الكلام كما مر كثيرا وكما فى قوله فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى لان نزول المطر قد يكون سببا لخراب الديار وفسادها فدفعه بتوسط غير مفسدها أو فى آخره كما فى قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين اذ لو اقتصر على وصفهم بالذل على المؤمنين لتوهم انه لضعفهم فأتى على سبيل التكميل بقوله أعزة على الكافرين دفعا للوهم واشعارا بأن ذلك تواضع منهم لهم ومن ثم عدى الذلة بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وهنا دفع توهم ان ما نالته آمنة من الفخار بوضعه صلى الله عليه وسلم قد نالته أمهاته بقوله مالم تنله النساء انتهى (قوله مزية) هى فعيلة أى فضيلة ولا فعل لها يقال له عليه مزية وفى الاساس مزيت عليه أى فضلت (قوله ثم خرج ومر الخ) غير خاف ان عرضه عليها لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها الى بذل كثير من الابل فى مقابلته على خلاف عادة النساء مع الرجال وبذلك تعلم رد قول بعضهم كأنه تندم على امتناعه منها أولا فتعرض لها لتعاوده اذ ذلك لا يليق بهذا المطهر المختار ليكون أبا لسيد الكائنات كما سبق (قوله ماشعرت) بفتح العين شعرا بكسر الشين علمت ومنه مشاعر الانسان حواسه وأصله العلم الدقيق المستنبط كذا قاله الكواشى فى تفسيره عند قوله تعالى وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون قال البرماوى فى شرح ألفيته الشعور هو أول مراتب وصول العلم الى القوة العاقلة مأخوذ من الشعار وهو ما يلى الجسد ولهذا كان وصف الكفار بأنهم لا يشعرون أبلغ من نفى العلم ونحوه عنهم (قوله أبيات أخر) منها * وكل خلق رائد * أى متقدم بمكروه وأصل الرائد الذى يتقدم القوم يلتمس لهم الكلأ ومساقط الغيث كذا فى الغريبين للهروى

المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذا أهل البحار بشر بعضهم بعضا وله فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء ان ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وروى أبو نعيم ان آمنة أتاها آت بعد ستة أشهر من حملها وقال يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك ثم لما أخذها الطلق وكانت وحدها رأت كأن طائرا أبيض قد مسح فؤادها فذهب روعها ثم أوتيت بشربة بيضاء فتناولتها فاضاء لها نور عال ثم رأت نسوة كالنخل طولا فاحدقن بها فقالت من أين علمتن بى وفى رواية فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء الحور العين ثم رأت ديباجا أبيض مد بين السماء والارض ورجالا بايديهم أباريق فضة وقطعة من الطير أقبلت حتى غطت حجرتها مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت ورأت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة أعلام منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها النفاس فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء غشيته فغيبته عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمى الماحى لانه لا يبقى شئ من الشرك الا محى فى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم انجلت عنه فى أسرع وقت وروى الخطيب البغدادى بسنده انها لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور عظيم يسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه فى أخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها حتى لم يبق أحد من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته ثم رأت ثلاثة نفر بيد أحدهم ابريق فضة والثانى طشت من زبرجد أخضر والثالث حريرة بيضاء أخرج منها خاتما يحار الناظرون دونه فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الى أمه (و) يوم (أتت) آمنة (قومها) اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النساء تبعا كما هنا (ب) مولود (أفضل) بالاجماع (مما) أوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان نادر الوقوع فى القرآن نحو لما خلقت بيدى والسماء وما بناها الآيات ولا أنتم عابدون ما أعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولو رود هذا وأمثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وأبو عبيدة ومكى وابن خروف وقوعها على آحاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلى لا تقع على أولى العلم الا بقرينة وتقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء أى الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الآية لان من صفات من يعقل الحمل المذكور فى قوله (حملته) (قبل) أى قبل آمنة ومر ان بينهما نحو ستمائة سنة امه (مريم) بنت عمران الصديقة بنص القرآن قيل هى من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم بينها وبينه أربعة وعشرون أبا وفى الصحيح خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع النساء للخلاف فى نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى الى السماء كان

(قوله فاحدقن) أى طفن بها وأحطن بها (قوله الزمرذ) هو بالذال المعجمة آخره كما فى الصحاح (قوله روحانى) قال الشارح فى النعمة الكبرى روحانى بضم الراء نسبة للروح بضمها واما بفتحها فنسبة للروح وهو نسيم الريح الطيب والالف والنون من زيادات النسب اه وفى الشافية وشرحها لشيخ الاسلام وروحانى بفتح الراء نسبة لروحاء بلد وهو المراد هنا أى فى عبارة الشافية وبضمها فى النسبة الى الملائكة والجن ويقال لهم الروح (٣٤) للطافتهم واستتارهم عن الناس وعليه فلا تظهر زيادة الشارح الانس والطيور والوحوش وان كان ذلك هو المراد هنا زادوا الالف والنون للفرق بينه وبين المنسوب الى روح الانسان اه (قوله بيضاء) قال فى المواهب خضراء وقد يقال انه قبض عليهما فلا مخالفة (قوله بخ بخ) فيه لغتان اسكان الخاء وكسرها منونا وهى كلمة تطلق لتفخيم الامر وتعظيمه فى الخير اه شرح مسلم للنووى وقال فى الصحاح هى كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ فان وصلت خفضت ونونت فقلت بخ بخ وربما شددت كالاسم اه وقال الهروى فى غريبه وسكنت الخاء كما سكنت فى هل وبل ويقال بخ بخ بالخفض منونا فمن فعل ذلك شبهها بالاصوات كصه وما أشبه ذلك وقال ابن السكيت بخ بخ وبه به بمعنى واحد اه (قوله فغسله) نسخة الشارح فقبله بدل فغسله (قوله اسم جنس) فى شرح الاشمونى على الخلاصة آخر باب جمع التكسير ذكر الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس ومثل لاسم الجمع بقوم ورهط فقول الشارح اسم جنس غير مسلم (قوله على العاقل) الاولى العالم للتمثيل بقوله وما بناها الخ فانها واقعة على الله وانما يقال له عالم لا عاقل سبحانه (قوله مطلقا) أى بقرينة وغيرها فالاطلاق فى مقابلة قيد لاحق (قوله بنت عمران) واسم أمها حنة بالمهملة وتشديد النون (قوله بنص القرآن) حيث قال وأمه صديقة (قوله للخلاف) كان الظاهر أن يقول وللخلاف بواو العطف على العلة السابقة اذ مراده الاستدلال على فضلها على جميع النساء بدليلين فكأنه قال حينئذ ففضلت على من ذكر للخبر الصحيح وللخلاف الخ وبدون واو

سنها ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين (العذراء) أى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى صلى الله عليه وسلم انما هو من نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلى الله عليه وسلم وخصه بهذا مع تصريحه قبل بانه أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء على منارة جامع بنى أمية البيضاء شرقى دمشق كما رواه مسلم فى آخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام وولادته من غير أب وان كان لنبينا عليه الصلاة والسلام ماهو مثلها أو أبهر منها كما يأتى انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الأكمل ونزوله عليه الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفاء مالهم من نوع شبهة تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلى وراء المهدى أولا ثم يتقدم بعد اعلاما بأنه صلى الله عليه وسلم لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولخبر البخارى أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بينى وبينه نبى وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبى أصحاب الرس ولخبر الصحيحين من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفى خبر الصحيحين أن كل مولود يمسه الشيطان فيصيح الا عيسى عليه الصلاة والسلام قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافى هذا أفضلية نبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما ينغمر هذا فى جنب أدونها وقد تكون فى المفضول مزية أو مزايا ليست فى الفاضل لكن فيه ما يخلف ذلك ويفوقه (شمتته) من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة والمهملة أى دعا له بالسلامة من الشوامت أو بقاء سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا للتعويج نحو العنق (الاملاك) جمع ملك وهذا هو القياس فى جمعه كجمل وأجمال ولفظ الملك مشتق من الألوكة وهى الرسالة ويقال لها مألكة فالاصل فيه مألك ثم قلب فصار ملأك ثم

العطف لا يظهر ذلك المراد تأمل ثم ان هذا الدليل فيه نظر لان حواء وآسية اختلف فى نبوتهما فالدليل لا يثبت فضلها عليهما الذى اقتضاه قوله على جميع النساء نعم الحديث الصحيح الذى ذكره يثبت فضلها عليهما فحرر (قوله والعذرة البكارة) بضم العين وتطلق أيضا على معان منها الناصية وهى الخصلة من الشعر وقلفة الصبى والشعر على كاهل الفرس (قوله ومعجزة له صلى الله عليه وسلم) فيه ان تعريف المعجزة المشهور يقتضى عدم تسمية ذلك معجزة لانه غير مقرون بالتحدى وانما يسمون مثل ذلك ارهاصا هو كل خارق للعادة متقدم على النبوة وسيأتى الجواب عن ذلك فى الشارح عند قوله وبدت فى رضاعه معجزات فراجعه (قوله بشريعة نبينا) فهو مستند فى حكمه الى كتاب أو سنة أو اجماع وقد يجتهد ولا يخرج فى اجتهاده عن مذهب امام من الائمة الاربعة وغيرهم وليس هناك وحى لانقطاعه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الجزية مع ان شريعتنا قبولها غير خارج عنها لان نبينا غيا قبولها بنزوله فيكون عدم قبوله لها من شرعنا والسر فى ذلك ان المسلمين قبل نزوله محتاجون للمال فوسع لهم وأما بعده فالمال كثير لا يلتفت اليه أحد وهذا أظهر من توجيه الشارح كغيره بقوله لانتفاء مالهم الخ لانه انما يظهر بالنسبة (٣٥) لقومه دون نحو اليهود وحكمة نزول عيسى دون غيره من الانبياء الرد على اليهود فى زعمهم انهم قتلوه فبين الله كذبهم وانه الذى يقتلهم وقيل حكمته دنو أجله ليدفن فى الارض اذ كل مخلوق من تراب لا يموت فى غيره اه ملخصا من افتاء لابن قاسم (قوله ومنها) أى من شريعة نبينا لانه عليه الصلاة والسلام غيا قبولها بنزول عيسى فاندفع ما عساه يقال اعتراضا على قولهم بنزوله بشريعة نبينا ان قبول الجزية منها وهو لا يقبلها (قوله انا أولى الناس الخ) أى أخص به (قوله كان بينهما الخ) وقال بعض الناس ان الحواريين كانوا رسلا الى بعض الناس بعد عيسى وهذا قول أكثر النصارى لعنهم الله (قوله أصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهى البئر غير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل غير ذلك كما فى تفسير البيضاوى فراجعه ان شئت وقوله غير المطوية أى غير المبنية بالحجارة والآجر وغيرهما (قوله الا عيسى) ظاهر الحديث اختصاص هذه الفضيلة بعيسى وامه وأشار القاضى الى ان جميع الانبياء يشاركونه فيها فقوله ولا ينافى الخ لا حاجة اليه على ما ذكره القاضى وهو الحق ان شاء الله (قوله من التشميت) فى القاموس التشميت التسميت كذا فى فصل الشين من باب التاء وذكر فى فصل السين منه مانصه والتسميت ذكر الله والدعاء للعاطس (قوله من الشوامت) جمع شامت وهو الذى يفرح ببلية عدوه قال فى القاموس شمت كفرح شماتا وشماتة فرح ببلية عدوه (قوله مشتق) أى مأخوذ فلا يرد ان ملكا ليس فعلا ولا وصفا فكيف يقال فيه مشتق (قوله مألكة ومألك) بضم اللام فيهما صحاح وقول الصحاح ومألك أى الذى هو بمعنى الرسالة وأما مألك الذى هو أصل ملك فبفتح اللام كما يدل له قول الشارح ونقلت

حركة اللام فقول الشارح والاصل فيه أى فى ملك مألك أى بفتح اللام (قوله على وزن مفعل) الرسم يقتضى انه بتقديم الفاء وهو غير ظاهر لان الهمزة فاء الكلمة فى أصله فلا تتغير فى الفرع فالصواب على وزن معفل بتقديم العين على الفاء (قوله وزن فعل) كان الظاهر وزن معل لان الهمزة التى هى فاء الكلمة قد حذفت والميم زائدة بدليل قوله آنفا على وزن مفعل على مافيه كما علمت آنفا وذلك هو مذهب الجمهور الآتى وأما كون وزنه فعل فانما يلائم مذهب غير الجمهور الآتى أيضا فى قوله وذهبت طائفة الخ تأمل (قوله من مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار (قوله كالثالث) أى آدم (قوله تأويل الاولين) أى انهما ليسا من النور والنار حقيقة بل لشدة جلالة الملائكة واشراقهم جعلوا كأنهم من نور ولشدة قوة الجن وسرعة حركاتهم جعلوا كأنهم من نار (قوله الاولين) أى الملائكة والجن (قوله أى فرحتنا وسرتنا) لم نجد الشفاء بهذا المعنى فى اللغة وقد ذكر فى القاموس اطلاقه على الدواء ولاشك ان قولها الآتى دواء للقلوب نافع فيلزمه الفرح والسرور فيكون فيه تجوز قال فى القاموس الشفاء هو الدواء والجمع أشفية وشفاه يشفيه برأه أو طلب له الشفاء (٣٦) كاشفاه اه فقول الشارح يحصل بها الشفاء أى الدواء (قوله وسرتنا) عطف تفسير قال فى المختار فرحه تفريحا أى سره والفرح أيضا البطر ومنه قوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين (قوله أو من الشفاء) فيه ان هذا التعبير يوهم انه على التفسير الاول ليس مأخوذا من ذلك مع انه ليس كذلك فكان الظاهر أن يقول من الشفاء بمعنى فرحتنا وسرتنا أو بمعنى الرقية لانها الخ وفى البيت جناس الاشتقاق بالجمع بين شفتنا والشفاء وحقيقته أن يجمع بين ألفاظ مشتركة فى المادة وأصل المعنى وأما تجنيس المشابهة فالشرط فيه الاشتراك فى المادة لا فى أصل المعنى كما سيأتى عند قوله قصور قيصر وقد يقال الشفاء علم فمعناه غير مشارك لمعنى شفتنا فيكون من شبه الاشتقاق اللهم الا أن يقال هو ناظر للاصل قبل العلمية كما فى محمد وأحمد فى البيت الآتى ومثاله فى التنزيل قوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم بناء على ان المراد بقوله أقم استقم لتبليغه والدعاء اليه لوجود اشتراك اللفظين فى أصل المعنى فلا ينافى عد الصفى الحلى له من شبه الاشتقاق لانه نظر الى ان المعنى أفرغ وسعك فى صرف جميع أزمنتك فى نشره والعمل به كما سيأتى ذلك فى الشرح عند قوله قصور قيصر وقوله يمحق الله الربا ويربى الصدقات ومثاله من الشعر قول الزفتاوى فى بديعيته محمد أحمد اشتقت محامده * من حمد حامده المحمود فى القدم (قوله الغليل) فى الصحاح الغلة حرارة العطش وكذلك الغليل (قوله الشفاء) قيل هو اسمها وقيل لقب واسمها ليلى وقيل صفية كما ذكره الشيخ عبد السلام اللقانى فى مولده (قوله بالفاء المشددة) هذا الضبط متعين هنا لاستقامة الوزن وفيها ضبط آخر كسر الشين وتخفيف الفاء والوزن معه غير مستقيم (قوله ألبنته) فى نسخة البسته وهذه النسخة ظاهرة وأما نسخة ألبنته بمعنى سقيته اللبن بارضاعى له فغير ظاهرة لان مرضعاته كما سيأتى أربع ولم تعد منهن الشفاء وهى أمه آمنة وحليمة السعدية وثويبة وأم أيمن

على وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا على وزن فعل وحينئذ فقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم رحمه الله تعالى وانما جمعوه على ملائكة لانهم رعوا ملأك بعد القلب وقبل أن يخفف وقولهم من الألوكة مصرح بان ميمه زائد وهو رأى الجمهور وذهبت طائفة الى انها أصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بالفتح أى القوة لقوتهم أو بالكسر بمعنى مملوك قولان قيل وأحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير مأخوذ من شئ وهو التحقيق الذى دلت عليه الآثار وقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وزعم ان نوعا من الملائكة يسمون بذلك ليس فى محله لتوقفه على صحة خبر به ان ابليس أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان المصحح للاستثناء فى الآية التغليب لكونه كان فيهم أو هو منقطع وفى خبر مسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متشخص من النور والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم تأويل الاولين بانه على التمثيل ليس فى محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا أحاديث السؤال فى القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا اعنا بذتهم للسنة الغراء قبحهم الله (اذ وضعته) أى فى وقت وضع أمه له (وشفتنا) أى فرحتنا وسرتنا أو من الشفاء لانها رقية والرقية كثيرا ما يحصل منها الشفاء لان قولها الآتى يشفى العليل ويبرد الغليل (بقولها الشفاء) بالفاء المشددة وهى أم عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما أخرجه أبو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت آمنة محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله وربك قالت الشفاء واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم ألبنته واضجعته فلم ألبث ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث منى على بالى حتى بعثه الله تعالى فكنت فى أول

الناس

(قوله عطس) بفتح الطاء وكسرها كما في كتب اللغة (قوله الذي لا يطلق الخ) قد سبق عن القاموس أن معناه ذكر الله والدعاء وأما تخصيصه بالذي يقال عقب العطاس فمعنى شرعي وفي حين الولادة لم يكن تشريع وبذلك يندفع قول الشارح الآتي وعلى ما قاله الخ فتدبر (قوله يحتاج فيه لسند الخ) في شرح الدلجي فاستهل أي عطس بشهادة قولها فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك اذ هو شرعا قول القائل للعاطس رحمك الله ولغة كل دعاء بخير اهـ وقصده ان استهل استعمل في عطس مجازا بقرينة رحمك الله واستعماله مع القرينة جائز ولا يخفى ان ما نقله من اللغة ربما يمنع هذه الشهادة لا سيما وما تقرر في الشرع متأخر عن ذلك ودعوى موافقة شرعه صلى الله عليه وسلم لما قبله وسبق استعماله يحتاج لدليل اذ الاصل مخالفة كل شرع لما قبله فتأمله وفي القاموس ان التشميت ذكر الله والدعاء للعاطس كما سبق وظاهره انه لا فرق بين ان يحمد أولا والتقييد بحمد العاطس أمر شرعي وقولنا وقصده الخ قد يرد بأن الاستهلال رفع الصوت وأخذ من (٣٧) قول الملك رحمك الله انه رفع الصوت بالعاطس فيكون استعمال استهل في عطس حقيقة

الناس استهلالا وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه وسلم عطس حتى عبر بشمتته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس يحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من أحوال المولودين بخلافه لا يصار اليه الا بتصريح ممن يعتمد عليه ولم أره وقولها فسمعت قائلا يقول حمله على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة الى ان عصمة الملائكة توجب ان الفعل المسند الى أحدهم كأنه مسند الى الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في مهده وان كان صلى الله عليه وسلم عدهم ولم يذكر نفسه منهم (رافعا) حال من مفعول وضعته (رأسه) الى السماء كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج مني نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء (وفي ذلك الرفع) الذي هو أول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم (الى كل سودد) أي رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدأ الذي هو (ايماء) أي اشارة الى ان شأنه وقدره يرتفع ويعلو في الدنيا والآخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس (رامقا) حال مما منه الاولى وتعدد الاحوال جائز كتعدد الاخبار أو من ضمير رافعا فهي من الاحوال المتداخلة (طرفه) أي بصره (السماء) أي ناظرا الى جهتها نظرا خفيا كما علم من حديث عطاء وابن عباس المذكور وروى الطبراني انه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل (و) سر هذا الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ (مرمى) هو في الاصل غرض الرامي الذي يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه البصر (عين من) موصول (شأنه) أي قصده (العلو) ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمى (العلاء) بالفتح والمد أي الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر أي كما ان رفع رأسه ايماء الى ما مر فكذلك رمقه ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من

وتعلم منه رد قول الشارح وحمل الخ اذ دليل الناظم قول الملك رحمك الخ الذي يدعى به للعاطس تامل الا أن يقال ان رحمك الخ لا يختص بالعاطس فمن أين جعل استهل بمعنى عطس فما ذكره الشارح ظاهر ثم ظهر ان التشميت يطلق على ذكر الله والدعاء للعاطس لغة كما تقدم عن القاموس فيحمل كلام الناظم على هذا المعنى ولا شك ان قول الملك رحمك الله الخ دعاء له وفيه ذكر الله تأمل (قوله قبضة) قال الشارح في النعمة الكبرى أي اشارة الى انه يملك الارض كلها وانه ينثر التراب يوم بدر وغيره في وجوه أعدائه فيكون سببا لهزيمتهم وهلاكهم (قوله الذي هو أول فعل) فيه ان أول فعل كما علم من الرواية السابقة آنفا وقوعه على الارض ثم اعتماده على يديه ثم قبضه التراب بيده ويجاب بان عطف الرفع فيها وقع بالواو فيحتمل أن يكون الرفع قبل الفعلين المذكورين (قوله طرفه) مفرد لا جمع له وهو فاعل رامقا والسماء مفعول وفيه اشارة الى انه علوي ليس من جنس من في الارض بل صفاته البشرية كلها ملكية منزهة عن الشهوات الدنيوية مطهرة من الآفات البشرية (قوله خفيا) لان الرمق النظر الخفي لا مطلق النظر كما في اللغة (قوله كما علم الخ) فيه ان الذي علم من روايتهما رفع رأسه الى السماء ولا يلزم منه الرمق بطرف اليها فتدبر (قوله وسبقت رواية الخ) يجمع بين الروايات بأنه وقت انفصاله واتصاله بالارض وقع منه جميع ما ذكر فتارة قبض بيده التراب وتارة رفع أصبعيه السبابتين وتارة رفع احداهما وتارة وقع مقبوض الاصابع وتارة رؤي قابضا على حريرة بيضاء وقيل خضراء وتارة رؤي ساجدا وتارة رافعا رأسه لجهة السماء (قوله الرمق) بسكون الميم لانه مصدر رمق وبابه نصر كما في المختار (قوله ما انتهى اليه البصر) شبهه بغرض الرامي على طريق الاستعارة التحقيقية بجامع قصد كل (قوله مع القصر) أي في غير النظم فان المد فيه متعين ومده اذا ضمت العين للضرورة

(قوله يخادعون) أى يخدعون وبذلك قرئ وبابه قطع وفيه مضاف محذوف أى رسول الله والا فمعناه لا يقصد عاقل به الذات العلية اذ هو ايهام غيرك خلاف ماتخفيه لتنزل به مايكرهه وتصرفه عما هو بصدده من قولهم ضب خادع اذا أوهم قاصده اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وذلك المعنى مستحيل على الله تعالى (قوله وهو ابن عيصو) عبارة الجوجرى والروم هو من ولد الروم بن عيصو وعبارة المالكى والروم من ذرية عيصو بن يعقوب اه وهذا بحسب الاصل والافقد صار اسما لقطر المعروف ولذا قال الشارح قبل لكل من ملك الروم (قوله يا أسفا على يوسف) قال بعضهم فى كون هذين اللفظين يرجع معناهما الى أصل واحد نظر وكذا أسلمت وسليمان اه وفيه نظر لان الرجوع لمعنى واحد انما هو فى المشتقين حقيقة والامثلة التى ذكرها الشارح للمشبهين بالمشتقين لا للمشتقين كما فهم هذا البعض فتأمل (قوله وأصل ذلك الخ) الذى يناسب كونه أصلا لما هنا حديث الشفاء الآتى اذ هو المذكور فيه قصور الروم وماعداه مما ذكره من الروايات انما فيها قصور الشام (قوله دعوة أبى ابراهيم) وذلك انه لما فرغ من بناء البيت ودعا بجعل ذلك البلد آمنا وان أفئدة من الناس تهوى اليهم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاستجاب الله وجعل نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله وجوزى سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على ذلك ببقاء الثناء عليه فى صلوات أمته وبامر محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه (قوله الشام) حتى قال ابن هشام فى التيجان اسم أعجمى من لغة بنى حام ومعناه بالعربية خير طيب (قوله عند ابتداء وضعه) أى حال كونه حملا (قوله لان تلك الخ) وفى تاريخ ابن كثير ان مارأته حين الحمل كان مناما ومارأته حين الوضع كان عيانا

شأنه العلو لا يقصد الاجهاته ومايوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذى هو مفادهما له اعتبارات مختلفة (و) يوم (ندات) أى قربت ودنت فهو عطف على نالت (زهر النجوم) من اضافة الصفة الى الموصوف أى الكواكب المضيئة (اليه) صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة الثقفية رضى الله تعالى عنهما انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها تقع على (ف) بسبب هذا التدلى (أضاءت بضوئها) أى تلك الكواكب المضيئة (الارجاء) أى نواحى البيت أو نواحى السماء أو نواحى الوجود بأسره (و) يوم (تراءت) من رأى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل الفعل كيخادعون الله وعاقبت اللص أى رئيت (قصور قيصر) ومرانه لقب لكل من ملك الروم (بالروم) أى فى بلاد الروم وهو ابن عيصو وبين قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكى وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى أصل واحد كقوله تعالى أزفت الآزفة يا أسفا على يوسف اسلمت مع سليمان فأقم وجهك للدين القيم وزعم الحلى ان هذا ليس من أصناف التجنيس وأن عد أكثر المؤلفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة فبينوا انه أشبه التجنيس وليس فى الحقيقة تجنيسا وسمى بل كثير منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وماذكر فى الاخير هو ماذكره الحلى ولا ينافيه عد غيره له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد من أقم وجهك للدين أفرغ وسعك فى صرف جميع أزمنتك فى نشره والعمل به وغيره نظر الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاية اليه حال كون تلك القصور (يراها) رؤية كاملة (من) أى الذى (داره البطحاء) أى مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصباء وأصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات الانبياء يرين وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاء له قصور الشام وفى رواية عنها قالت رأيت كأنه خرج من فرجى شهاب أضاء له الارض حتى رأيت قصور الشام وفى أخرى رأيت ليلة وضعه نورا حتى أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وفى أخرى لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر وفى أخرى لما فصل منى خرج معه نور أضاء له مابين المشرق والمغرب وفى رواية الشفاء السابقة وأضاء لى مابين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم ولا ينافى هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك عند ابتداء حمله لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة فى البشارة بظهوره وظهور دينه وخصت الشام بالذكر فى أكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته صلى الله عليه وسلم اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السابقة انها دار ملكه أى باعتبار سبقه اليها قبل نظرائها ولذا أسرى به صلى الله عليه وسلم الى بيت القدس منها كما هاجر اليها ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وبها ينزل عيسى عليه السلام وهى أرض المحشر والمنشر *(فائدة)* صح عند الضياء انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة

حتى لا يرى أحد سوأته زاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف تواترت قيل على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبي ان آدم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض الحفاظ بسنده الى ابن عساكر ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مأدبة وسماه محمدا وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة حيث شق قلبه * ولما تم الكلام على عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع فى ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته فقال مستأنفا أو عاطفا عطف الجمل (وبدت) أى ظهرت لمن فى عصره صلى الله عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان (فى) فعل وزمن (رضاعه) وهو امتصاص اللبن من الثدى (معجزات) تسميتها بذلك مجاز أو جرى على اصطلاح السلف كالامام أحمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط الآتية أم لا ولكن الاشهر الذى عليه أكثر علماء الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم ان لها شروطا أحدها خرقها للعادة بان تحيل وقوعها كانشقاق القمر ثانيها اقترانها بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة مع أمن معارضتها من تحديث فلانا نازعته لأغلبه وهو مجاز اذ أصله الحداء يتعارض فيه الحاديان فيتحدى كل الآخر أى يطلب حداءه فخرج الخارق من غير تحد وهو كرامة الولى والخارق المتقدم على التحدى كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهى كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا أى تأسيسا للنبوة لا يقال خرج به أيضا الخارق المتأخر عند التحدى بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم عليه اخراج أكثر آياته صلى الله عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والدواب ونبع الماء بل قيل لعله لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت وزعم أنه لا معجزة الا هذان أقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق أن المراد بالتحدى ليس معناه الاصلى بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارنة لذلك والخارق الذى لا تؤمن معارضته كالسحر سواء أقلنا انه قلب الاعيان أو احالة الطبائع لا نا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية بانه لا يقع من مدعى النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها صدقا أم لم نقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافى ذلك ما ظهر على يد الدجال من الخوارق العظيمة لانه ليس مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان بروز تلك على يديه لمحض الفتنة لا غير ثالثها دلالتها على صدق المتحدى فخرج الخارق المكذب له كأن قال آيتى نطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغى للناظم رحمه الله تعالى أن يقول آيات أو بينات أو برهان لان هذه هى الواردة فى القرآن والسنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هى وان لم ترد لكن صارت فى اصطلاح المتأخرين أبين وأظهر فلذا خصت بالذكر (ليس فيها) متعلق بخفاء (على العيون خفاء) لوضوحها وهو اسم مصدر لا خفيته لانه الذى بمعنى كتمته لا مصدر خفيته لانه بمعنى أظهرته وبين بدت وخفاء الطباق (اذ) أى

(قوله فكيف تواترت) وقد أجيب بان المراد بتواترها اشتهارها وكثرتها فى السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث كما سيأتى عن القسطلانى نقلا عن امام السير (قوله ان آدم واثنى عشر نبيا) نظمها بعضهم فى قوله
تولد مختونا محمد آدم * وشيث شعيب نوح عيسى وحنظله سليمان موسى هود لوط ويوسف * (٣٩) كذا زكرياء وصالح فادع له

(قوله وسماه محمدا) وسبق ان أمه أمرت بان تسميه محمدا ولا مانع انها سمته بذلك سرا وان جده سماه به جهرا كل ذلك ليطابق تسميته به قبل فقد صح ان آدم رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك انتهى كلام الشارح فى النعمة الكبرى (قوله ختن عند حليمة) ختنه جبريل عليه الصلاة والسلام حين طهر قلبه فالحاصل ان هذه الاقوال الثلاثة لم يثبت منها شئ من طريق الاسناد لكن أكثرها طرقا القول الاول وهو الذى جزم به امام السير محمد بن اسحق ولم يذكر غيره انتهى من أمالى الحافظ القسطلانى (قوله بطريق العيان) أى لبعض أهل عصره (قوله فعل) انظر أى حاجة لتقديره على انه يصير الحل من فعل امتصاص اللبن وفيه تهافت (قوله الحداء) بضم الحاء والمد ويقال حدا حدوًّا كغدا غدوًّا كذا يؤخذ من المختار (قوله فالحق الخ) وقد يجاب أيضا بأن المراد بقوله مقرون بالتحدى تصريحا أو بلسان الحال كما أشار اليه أستاذنا البكرى فى شرحه نقلا عن شارح الدلائل (قوله الطباق) وهو الجمع بين متضادين فكان المتكلم يطابق الضد بالضد ومنه وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى ومنه قول الصفى فى بديعته قد طال ليلى وأجفانى به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم
(قوله لا مصدر الخ) فى القاموس ما يقتضى ان خفيته بمعنى سترته وبمعنى أظهرته فيكون مما يستعمل فى المتنافيين وعبارته خفاه يخفيه أظهره كاخفاه وخفى كرضى خفاء فهو خاف وخفى لم يظهر وخفاه هو وأخفاه ستره وكتمه انتهى المراد منه فما اقتضاه ظاهر الشارح من أن خفاء لا يكون مصدرا لخفيته بمعنى سترته غير مسلم تأمل

(قوله قد ينافى مافى المتن) ان كان مراده به قوله ليتمه لم يظهر لان وصف اليتم لا يتوقف على موت الاب قبل الوضع بل على موته قبل بلوغه وان كان مراده قوله أبته بقرينة قوله يحتمل عليه انه مات عقب الخ المقتضى ان الاباء قبل ان يرضع من أحد حتى من أمه لم يظهر أيضا لانها من جملة مرضعاته الاربع ولم يروانها أرضعته بعد أخذ حليمة له فيكون ارضاعها له بعد وضعه قبل أخذها وذهابها به نعم سيأتى ان أول لبن دخل جوفه لبن حليمة وهذا لا ينافى ارضاع أمه له قبل ذهاب حليمة به والحاصل انه ان لم يثبت طلب المرضعات عقب الوضع فما المانع من أن يكون طلبهن بعد موت أبيه على القول بانه مات بطيبة أو الابواء على القول به ووصفه باليتم صحيح حينئذ لانه صغير لا أب له وتكون أمه أو غيرها من مرضعاته غير حليمة قد أرضعته هذه المدة قبل موته وطلب المرضعات الرضعاء لكن هذا قد ينافيه ان حليمة أول من أرضعته وقد يقال لا مانع من ارضاعها له أولا حين وضعه ثم أرضعه غيرها ثم وقع أخذها له وذهابها به الى قبيلتها اهـ هذا وقد علمت ان الراجح موته وهو حمل (قوله وقد تقرر) ان كان المراد من كلام غيره فسلم والافنى أى محل سبق فى كلام الناظم تقريره (قوله واغا يتم) قال فى القاموس اليتم بالضم الانفراد أو فقدان الاب ويحرك وفى البهائم فقدان الام واليتيم الفرد وكل شئ يعز نظيره (٤٠) وقد يتم كضرب وعلم يتما ويفتح وهو يتيم ويتمان مالم يبلغ الحلم (قوله لئلا يكون الخ) فيه نظر فانه ارتضع من حليمة وان كان له الفضل عليها فى ذلك ولو عاش أبوه وأمه حتى كبر لكان فضله عليهما اهـ دنوشرى (قوله ماهذا اليتيم) ذكر بعضهم فى حكمة يتمه انه لا يجب عليه طاعة لغير الله وأن لا يكون عليه ولاية لغير الله اهـ وفيه ان الجد أب الاب كالاب تجب طاعته وله الولاية (قوله عنا غناء) راعى الناظم الجناس وترك جزالة المعنى ولو قال مافى اليتيم هذا غناء لكان ظاهر المعنى وأشار الشارح الى تصحيح المعنى بقوله يغنى عنا شيأ وفيه تكلف فان جعلت عن بمعنى اللام ظهر المعنى وجزل من غير احتياج لذلك التقدير ولا تغيير عنا بهذا (قوله بفتح المعجمة) وأما بكسرها والمد فالسماع وبكسرها والقصر فاليسار مقابل الفقر والعسر (قوله على خلاف فيه) يوهم أو يصرح بأن بعضهم منع ذلك وفيه نظر والتصحيف راجع للنقط والتحريف باعتبار تشديد النون وعدم تشديدها والنقص باعتبار زيادة الهمزة والتحريف هو اختلاف هيئة الحروف بان يكون الحرف مشددا فى كلمة وغير مشدد فى أخرى ومفتوحا فى كلمة ومكسورا فى أخرى كغدا وغذاء فى البيت الآتى (قوله فقول الشارح) الذى رأيته فيه وفتاة فاعل ومن آل سعد متعلق بفاتته وليس فيه الكلام على خصوص معنى من (قوله بحصول غايات الخ) فيه ان الذى يؤخذ من لفظ حليمة دوام الحلم أو كثرته ومن لفظ سعد وجود أصل السعد لكونه ليس صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة فن أى وجه دلالتها على غايات ماذكروأما حصولها له فى الواقع فسلم عند كل مسلم (قوله يحب الفأل الحسن) وفى الاثر فى بئر الحديبية انهم نزحوها فقال عليه الصلاة والسلام من يهيج لنا الماء فقال رجل أنا فقال ما اسمك قال مرة قال تأخر فقال آخر أنا يارسول قال ما اسمك قال ناجية قال انزل وأخرج الطبرانى فى معجمه أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول ياخضراء فقال لبيك أخذنا فألك من فيك والفأل بالهمز ضد الطيرة كأن يسمع مريض ياسالم أو طالب ضالة ياواجد يستعمل فى الخير والشر كذا فى القاموس فى المهموز وتخفيف الهمزة بقلبها ألفا صحيح

وقت أولا جل انه (أبته ليتمه) أى لاجل موت أبيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة أشهر وقيل مات وهو فى المهد وهذا قد ينافى مافى المتن الا أن يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع قبل أن يرضع لكن يرده ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام من عند أخوال أبيه عبد المطلب بنى النجار وقد تقرران المرضعات عقب وضعه علمن يتمه قيل انما سمى عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب ليأتى به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فينادبه بعبد المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق (مرضعات) كن يأتين الى مكة يلتمسن الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها عار عندهم (قلن) انما تركناه لانا انما نبغى الرضعاء رجاء للمعروف من آبائهم وأما الام والجد فما عسى أن يصنعا و (مافى) هذا (اليتيم) بينه وبين يتمه جناس الاشتقاق (عنا) متعلق بقوله (غناء) بفتح الغين المعجمة أى ليس فيه ليتمه وفقره نفع يغنى عنا شيأ وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر (ف) بعد ان تركنه لذلك (أتته من آل سعد) بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه أشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم أيضا (فتاة) أى شابة كريمة كائنة من بعض هذه القبيلة فقول الشارح ان من بيانية بعيد وفى كونها حليمة السعدية من الفأل الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع مالا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن (قد أبتها الفقر ها الرضعاء) جمع رضيع أى أباهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه فى حوائجها الخارجة فلا يفيدها فى دفع الجوع الذى هو المحذور * وأصل ذلك مارواه ابن اسحق

واسحق

(قوله صبيها) واسمه ضمرة أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (قوله ماتبض) بالضاد المعجمة ماترشح وروى بالصاد المهملة أى ما يبرق عليها أثر لبن من البصيص وهو البريق واللمعان وكل منهما من باب ضرب (قوله قلت لزوجي) فقال لها زوجها الا عليك أن تفعلى عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة (قوله يغط) بكسر الغين من الغطيط وهو صوت النائم (قوله فاشفقت ان أوقظه) أى بدون تلطف بقرينة قولها رويدا او الا فوضع يدها على صدره سبب ليقظته الا أن يقال هو وان كان سببا لها لكنها لم تقصد ايقاظه فلا ينافى قولها أشفقت ان أوقظه ولو بدون تكلف زيادة تلطف قال فى القاموس شفق وأشفق حاذر أولا يقال الا أشفق اه وقال البيضاوى عند قوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات أخفتم الفقر اه وهو بمعنى ما فى القاموس (قوله وأعطيته ثديى) وأول لبن دخل جوفه قبل لبن حليمة كما ذكره فى شرح تائية السبكى ومرضعاته صلى الله عليه وسلم أربع أمه وحليمة وثويبة مولاة أبى لهب وأم أيمن ولم ترضعه امرأة الا أسلمت كما قاله السيوطى فى خصائصه (٤١) الصغرى (قوله بما شاء من لبن) انظر معنى هذه

واسحق بن راهويه وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم عن حليمة رضى الله تعالى عنها انها قدمت مكة فى نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء فى سنة مجدبة ومعها صبيها وشاة ماتبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذ اقيل يتيم فوالله ما بقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله انى لا كره ان أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب من صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره صلى الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر اليه فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله صلى الله عليه وسلم بعد قال أهل العلم أعلمه الله ان له شريكا فالهمه العدل ثم أخذته فما هو الا أن جئت به رحلى فقام صاحبى تعنى زوجها الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله تعالى يزيدنا خيرا وفى رواية انها لما ودعت أمه وذهبت به على أتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت فسبقت دوابهن فصرن يتعجبن ويقلن لها أهذه أتانك التى كانت ترفعك طورا وتخفضك أخرى فتقول نعم فيقلن لها ان لها لشأنا عظيما فسمعت الاتان تقول ان لى شأنا عظيما بعثنى الله بعد موتى ويحكن هل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير الاولين والآخرين وأبدل من أتته قوله (أرضعته لبانها) بكسر أوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مفعولا مطلقا لان معنى لبانها رضاعها اذ يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبن الرضاع (ف) بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر المخلوقات (سقتها) أى حليمة (و بنيها) وقد كانوا أشرفوا على الهلاك من الجوع لما مران أرضهم كانت فى غاية المحل والجدب (لبانهن) فيه استعمال لبان فى غير لبن الرضاع وكأن الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله وتعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك (الشاء) جمع

العبارة ثم رأيت فى شرح تائية السبكى أقبل عليه ثدياى والمعنى على ماذكر الشارح ظاهر أيضا أى أقبل ثديى عليه بالذى شاءه النبى صلى الله عليه وسلم ومن لبن بيان لما (قوله الى شارفنا) قال فى القاموس الشارف من النوق المسنة الهرمة كالشارفة اه فاستعماله فى الشاة مجاز علاقته المشابهة كما سيأتى نظيره فى الشارح فى شائل (قوله حافل) أى كثيرة اللبن والتحفيل كالتصرية وهو ان تترك الشاة أياما ليجتمع لبنها فى الضرع للبيع (قوله روينا) بكسر الواو بوزن رضى (قوله ويحكن) قال فى المختار ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وتقول ويح لزيد وويل له فترفعهما

(٦ - ابن حجر) على الابتداء ولك ان تنصبهما باضمار فعل تقديره ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك وكذا ويحك وويلك وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر (قوله لان معنى لبانها الخ) أحسن من هذا ماذكروه فى اقامة الآلة موضع المصدر من قولهم فى ضربته سوطا ضرب سوط تأمل فيه (قوله يختص الخ) قد ينافيه قوله لان معنى لبانها رضاعها اه دنوشرى وقد يقال لا منافاة لان الاول بيان لمعنى مجازى من اطلاق اسم المسبب على سببه والثانى بيان لمعناه الحقيقى (قوله فيه استعمال الخ) مبنى على نسخته التى وقع فيها لفظ لبان وفى عدة نسخ ألبانهن (قوله ومكروا) أى الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا على عيسى من يقتله ومكر الله حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حين قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج وهو المشاكلة التى عبر بها الشارح وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ومنها وجزاء سيئة سيئة مثلها فليس الجزاء عنها سيئة حقيقة بل لوقوعها فى صحبة لفظها أطلق عليها اسمها

شاة كرامة لذلك المولود صلى الله عليه وسلم واغناقتهم مع ذلك المحل لالبانها ببركته صلى الله عليه وسلم (أصبحت) فهو من أسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا الصورة تعريفه وصفه نظرا لكون أل فيه جنسية نحو * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (شوّلا) بالتشديد جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة (عجافا) أى هزيلات (وأمست) لم يرد باصبح وأمسى معناهما بل أنها كانت فى حال فاعتراها نقيضه فى أقرب زمن وأسرعه فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما (مابها) أى فيها (شائل) مبتدا أو فاعل الظرف (ولا عجفاء) أى هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولك أن تقول ليس ماهنا على وزان الآية لان الذى فيها نفى العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وماهنا فيه الاثبات فى زمن والنفى فى زمن آخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد أو ايهامه ولو ببادئ الرأى كما هو معلوم من استقراء أمثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه اذ الفاء تأتى لغير التعقيب فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه أيضا لان ضمير احييناه للميت فكأنه قال أحيينا الميت وهذا فيه اجتماع الحياة والموت فتأمله (أخصب) من الخصب بكسر أوله وهو ضد الجدب (العيش) أى كثر قوت الآدميين والدواب (عندها) أى حليمة أو الشياه ويرجحه منها الآتى (بعد محل) أى شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ والزرع (اذ) أى ذلك الاخصاب وقت أو لاجل أن (غدا) أى صار (للنبى) الاعظم صلى الله عليه وسلم (منها) أى من الشاء (غذاء) بالمعجمة أى لبان يغذيه وبين غدا وغذاء الجناس السابق فى عنا وغناء (يالها) كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهى ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوى ترجوه ونظير هذا التعجب قوله فى البردة * ياطيب مبتدا منه ومختتم * فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل أو المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب وهذا فيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل وزعم ان يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قيل والتقدير يامتعجبا تأمل طيب مبتدئه ونظيره هنا يامتعجبا تأمل ما استقر لها (منة) تمييز أى نعمة منها عليه (لقد) اللام للقسم أو التأكيد (ضوعف الاجـ*ـر) أى كرر اثواب اذ تضعيف الشئ أن يزاد

(قوله ويجوز كونه حالا) أى بتقدير قد (قوله تشول) أى بذيلها (قوله وهذا فيه اجتماع) فيه نظر ظاهر اذ كيف يأتى هذا الايهام مع الحكم بوقوع الموت فى الماضى الذى هو مدلول كان ثم خلفه الحياة اذ المعنى أومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالهدى فالزمان مختلف البتة والحق المنافاة وأنه مساو لما فى النظم كما لا يخفى على المنصف على أن الذى أفاده الفاضل الدلجى فى شرح هذا الكتاب أخذا من كلامهم ان المطابقة هى الجمع بين معنيين متضادين لا بمعنى كونهما أمرين وجوديين يتعقبان على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل أعم منه بان يكون بينهما تناف وتقابل فى الجملة حقيقيا أو اعتباريا تقابل تضاد أو تناقض أو ايجاب وسلب أو ملكة وعدم ولا يخفى شموله لما فى النظم اهـ طبلاوى (قوله ويرجحه منها) قد يقال بل الاظهر كون حليمة مرجعا لان غذاءه صلى الله عليه وسلم منها بلا واسطة ومن الشاء بواسطتها (قوله الجناس السابق) تقدم انه المصحف المحرف الناقص والذى هنا المصحف الناقص فقط ثم راجعنا بعض شروح البديعيات فوجدنا المحرف ان تستوى الكلمتان فى الخط ويكون الشكل فارقا بينهما فيشمل اختلاف الشكل بالتشديد والتخفيف كما سبق واختلافه بالفتح والكسر كما هنا ومثلوا له بقول الحريرى وقلت للائمى أقصر فانى سأختار المقام على المقام أى مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام على المقام فى بلده فالاختلاف بين الكلمتين بفتح ميم الاولى وضم ميم الثانية فما ذكره الشارح من وجود الثلاثة هنا صحيح (قوله مردود) ذكر صاحب المغنى فى قوله الا يا اسجدوا ان بعضهم حمله على حذف المنادى وبعضهم على التنبيه فهو من جملة محالها (قوله والتقدير الخ) يقتضى ان المنادى عاقل محذوف وذلك ينافى قوله آنفا فالنداء الخ وقوله فيه مجاز التشبيه الخ ويجاب بان مراده ان طلب الاقبال عليه لا يكون حقيقة الا للعاقل فلا ينافى قوله والتقدير الخ وفيه نظر فحرر المقام والذى يظهر ان قوله وفيه مجاز التشبيه الخ ينافى قوله والتقدير الخ لان ما قرره فى التجوز يقتضى ان النداء واقع على النعمة المشبهة ولا يظهر لذلك معنى فى تركيب المتن وقوله والتقدير يقتضى ان المنادى محذوف عاقل والمعنى ظاهر عليه وقد علمت عدم منافاته لكون الكلمة للتعجب لانه بيان للمعنى لا للوجه الاعرابى فتأمل (قوله أى نعمة منها عليه) أى ظاهرا لكونها سببا فى غذائه بلبنها وأما فى نفس الامر فالمنة له عليها بكون الله تعالى سخره لها لترضعه اذ هو عليه الصلاة والسلام أصل وجود كل خير لكل مخلوق (قوله أو التأكيد) أى لمضمون الجملة التى بعدها ففى المغنى ان اللام غير العاملة من أقسامها لام الابتداء وذكر من فوائدها توكيد مضمون الجملة وأنها تدخل باتفاق فى موضعين الابتداء

عليه مثله أو أكثر (عليها) أى توالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى أو على تلك المنة أى لاجلها على حد قوله ولتكبروا الله على ما هداكم أى لاجل هدايته اياكم وحال كونه (من جنسها) كما علم من قوله فسقتها الخ (والجزاء) من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها وبنيها شيماها مع انها كانت وقت أخذه صلى الله عليه وسلم من أمه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل أن غذاءه كان من ألبانها أزال الله عنها المحل والجدب وأبدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ عن تسخير الله لها لهذا الفعل الجليل الصادر منها المنبئ عن سبق سعادتها (و) قد تقرر فى المعقول والمنقول أنه (اذا سخر) أى ذلل ووفق (الاله أناسا) لغة فى الناس (لسعيد) أى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه (فانهم) بسبب ذلك (سعداء) جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد وعينه وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولان المرء مع من أحبه من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح الحديث به ولان الارواح كما فى الحديث أيضا جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومن أعظم أجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها بل رد صلى الله عليه وسلم سبى هوازن اليه بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها ولذلك زاد فى اكرام بنتها الشيماء لما أعتقها من جملة من أعتق من سبيهم كما يأتى وهذا من فن البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول أبى الطيب

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وهو كثير فى كلام الناظم * وأصل ما ذكره بقوله أرضعته الى هنا ما رواه ابن اسحق وغيره من قولها بعدما قدمناه عنها آنفا ثم قدمنا أرض بنى سعد ولا أعلم أرضا أجدب منها فكانت غنمى تروح على شبعا غالبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى تؤمر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمى فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامى شبعا غالبنا فلم نزل نتعرف من بركته صلى الله عليه وسلم الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته * ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شيماها عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة فى قوله ضوعف بلغت مراتب كثيرة فقال (حبة) أى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها طى ذكر المستعار له لئلا يكون فى الكلام رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق فى صم بكم الآية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه الذى هو صم وقول البهاء السبكى انه استعارة

نحو لا ثم أشد رهبة وبعدان وتدخل على ثلاثة باتفاق الاسم والمضارع والظرف نحو ان ربى لسميع الدعاء ان ربك ليحكم بينهم وانك لعلى خلق عظيم وعلى ثلاثة باختلاف الماضى الجامد والماضى المقرون بقد والماضى المتصرف المجرد من قد أجازه الكسائى على اضمار قد نحو ان زيد العسى أن يقوم أو لنعم الرجل وان زيد القد قام وان زيد القام واختلف فى دخولها فى غير باب ان على شيئين الاول خبر المبتدأ المقدم نحو لقائم زيد الثانى الفعل المضارع نحو ليقوم زيد وقال أبو حيان فى ولقد علمتم هى لام الابتداء مفيدة لمعنى التأكيد ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وأن لا يكون اهـ ما ذكره فى المغنى باختصار وايضاح وبه تعلم ان قول الناظم لقد ضوعف على حد ما ذكره أبو حيان فتكون للتأكيد بدون تقدير قسم أو بتقديره فيصح اجتماعهما أى تقدير القسم والتأكيد خلافا لما اقتضاه ظاهر عبارة الشارح من التعبير باو (قوله ولان الارواح جنود مجندة) أخرجه البخارى ومسلم قال البيهقى سألت الحاكم أبا عبد الله الحافظ عن معناه فقال المؤمن والكافر لا يسكن قلبه الا الى شكله اهـ (قوله جنود مجندة) قال النووى جموع مجتمعة وأنواع مختلفة وأما تعارفها فقيل انه موافقة صفاتها التى خلقها الله عليها وتناسبها فى أخلاقها وقيل انها خلقت مجتمعة ثم فرقت فى أجسادها فمن وافق لصيقه ألفه ومن باعده نافره اهـ من بعض شروح البخارى ثم قال الخطابى فيه وجهان أحدهما أن يكون اشارة الى معنى التشاكل فى الخير والشر وان الخير من الناس يحن الى شكله والشرير يميل الى نظيره فالارواح انما هى تتعارف بضرائب طباعها التى جبلت عليها من الخير والشر فاذا اتفقت الاشكال تعارفت وتألفت واذا اختلفت تنافرت وتناكرت * والآخر انه روى ان الله خلق الارواح قبل الاجساد وكانت تلتقى فلما التبست بالاجسام تعارفت بالذكر الاول فصار كل منها انما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد المتقدم (قوله توفيقها للاسلام) قال السيوطى فى الخصائص الصغرى قال بعضهم ولم ترضعه مرضعة الا أسلمت قال ومرضعاته أربع أمه وقد ورد احياؤها وايمانها فى حديث وحليمة السعدية وثويبة وأم أيمن وقد تقدم ذلك

(قوله وهى مجتمع الحب) قال البيضاوى فى قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم الآية أى مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف أنبتت أسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب المنفق اخلاصا وتعبا ومن أجل ذلك تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب اه (قوله والعصف) قال البيضاوى فى قوله والحب ذو العصف والريحان ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعنى المشموم وفى الخازن ان العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويبس (قوله لبلوغه سنتين) فيه ان كلام الناظم انما هو فى اتيان ثان بعد بلوغه سنتين وشهرين أو ثلاثة بقرينة قوله اذا حاطت به الخ وأما المقيد بسنتين انما هو فى الاتيان الاول الذى رد صلى الله عليه وسلم فيه على حليمة لطلبها الذلك كما سيأتى بسطه فى قولنا وفى الشرح (قوله أضلته) أى أضاعته فلم تعرف موضعه (قوله وبها من فصاله الخ) لا يخفى ان مجرد فطامه لا يترتب عليه تألم وانما يترتب على بعده عنها ويجاب بان الفطام يلزمه البعد عنها لاخذ أهله له فتألمها ناشئ عما تعلمه من هذا اللازم (قوله فرداه الخ) غير ظاهر لان الرد انما كان فى الذهاب به لهما أولا عقب تمام السنتين وكلام الناظم انما هو فى ذهابها به بعد أن مكث عندها شهرين أو ثلاثة بعد رده لان احاطة ملائكة الله به انما هو فى هذه المرة الثانية ولم يرداه بل أخذاه ولذا قال فارقته وصرح بذلك الشارح نفسه فى شرح قوله ولا الافضاء فتأمل (قوله لكن سياقه يدل عليه) فيه ان ما دل عليه من السياق كقوله وقد فصلته غير صريح فى هذه الدلالة فيمكن ان يريد ومضى بعد فصاله شهران أو ثلاثة فلا يترك لاجله الصريح من سياقه فى عدم الرد كقوله اذ أحاطت الخ وما هو الى الصراحة فى ذلك أقوى كقوله فارقته كرها (قوله من ارسال المثل) وهو الاتيان فى بعض البيت بما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت أو نحوهما كقول أبى الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل فى العينين كالكحل

وكقول الصفى الحلى فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقول الشارح أو هو حكمة الخ من جملة ارسال المثل كما علمت من بيان حقيقته فكيف يعطف الحكمة المقتضى انها مغايرة له

رأى مخالف للجمهور فلا يعول عليه كحبة وأشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء ليبين أنه ليس من التشبيه البليغ لان شرطه أن لا يذكر وجه الشبه بقوله (انبتت سنابل) كثيرة جمع سنبلة وهى مجتمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين أن العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف (والعصف) أى والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن (لديه) أى عنده (يستشرف) أى يتطلع (الضعفاء) أى حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونها (و) بعد أن انتهى أمد رضاعه ببلوغه سنتين (أتت) به (جده) عبد المطلب الذى فى الرواية الآتية أمه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل أو لان أمه ما كانت تفعل شيأ الا بعد مشاورة جده نعم فى سيرة ابن هشام ان حليمة رضى الله عنها لما أتت به مكة أضلته فى الناس فأتت جده وأخبرته بذلك فدعا الله حتى وجده (و) الحال انها (قد فصلته) أى فطمته (و) الحال انه قد لحق (بها من) أجل (فصاله) أى فطامه (البرحاء) أى التألم الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها (اذ) أتت به وقت أو لاجل انه (أحاطت) أى أحدقت (به ملائكة الله) لاجل شق قلبه الشريف الآتى وهذا ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية أنهم اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة (فظنت) حليمة (بأنهم) الباء زائدة (قرناء) أى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من تبعته (ورأى) جده وأمه حين ردته اليهما (وجدها) أى شدة محبتها له صلى الله عليه وسلم وتعلقها (به) فرداه معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتى فى الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه (و) هى للحال المبينة لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها (من) أجل (الوجد) الذى بها (لهيب) أى نار (تصلى) أى تحترق (به الاحشاء) جمع حشى وهو ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استئنافية فى ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل أو هو حكمة مفيدة ان شأن الوجد انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثى لحالها

لحالها وأطفأ نار ذلك الوجد برده اليها (فارقته) بدل من أتت (كرها) أى حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها (و) الحال انه (كان لديها) أى عندها (ثاويا) أى مقيما (لا يمل) بالبناء للمجهول (منه) متعلق بقوله (الثواء) وهو الاقامة فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق أى لا تمل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس * ولما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضاره لجده وامه المذكور آنفا ولذلك أبدل من قوله أحاطت قوله (شق عن قلبه) بالكيفية الآتية فى القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استئناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع وما بعده مما يأتى ويؤيده انه ذكر فى قصته أشياء ككون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة شقه عقب الرضاع بل فى شقه الذى بعد ذلك كما يعلم بتأمل كلام الناظم مع القصة الآتى بسطها وهو أعنى القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو أخص من الفؤاد قاله الواحدى والذى فى الصحاح انهما مترادفان قال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وأرق افئدة وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفوده أى توقده والقلب مشتق من التقلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه كما فى الحديث ومثل هذا القلب كمثل

(قوله فارقته) فيه انها لم تفارقه وانما ردته اليها كما علمت آنفا ويجاب بانها بعد رده عليها ومكث عندها شهرين أو ثلاثة خافت عليه وزوجها بسبب ما علماه من شق صدره ولم يعلما انه أمر الهى وظنا أنه من الشيطان فرجعا به الى أمه وتركاه عندها كما سيأتى فى الشرح بابسط عبارة فيحتمل ان الناظم أراد مفارقته فى هذه المرة الثانية وهذا الاحتمال ظاهر بقوله اذ احاطت ويحتمل ان ذلك فى المرة الاولى والمراد بفارقته ظنت المفارقة لكن ينافيه ما علمت من قوله اذ أحاطت الخ لان المرة الاولى لم تحصل فيها هذه الاحاطة تأمل (قوله كرها) الكره بالضم المشقة وبالفتح الاكراه يقال قام على كره أى على مشقة وأقامه فلان على كره أى أكرهه على القيام وقال الكسائى هما لغتان بمعنى واحد مختار وفى القاموس الكره ويضم الاباء والمشقة أو بالضم ما أكرهت نفسك عليه وبالفتح ما أكرهك غيرك عليه كرهه كسمعه كرها ويضم وكراهة وكراهية بالتخفيف ومكرهة وتضم راؤه اه (قوله أى حال كونها ذات كراهية) فيه ان الكراهية لم يذكرها فى المختار ولا القاموس من معانى الكره ولعل الشارح ذكر لازم الكره بمعنى المشقة اذ يلزم من المشقة الكراهية وعدم الرضا (قوله شق عن قلبه) أى شق بطنه عن قلبه فأخرج ثم شق (قوله فى زمن الرضاع) فيه انه لم يقع شئ الا بعد الفطام بشهرين أو ثلاثة ويجاب بان المراد فى قرب زمن الرضاع وسيشير لذلك فى قوله عقب الرضاع فافهم وحاصل مرات الشق التى ثبتت أربع عقب رضاعه وبعد بلوغه نحو عشر سنين وعند مجئ جبريل له بالوحى بغار حرا وليلة الاسراء كما سيأتى ذلك فى الشرح (قوله ويؤيده الخ) قد تتبعت كلام الشارح فيما يأتى فلم أجده صرح بجبريل الا فى شق صدره عند مجيئه بالوحى وهو فى غار حرا ولم يذكر فى هذه المرة من مرات الشق الاربع ان جبريل ختم ولم يذكر الشارح الختم الا فى شق صدره بعد فطمه فان كان الخاتم من الملائكة الثلاثة جبريل رد كلامه هنا وان كان غيره فانظر فى أى مرة من مرات الشق الباقية ختم جبريل ليصح كلامه هنا فاننا تأملنا كلام الناظم مع القصة الآتية فلم نرها ذكر الختم الا فى المرة الواقعة بعد فطمه والحق ان جبريل هو الخاتم فى مرة شق صدره عقب الرضاع كما صرح به الشارح نفسه عند قوله صان اسراره الختام حيث قال الواقع من جبريل فاذكره هنا مردود (قوله بالنياط) هو عرق علق به القلب يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه (قوله والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب) الظاهر أن هذا غير قول الشارح قبله القلب مضغة فى الفؤاد بان يكون كل منهما داخل الغشاء والقلب جزء من داخل الفؤاد تأمل (قوله ألين قلوبا) الذى فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا قال صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن هم أضعف الناس قلوبا وارق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروى انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تأويلان أحدهما الفرح لتتابع اسلامهم أفواجا الثانى ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه باهل اليمن وهم الانصار وقوله أضعف قلوبا أى أسرع فهما وانفعالا للخير ٢ وليراجع قوله فرح ربكم هل هو بالجيم أى الذى أزال به الشدة بتتابع الاسلام أو بالحاء المهملة أى السرور الذى خلقه ربكم بكثرة المسلمين لاجل قمع الكافرين (قوله مشتق من التقلب) أى مأخوذ والا فالتقلب ليس فعلا ولا وصفا وقد قرروا ان الاخذ أوسع دائرة من الاشتقاق (قوله كما فى الحديث) وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك وكان اذا اشتد اليمين قال لا ومقلب القلوب اه دنوشرى

٢ (قول المحشى وليراجع قوله فرح ربكم لعل ذلك وقع فى رواية غير التى ذكرها المحشى)

ريشة ملقاة فى فلاة يقلبها الريح بطنا لظهر (وأخرج منه) أى القلب (مضغه) أى قطعة لحم قدر ما يمضغ (عند غسله) ظرف لأخرج (سوداء) صفة لمضغة وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم أخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها نقص فى البدن وأيضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه صلى الله عليه وسلم بدونها ويأتى فى رواية صحيحة انه أخرج منه علقتان سوداوان ولا ينافى ماذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما يأتى فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم أخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة فى تطهيره صلى الله عليه وسلم وتكريمه وذلك يستدعى استقصاء تنظيف جوفه صلى الله عليه وسلم (ختمه) أى ذلك الشق المفهوم من شق وهى استئنافيه أو معطوفة على شق بحذف حرف العطف أى ثم بعد شقه لأمته واعادته الى ما كان عليه (يعنى) جبريل عليه الصلاة والسلام (الامين) على كتب الله ووحيه (و) الحال ان ذلك القلب الكريم (قد أودع) حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية (ما) أى الذى أو شيأ (لم تذع) بضم التاء وكسر الذال المعجمة أى تنشر (له) اللام زائدة أى مالم تنشره وتحيط به (انباء) أى أخبار لانه لا يعلمه الا موليه والمتفضل به عليه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم جعل الله القلب فى الانسان هو الذى يعقل عنه وهو أصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التى يودعها قلب من يشاء فأول قلب أودعها قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول خلق وصورته آخر صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو صلى الله عليه وسلم أولهم وآخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى (صان) أى حفظ (اسراره) التى أودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك (الختام) الواقع من جبريل عليه الصلاة والسلام وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين أو نحوه وبينه وبين ختمه جناس الاشتقاق (ف) بسبب هذه الصيانة (لا الفض) أى الكسر بالتفرقة (ملم) أى واقع (به) أى بذلك الختم (ولا الافضاء) أى الاشاعة واقعة لذلك السر وبين الفض والافضاء التجنيس المطلق وهو فيه فى قيصر وقصور زيادة ويجرى ذلك فى قوله يعنى الأمين * وأصل قوله وانت جده الخ قول حليمة رضى الله تعالى عنها بعد ماقدمته عنها كما فى السير عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب شبا بالا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شئ على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفى بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ماشأنك قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به صلى الله عليه وسلم معنا فقال أبوه

(قوله مضغه) هى المعبر عنها بالعلقة فى الحديث (قوله لأمته الخ) ظاهره ان هذا معنى ختمه وانه لا آلة قد ختم بها وسيأتى انه ختم بها فالمراد لأمته بعد ختمه بالآلة النورانية كما سيأتى لكن هذا الختم بالآلة المذكورة انما هو فى مرة الشق قرب زمن الرضاع وقد سبق للشارح ان جبريل لم يختم فيها وقد تقدم الكلام فى ذلك وقد يجاب بان التمامه واعادته من الملك الثالث والختم بالآلة من الثانى كما سيأتى فى رواية أبي يعلى فاذا كان الثالث هو جبريل وافق كلام الشارح هنا وفيما سبق لكنه سيصرح فى شرح صان اسراره الختام ان الختم واقع من جبريل (قوله أى أخبار) قال الراغب النبأ الخبر ذو الفائدة الجليلة يحصل به علم أو ظن غالب وحق الخبر الذى يسمى نبأ أن يتعرى عن الكذب (قوله صان اسراره الختام) قال الجوجرى وضمير اسراره يجوز ان يكون للنبى ويجوز ان يكون للقلب ويجوز جعله للامين وجملة فلا الفض ملم به مؤكدة لجملة صان اسراره الختام (قوله وهو ما يختم به الخ) بيان أصل معناه والمراد به هنا كما سيأتى فى الشارح آلة من نور يحار الناظر دونها (قوله لا الفض ملم به) راجع للختام وقوله ولا الافضاء راجع للاسرار المصونة بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب كما أشار اليه الشارح والمراد بكون الافشاء غير حاصل لتلك الاسرار أى على سبيل الاحاطة والا فبعضها قد أشيع كما لا يخفى (قوله يشب) بكسر الشين فهو من باب ضرب (قوله جفرا) أى قويا على الاكل (قوله مع أخيه) أى واتراب له من الصبيان بقرينة الرواية الآتية

يا حليمة

والاتراب جمع ترب وهو المساوى فى السن (قوله لفى بهم) البهم جمع بهمة وهى أولاد الضأن اسم للمذكر والمؤنث والسخال أولاد المعز اه صحاح والبهام جمع بهم (قوله يشتد) أى يعدو (قوله رجلان) لا ينافى الرواية الآتية انهم رهط ثلاثة لانه نظر الى من باشر الاضجاع والشق والغسل والختم واخراج العلقة السوداء ومن وقع منه ذلك اثنان من الثلاثة ولم ينظر للثالث الذى وقع منه امرار اليد على الشق للالتئام وأما الرواية الآتية فنظر فيها اليه فتأمل

يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى أمه فقالت ما رد كما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاختلاف والأحداث فقالت ماذاك بكما فاصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما وفى حديث عند أبى يعلى وأبى نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا فى بنى ليث بن بكر فبينا أنا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان فاذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ممتلئ ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هربا مسرعين الى الحى فعمد أحدهم فأضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا انظر اليه ولم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح عنه ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى وأنا انظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال أى اشار بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى انهاضا لطيفا الحديث وفى رواية عند البيهقى ان أحد الثلاثة فى يده ابريق من فضة وبيدى الثانى طست من زمردة خضراء وورد فى خبر التابوت المذكور فى الآية أنه كان فيه الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به صلى الله عليه وسلم قيل وانما يسلم هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص به كما مر فالحكمة انه من جملة علامات النبوة ولذا شاركه فيها غيره على أن هذه الكيفية المذكورة فى شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما مع تكرار الشق لان الوارد فيهم عليهم الصلاة والسلام مجرد غسل قلوبهم وهذا لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركها العقل وروى الشق أيضا وهو ابن عشر سنين أو نحوها مع قصة له مع عبد المطلب أبو نعيم فى الدلائل ورواها عبد الله ابن الامام أحمد فى زوائد مسند أبيه بلفظ قال أبو هريرة يارسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة امشى ابن عشر حجج اذ أنا برجلين فوق رأسى يقول احدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأخذانى فأضجعانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبى فقال أخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال أدخل الرحمة والرأفة قلبه فأدخل شيأ كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه فذر عليه ثم نقر ابهامى ثم قال اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير وروى خامسة ولا تثبت وحكمة شق صدره الشريف فى حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره عن نقائص الصبا ليكون حينئذ على أكمل صفات الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم على أكمل الاحوال قال بعض الأئمة ولعل هذا الشق كان سببا لاسلام قرينه المروى عند البزار أو اشارة الى حظ الشيطان المباين له كالعفريت الذى أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه وأما قول الرازى وقوعه فى حالة الطفولية مشكل لانه معجزة وهى لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذى عليه أكثر أهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدى فمردود بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظائر ذلك كثيرة

(قوله كنت مسترضعا الخ) وقد سبق أن الشق انما وقع بعد فطامه بشهرين أو ثلاثة ولم يثبت وقوع شق زمن الرضاع (قوله طست) باهمال السين واعجامها والجمع طساس وطسوس وطسات قال السيوطى فى المزهر (٤٧) وطست جمعه طساس بالسين لانها الاصل وأبدلت فى المفرد تاء لاجتماع سينين فى آخر الكلمة فكره للاستثقال فاذا جمع ردت لفرق الالف اى أو الواو بينهما اه (قوله فعمد) من باب ضرب بمعنى قصد أى عمدنى قال فى المختار وعمد للشئ قصد له أى تعمد وهو ضد الخطا (قوله مفرق) بفتح الراء وكسرها أى أعلى صدره (قوله فختم به على قلبى) وهذا غير خاتم النبوة الذى على أعلى كتفه الايسر فلا يعارض ما ذكره هنا ما سيأتى فى التنبيه الثانى (قوله فامتلأ الخ) ظاهره ان الامتلاء عقب الختم والروايات قاضية بان الامتلاء قبل الختم (قوله فأمر يده الخ) ظاهره عدم احاطة الشق لكن سيأتى فى التنبيه الثانى عن أنس كنت أرى أثر المخيط فى صدره فيحمل ما هنا جمعا بين الروايتين على ان الامرار بعد الخياطة لزيادة الالتئام والبرء ببركة مس اليد أو ان فى بعض مرات الشق لم يكن خياطة وحصل الالتئام بمر اليد على الشق وفى بعضها خياطة وجاء فى رواية انه ذر على الشق ذرور فلعله فى بعض مراته أيضا تأمل (قوله من زمردة) لينظر التوفيق بين هذه الرواية ورواية من ذهب فان ثبت ان الثالث كان بيده طست من ذهب انتفى التعارض (قوله من جملة علامات النبوة) المشهور ان الذى من علامات النبوة الختم الذى على أعلى كتفه الايسر لا الختم على قلبه فحرر (قوله لحلاوة القفا)

قال في الصحاح ووقع فلان على حلاوة القفا بالضم أي على وسط القفا وكذلك على حلاوى القفا وحلواء إذا فتحت مددت وإذا ضممت قصرت (قوله من القول الثقيل) أي القرآن فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته انتهى بيضاوي (قوله ثغرة) بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين (قوله بذبح الموت) هذا مبني على أن الموت عرض لا جسم وقد وردت آثار تصرح بأنه جسم لا عرض أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة قال الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح وقال مقاتل والكلبي خلق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على أحد إلا حيي وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله الموت كبشا أملح مستترا بسواد وبياض له أجنحة أربعة جناح تحت العرش وجناح في الثرى وجناح في المشرق وجناح في المغرب قال له كن فكان ثم قال ابرز فبرز الموت لعزرائيل وبهذه الآثار علم أن الموت جسم خلق في صورة كبش لا عرض واتضح ما ورد في حديث الصحيحين يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكل قد رآه هذا الموت فيذبح زاد أبو يعلى في روايته عن أنس كما تذبح الشاة والأملح المختلط بياضه بسواد كما سبق عن وهب (قوله في هوة) الهوة بالضم الوهدة العميقة (قوله مقدمات ذبح) وهي انقياده وانقياد أبيه لذبحه وتله أي إضجاعه صلى على جنبه ووضع جبينه بالأرض كما ذكره الله في كتابه العزيز بقوله فلما أسلما وتله للجبين وما زاد على ذلك ليس مذهب أهل السنة ولم يثبت وإن أكثر منه كثير من المفسرين كالخازن (قوله وبتقديره) أي الذبح ما ذكره عن المعتزلة ليس على تقدير الذبح وإنما فيه مجرد الإضجاع وإمرار السكين على حلقه ولم تقطع والذبح الذي هو قطع الحلقوم لم يقولوا به وقوله ثانيا وبتقديره أي القطع فذلك الخ (قوله أنه صبر الخ) أو معناه ما شق عليه مشقة عظيمة ويدل له قول الشارح قريبا نوع مشقة

قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك * (تنبيه أول) * ثبت شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه الصلاة والسلام له بالوحي وهو صلى الله عليه وسلم بغار حرا كما يأتي وممن رواها الطيالسي والحرث في مسنديهما وكذا أبو نعيم ولفظه أن جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قالا له اقرأ باسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوي على ما يلقى إليه من القول الثقيل بقلب قوي في أكمل أحوال التطهير وثبت مرة أخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن أنكرها ليلة الإسراء ففي البخاري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل أن يخرج به إلى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره إلى عانته فاستخرج قلبه فغسل في طست من ذهب أي لأن تحريم الذهب إنما كان بعد على أن الغالب في أحوال تلك الليلة أنه من أحوال الغيب فيلحق بأحكام الآخرة مملوءة حكمة وإيمانا ثم حشي وتجسم المعاني جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم أعيد وحكمة هذا الشق التهيؤ للرقي إلى الملأ الأعلى والتقوي على استجلاء ما شاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق وإخراج القلب وغيرهما يجب الإيمان به وإن كان خارقا للعادة ولا يجوز لنا تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة المكفرين عند أكثر العلماء في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن الأعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله هؤلاء ومن تبعهم وقد رمي إبراهيم صلى الله عليه وسلم في النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لإسماعيل عليه الصلاة والسلام فإنه من مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو رأي أهل السنة وبتقديره الذي ذهب إليه المعتزلة أنه أضجعه وأمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئا وبتقديره فذلك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم إخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الأول نوع مشقة لرواية فأقبل وهو منتقع اللون أي صار كلون النقع أي الغبار وهو شبيه بألوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه أنه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة أنه بعد ما فطم مع انفراده عن أمه ويتمه من أبيه واختطافه من بين الأطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي رواية أنه غسل ليلة الإسراء بماء زمزم أي لأنه يقوي القلب ويسكن الروع وأخذ البلقيني من إيثار الملك له على ماء الكوثر أنه أفضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه بما لا يجدي كما بينته في شرح العباب وفي وضع الإيمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه أكثر أهل السنة أن العقل في القلب كما دلت عليه الآيات لا في الدماغ * (تنبيه ثان) * قال القاضي عياض رحمه الله تعالى خاتم النبوة أثر شق الملكين بين كتفيه وأبطله النووي رحمه الله تعالى بأن شقهما كان في بطنه وصدره أي كما في الروايات ومن ثم صح عن أنس رضي الله تعالى عنه كنت أرى أثر المخيط في صدره

صلى الله عليه وسلم فالصحيح أو الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون مضمومة وقد تفتح فمعجمتين أعلاه ورواية الايمن ضعيفة قيل ولد به صلى الله عليه وسلم وروى أبو نعيم انه جعل عقب ولادته صلى الله عليه وسلم والذى فى حديث البزار وغيره عن أبى ذر يارسول الله منى علمت انك نبى وبما علمت حتى استيقنت قال أتانى اثنان وفى رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فأخرج قلبى فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء أى الثوب الذى يتغطى به ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وولياعنى فكأنى أرى الامر معاينة وعند الامام أحمد وصححه الحاكم استخرجا قلبى فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتنى بماء وثلج فغسلا به جوفى ثم قال ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة ﴿تنبيه ثالث﴾ اختلفت الروايات فى كيفية تشبيه ذلك الخاتم على أنواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة سلعة شئ يختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة فى اللحم شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة أى البشخانة وزعم انها هنا هى الطائر المعروف وزرها بيضها مردود قال المحققون ولا اختلاف فى الحقيقة بل كل شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مرادها واحد وهى قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قلل قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كجمع الكف أى على هيئته لكن أصغر منه ويشكل عليه رواية محتفرة فى اللحم ويجاب بانه يحتمل ان حواليه احتفارا يزداد ظهورها وتميزها عن الجلد وفى المستدرك عن وهب ان شامات الانبياء فى أيمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم * (فائدة) * أخرج البيهقى والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضى الله تعالى عنهما قلت يارسول الله دعانى الى الدخول فى دينك أمارة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال انى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته أى سقطته حين يسجد تحت العرش قال البيهقى تفرد به مجهول وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن فى المعجزات حسن وبفرض صحة الاول هو من حيز الضعيف وهو يعمل به فى المناقب قال بعض حفاظ المتأخرين اتفاقا كالفضائل انتهى وقس على ذلك كل حديث ورد فى المناقب ولم يعارضه غيره مما هو مقدم عليه فاستحضر ذلك عند رؤيتك لكل حديث ضعيف وجدته فى المناقب فان هذه القاعدة مما يعظم نفعها جدا ويجهلها أكثر المحصلين ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره صلى الله عليه وسلم ذكر حكم نشأته صلى الله عليه وسلم فى حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الآتى نتيجة ما أودعه الله فى قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات فقال (ألف النسك والعبادة) عطف تفسير أى اعتادهما واستمر عليهما (والخلوة) عن الناس فى حال كونه (طفلا) فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل وعليه قيل كان يتعبد الهاما من الله تعالى ولانه لو تعبد بشرع احد لظن انه من اتباعه ولاحتج أهله به وعليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل

(قوله كان عند نغض كتفه الايسر) وقد ورد انه رفع عند موته (قوله الملاء) الملاءة بالضم ممدود الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين والجمع ريط ورياط وجمع ملاءة ملاء من غير هاء فقول الشارح أى الثوب حقه الثياب (قوله وجعل الخاتم بين كتفى) هذا يرد القول بانه ولد بالخاتم وفى الدلائل لابى نعيم انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت أمه ان الملك غمسه فى الماء الذى أنبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب به على كتفه كالبيضة المكنونة تضىء كالزهرة شرح البخارى للقسطلانى (قوله وختم عليه بخاتم النبوة) ظاهره على القلب فتنافى هذه الرواية رواية أبى ذر فان عاد الضمير للنبى وان كان بعيدا انتفى التنافى يعنى وختم على كتف النبى (قوله مردود) أى لان الزر لم يأت بمعنى البيض وحمله على الاستعارة تشبيها لبعضها بازرار الحجال انما يصار اليه ان ورد ما يصرف اللفظ عن ظاهره واما اذا لم يرد ذلك فلا ينبغى صرفه عن ظاهره المتبادر الى هذا الخفاء البعيد ورواية كبيض الحمام لا تؤيد ذلك الصرف خلافا لمن زعمه انتهى من شرح الشمائل للشارح (قوله اذا قلل قيل كبيضة الحمام) فيه ان البندقة التى قيل بها أقل فكان الظاهر أن يقول اذا قلل قيل كالبندقة (قوله كجمع) بضم الجيم واسكان الميم وحكى كسر الجيم والمراد صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضم (قوله مبينا الخ) أى بقوله واذا حلت الهداية الخ لان المراد بها الوصول المرتب على القاء الحكمة والعلم والسكينة فيه بعد شقه (قوله واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله) قال شيخ الاسلام فى حاشية شرح جمع الجوامع للمحلى محل اختلافهم فى فروع اختلفت فيها الشرائع اما الاصول التى اتفقت عليها الشرائع كالتوحيد ومعرفة الله تعالى وصفاته فلا خلاف فى التعبد بها لجميع الانبياء لان دينهم واحد انتهى

موسى وقيل عيسى ومعنى أن اتبع ملة ابراهيم أى فى التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به الداعى ببعثته مع مدحه له بانه صاحب الكتاب والحكمة البالغين من كمال التزكية مالم يبلغه كتاب غيره على ان المراد فى كيفية الدعوة من الرفق والحلم الذى لم يوجد كماله الا لابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وغايته الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمر باتباع الكل فى فبهداهم اقتده مع اختلاف شرائعهم ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول فتعين ان المراد أصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذى فى الآية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القائلين بأنه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى أنه أمر باتباعه فيما لم ينزل عليه فيه شئ فأمره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان يألفه ويعمل به قبلها والا فكيف يؤمر باتباع مالم يعرفه قال السراج البلقينى ولم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حراء شهرا فى كل عام من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته صلى الله عليه وسلم كانت الذكر والفكر مع اكثاره للخلوة والانفراد عن الناس بحراء وغيره (وهكذا النجباء) أى ومثل هذا الشان العلى شأن الكرام الكمل فما بالك بأكملهم وسيدهم على الاطلاق ويليه فى ذلك أبوه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تعالى منتظر الفرج مولاه فان انتظاره عبادة كما فى الحديث وفى البيت من أنواع البديع ثانى أقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بأن تتناسب معانيها اذ النجابة اخره يناسبها الف ماذكر لانها السبب فى ذلك وثالث أقسامه أيضا وهو مناسبة اللفظ للمعنى فى الرقة والسهولة أو الشدة والصعوبة ومنه حديث ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر فأتى من أوصاف أهل الجنة بما يناسب حالهم فى الرقة والانكسار ومن أوصاف أهل النار بما يناسب حالهم فى الشدة والغلظة والاباء والترفع عن قبول الحق وألفاظ البيت تناسب معناه فى السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل عليها للتأكيد وهو ضربان أحدهما وهو ما هنا ماخرج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور كما مر (و) انما كان هذا شأن النجباء من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم صالحى اممهم لما هو

(قوله ومعنى ان اتبع الخ) أى على القول بتعبده بشرع غير ابراهيم بناء على هذا القول الضعيف (قوله وخص الخ) جواب عما يقال ان غير ابراهيم مثله فى ذلك فما وجه تخصيصه بالامر بالاتباع (قوله الداعى الخ) أى بقوله كما حكاه الله عنه فى كتابه العزيز ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (قوله على ان المراد) أى ونجرى فى الجواب زيادة عما سبق على ان الخ ولو قال أو فى كيفية الخ عطفا على فى التوحيد لكان أوضح (قوله والذى فى الآية بعدها) أى ومعلوم أن له شرعا أنزل عليه مأمورا باتباعه فلا يتوهم انه من اتباع سيدنا ابراهيم ولا يحتج أهل شرعه بما سبق (قوله الى حراء) بكسر الحاء والمد وحكى الاصيلى فتحها والقصر وعزاها فى القاموس للقاضى عياض ويمنع من الصرف ان أريد البقعة ويصرف ان أريد المكان وقباء كذلك أى فيهما ماذكر فى حراء (قوله والظاهر الخ) أى ليس تنسكه قاصرا على تنسك الجاهلية بل كان يزيد عليهم بالذكر والتفكر وان أوهم كلام الشارح اقتصاره عليهما فانه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق فيكون اطعامه لمن جاءه ممن ذكر أبلغ من اكرام غيره (قوله النجباء) جمع نجيب وهو الكريم المصطفى ونجب كظرف وانتجبه اختاره واصطفاه (قوله كل ضعيف) برفع كل لا غير أى هم كل ضعيف عن أذى الناس أو عن المعاصى ملتزم الخشوع والخضوع وقوله متضعف قال النووى فى شارح مسلم بفتح العين وكسرها والمشهور الفتح ولم يذكر الاكثرون غيره ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجرؤن عليه لضعف حاله فى الدنيا وقال وأما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل (قوله ذى طمرين) تثنية طمر وهو الثوب الخلق والجمع أطمار (قوله ألا أخبركم بأهل النار الخ) وفى الحديث ان رجلا قال يارسول الله من أهل النار قال كل شديد قعبرى قيل يارسول الله وما القعبرى قال الشديد على الاهل الشديد على العشيرة الشديد على الصاحب انتهى هروى فى غريبه ومنه أيضا فى الحديث أهل النار كل جظ قيل يارسول الله وما الجظ قال الضخم (قوله كل جعظرى) قال الهروى فى الغريبين الجعظرى الفظ الغليظ وفى رواية أخرى هم الذين لا تصدع رؤسهم ويقال رجل جعظرى وجعظار وجعظارة وهو الذى يتنفخ بما ليس عنده وفيه قصر والجواظ الذى جمع ومنع (قوله أحدهما الخ) والثانى تعقيب الجملة بأخرى تحققها ولا تزيد على المعنى الاول وانما هى لمجرد التأكيد ولم تجر مجرى المثل كقول بعض العرب ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل كذا فى بعض شروح البديعيات (قوله ماخرج مخرج المثل) أى ليتحقق به ماقبله لما يتضمن من زيادة المعنى

المستقر المعلوم انه (اذا حلت الهداية) وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط ومن الاول انك لا تهدي من أحببت أي لا توصله ومن الثاني وأما ثمود فهديناهم أي دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك (قلبا نشطت في العبادة الاعضاء) لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي مرت نظائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة رضي الله تعالى عنها لما ردته الى امه وجده كان في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما أشار الى ذلك الناظم بقوله ألف النسك الخ ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل اثنتي عشرة وشيأ وبين ذلك أقوال أخر ماتت أمه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته أم أيمن وأخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما رأى دار التابعة قال ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني النجار وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون الي قالت أم ايمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت به أمه ماتت بالابواء وفي رواية انها دفنت بالجون وفي أخرى في بعض دور مكة كما في القاموس وحضنته بعدها أمته أم ايمن بركة ثم مات جده كافله وله ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل فقيل ست وقيل ثلاث فكفله عمه أبو طالب شقيق والده وأخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم في سنة قحط فقالت قريش يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن انجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذ أبو طالب الغلام وألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى أخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه أسر اليه الاسلام عند موته ويوافق ذلك أيضا ما في رواية البيهقي الآتية لله در أبي طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق على صحتها ترد ذلك وهي أكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر أن انشاءه لها كان بعد المبعث وقد يجمع بأنه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث ثم رأيت في شرح المنهاج للدميري في باب الاستسقاء عن الطبراني وابن سعد أن عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب يمدحه صلى الله عليه وسلم * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * البيت وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى به أبو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المتخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان أولها انهم

(قوله نشطت) نشط كسمع (قوله كلاءة الله) كلأه الله يكلؤه مثل قطع يقطع كلاءة بالكسر والمد حفظه انتهى مختار (قوله التابعة) قال الشامي في سيرته بالتاء المثناة والباء الموحدة والعين المهملة (قوله بالابواء) تقدم في الشرح أنه محل قريب من رابغ انتهى (قوله بالجون) جبل بمكة (قوله عرفطة) بضم العين واسكان الراء وبفاء مضمومة وطاء (٥١) مهملة مفتوحة ثم تاء التأنيث وهي في الاصل شجر من العضاه الواحدة عرفطة سمي بها عرفطة بن الحباب الصحابي قاموس (قوله كأنه شمس دجن) الدجن الباس الغيم السماء (قوله أغيلمة) اعلم أن المفرد غلام وهو الطار الشارب والكهل ضد أو من حين يولد الى أن يشب والجمع أغلمة وغلمة وغلمان وهي غلامة انتهى من القاموس فقياس التصغير غليمة تصغير غلمة بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام فقول الشارح في تصغيره أغيلمة شاذ كما صرح به الاشموني في شرح قول الخلاصة وحائد عن القياس كل ما خالف الخ (قوله وما في السماء قزعة) قال في الصحاح القزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة (قوله وأغدق) أي كثر قال في القاموس وأغدق المطر واغدودق كثر قطره (قوله ويوافقه الخ) قال القرطبي في المفهم وكان أبو طالب يعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يقوله ويقول لقريش تعلموا والله ان محمدا لم يكذب قط ويقول لابنه علي اتبعه فانه على الحق غير أنه لم يدخل في الاسلام ولم يزل على ذلك حتى حضرته الوفاة فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم طامعا في اسلامه وحريصا عليه باذلا في ذلك جهده مستفرغا ما عنده ولكن عاقت عن ذلك عوائق الاقدار التي لا ينفع معها حرص ولا اعتذار فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله انتهى (قوله وهي أكثر من ثمانين بيتا) قال العيني في شرح البخاري وهي مائة بيت وعشرة أبيات

أمر وابا ستلام الركن ثم برقى أبى قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبى صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم عليه ففعل فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين الهيتمى شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الزين العراقى عن رواية الطبرانى فى سندها رجال لا أعرفهم أى لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب كما مر آنفا على ان صاحب الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابى وغيره يوافقانها وحينئذ تعين الجمع بما ذكرته وأما الثانى فكون أبى طالب هو الذى أنشأ ذلك البيت هو ما درج عليه أئمة السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلى فى روضه أمرا مقررا ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الآتى ردهما وأما قول الدميرى انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب الوهم انه فى آخر قصة عبد المطلب ان رفيقة بنت أبى صيفى بن هاشم وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أو اليقظة لما تتابعت على قريش سنون أهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث قد أظلتكم أيامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب ثم أمرهم أن يستسقوا به وذكر قصة يطول شرحها وحاصلها امام فلما قصت الرؤية وهى الرائية المذكورة فى القصة انشأت تمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرها

مبارك الوجه يستسقى الغمام به * مافى الانام له عدل ولا خطر

فكأن الدميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصة عبد المطلب التى رواها الطبرانى وهو يشبه بيت أبى طالب اذ فى كل استسقاء الغمام به وهو المقصود توهم ان بيت أبى طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين أحدهما نسبته هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرفيقة والحكم عليه بانه عين البيت المنسوب لابى طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتأمل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميرى هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من الكتب المعتمدة ثم رأيت ما يقطع بغلط الدميرى وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم نسب وأبيض يستسقى الغمام البيت لابى طالب كما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله عنه لما جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم يجر رداءه فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبى يغط ولا بعير يئط أى ما لنا بعير أصلا لانه اذا وجد لا بد أن يئط وأنشد أبياتا فقام النبى صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فارديه الى نحره حتى انبعثت السماء بابراقها وعادوا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه يا رسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

مع أبيات آخر فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشئ البيت أبو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح *(تنبيه)* تصريحى برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلى فى روضه فان قيل كيف قال أبو طالب وأبيض البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقا آنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له فالجواب ان أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضا فى حياة عبد المطلب ما دله على ما قاله انتهى ووجه سقوطه ما تقرر ان أبا طالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فأنشد ذلك حينئذ والعجب من شيخ الاسلام ابن حجر انه غفل أيضا عن رواية ابن عساكر هذه فأجاب عن استشكال السهيلى بقوله ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجأ والعصمة الحفظ من الضياع والارامل المساكين رجال أو نساء لكنه فى النساء أكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنى

(قوله رفيقة) بالفاء بخطه مصغرا والذى فى الاصابة انه بقافين مصغرا انتهى (قوله ابان) بالكسر والتشديد أى وقتها (قوله بالحيا) بالقصر وعد أى المطر وأما بالمد فهو التوبة والحشمة والفرج من ذوات الخف والظلف وقد يقصر انتهى من القاموس ورأيت فى كلام بعض العلماء أن الحياء انقباض النفس عن شئ وتركه حذرا من اللوم فيه وهو الجبلة التى خلقها الله فى النفوس كلها كالحياء من كشف العورة وايمانى وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصى خوفا من الله وهذا القسم مما يكتسبه المؤمن ويتخلق به وسيأتى فى الشرح عند قوله ورأته خديجة البيات ما فيه نوع مخالفة لذلك مع بيان أن الملكات تزيد فانظره (قوله عدل) بالكسر المثل وبالفتح أصله مصدر عدلت هذا عدلا انتهى (قوله ولا خطر) قال الجوهرى وخطر الرجل قدره ومنزلته انتهى (قوله يغط) الغطيط الصوت الذى يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مساغا (قوله يئط) الأطيط صوت الرجل والابل من ثقل أحمالها وكذلك صوت الجوف من الخوى وحنين الجزع (قوله للأرامل) مفرده أرمل وامرأة أرملة محتاجة مسكينة والجمع أرامل وأرملة والارمل العزب وهى بهاء ويقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى وعبارة المختار والارمل الرجل الذى لا امرأة له والارملة المرأة التى لا زوج لها وقد أرملت المرأة مات عنها زوجها انتهى

عشرة

عشرة سنة خرج به أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي واني أعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سال عمه أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن أبي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله و بحيرا بفتح فكسر مقصور ذكره جمع في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل المبعث وصح ان سبعة من الروم أقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورد أبا طالب و بعث معه أبو بكر بلالا وقوله و بعث معه الخ وهم من أحد رواته لان أبا بكر اذذاك لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وأبي نعيم انهم لما أقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظلله من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانحنت عليه أغصانها حتى أظلته وروى أبو نعيم وابن عساكر ان أخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة أخرى لتجارة على ماورد لكن بسند ضعيف وفيه ان أبا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك سبب ايمان أبي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما أقبلوا وهي في علية لها وفي هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها أربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول الكعبة لتشعثها فأمروا باقوم النجار القبطي مولى أحدهم أن يبنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب مبعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك أحبار اليهود ورهبان النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السماء لكن كانت العرب لا تلقي لذلك بالا فلما دنا مبعثه صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع كما قال (بعث) أي أرسل (الله) علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد من الخلق لذاته (عند) بتثليث العين أي قرب (مبعثه) أي زمن بعثه صلى الله عليه وسلم أي ارساله الى الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق (الشهب) على الشياطين الذين يسترقون السمع فيخطف أحدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما في الحديث ثم يلقيها للكاهن وهو جمع شهاب وهي شعلة نار تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله (حراسا) جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال أو مصدر أي لاجل الحراسة لشريعته صلى الله عليه وسلم التي سيأتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها اماليس منها وهو للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الخ ففيه التتميم كعلى حبه في و يطعمون الطعام على حبه (و) لكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السماء (ضاق عنها الفضاء) أي المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه و بين ضاق والفضاء الطباق (تطرد) حال من الشهب أو صفة له كما في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * لكن ظاهر المقام يرجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة

(قوله عند غضروف كتفه) الغضروف هو النغض المتقدم معناه أي أعلى الكتف وتقدم انه الايسر (قوله غمامة) أي سحابة قال السيد النسابة في شرح منظومة ابن العماد يقال ان طول الغمامة عشرة أذرع وعرضها كذلك وكان علوها على رأسه كذلك (قوله ذكره جمع في الصحابة الخ) قال ابن عبد الحق في شرح بسملة شيخ الاسلام وقد تردد الحافظ ابن حجر في الاصابة في ثبوت الصحبة لورقة ابن نوفل لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها له وانه يفرق بينه و بين بحيرا بان ورقة أدرك البعثة ولم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا انتهى وقد صرح الحلبي في حاشيته على المنهج ان المجتمع بنبينا لا يسمى صحابيا الا اذا اجتمع به بعد رسالته (قوله في علية) العلية الغرفة والجمع العلالي قال بعضهم هي العلية بالكسر انتهى مختار (قوله فتسترق السمع يقال استرق السمع اذا سمع مستخفيا (قوله عند مبعثه) قال في القاموس وعند مثلثة الاول ظرف في المكان والزمان انتهى والمراد هنا الزمان وبالمبعث الحدث أي البعث كما ذكره بقوله أي ارساله أي زمن بعثه على تقدير مضاف أي قرب زمن الخ كما أشار اليه الشارح تأمل (قوله أو تخبله) قال في المواهب ثم يصير بعد ذلك أي بعد خبله غولا في البراري يضل الناس وسيأتي في الشرح يقال خبله وخبله واختبله اذا أفسد عقله أو عضوه (قوله ففيه التتميم) هو عبارة عن الاتيان في النظم أو النثر بكلمة أو جملة اذا زيدت في الكلام التام افادته حسنا ما تتميما لحسنه وهو قسمان متمم المعنى ومتمم الوزن فمثال الاول ماذكره الشارح من الآية وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن بذكرها تم معنى الكلام ومثال الثاني مافي المتن وقول المتنبي * وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتي لرأيت فيه جهنما * فأتى بقوله ياجنتي لاقامة الوزن مع افادة معنى من أنواع البديع وهي المطابقة بينها و بين قوله جهنما

(الجن) ومر أنهم اجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة (عن مقاعد) أى أمكنة قريبة من السماء يقعدون فيها (للسمع) أى ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون رئيسهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه أو أن بعضهم ينسخه من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة وأصل هذا قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ما حكاه الله تعالى عنهم أواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه أهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر أهل السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة قرية على ليلة من مكة مع أصحابه يصلى الصبح وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا هو الذى حال بينكم وبين خبر السماء فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفى ذلك نزل قل أوحى الى الآيات واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى أهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرأ تلك الليلة فاستمع جن نصيبين أى مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان فى ابتداء الوحى كما يدل له حديث ابن عباس عند أحمد كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لأمر أمر أى عظيم قد حدث فبعث جنوده فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض ورواه النسائى وصححه الترمذى قال أعنى ابن كثير وأما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت عمه أبى طالب وروى ابن أبى شيبة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا أنصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وانما استمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى قومهم منذرين ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذى آذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدكم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف انما كان بعد موت عمه أبى طالب سنة عشر من البعثة ثم موت خديجه

(قوله على التشكل الخ) أى بأن يعلمهم الله تعالى قولا أو فعلا اذا أتى به نقله من صورة الى أخرى لان تصويره لنفسه محال وكذا يقال فى الملائكة ثم رأيت لبعض الفضلاء توجيه التشكل والتطور بأنه من باب تعدد الصور أو انه من طى المسافة وانزواء الارض من غير تعدد فيراه الرائيان فأكثر لكن الله تعالى طوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاشراف فظن انه فى مكانين أو أكثر وانما هو فى مكان واحد وهذا أجود ما حمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم أو انه من باب عظم الجثة حتى ملأ الكون فشوهد فى كل مكان انتهى قال الشارح فى شرحه على المنهاج ونوزع فى قدرتهم على التشكل باستلزام رفع الثقة بشئ فان من رأى ولو ولده يحتمل انه جنى تشكل به ويرد بان الله تعالى تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدى لمثل ذلك المترتب عليه الريبة فى الدين ورفع الثقة بعالم وغيره فاستحال شرعا الاستلزام المذكور (قوله أى أمكنة قريبة الخ) أى بعد ان منعوا من دخول السماء كما سيأتى فى الشرح (قوله أواخر سورة الاحقاف) من قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن (قوله أى مدينة بالشام) تقدم انها باليمن وهو الصواب (قوله الوحى) تقدم انهم منعوا عن استماع خبر السماء قبل البعث فانظر قوله يستمعون الوحى (قوله فيزيدون فيها عشرا) تقدم انهم يزيدون مائة ولعل بعضهم يزيد مائة وبعضهم يزيد عشرا (قوله وكانت النجوم الخ) هذا يقتضى ان النجوم نفسها يرمى بها وتقدم ان المرمى به الشهب التى هى الشعل المنفصلة من النجوم وسيأتى ذلك أيضا وحكاية قول بقيل انها نفسها تنقض ثم ترجع الى محلها فاهنا على هذا القيل ان أبقى على ظاهره فان أريد ترجيعه للاول قدر مضاف أى يرمى بشهبها (قوله فلما بعث صلى الله عليه وسلم) ظاهره يوافق حديث ابن عباس ويخالف ما سبق له عند قول الناظم بعث الله وقد يدفع التخالف كما أشار اليه الشارح فيما يأتى وصرح به فى تفسير الخازن بأن الرمى بالشهب كان موجودا قبل المبعث لكنه اشتد بعده (قوله ما هذا الا لأمر أمر) قال فى المختار الامر كالاصر الشديد وقيل العجيب ومنه قوله تعالى لقد جئت شيأ أمرا وقال البيضاوى أى أتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم (قوله أرسالا) قال فى القاموس الرسل محركة القطيع من كل شئ والجمع أرسال انتهى فقول الشارح قوما بعد قوم تفسير مراد لقوله ارسالا (قوله وكل بعر علف لدوابكم) أى بعد

عوده لما كان عليه من تبن وحب (قوله لم يكن ظاهرا الخ) أى بشدة بقرينة ما يأتى (قوله نعم الخ) ظاهره استدراك على قوله وانما ظهر الخ لافادة انه رمى بها قبل زمانه صلى الله عليه وسلم وسوابق الكلام ولواحقه تفيد انه انما وجد بعد وجود النبى قرب مبعثه لكن لا بشدة ثم وجد بشدة بعده فيحمل قوله فى الجاهلية على ما قبل بعثه و بعد وجوده صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وشدد أمرها الخ لتتلاءم أطراف الكلام فتأمل (قوله موصولة) واقعة على الذئاب ويكون قوله الذئاب من وضع الظاهر موضع الضمير وهو كاف فى الربط كقوله * وأنت الذى فى رحمة الله أطمع * (قوله صرح به الحديث) كقوله ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد وحديث فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية (قوله الرعاء) جمع راع كجائع وجياع ويجمع على رعاة كقاض وقضاة ورعيان كشاب وشبان ويطلق على راعى الغنم وغيره والمراد هنا راعى الغنم لذكره الذئاب وهى لا تتعرض غالبا الا للغنم وهذا يقتضى انه اذا ضمت الراء ختم بالهاء واذا كسرت ختم بالهمزة وعبارة الشارح تقتضى الختم بالهمزة مطلقا ويزاد عليه الختم بالهاء مع ضم أوله فحرر (قوله من الوحى) هو هنا ما نزل به جبريل قاله البرلسى المالكى فى شرحه لكن التقسيم الآتى له ليس بهذا المعنى كما لا يخفى بل بمعنى ما ألقى الى الرسول والاذن أقسامه كلام الله بلا واسطة ولا يشمل ما ذكره البراسى (قوله وهو الكتابة) أى لغة (قوله والكلام الخفى) قال البرلسى كالوسوسة (قوله فى النوم ٢) ذكره بعد الرؤيا المخصوصة بالنوم لزيادة الايضاح أو لدفع توهم ان الرؤيا تطلق على ادراك العين وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر (قوله مثل فلق الصبح) أى ضيائه ومثله فرق (قوله وقلبه) عطف تفسير لان الروع بضم الراء القلب وأما بالفتح فهو الفزع

خديجة بعده بثلاثة أيام أو خمسة ثم تزوجه بسودة بعد أيام وكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى شوال لما ناله من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا أذلقته الحجارة أى بالمعجمة ثم القاف أضعفته قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون و زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه شجاجا * وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لقى منهم أشد مما لقيه يوم احد وان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليأمره فى قومه بما شاء فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيأ وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرارى قال الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره أحد قبل زمانه وانما ظهر فى بدء أمره صلى الله عليه وسلم تأسيسا لنبوته صلى الله عليه وسلم نعم جاء عن معمر انه قال للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قال أفرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد أمرها حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن فى شدة الحراسة مثله بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم و يؤيده رواية ابن عباس الاخيرة ان صحت وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذى ينفصل عنه نار وقيل ينقض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طرد بالغ جدا (كما) موصولة أو مصدرية (تطرد الذئاب) جمع ذئب بالهمز وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذئاب صرح به الحديث الصحيح (الرعاء) بضم أوله وكسره للغنم اذا أرادت العدو عليها (ف) بسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء (محت آية الكهانة) مفعول مقدم وهى بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة أى علامتها وهى ما كانت تأتى به الكهان وتذكره من المغيبات التى تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر (آيات من) جملة (الوحى) وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى ولذلك كان الوحى الآتى اليه صلى الله عليه وسلم على أقسام * الرؤيا الصادقة فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وهو ما يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث فى

٢ قول المحشى قوله فى النوم ليس فى نسخ الشارح التى بايدينا

روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب * تمثل الملك له رجلا يخاطبه وصح انه كان يأتيه فى صورة دحيه أى لانه كان جميلا جدا اذا اقدم لتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل عليه الصلاة والسلام مع عظم صورته وأن له ستمائة جناح كل جناح منها يسد الافق فى صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا أولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة أخرى له وروحه متعلقة بهما أى كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم فى الوجود وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط باى صورة أرادها الانسان * يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكانت رأسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة الثقل حتى انه يقول لا أمشى بعد اليوم على رجلى أبدا * يأتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين كما فى سورة النجم * كلام الله له بلا واسطة كموسى واختص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين أو أدنى وصح عن الشعبى انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى والشئ ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن * ثم وصف آيات الوحى بأنهن (مالهن انمحاء) من محا يمحو ويمحى ويمحا كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه يمحوه ويمحاه أذهب أثره وامحى كادعى والمحو السواد فى القمر انتهت ملخصة والمعنى ههنا مالهن ذهاب ولا تغير كيف وقد تكفل الله تعالى لهذه الشريعة الغراء بانها باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم فيحكم بها

(قوله وأجملوا فى الطلب) قال ابن عطاء الله الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا يطلبه أى الرزق مكبا عليه مشتغلا عن الله به ومنها ان يطلبه من الله ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا أو وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلب وهو شاكر لله ان أعطى شاهد حسن اختياره ان منع ومنها ان يطلب من الله ما فيه رضاه لا ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفى حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجرى بالمقادير انتهى وقيل الاجمال طلب الرزق من وجه حل بعزة نفس (قوله فى صورة دحيه) أى بعد اسلامه رضى الله عنه (قوله خرجت الظعن) جمع ظعينة وهى المرأة مادامت فى الهودج فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة (قوله كما فى الابدال) قال عليه الصلاة والسلام الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا انتهى وورد انهم بالشام وورد انهم أربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان الحديث الذى فيه انهم ثلاثون أى ممن كانت قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل كما ذكره فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابراهيم انهم يتقلبون فى المعارف الالهية التى بقلبه اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ماذكروا انما سموا أبدالا لان كل من مات منهم أبدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدل مكانه رجلا وقيل انما سموا أبدالا لتبدل سيآتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الأبدال بالمعنى الخاص المقتضى حصرهم فى العدد السابق ولذا قال العارف المرسى كنت جالسا بين يدى أستاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتى فلم أرهم أبدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية ومن علامة البدل انه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه ثم حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد تجسمت له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم (قوله مناط بأى صورة أرادها) وحينئذ ينظر فى النكاح ونحوه للزوجة والامة هل هو خاص بالصورة الاصلية أو بما صارت اليه الصورة عند ارادة النفس لها فليحرر بالنقل الصحيح وقد يقال النكاح من جملة التكاليف الذى صرح الشارح بانه متعلق بالصورة التى يريدها سواء كانت الاصلية أو غيرها (قوله مثل صلصلة الجرس) أى اتيانا مثل أو حالة كونه مشابها صوته صلصلة الجرس قيل هى صوت الملك بالوحى وقيل صوت حفيف أجنحته والحكمة فى تقدمه ان يفرغ وسعه للوحى فلا يبقى فيه متسع لغيره والجرس الجلجل يعلق فى رؤس الدواب (قوله تبرك به) بضم الراء لانه من باب دخل (قوله واختص بالكليم) قال فى المواهب اللدنية فان قلت اذا ثبت انه صلى الله عليه وسلم كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى أجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له اسم منه وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضى عضد الدين وهذا تلخيصه وتحريره كما قاله سعد الدين التفتازانى انتهى (قوله يتراءى) أى يظهر (قوله محا يمحو) والمصدر المحو والمحى

ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين أخبر الصادق المصدوق عنهم صلى الله عليه وسلم بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله أى ريح لينة تقبض أرواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة وبين محت وامحاء جناس الاشتقاق * ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع لانها قبل قوله بعث الله الخ لكان أولى فقال (ورأته) أى علمته وأبصرته لما سبق لها من الفضل الذى فاقت به سائر أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر (و) هى للحال (التقى) هو البراءة من كل شئ سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال فى التقوى وصح خبران أتقاكم وأعلمكم بالله انا وخبرانى لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية (والزهد) هو أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك وقد صح خبر ماشبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضى الشهران ولا يوقد صلى الله عليه وسلم فى أبياته نارا وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير أخذها صلى الله عليه وسلم قوتا لاهله (فيه) كل منهما (سجيه) بالسين المهملة أى خلق غريزى طبيعى والاختلاف فى كون حسن الخلق غريزة أو مكتسبا يتعين ان يكون محله فى غيره صلى الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزة بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم والتحقيق ان أصول الاخلاق غرائز وملكات فى نوع الانسان وانما التفاوت فى ثمراتها وهذا هو الذى به التكليف لان الغريزى لا تكليف به لانه ليس فى الطاقة نعم من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر بالمجاهدة فى الضعيف حتى يقوى وفى غير المحمود حتى يصير محمودا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فىّ أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما الله فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بان فى الخلق الجبلى والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقى بفتح أوله فحسن خلقى وكان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت ولما اجتمع فى نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط به أحد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال مؤكدا لذلك بذكر على الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم لان خلقه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكرم المقتضى للسماحة والدماثة بل يعم صفتى الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمؤمنين شديدا غليظا على غيرهم (والحياء) فيه سجية أيضا على أكمل غاياته ففى البخارى من حديث أبى سعيد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها وقيد به لان حياءها فيه أشد لانه مظنة ان يظفر منها طامع يدخل عليها فيه بشئ بخلافها بحضرة الناس والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به من الحياء ولذلك سمى المطر حياء لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنه التقصير فى حق من له حق ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم

(قوله ورأته) أى أبصرته أو علمته بمعنى عرفته كما بينه الشارح لعدم وجود مفعول ثان (قوله خديجة) قال العلامة ابن عبد الحق فى شرحه بالتنوين للضرورة انتهى ولا داعى لهذا التنوين لان مستفعلن فى بحر القصيدة مفروق الوتد فآخره سبب خفيف فيدخله الكف وغايته ان اجتماعه مع الخبن المسمى أى اجتماعهما بالشكل مكروه قبيح مع جوازه كما هو مصرح به فى فن العروض فراجع كلام الشارح الآتى عند قوله فاستبانت خديجة وانظر ما كتبنا عليه يظهر لك المقام (قوله ابن قصى) هو ثالث جد لها رابع جد لرسول الله لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى (قوله تباعا) أى ولاء (قوله فى أبياته) جمع بيت ويجمع أيضا على بيوت وأبابيت عن سيبويه مثل أقوال وأقاويل وتصغيره بييت بضم أوله وكسره والعامة تقول بويت والبيت أيضا عيال الرجل وقول الشاعر

وبيت على ظهر المطى بنيته
بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف

يعنى بيت شعر كتبه بالقلم انتهى مختار وقوله يرعف ماضيه من بابى نصر وقطع وكونه من باب ظرف لغة قليلة وهو فى الاصل الدم يخرج من الانف والمراد به هنا المداد النازل من القلم (قوله وانما التفاوت فى ثمراتها) أى وفى كيفياتها كما يفيده قوله فيؤمر بالمجاهدة (قوله والدماثة) أى سهولة الخلق (قوله والحياء بالمد) وقد يقصر (قوله لكنه مقصور) وقد يمد

(وأتاها) الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما (ان الغمامة) وهى السحابة (والسرح) وهو كما فى القاموس شجر عظام أو كل شجر لا شوك فيه أو كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة الآتية ان المراد هنا الاول أو الثالث وأما الثانى فلم أر ما يدل عليه (أظلته منهما) حال من قوله (افياء) جمع فىء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفىء بأن الظل ما نسخته الشمس والفىء ما نسخها ومر ذكرها بين الآيتين قبيل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلهما مع بعض زيادة انها أرسلته فى تجارة لها ومعه عبدها ميسرة الى بصرى فنزل تحت شجرة فاظلته فقال راهب ثم ما نزل تحتها الا نبى وسأل ميسرة أفى عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال له الراهب هو آخر الانبياء ليتنى أدركه اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه فى بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه هو الذى تجده أحبارنا منعوتا عندهم فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه فى الهاجرة ورأت خديجة ذلك لما أقبل صلى الله عليه وسلم وهى فى علية لها فأرته نساء عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة أخبرته بما رأت فاخبرها بجميع ما رآه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط ﴿تنبيه﴾ ورد فى تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم أحاديث أصحها ما رواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا ان فى روايته غرابة ان أبا طالب خرج به الى الشام فى أشياخ من قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقى ورسول رب العالمين هذا ابتعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له ومن أعلمك بذلك قال انكم حين أشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا اذ لا يسجدون الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فقال لهم أرسلوا اليه فاقبل صلى الله عليه وسلم وغمامة تظله فلما دنا الى القوم وجدهم قد سبقوه الى ظل الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال اليه الحديث رواه أبو موسى الاشعرى وهو اما أن يكون تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ عنه صلى الله عليه وسلم أو من بعض كبار الصحابة أو كان مشهورا أخذه بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحق معضلا والبيهقى فى الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصانها أى مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وورد ذلك عن أخيه من الرضاعة وأشار غير واحد الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لنبوته صلى الله عليه وسلم كما يأتى ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضى الله تعالى عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة فى الهجرة لما أصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى جمرة العقبة وظلل عليه مرة أخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى أسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى شرح قوله واذا مامشى محا نوره اظل الخ ماله تعلق بذلك (و) أتاها أيضا (أحاديث) الاحبار والرهبان والكهان (أن) أى بأن (وعد رسول الله) مصدر مضاف للمفعول أى وعد الله له صلى الله عليه وسلم وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير (بالبعث) أى الارسال

(قوله وأتاها الخبر الخ) يقتضى انها لم تبصر اظلالهما وانما أخبرها به ميسرة عبدها أو غيره والذى رأته اظلال الملكين له (قوله والسرح) قال السنباطى جمع سرحة (قوله انها أرسلته) هذا الذى ذكره الى التنبيه له الماام بتظليل السرح المعبر عنه بالشجرة حيث قال ونزل تحت شجرة الخ وليس له الماام بتظليل الغمام فيكون قوله وحاصلهما الخ بالنسبة الى الاول دون الثانى الا ان يريد بحاصلهما ماذكره الى قول الناظم وأحاديث ان وعد رسول الله البيت وحينئذ فلا اشكال فى ضمير التثنية فى قوله وحاصلهما (قوله الى بصرى) بضم أوله والقصر مدينة بين المدينة ودمشق (قوله فقال راهب) وهو نسطورا كما فى شرح البرلسى (قوله ما حلفت بهما قط) فقال له القول قولك كذا هذه الزيادة فى شرح البرلسى (قوله ابتعثه الله) أى يبتعثه والا فالكلام فى الخوارق قبل البعثة فعبر بالماضى اشارة لتحقق ذلك (قوله من الثنية) هى طريق العقبة كما فى المختار (قوله اذ لا يسجدون) كان الظاهر اذ لا تسجد وقد يقال نزلهما منزلة العاقل لوجود السجود منهما فجمعهما جمعه (قوله فى رعية) بكسر الراء الهيئة (قوله واذا مامشى) الذى سيأتى فى النظم واذا ما ضحا محا الخ (قوله الاحبار) علماء اليهود والرهبان عباد النصارى والكهان المخبرون عن المغيبات الملقاة اليهم من الجن حين استراقهم السمع كما سبق الى

(قوله وهو متعلق بقوله الوفاء) لو جعله متعلقا بحان والمتعلق بالوفاء محذوفا أى به أى قرب من رسول الله الوفاء بوعد الله له لكان أوضح تامل (قوله منصوب المحل) فيه ان ذلك المصدر منصوب لفظا عند النطق به بدلا عما أول به (قوله جمع أمنية) قال فى المختار والمنية واحدة الامانى انتهى فقول الشارح جمع أمنية راجع للامانى لا للمنى وانما فسر المنى بالامانى مع اتحاد معناهما دفعا لتوهم ان المنى مفرد (قوله وتفرسها) التفرس استحضار العلم بالفراسة وهى كما فى الصحاح بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وهو يتفرس أى يتثبت و ينظر تقول منه رجل فارس النظر وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن والفراسة بالفتح مصدر قولك رجل فارس على الخيل بين الفراسة والفروسة والفروسية انتهى (قوله فانها أدركت بقوة ذكائها وتفرسها الخ) قد تقدم ان ما راته سبب حامل لمن له ذرة عقل ان يغسل قدميه بل ان يستشفى بفضلاته كبوله ودمه أى فلا تحتاج لقوة ذكاء وتفرس لما توفر من الآيات البينات وقضية ماذكره هنا انه حصل بقوة الذكاء الخ وهو شبه تناف الا أن يقال كلامه

انما هو بالنسبة لما لاحظته منه من السعادة الفاخرة فى الدنيا والآخرة أو انه بالنسبة لمبادرتها لذلك وعبارة الجوجرى دعته الى ان يتزوج بها ليحصل لها الشرف التام والفضل العظيم على نساء عصرها فكان هو المخطوب لفرط جلاله والمرغوب فيه لكثرة افضاله فشرفت بزواجه اياها حتى كانت من أفضل أمهات المؤمنين أو أفضلهن ثم تعجب من قوة ذكائها وفرط عرفانها حيث بادرت الى هذا الامر العظيم والفضل الجسيم ولم تمش على عادة النساء فى انتظار أن تكون مسؤلة غير سائلة لما سبق لها من السعادة وكتب لها من الفضل والسيادة

وقد يدفع أيضا ماذكر من التنافى بان التفرس كما علمت استحضار العلم بالفراسة وهى الاستدلال بالظواهر على البواطن ولا شك انها قد استدلت بما رأته وعرفته من الآيات على ما منحه صلى الله عليه وسلم فى باطن الامر من الكمالات (قوله كقول أبى الطيب) مثال لنحو الحكمة من نعت أو مثل فان ماذكره مثل يضرب لكل من تكلف شيأ وليس خلقيا فيه فنقول لمن تكلف التكرم وليس خلقيا فيه ليس التكحل الخ ومثال الحكمة قول الناظم ولذى اللب الخ (قوله عشرين بكرة) البكر الفتى من الابل والانثى بكرة و بكرة البئر ما يستقى عليها والجمع بكر وهو من شواذ الجمع لان فعلة لا يجمع على فعل الا شذوذا (قوله وضئضئ) مضاف لمعد وما بينهما معترض بين المتضايفين للضبط و بيان المعنى وهو بكسر الضادين و بهمزتين (قوله وعنصر) أى أصل فهو بمعنى ضئضئ (قوله الحكام على الناس) أى أشراف الناس فى الجاهلية وهم العرب وعدهم فى القاموس نحو خمسة عشر حكما وانما قدرنا ذلك لانهم لم يكونوا حكام جميع الناس كما لا يخفى (قوله وان كان فى المال قل) القل والكثر بضم أولهما وكسره قال فى الصحاح القل القلة مثل الذل والذلة انتهى (قوله حائل) أى متحول أو منقلب من يد الى يد فقد ذكر فى اللغة ان حال يأتى بمعنى انقلب وبمعنى تحول وهو المراد هنا

الى الخلق كافة (حان) أى قرب (منه) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله (الوفاء) أى قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل على ان يغسل قدميه و يشرب ماء غسلهما (دعته) أى خطبته (الى الزواج) أى الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك ومن أن سنها حينئذ كان أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله برجلين (وما أحسن) هذه احدى صيغتى التعجب (ما) مصدرية فتؤول مع (يبلغ) بمصدر منصوب المحل على التعجب (المنى) أى الامانى جمع أمنية وهى ما يتمناها الانسان (الاذكياء) جمع ذكى كغنى والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد يقظته أى شئ عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل من أكملهم خديجة رضى الله تعالى عنها فانها أدركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منذ رأته كل ما تمنته وأملته مما لم تبلغه امرأة من هذه الامة اذ هى على الاصح أفضل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وهذا من أنواع البديع المسمى بارسال المثل السائر وهو ان يذكر الشاعر فى بعض بيت ما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها كقول أبى الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل فى العينين كالكحل

وهو كثير فى كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على أبيها خويلد فخطبها منه اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ بمعجمتين أو مهملتين أصل معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أى الكافلين له وسواس حرمه أى المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به وان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق

ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها أبوها منه وذكر الدولابى وغيره انه صلى الله عليه وسلم أصدقها ثنتى عشرة أوقية ذهبا ونصف أوقية قالوا وكانت كل أوقية اذ ذاك أربعين درهما (و) مما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه (أتاه) بعد النبوة والرسالة (فى بيتها جبرئيل) كعندليب لغة فى جبريل ليلقى اليه ما أمر به من الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم فى قوله بلى ولكن ليطمئن قلبى وكيف لا تريد هذه المرتبة العلية (ولذى) أى لصاحب (اللب) أى العقل الكامل وخديجة رضى الله تعالى عنها من أكمل أولى الالباب وأذكاهم (فى الامور) أى الاحوال التى قد تشتبه (ارتياء) أى استبصار من ارتأيته أى نظرته بالعين أو القلب كما فى القاموس وفراسة خديجة تقضى لها على تلك الامور بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لا بد لها من نكتة فهى هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا أمر كلى جار مجرى المثل أو الحكمة فهو من ارسال المثل (ف) بسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل (اماطت) أى ازالت (عنها) أى عن رأسها (الخمار) وهو ما يخمر أى يغطى به الرأس (لتدرى) أى لكى تعلم علم اليقين (أهو) أى هذا الذى عرض له صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه (الوحى) أى حامله وأمينه الذى كان يأتى به الانبياء قبله ومرت أقسامه (أم) هى معادلة الهمزة المطلوب بها وبأم التعيين ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة فى افادتها الاستفهام فى الاول والتسوية فى الثانى وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الآخر وتقابلها المنقطعة وهى ثلاثة أقسام مبسوطة فى محلها (هو الاغماء) الذى هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون (ف) بسبب ازالتها الخمار عن رأسها (اختفى عند كشفها الرأس) مفعول كشف المضاف لفاعله (جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء) يعنى الى ان أعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبنى للمفعول والغطاء نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال وأعيد منصوب بان مضمرة بعد أو التى يصلح موضعها حتى والغطاء فاعل أعيد انتهى وهو سهو عجيب لما تقرر ان أعيد ماض الخ وكأن هذا الوهم سرى اليه مما صرح به كلام النحاة ان أو غير العاطفة التى بمعنى الى ان لا تدخل الا على مضارع كما فى حتى الغائية المرادفة لا والمذكورة كما صرحوا به وحينئذ فاضطره ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان أعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم أعيد صوابه يعاد ويذكر ما أشرت اليه وأما كونه يبقى أعيد على حاله ويجعله منصوبا بأو فهو جلى الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليحرر دخول أو الناصبة عليه لما صرحوا به فى حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا أو ماضيا فى حكم المستقبل نحو سرت حتى أدخل المدينة فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم أو ماضيا فى حكم المستقبل ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض فكان قضية

(قوله ثنتى عشرة أوقية) تقدم قريبا انه أصدقها عشرين بكرة فانظر التوفيق بين الكلامين فان كانت الاواقى المذكورة قيمة العشرين بكرة بان كانت من جياد الابل حصل التوفيق بجعل المذكور أولا هو الصداق حقيقة والمذكور ثانيا قيمته (قوله ومما يدل الخ) الدليل على ذلك اماطتها الخمار لتدرى انه الوحى وأما اتيان جبريل فى بيتها فلا دخل له فى الدلالة على ما ذكر (قوله علم اليقين) قال الشيخ قاسم فى كتابه السير والسلوك علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلى وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد فى صفات الحق وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى على التحقيق صفاته لا ذاته فحينئذ لا بد من بقاء عين العبد الفانى فلا تفنى ذاته فى ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله بل ان العبد كلما تقرب الى الله بالعبودية واظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية وهبه الله تعالى فضلا منه صفات حميدة حقية عوضا عما فنى منه من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ فمتى شاء اذهب عن العبد ما فيه من الخبائث وأمده بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم فاذا وهب عبده العاجز ما وهبه تصرف فى الاكوان بارادة سيده انتهى (قوله تلك المحبة) أى محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين (قوله الذى كان الخ) فالمراد بالوحى ما نزل به جبريل وقوله ومرت اقسامه أى لا بهذا المعنى بل بمعنى ما جاء به عن الله والا فبعض اقسامه لم ينزل به جبريل القياس كـكلام الله من غير واسطة (قوله غير العاطفة) مردود وحاشا النحاة من دعوى انها غير عاطفة فكلهم مصرحون بانها عاطفة وقوله كما فى حتى الغائية الخ مردود بانها فى قوله تعالى حتى عفوا بمعنى الى ان وهى داخلة على الماضى فلتكن أو بمعنى الى ان كذلك فليحرر انتهى دنوشرى أى فجعل الشارح حتى فى المثال ونحوه ابتدائية غير مسلم عند العلامة الدنوشرى

القياس ان لاتدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان مافيه من المضى يؤوّل بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر وأما لفظه ماض فلا تدخل عليه حتى الغائية أصلا فان قلت كيف هذا مع قوله تعالى حتى أتاهم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفى البخارى حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء قلت حتى هنا ابتدائية لاغائية وأو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغائية لاغير وقد صرح بذلك الائمة ولخصه الجلال السيوطى فى شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة بشرط وأما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضى باضمار ان بعدها على تأويل المصدر فغلطه أبو حيان فيه وتبعه ابن هشام فقال لاأعرف له فى ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة ورد وازعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا فى موضع جربها بانه خلاف ماعليه الجمهور انها ابتدائية فاذا فى موضع نصب بشرطها أو جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور أو مضارع منصوب فحرف جر أو اسم مرفوع أو منصوب فحرف عطف أو جملة أى ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى فى ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى فى القرآن وغيره تكون حتى حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير مالا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغائية لاتدخل على الماضى فأو التى بمعناها أولى فان قلت لم قست أو على حتى الغائية فى منع دخولها على الماضى ولم تقسها على الى ان أو الا ان اللذين بمعناها قلت اما كونها بمعنى الا ان فهو ماذكره ابن مالك وقد ردوا عليه حتى ولده ومن ثم قال أبو حيان قد أغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لاتدخل على الماضى الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل أو قد كما هو مقرر فى محله وأما كونها بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضى لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود فى الى ان بطريق الاصالة فليمتنع دخولها على الماضى بنص كلامهم لابطريق القياس فان قلت تقرر ان أو بمعنى الى ان وهذه تدخل على الماضى كما فى الحديث قام الى ان تورمت قدماه فلتكن أو كذلك قلت هذا اشتباه لان أن المتضمنة فى أو هى الناصبة وهى خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول أو المتضمنة لها على الماضى وأما أن الملفوظ بها بعد الى فهى التى لايتصور لها عمل وهى تدخل على الماضى فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت بعضهم يقدر او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على ان أن لانظر اليها قلت لايدل ذلك بوجه وانما سبب ذلك أنهم اختلفوا فى ناصب المضارع الداخل عليه أو فالاصح أن أن مقدرة بعدها وقال قوم هى الناصبة نفسها فعلى الاوّل تقدر بالى أن وعلى الثانى بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم أو على الماضى فى موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه فى ذلك أيضا وأما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى أو انهم غفلوا عماذكرته من صريح كلامهم الدال على ان أو الغائية لاتدخل على الماضى ثم رأيت شارحها العلامة ابن مرزوق تنبه لماذكرته فقال فى أو خلت البطاح بها ان أو هنا عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو أو بل أو انها على حالها للشك أو التخيير وتكلف بيان ذلك ولم يعرج على انها أو الغائية بوجه وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضى والا كان معنى الغاية فى البيت أقرب مما تكلفه ولا يتأتى نظير ماتكلفه هنا بوجه والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك أيضا ان النحاة لم يذكروا لأو الاقسمين عاطفة وناصبة وهى الغائية فالعاطفة أمرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن أثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها على الماضى ولا يكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتأمل ذلك كله فهو نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره (فاستبانت خديجة) قيل صرفها للضرورة ويرد بانه انما صرفه وان كان الوزن صحيحا مع عدم الصرف

(قوله ماضوية) أى مثلا والا فالمضارعية والاسمية كذلك (قوله فاستبانت) أى فبسبب ما رتب على اختبارها بأنه ان كان الملك لم يمكث عند كشف رأسها والامكث بان وظهر لها بعدم مكثه عند الكشف ظهور عين اليقين انه الكنز الخ (قوله ويرد الخ) فيه نظر ظاهر لان قوله لم يسلم الخ هو عين قول الجوهرى وغيره للضرورة لانها ان فسرت بما ليس للشاعر عنه مندوحة فمعناه انه لاغنى له عنه فى كون الكلام على الميزان المرضى المقبول بالطبع حتى انه لوارتكبه لم يقبله الذوق السليم والطبع المستقيم وان لم يخرج عن ذلك البحر بالكلية وان فسرت بما وقع فى الشعر وهو المختار فالامر ظاهر وليس مراد الائمة بالضرورة على التفسير الاول انه لوارتكبه خرج عن الوزن الشعرى بالكلية والا لزم عليه ابطال حكمهم فى جميع أمثال هذا أو غالبها بالضرورة كما يعلم باستقراء كلامهم ثم رأيت بعض محقق شراح الكافية أشار الى ماذكرته فقال للضرورة أى لامر ضرورى فى الشعر بمعنى انه لو لم يدخله التنوين لزم الخلل فى الشعر سواء خرج من الوزن أم لا قال وأقول تحقيق المقام ان الضرورة الشعرية لاتقتضى الوجوب بحسب النحو بل اذا قرئ الشعر بحيث يظهر الخلل ولم ينون للافساد فى التركيب من جهة النحو لكن يجوز بحسب قواعد النحو فعل العرب أن يراعى جوانب الشعر

وينوّن فالتركيب حينئذ أيضا صحيح الاعراب كما هو مقتضى كلام محقق النحويين فالضرورة الشعرية لا تنافي الجواز ولا تقتضي الوجوب النحوي كما توهمه جماعة المتأخرين فلذا قال ويجوز الصرف قال ولصرف الضرورة أمثلة مشهورة لم تحتج للبيان نحو أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع فانه لولم ينون نعمان اظهر الزحاف المخل وان صح الوزن فنون وكسر بتبعيته اه وقوله بتبعيته أي تبعية الكسر للتنوين والزحاف المذكور هو الكف وهو في مفاعيلن حذف السابع الساكن فاستفده (قوله وهو من العجائب) مراده اظهار نكتة ذوقية وهي التعجب من حسن وصالح وكل حسن وحده فعند اجتماعهما يصير شكلا قبيحا وكان القياس زيادة الجمال واما صناعة فلا عجب كما هو ظاهر (قوله ما يعرض) ان كان المراد به جبريل كما هو الظاهر مما سبق في قوله أهو الوحي أي حامله ومن قوله فاختفى الخ كان المراد بقوله حيازة علمه علما هو عين اليقين كما علمت وان كان المراد به ما نزل به عليه فكذلك وظاهر ابن عبد الحق ان الضمير للنبي (٦٢) حيث قال انه صلى الله عليه وسلم وانما قلنا ظاهر لاحتمال ارادته جبريل لانه كالنبي في طلب الصلاة عليه وعليه يظهر قوله ارادت حيازته الخ من غير تكلف وأما على كون الضمير مجرورا فالمراد حازت علمه علم عين اليقين أو لما جاء به فالمراد حازت علم حامله كذلك (قوله حاولته) قال في القاموس حاوله حوالا ومحاولة رامه اه فقول الشارح أي أراد تفسير لرامه الذي هو معنى حاول في اللغة (قوله أي العلم الخ) لكن قال في القاموس الكيمياء بكسر الكاف الاكسير اه وعليه فاطلاقه على العلم مجاز لانه سبب في حصول الاكسير (قوله فاستعار الخ) الذي يظهر انه تشبيه بحذف الاداة لوجود الجمع بين طرفي التشبيه اذ مرجع الضمير هو المشبه (قوله بذكر ما وقع الخ) أي بقوله فاماطت الخ (قوله الصادقة) وفي رواية الصالحة (قوله فلق الصبح) أي ضيائه ومثله فرق بالراء بدل اللام وقد تقدم التنبيه على ذلك (قوله الليالي الكثيرة) في البخاري الليالي ذوات العدد قال شارحه القسطلاني مع أيامهن واقتصر عليهن للتغليب لانهن أنسب للخلوة ووصف الليالي بذوات العدد لارادة التقليل كما في قوله تعالى دراهم معدودة أو للكثرة لاحتياجها الى العدد وهو المناسب للمقام وكانت تلك الليالي شهرا ففي رواية البخاري ومسلم جاورت بحراء شهرا وعند ابن اسحق هو شهر رمضان (قوله لمثلها) أي الليالي (قوله فجأه) بفتح الجيم وكسرها أي جاءه بغتة (قوله بغار) الغار والمغارة الكهف في الجبل (قوله فغطه) أي ضمه وعصره ويقال غته وضغطه وعصره وخنقه وغمره كلها بمعنى اه عراقي (قوله الجهد) بفتح الجيم والدال أي بلغ الغط مني غايته وسعي أو حتى بلغ جبريل في الجهد غايته ويروى الجهد بالضم والرفع أي بلغ مني الجهد مبلغه وهذا الغط من خصوصيته عليه الصلاة والسلام فلم يقع لغيره من الانبياء (قوله فرجع بها) أي بالآيات المذكورة من قوله اقرأ الى قوله ما لم يعلم (قوله يرجف) بضم الجيم أي يضطرب

ليسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع الكف والخبن لان مستفعلن يحذف سينه فيسمى خبنا كما مر وهو على انفراده غير قبيح ويدخل مع ذلك الكف وهو حذف حرفه السابع وهو النون ليصير متفعل وهذا هو الشكل القبيح الذي هو اجتماع هذين وان كان الاول وحده حسنا والثاني وحده صالحا وهو من العجائب اذا اجتماع الحسن والصالح يصير قبيحا عندهم أي ظهر لها أتم ظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة بن نوفل الآتي أو من غيره ان جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأتي محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس (انه) أي ما يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف على عين اليقين فيه (الكنز) أي الشئ النفيس بل الذي لا أنفس منه (الذي حاولته) أي أرادت حيازته والظفر به (و) انه (الكيمياء) أي العلم البديع الذي يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة فاستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحي لانه بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحي كذلك وأيضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحي لا يظفر به الا أكمل البشر وهو في غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس وأشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ أربعين سنة قيل وكسرا بعثه الله تعالى يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق أجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم وأرسلت الى الخلق كافة روى البخاري وغيره أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدئ بها لان الملك لو فجأه بغتة لم تحتمله قواه البشرية وكان يأتي حراء فيتعبد فيه الليالي الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق أي جاءه جبريل وهو بغار حراء فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ أي لست بقارئ قاله امتناعا لانه صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم أرسله كذلك وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ أي ما الذي أقرؤه فغطه وأرسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التأهل الى لقاء الملك لما بين البشرية والملكية من التباين ثم الى التلقي منه ثم قال له اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال

زملوني

زملونى زملونى فزملوه صلى الله عليه وسلم حتى ذهب عنه الروع فقال ياخديجة مالى وأخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على نفسى أى قبل أن يحصل له العلم الضرورى بان الجائى جبريل عليه الصلاة والسلام أو خشيت أن لا أقدر على حمل أعباء الرسالة أو أن يقتلنى قومى ولا بدع فانه صلى الله عليه وسلم بشر فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمى وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن أخيك فأخبره صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها أى فى ملتك جذعا أى شابا بالغ فى نصرتك اذ يخرجك قومك قال أو مخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه صلى الله عليه وسلم الى رؤس شواهق الجبال ليرمى نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وأخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا أى لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب الله أعلم حيث يجعل رسالته فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت فلم أر شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا ألم أثبت له فأتيت خديجة فقلت دثرونى دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر الآية وهذا بعد نزول اقرأ باسم ربك و بعد فترة الوحى اذ أول ما نزل اقرأ على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبى انه قال أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه بالقرآن على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذى وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تهييجه الى الاشتياق للعود وروى أصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر خديجة رضى الله تعالى عنها الخبر قالت له صلى الله عليه وسلم ألا تستطيع أن تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه

(قوله زملونى زملونى) من التزميل وهو التلفيف قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفيف (قوله خشيت على) فى نسخة الشارح خشيت على نفسى (قوله الضرورى) أى خلق الله فى رسوله علما ضروريا علم ان الجائى جبريل وانه ملك من عند الله لا جنى كما ان الله تعالى خلق فى جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى والمرسل له هو ربه لا غيره اه من المواهب (قوله فقالت له كلا) كلمة نفى وابعاد اه (قوله لا يخزيك الله) بضم الياء المثناة من تحت واسكان الخاء المعجمة وبعد الزاى مثناة من تحت أيضا من الخزى وهو الفضيحة والهوان وفى رواية لا يحزنك بالحاء المهملة والنون ويجوز فيه فتح أوله وضم ثالثه وضم أوله وكسر ثالثه فانه يقال حزنه وأحزنه اه عراقى (قوله وتحمل الكل) أى الشئ الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك (قوله وتكسب المعدوم) أى تكسب غيرك المال المعدوم أى تعطيه له تبرعا منك أو تعطى غيرك مالا يجده من النفائس الا عندك فاحد مفعولى تكسب محذوف (قوله وتقرى الضيف) بفتح أوله (قوله نوائب الحق) أى حوادثه (قوله تنصر) أى صار نصرانيا وترك عبادة الاوثان (قوله من ابن أخيك) تعنى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاب الثالث لورقة (٦٣) هو الاخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالته على سبيل الاحترام (قوله هذا الناموس) هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر ولم يقل الناموس الذى أنزل على عيسى مع قربه وحكمه بشريعته بعد نزوله لان ورقة كان نصرانيا والنصارى لا يقولون فى عيسى انه نبى يأتيه الوحى وانما يقولون ان أقنوما من الاقانيم الثلاثة حل فى ناسوت المسيح وهو أقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب فلذا عدل الى ذكر موسى لاعتقاده ان جبريل كان ينزل عليه وأيضا موسى متفق على نبوته عند أهل الكتابين وأما عيسى فكثير من اليهود ينكرون نبوته وفى رواية الزبير بن بكار بلفظ عيسى (قوله مؤزرا) أى قويا بليغا (قوله ينشب) بفتح التحتية والمعجمة أى لم يلبث وقوله أن توفى بدل اشتمال من ورقة أى لم تلبث ولم تتأخر وفاته عن هذه القصة (قوله لا لطلب النبوة) انما يناسب ذكر هذا تعبده بغار حراء قبل نبوته اذ هو وقت توهم طلب النبوة فيتعرض لنفيه وأما تعبده فيه فى هذه الرواية فكان بعد النبوة والرسالة كما سيأتى للشارح قريبا فكيف يتوهم طلب ما ذكر فكان الصواب أن يذكر الشارح ذلك عند قوله وكان يأتى حراء فيتعبد الخ (قوله لا تنال بكسب) قال الشارح فى شرح الاربعين يكفر من قال ان النبوة مكتسبة (قوله فقرن بنبوته اسرافيل) وقرنه كان فى مدة فترة الوحى ليؤنسه ويقويه على تحمل اعباء ما سينزل عليه وان كان ظاهر كلامه ان قرنه به عقب نبوته قبل فترة الوحى وكانت نبوته متقدمة على رسالته كذا قيل قال الشارح فى شرحه للشمائل قال ابن علان فى شرح الخصائص الصغرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على أحد من الانبياء والرسل وقال صلى الله عليه وسلم رأيت بين عينى اسرافيل كل شئ أنزل على قبل نزوله وفى شرحه لها أيضا ان النبوة والرسالة مقترنان

(قوله من قيام الليل) قال السيوطى فى الاتقان لاخلاف ان فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة ذكره ابن عطية وغيره اه (قوله لكن اختلف الخ) هذا الذى نقله عن فتح البارى ينافى مانقله قبل عن النووى لاقتضاء ذاك انه أوّل ماوجب قبل الخمس مافرض عليه فى سورة المزمل واقتضاء هذا ان أول ماوجب قبلها صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها (قوله يقرئك) قال فى المختار فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى اه لكن قرأ يتعدى بعلى وأقرأ يتعدى بنفسه كما أشار اليه صاحب المختار سئل العلامة الشيخ أحمد العجمى عن قول جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الله يقرئك السلام ماصورة جوابه له فأجاب بان العلامة السيد السمهودى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نودى بعد مجاوزة الحجب ليلة الاسراء حى ربك فقال التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فأجابه مولاه بقوله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وجاء فى بعض طرق حديث الاسراء انه قال فى جوابه حين قيل له حى ربك سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فيحتمل انه أتى بهذا بعد فراغه من تحياته فقد جعل ماذكر جوابا لسلام الله عليه اذ لايجاب سلام الله الا بالثناء عليه كما صنعت أم المؤمنين خديجة حين ابتدئت بالسلام من الله على لسان جبريل فبلغه للنبى صلى الله عليه وسلم والنبى بلغه لها فأجابت بقولها ان الله هو السلام ورحمة الله وبركاته فعرفت خديجة ان الله لايرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لان السلام من أسمائه تعالى وهو أيضا دعاء بالسلامة وكلاهما لايصلح ان يرد عليه به لعدم مناسبته فى مقابلة سلامه وانما يناسب الثناء وبالجملة لم يثبت تعيين صيغة ثناء فى كل سلام من الله وانما الثابت ذلك فى ليلة الاسراء وفى قصة خديجة كما علمت وقد علمنا حكم الرد اعيا
لسلام العباد وأما سلام الله عليهم فانظر ما حكمه هل هو الوجوب أو غيره (قوله ثم أمرها الخ) يقتضى ان ذلك بعد الرجوع من العروج وفيه نظر لان أوّل صلاة صلاها جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد الرجوع صلاة الظهر ولم يعلم انه صلى به ركعتين قبلها فلو قدم ذلك على قوله ثم عرج الى السماء لزال النظر فان ثبت ان جبريل صلى ركعتين به بعد رجوعه من غير الخمس فلا ينافى كون أول صلاة صلاها به الظهر لان المراد من الخمس صح ماذكره (قوله وتحزب عليه) أى تجمع أى اجتمعوا على مخالفته صلى الله عليه وسلم (قوله فاستعار لفظ الشرب الخ) أوشبه الكفر بالماء بجامع السريان والمحبة على طريق الاستعارة بالكناية وأشربت تخييل (قوله الشرب) كان الظاهر فى التعبير الاشراب لانه المناسب للفظ المتن (قوله بيانية) أو من اضافة المشبه به للمشبه (قوله عياء) قال فى المختار وداء عياء أى صعب لادواء له أعيا الاطباء فقول الشارح عضال أى شديد صعب تفسير لعياء

جبريل أخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت أتراه قال نعم قالت فعلى الايمن ففعل فقالت أتراه قال نعم قالت فاجلس فى حجرى ففعل فقالت أتراه قال نعم فألقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت اثبت وأبشر فوالله انه لملك ماهذا شيطان (ثم) بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ (قام النبى) أى جد واجتهد فى حال كونه (يدعو الى) عبادة (الله) والايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم وترك ماهم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لان أول ماوجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله عليه من قيام الليل ماذكره فى أوّل سورة المزمل ثم نسخه بما فى آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة قاله النووى رحمه الله تعالى وقال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه لكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة أم لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وروى ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وأطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الى الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره ان يتوضأ وقام جبريل يصلى وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى أتى خديجة فأخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أمرها صلى الله عليه وسلم فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أوّل فرضها ركعتين الحديث (و) هى للحال (فى) أهل (الكفر نجدة) أى قوة تامة وتحزب عليه (واباء) أى امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به (أمما) مفعول يدعو أى جماعات هم أمة الدعوة (أشربت) بالبناء للمفعول (قلوبهم الكفر) أى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لاتقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ (فداء الضلال) الذى استقر (فيهم) أى مرضه والاضافة بيانية أى فالداء الذى استقر فيهم وهو الكفر داء لايرجى برؤه (عياء) بمهملة مفتوحة فتحتية أى داء عضال

أعيا الاطباء مداواته وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل فى الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون وأوّلهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان على وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالى زيد ومن الارقاء بلال وروى ان ورقة أسلم فان صح كان أوّل من أسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة فى أوّل من أسلم ثم دخل الناس فى الاسلام أرسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا أمره الى ان أمره الله تعالى باظهار أمره بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب آلهتهم سنة أربع من النبوة فأجمعوا على عداوته الا من عصمه الله تعالى بالاسلام أو صدق المحبة كابى طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب وبنى هاشم غير أبى لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يحذر منه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن أبى معيط على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر ومنعه منهم ثم أسلم عمه حمزة رضى الله تعالى عنه سنة ست من النبوة فعز به فكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يملكوه عليهم ويبذلوا له من الاموال ماشاء ويترك ما هو فيه فأبى وقال أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم * وفى سنة خمس اذن الله لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان أوّلهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم عمر بعد حمزة رضى الله تعالى عنهما بثلاثة أيام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه (ورأينا) معشر أمة الاجابة أى أبصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعلم من بعدهم بطريق التواتر أو الشهرة ويصح انها بمعنى علم فى الكل وهو واضح وابصر فى الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على آيات لا تحصى (آياته) أى معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته (فاهتدينا) أى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع (و) انما بادرنا الى ذلك لانا أصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه (اذا الحق جاء) زهق الباطل وبين بجاء ان الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح (زال المراء) أى الضلال والجدال فيه وفى هذا أبلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا (رب ان الهدى) أى اتباع الحق ليس الا (هداك) أى ليس الا بتوفيقك وهذا يتلى كما قلت فى كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له (و) ان (آياتك) التى اقتهادات على صدق

(قوله السابقون الاولون) قيل هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم جميع الصحابة لحصول السبق لهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ومن الموالى زيد) أى ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين أى أفواجا وفرقا اه من نور النبراس (قوله حدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين والباء الموحدة قال فى الصحاح يقال حدب عليه وتحدب عليه أى تعطف عليه (قوله وتوامرت) أى تشاورت وتوافقت (قوله يحثوه) قال فى المختار حثا فى وجهه التراب من باب عدا ورمى فكما يقال يحثوه يقال يحثيه (قوله أى ابصر الصحابة وعلم من بعدهم) امامن الجمع بين الحقيقة والمجاز ان كان حقيقة فى أحدهما مجازا فى الآخر وامامن استعمال المشترك فى معنييه ان كان موضوعا لهما ومن منع ذلك ذهب الى ان مثل ذلك من عموم المجاز بان يراد به معنى عام يشمل المعنيين كالادراك فتأمل (قوله وعلم من بعدهم) أى عرف فليست قلبية لعدم وجود مفعول ثان وكذا يقال فى قوله بمعنى علم فى الكل أى الصحابة ومن بعدهم (قوله وهو فيمن بعد الصحابة الخ) وعليه فالمعنى أبصرنا معجزاته أى دالها اذ النقوش ليست معجزة بل دال المعجزة وقد أشار لذلك بقوله الدالة الخ (قوله يجعل صدره) أى يصيره لان الانسان يخلق أولا على الفطرة وهى كونه مهيأ لما يلقى اليه ولما يجعل فيه فاذا أراد الله اضلاله أضله وجعله لا يقبل الايمان وقوله ضيقا أى ينبوعن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقوله حرجا أى شديد الضيق وذلك على قراءة كسر الراء ظاهر وأما على قراءة فتحها فمن الوصف بالمصدر على حد مررت برجل عدل والقراءتان سبعيتان وقوله كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة نبه به على ان الايمان يمتنع معه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوّا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه

أنبيائك ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكد لما قبلهما وعلى الثانى هى مؤكدة أيضا لكن فيها شبه اعتراض بها بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام (نور) كما قلت قد جاءكم من الله نور (تهدى بها من تشاء) هدايته وتضل عنها من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس من الآيتين المذكورتين كما أشرت اليه وايماء الى ان الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة * ولما قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لا تجدى شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك ويقرر به وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا ما يحرمه العاقل فقال (كم) مرة أى مرار كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده أكثر وأفصح من جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية (رأينا) أى علمنا وأبصرنا نظير ما مر واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز (ما) أى شخصا (ليس يعقل) أصلا كالحيوان والجمادات (قد ألهم) من المصالح وهذه الجملة فى موضع ثانى مفعولى رأى (ما) أى كثيرا (ليس يلهم) ه (العقلاء اذ) ظرف أو علة لرأى (أبى) أى امتنع (الفيل) المذكور فى الآية من أن يفعل (ما أتى) الامر أى عزم عليه (صاحب الفيل) وهو أبرهة ملك صنعاء وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة وبين أبى وأتى الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (ولم ينفع) ه (الحجا) أى العقل الوافر (والذكاء) اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته * وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشى قد بنيت لك كنيسة وأريد ان أصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بنى كنانة فأحدث فيها فسمع بذلك أبرهة فغضب وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فأمر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل قيل واحد يسمى محمودا وقيل أكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم وأسرهم الى ان قرب من المغمس من عرفة فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم أرسل أبرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة فركب فى قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم أرسل أبرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتمونى نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله تعالى فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه وأجله ونزل عن سريره وأجلسه معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال أن ترد على ابلى فقال له كنت أعجبتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى ابلك دون بيت هو دينك ودين آبائك فقال

(قوله اذ ظرف أو علة لرأى) ان كانت علمية فان كانت بصرية أو عرفانية فهى حال (قوله ابرهة) هو بلسان الحبشة الابيض الوجه قال الواقدى ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من تفسير القرطبى وعبارة البيضاوى ان ابرهة بن الصباح الاشرم قال فى القاموس هو صاحب الفيل سمى بالاشرم لان أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وقيل غير ذلك اه (قوله من قبل) أى جهة فكان عاملا لا صحمة (قوله) أصحمة بمهملات بوزن أربعة وقيل صحمة بفتح الصاد واسكان الحاء ومعناه بالعربية عطية ذكره ابن قتيبة (قوله بنى كنيسة) ذكر السهيلى ان أبرهة استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الحسيسة وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا فلما هلك أبرهة وتمزقت الحبشة كان من تعرض لاخذ شئ من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صنمين وهما كعيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا نحو السماء وكانا محوبين من الجان فلم تزل كذلك الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضها حجرا حجرا واندرست كذا فى البداية لابن الاثير (قوله النجاشى) بفتح النون والجيم وبالشين المعجمة وتشديد الياء كذا فى تحرير النووى قال ابن الملقن النجاشى تابعى لانه آمن ورأى الصحابة ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم ومن مسائل المعمى صحابى طويل الصحبة كثير الرواية أسلم على يد تابعى وهو عمرو بن العاص فانه أسلم على يد النجاشى اه من ازهار العروس للسيوطى (قوله فأحدث فيها) أى ولطخ قبلتها بالعذرة (قوله المغمس من عرفة) قال فى القاموس المغمس كمعظم ومحدث قال الشامى فى سيرته موضع فى طرف الحرم (قوله ونزل عن سريره) أى لانه كره ان يجلسه على السرير وخاف ان تنكر الحبشة عليه اجلاسه معه على سرير الملك

اما

اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد عليه ابله فرجع فأخبرهم فتحرزوا فى شعف الجبال والشعاب ثم أخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفى رواية ان رسول أبرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة أحضر فيله الابيض العظيم فلما رأى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب *(تنبيه)* مر آنفا أمران لا يخلوان عن اشكال وهما النور الذى فى جبهة عبد المطلب والذى فى صلبه وان ذلك نور محمد صلى الله عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت قبل الفيل قيل بخمسين يوما فكل ذلك جرى وهو صلى الله عليه وسلم حمل قريب وضعه وسبب اشكال هذين ما علم مما مر ان نوره صلى الله عليه وسلم كان ينتقل فى أصلاب الآباء وأرحام الامهات بحسب ترتيبهم فى الوجود فاذا وجد واحد انتقل اليه ما كان فى الذى قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر ان النور كله انتقل الى آمنة ولم يبق منه شئ فى عبد الله فضلا عن عبد المطلب ويؤيد هذا ما مر فى الكاهنة التى شاهدت ذلك النور فى عبد الله فبذلت له مالا عظيما ليتزوجها فينتقل النور اليها فتراخى فى اجابتها ثم ذهب فواقع آمنة فحملت فانتقل النور اليها ثم جاء لتلك الكاهنة فأبت فقال لها لمه قالت لان النور الذى كنت أشاهده فيك قد انتقل لغيرك فعلم انتقاله لآمنة وقد يجاب عن ذلك بان النور وان انتقل كما ذكر لكن الله سبحانه أكرم عبد المطلب فأحدث فيه كما يدل عليه سياق القصة حتى احتاج الى كرامة عظيمة تخلصه وماله من ذلك الملك وجنده الذين طغوا فى العتو والجراءة على الله تعالى وعلى بيته الذى أجمع الامم من لدن ابراهيم على صيانته وتعظيمه وانه لا يحاكى ولا يغالب نورا يحكى ذلك النور الذى استقر فى آمنة بل مع زيادة حتى صار فى جبهته كالشمس ثم أكرمه ثانيا بنور آخر أوجده فى صلبه وأطلع الفيل عليه فسجد ليعلم الخلق بهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع فى قصة الفيل انما هو من كمالات الارهاص لتحقيق نبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده مع الاشارة الى انه سيظهر دينه على الاديان كلها وانه لا يناويه أحد الا أهلكه الله واستأصل أتباعه حتى لا يبقى منهم أحد الا الشاذ ليخبر الناس عن الكيفية التى أخذهم الله بها والى ان ربه سبحانه وتعالى سيعطيه من خوارق المعجزات وباهر الآيات ما لم يعطه لنبى مرسل ولا ملك مقرب لان هذا الامر الباهر اذا وقع لاجله وهو حمل لم يبرز فى الوجود فما بالك بما سيقع له بعد وجوده ثم فى تنويع كرامة عبد المطلب لكون أحد ذينك الباهرين ظهر للناس وشاهدوه والثانى بطن فيه ولم يطلع عليه الا الفيل فسجد له الاشارة الباهرة أيضا الى ان الله سبحانه وتعالى سيظهر آيات ذلك الحمل وكراماته الى حد لا يمكن أحدا أن يخفى عليه من ذلك شئ والى انه سيطلعه على حقائق علومه الباطنة ما أنبأ عنه صلى الله عليه وسلم بعد فى قوله فى الحديث المشهور فعلمت علم الاولين والآخرين والى ان تلك العلوم الباطنة يطلع الله على بعضها خلفاءه ووارثيه ليتم لهم حقائق الخلافة وغاية الوراثة والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان له مقامان باهران ظاهر فى العالم كالشمس وباطن يوجب خضوع سائر الارواح الكاملة من البشر وغيرهم بين يديه وان استمدادهم منه وانه الممد لسائر الكمل من لدن وجودهم الى ما لا غاية له ولا انقضاء ولما أصبح أبرهة بالمغمس وهيأ فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل فى محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوا وانما برك لما وصلوا الى وادى محسر ولذا سمى بذلك لان فيلهم حسر أى أعيا فيه فضربوه فى رأسه ومراق بدنه حتى مزقوه بالحديد فأبى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فأبى ثم أرسل الله عليهم طيرا أبابيل كأمثال الخطاطيف من

(قوله يحميه) فقال له أبرهة لم يكن ليمتنع منى مع كثرة جيوشى فقال له عبد المطلب أنت وذاك فرد اليه الخ (قوله فى شعف الجبال) بشين معجمة فعين مهملة مفتوحة رؤسها الواحدة شعفة والشعاب جمع شعب بالكسر الطريق من الجبل (قوله وخار) قال فى القاموس الخوار بالضم صوت البقر والغنم والظباء والسهام وفى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار (قوله خر ساجدا) أى وكان لا يسجد للملك أبرهة كما تسجد سائر الفيلة (قوله فأحدث) أى الله سبحانه وتعالى فيه أى فى عبد المطلب وقوله نورا الآتى مفعول أحدث (قوله وجنوده) وكانوا نحو ستين ألفا لم يرجع منهم الا مليكهم وشرذمة قليلة (قوله برك) من باب دخل أى سقط الى الارض وليس من شأن الفيلة ان تبرك وقيل ان فيها ما يبرك كالبعير أى يجعل البرك وهو الصدر بالارض (قوله محسر) كمحدث وهو واد بين المزدلفة ومنى (قوله ومراق بطنه ٣) أى مارق من أسفل البطن ولان ولا واحد له من لفظه كذا فى الصحاح والمصباح (قوله أبابيل) أى جماعات ولم تتكلم العرب له بواحد (قوله كأمثال الخطاطيف) قال العوفى سألت أبا سعيد الخدرى فقال حمام مكة منها اه من تفسير القرطبي

٣ قوله ومراق بطنه الذى فى نسخ الشارح بدنه اه

البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كامثال العدس لا تصيب أحدا منهم الا قتلته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق وأصيب أبرهة فى جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد والقيح والدم ومامات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة فى سورة الفيل وافتتحها بألم تر كيف مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكر وأن الخبر متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا وانها كانت ارهاصا وتأسيسا لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تأسيسا كما فى تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجر والحجارة قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشئ الا سلم عليه الا ما يسمعه بأذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان أبرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل ذلك على عظم اعتناء الله بهم واتفق معنى الارهاص بعد مجيء النبوة وثبوتها بالدلائل القطعية أملى للحجاج قبحه الله حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشئ * ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال (والجمادات) وهى ما لا روح فيه (أفصحت) أى أظهرت ونطقت بكلام بين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلقه الله تعالى فيها حينئذ من غير حياة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق الله فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتى فى حنين الجذع وأنينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وأن ولا يعارضه ان مذهب الاشعرى ان خلق الصوت فى محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه لانا لم نأخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه حن وأن ومذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام النفسى يستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى بالتزامه كما يلتزم الغائب أهله بالشهادة (له) بالانباء والارسال (الذى أخرس عنه لاجل) متعلق بأفصحت (الفصحاء) نائب فاعل أخرس وفيه الطباق أى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت ألسنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهدله بذلك الجمادات الصم بأفصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يديه ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر رضى الله عنهما يسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن فى سنده ضعف وصح عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة اهـ وصح أيضا انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث انى لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان بممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه أهل مكة سلفا وخلفا وصح عن على كرم الله وجهه كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحى مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى البزار وأبو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال

السلام

فليتأمل فيه مع ما سيأتى من قصة الغار من ان حمام مكة من نسل الحمامتين اللتين عششتا فى الغار وهما حمامتان وحشيتان (قوله ثلاثة أحجار) قال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده فكان ذلك أول الجدرى (قوله أملى للحجاج) قال فى المصباح وأملى الله له أى أمهله (قوله لا تلعثم فيه) يقال تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى اهـ مصباح (قوله فى حنين الجذع وأنينه) قال فى القاموس الحنين الشوق وشدة البكاء والطرب والانين التأوه (قوله بالشهادة) اذا تأملت ما سيأتى لم نجد التصريح بالشهادة بالارسال الا فى حديث الشجرة وحديث على الذى فيه فما استقبلنا شجر ولا حجر الخ وحديث البزار وأبى نعيم اذ ليس المراد بالشهادة بالارسال خصوص لفظها حتى يختص بحديث الشجرة بل الاقرار بالرسالة ولو بغير لفظ الشهادة وفى حديث العذق على أحد التقريرين الآتيين فيه وأما فى غير ذلك فانما فيه خوارق للعادات تدل على رسالته كتسبيح الحصى والطعام تأمل (قوله بالانباء) قد تتبعت كلام الشارح فلم أجده ذكر الشهادة بالانباء من جماد من الجمادات وانما جميع ما ذكره قاصر على الاخبار بالارسال اللازم له الانباء فكان الظاهر حذف الانباء لايهامه انه ذكر ما يفيد الشهادة به مجردا عن الارسال (قوله من فى الحلقة) قال فى المختار الحلقة بالسكون الدروع وحلقة الباب وحلقة القوم والجمع الحلق بفتحتين على غير قياس وقال الاصمعى الجمع حلق كبدرة وبدر وقصعة وقصع وحكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء حلقة فى الواحدة بفتحتين والجمع حلق وحلقات قال ثعلب كلهم يجيزه على ضعفه قال أبو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا فى قولهم هؤلاء قوم حلقة للذين يحلقون الشعر جمع حالق اهـ وقوله بفتحتين على غير قياس أى والقياس الحلاق والحلق كقصاع وقصع فى جمع قصعة

السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءته فقال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فقالت اسكفة الباب وحيطان البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد فتحرك وصح أيضا على حراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الارض خدا أي تشقها شقا فقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فسقطت عروقها ثم جاءت تخد الارض خدا تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي ان أسجد لك فقال لو كنت آمر أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم أعرف انك رسول الله قال بان ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد بأني رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابي * (تنبيه) * علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلائل نبوته ما وجد في كتب الله تعالى من نعته وخروجه بأرض العرب وما ظهر بين يدي مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل بأصحابه وخمود نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة بأوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجائب التي ظهرت أيام رضاعه وبعده الى مبعثه صلى الله عليه وسلم واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم النظر في عاقبة ولا خوف لائمة فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم وهجروا أوطانهم وأهاليهم في محبته صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا أفاضها عليهم في العاجل ولا وعدهم في الآجل بما أطمعهم في نيله بغرورنه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلي أو تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق نبيا انما ذلك أمر الهي وتأييد سماوي تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا الذي ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله (ويح) منصوب بفعل محذوف أو بحرف النداء أي يا ويح على حد يا حسرة على العباد أي احضري هذا وقتك كذا قيل والذي صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردا أو مضافا قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر متى أضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لا خبر له ومتى أفردته جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال

قوله وبنيه) أي العباس رضي الله عنه وسيأتي في شرح قوله ومن حوته العباء التصريح بهذه الرواية وبذكر روايات فيمن حوتهم العباء فراجعه (قوله أسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء وهي (٦٩) عقبة الباب السفلى (قوله أو صديق الخ) أو في الموضعين بمعنى الواو (قوله العذق) قال في المصباح العذق بالفتح النخلة بحملها ومنه قول الحباب ابن المنذر انا عذيقها المرجب وبعضهم ضبطه بالكسر ثم رأيت في المختار العذق بالفتح النخلة بحملها والعذق بالكسر الكباسة ولعل المراد بالعذق هنا بعضه كحمله أو شئ منه لقوله من هذه النخلة وقوله فسقطت ثم رأيت في القاموس ما لا يحوج لتكلف حيث قال العذق النخلة بحملها الجمع أعذق وعذاق وبالكسر القنو منها والعنقود من العنب أو اذا أكل ما عليه والجمع أعذاق وعذوق اهـ فالظاهر انه هنا بالكسر القنو فيلائم قول الشارح من هذه النخلة وقوله فسقطت (قوله فدعاه الخ) ليس فيه شهادته بالرسالة فلعل الاعرابي اكتفى بسقوطه وعوده أو هناك حذف أي فشهد انه رسول الله ثم قال الخ (قوله وشن الغارات) قال في الصحاح شن الماء على الشراب فرقه عليه ومنه قيل شن عليهم الغارة وأشن اذا فرقها من كل وجه (قوله بفعل محذوف) فيكون مفعولا مطلقا والفعل المقدر هو أهلكهم الله ونحوه وقوله أو بحرف النداء فيكون مفعولا به ونصبه بعامل مقدر لا بحرف النداء تأمل دنوشري (قوله لا خبر له) قد يقال ان الخبر محذوف تقديره ويح زيد حاصل فامتناع الرفع لاجل ذلك ممنوع وهو القول الاول (قوله والنصب فيه) أي ويح وينبغي ان يكون مثله ويل (قوله ومن ثم غلب الخ) بنظر الفرق بينهما

ابن أبي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان ويح أخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما أشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم فتقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها في هذا المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدائم وقد يجاب بان كثيرا منهم أسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك أصلا فالاحسن الجواب بأن الترحم من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه وجلدته والترحم لهم من هذه الحيثية لا محذور فيه (قوم جفوا نبيا) بلغ من مراتب الجلال والتعظيم ما لم يبلغه نبي أي أبغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر آنفا مبسوطا (بارض الفته ضبابها) جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وكلمات أخر قال من أنا قال رسول رب العالمين فأسلم الاعرابي الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أبلغ من هذا (والظباء) جمع ظبي روى حديثه من طرق كثيرة أبو نعيم والطبراني وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه بغيره أو لعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فأرضعهما وارجع قال صلى الله عليه وسلم وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أعد فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله ألك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ولم يرد الناظم الحصر في هذين فقد صح ان الذئب ألفه وأخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم أيضا كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها

على كلام ابن أبي الربيع (قوله على تب) التباب خسران يؤدي الى الهلاك (قوله اتفقوا) أي اتفق غالبهم ليصح قوله وقيل هما بمعنى (قوله فالاحسن الجواب الخ) يقتضي ان الجواب الاول حسن وان احتاج لمعونة بان يقال هم في حال كفرهم واقعون في مهلكة بحسب ظاهر حالهم فالترحم باعتبار الباطن وما يؤول اليه الحال من اسلامهم على ان الجواب الذي جعله أحسن فيه نظر لان أقاربه ان أراد بهم من أسلم توجه عليه رده الذي رد به الجواب الاول وان أراد بهم من لم يسلم فهم في مهلكة يستحقونها وقد شرط في استعمال ويح عدم استحقاقها فتدبر (قوله ان اعرابيا) نسبة لاعراب اسم جمع لعرب لا جمع له لان الاعراب سكان البوادي من العرب والعرب خلاف العجم وان لم يسكنوها فلو كان جمعا له لكان المفرد أعم من الجمع وهو ممتنع (قوله وكلمات أخر) هي وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه (قوله رسول رب العالمين) تتمته وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك (قوله الحديث) وتمامه كما في شرح تائية السبكي لا أثر بعد عين ولقد جئتك وما على وجه الارض أبغض الي منك وانك اليوم أحب الي من نفسي وولدي ووالدي واني لاحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي اشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام وهداك الى هذا الدين بي فرجع الاعرابي الى قومه فاخبرهم بالقصة وكان من بني سليم قال الماوردي فاتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف انسان منهم فأمرهم ان يكونوا تحت راية خالد بن الوليد قال الماوردي ولم يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم اه (قوله خشفان) الخشف مثلث الخاء ولد الظبي أول ما يولد أو أول مشيه اه قاموس (قوله فذهبت) في الحديث فقال لها أولادها وقد اختفت عنهم ثلاثة ما غيبتك فذكرت لهم القصة والضمانة فقالوا جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامنا فوالله لا نرضع منك قطرة حتى توفي ضمانته فرجعت (قوله فاطلقها) لا يقال اطلاق الغزالة يشبه سوائب الجاهلية فلا يجوز لانا نقول ان فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم فجاز أو أن ذلك كان لغرض سقي أولادها أو ان ذلك خصوصية اه دنوشري

فانتزعها الراعى منه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال الا أخبرك بأعجب من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ماقد سبق وفى رواية صحيحة بما مضى وماهو كائن فأتى الراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فامر صلى الله عليه وسلم ان ينادى الصلاة جامعة ثم أمر الراعى فأخبرهم وفى رواية عن سعيد بن منصور فى سننه ان الذئب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئاب جاء يسئلكم ان تجعلوا له شيأ من أموالكم قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب * وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار أيضا على ماروى فى حديث طويل لكن قال ابن الجوزى انه موضوع وكلمه أيضا الجمل كما جاء فى عدة طرق بعضها سنده جيد و بعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يارسول الله انه صار كالكلب الكلب أى عضوضا فقال ليس على منه بأس فلما نظر الجمل اليه أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل الحديث وفى رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فرآه جمل فحن اليه وذرفت عيناه فمسح قريب رأسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه أى تتعبه وجاء بسند صحيح ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم (وسلوه) أى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله (و) الحال انه قد (حن جذع اليه) كما جاء من طرق صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوى الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوى يحمل قول التاج السبكى والصحيح عندى ان حنينه متواتر وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية أخرى حتى تصدع وانشق وفى أخرى فجعل يئن أنين الصبى وفى أخرى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفى رواية فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين وفى أخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفى أخرى

(قوله فتعجب) حيث قال العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب أنت أعجب وقفت على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون الى قتالهم وما بينك و بينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله قال الراعى فمن لى بغنمى فقال انا أرعاها حتى ترجع فأسلم الراعى اليه غنمه ومضى فوجد النبى يقاتل وأسلم فقال له النبى عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها واحدة وقوله واشرف أهلها الخ لعل المراد بأهلها الحور والولدان والافذوات الانس ونحوهم لا تدخلها الا يوم القيامة (قوله وله عواء) يقال عوى الكلب والذئب وابن آوى يعوى بالكسر عواء بالضم والمد أى صاح اه مختار (قوله عطش) ضد روى و بابه طرب اه مختار (قوله ودخل الحائط) أى البستان سمى بذلك لانه حائط لا سقف له (قوله كالكلب الكلب) قال فى الصحاح الكلب شبيه بالجنون والكلب الكلب الذى يكلب بلحوم الناس يأخذه شبه جنون فاذا عقر انسانا كلب (قوله فحن اليه) الحنين الشوق وتوقان النفس كما فى المختار و يطلق على البكاء الشديد وهذا هو المناسب هنا أى اشتد بكاء هذا البعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وذرفت عيناه) قال فى المختار ذرف الدمع سال وبابه طرب وذرفانا أيضا بفتح الراء وذرفت عينه أى سال دمعها (قوله التواتر) وهو خبر جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس لا عن معقول لجواز الغلط فيه كخبر الفلاسفة بقدم العالم فان اتفق الجمع المذكور فى اللفظ والمعنى فهو اللفظى وان اختلفوا فيهما مع وجود معنى كلى فهو المعنوى كما اذا أخبر واحد عن حاتم انه أعطى دينارا وآخر انه أعطى فرسا وآخر أنه أعطى بعيرا وهكذا فقد اتفقوا على معنى كلى وهو الاعطاء اه محلى على جمع الجوامع ولا شك ان ماهنا كهذا المثال فقد روى صاح وروى خار وروى يئن انين الصبى وروى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها وفى رواية بكى وهذا ظاهر ان أريد باختلاف المعنى ما يشمل كونه متقاربا فان خار الذى هو بمعنى صاح و يئن وحن و بكى متقاربة المعانى والمعنى الكلى المتفق عليه صوت صوتا صادرا عن قلق وشوق (قوله المسقوف الخ) لعل المراد قبل زمن فراقه بقرينة قوله الآتى وأمر به فدفن ولو كان السقف باقيا عليه لم يظهر الامر بدفنه الا أن يقال أمر بدفنه بعد انفصاله عن السقف ولا يخفى ان المراد بكونه مسقوفا عليه ان وضعه كان كالعمود طرفه الاعلى عليه السقف والاسفل بالارض فحرر (قوله خار كخوار الثور) قال فى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقد سبق ذلك مع زيادة فى قصة الفيل

والذى نفسى بيده لولم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل أشار الشافعى رضى الله عنه الى انه أبدع من احياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم بخلاف هذا وفى رواية عند الدارمى انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيدوه الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه فى الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن ومر فى شرح قوله والجمادات افصحت الى آخره ماله تعلق بذلك (وقلوه) أى أبغضوه (و) الحال انه قد (وده) أى أحبه وبين السلو والحنو والقلا والود الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الآتيين وكان المراد فى الاولين ان السلو يدل على سبق المحبة والالفة والحنو يدل على البغضاء والايذاء كما مر (الغرباء) الذين هم ليسوا من عشيرته ولا من قومه ولا عرفوا ماعرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الموسم الذى لقيهم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى بعض الخزرج عند العقبة فقال من أنتم قالوا من الخزرج فقال ألا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا الى مادعوتنا اليه فان أجابوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه فى العام القابل اثناعشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج أيضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هى العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يده جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا فيوم أحد ولم يكن فيهم أعنى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم فى العام القابل فى الموسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها يقول من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضى الله عنه هذه المبايعة فأكد عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام ينتظر الاذن له فى الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تفعل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر فى ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر أمره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه أو يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس لعنه الله فى صورة رجل جميل وأظهر لهم انه يريد نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال أبو جهل لعنه الله أرى ان تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه فى القبائل فلم يقدر أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فأجمعوا عليه فأتاه جبريل عليه السلام فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه وثبة واحدة فأمر صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه بأن ينام مكانه

من بليه فقال صلى الله عليه وسلم اختار الخ وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه (قوله أبغضوه) فى القاموس ٣ ان أبغض لغة رديئة والفصيحة بغض ككرم ونصر وفرح فكان الاولى ان يقول بغضوه من باب نصر وباب كرم لازم (قوله والحنو) كان الظاهر والحنين لان الحنو مصدر حنا عليه أى عطف من باب غدا ومانحن فيه من حن يحن من باب ضرب وان تقاربا فى المعنى (قوله وكان المراد الخ) أى داع لهذا فقد تقدم ان السلو النفرة وفى المختار ان الحنين الشوق وتوقان النفس اللازم له الالفة وبين النفرة وما ذكره التنافى (قوله الموسم) وموسم الحاج مجمعهم (قوله عند العقبة) وهذه العقبة الاولى وستأتى الثانية والثالثة (قوله أسيد بن حضير) بضم الهمزة والحاء المهملة وفتح السين والضاد المعجمة (قوله أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين أى أفواجا كما سبق

٣ قول المحشى فى القاموس ان أبغض الخ الذى فى القاموس وأبغضه ويبغضنى بالضم لغة رديئة اه فقوله بالضم أى للغين المعجمة فما فى المحشى الى آخر القولة سهو فتأمل

ثم

ثم خرج عليهم فلم يبق منهم أحد الا أخذ الله على بصره فلم يره ونثر على رأس كل منهم ترابا كان فى يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما أصاب أحدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفى هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية * ثم اذن الله تعالى لنبيه فى الهجرة كما قال (اخرجوه) بدل من جفوه (منها) أى كانوا السبب فى خروجه من تلك الارض التى هى مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه وأحب أرض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ولولا انى أخرجت منك كرها ما خرجت وبقولى كانوا السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم فى خروجه بمبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه لا سيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظاره الاذن له فى الخروج مدة حتى وجد فتسببهم سبب للاستئذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك أظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون الاول سببا للثانى أيضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول أو الخميس الذى يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثانى عشر الشهر وجمع بأن خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا رضى الله عنه ليؤدى ما عنده من الودائع وكان مجيئه بيت أبى بكر وقت الظهيرة فقال انه قد أذن لى فى الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتى قال بالثمن أى لتتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال (وآواه غار) ولما فقدته قريش طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة اثره فى كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار قيل أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال (وحمته) منهم (حمامة) فيه جناس سبق نظيره (ورقاء) وهى ما فى لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتها له ان فتيان قريش من كل بطن لما أقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له ما لك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين أمية بن خلف وما أربكم فى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وفى مسند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم (وكفته بنسجها عنكبوت) يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (ما) أى الاعداء الذين (كفته) اياهم (الحمامة الحصداء) أخذه من قولهم شجرة حصداء أى كثيرة الورق فاستعاره للحمامة الكثير ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها او الممتنع انما هو الوصف بمتضادين أو متماثلين وروى أن الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج العنكبوت على أعلاه فقالوا لو دخلاه لتكسر البيض وتفتح نسج العنكبوت قال الائمة وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه أحد لما جرت به العادة انهما متوحشتان مهما أحسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما أراده تغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان أبا بكر

(قوله الصحبة) أى أسألك الصحبة (قوله احدى راحلتى) وهى القصوى وكان الثمن عنها أربعمائة درهم وقد بقيت بعده وماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وقد ورد انه ابرأه من ذلك الثمن (قوله (٧٣) ولا يكون لاحد فيها منة) لعل المراد بحسب الظاهر والعرف والا فالمنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق وعلى غيره ثابتة ولو بذل له ما بذل فخرجا ليلا وكان مال أبى بكر حين أسلم أربعين ألف درهم فخرج الى المدينة للهجرة وليس له الا خمسة أو أربعة آلاف درهم فبعث ابنه عبد الله فحملها الى الغار اه ع ش (قول (قوله وآواه غار) وهو نقب فى الجبل وهذا الغار يمنى مكة فى مسافة ساعة كذا فى شرح استاذنا قدس الله سره العزيز (قوله وبعثوا القافة اثره) قال فى المختار وخرج فى اثره بكسر الهمزة أى فى أثره والاثر بفتحتين وقال فى القاموس وخرج فى اثره وأثره بعده اه (قوله حمامة) المراد الجنس لان ما كان بفم الغار حمامتان كما ذكر (قوله عنكبوت) قال فى حياة الحيوان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن على كرم الله وجهه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر (قوله أى الاعداء الذين الخ) عبر عنهم بما التى أصلها لغير العاقل تنزيلا لهم منزلته (قوله فاستعاره الخ) غير ظاهر فكان حق التعبير ان يجعل المتن من باب التشبيه المحذوف اداته أى الحمامة التى هى كالحصداء أى كالشجرة الحصداء بجامع كثرة ما على كل من الريش فى الاولى والورق فى الثانية أو من باب الاستعارة بالكناية بتشبيهها بالشجرة تشبيها مضمرا فى النفس واثبات لازم المشبه به وهو الحصداء فتأمل

قال يارسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم (واختفى) صلى الله عليه وسلم أى استتر والاحسن عطفه على وآواه غار (منهم على) أى مع (قرب مرآه) أى محل رؤيته وفى ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة (و) حكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ماتحت قدميه لرآه كما تقرر ان (من) جملة (شدة الظهور) عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له (الخفاء) عنهم الذى حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعماله الظهور فيما ذكر مع أن مقابلته بالخفاء يوهم انه أراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو أن يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو التواطئ أو الحقيقة أو المجاز أحدهما بعيد فيقصده ويورى عنه بالقريب ليتوهمه السامع من أول وهلة وهو هنا ضد الخفاء الموهم له قوله واختفى قال الزمخشرى لاترى بابا أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى أريد من الاستواء معناه البعيد الذى هو الاستيلاء دون القريب الذى هو استقرار فى المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شئ من لوازم المورى به ولا المورى عنه والحق بها ماذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافآ حينئذ ومنه مافى البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى وبالخفاء اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفاء فان ذكر لازم أحدهما سميت مرشحة نحو والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به ورشح له بذكر البناء ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم فى حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر فى آية الاستواء والبناء ولعله أراد فى الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذى هو ضد الخفاء هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المرئى من العين توجب عدم ادراكها له فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادى والثانى خارق للعادة وكالتورية فى كونه أشرف أنواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها ولهم فى حده عبارتان أشهرهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر يراد به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره

(قوله الخفاء) مصدر خفى كرضى خفاء فهو خاف وخفى لم يظهر وخفاه هو واخفاه أظهره واستخرجه كاختفاه انتهى من القاموس ببعض تصرف (قوله من الفن) كان الظاهر من النوع لان التورية نوع من أنواع فن البديع (قوله والايهام) بالمثناة من تحت وعطفه على التورية من عطف أحد المترادفين على الآخر وتسمى توجيها وتخييلا قال العمادى وأولى الاسماء التورية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراء بحيث لا يظهر وتسميتها بالايهام لان المتكلم يوهم السامع أول وهلة انه أراد المعنى القريب وليس كذلك (قوله التواطئ) المتواطئ هو المتساوى الافراد ذهنية كانت أو خارجية فى حصوله وصدقه عليها كالانسان والشمس وسمى متواطئا لتوافق الافراد فى معناه من التواطئ وهو التوافق (قوله نحو الرحمن الخ) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه الى بدر فقيل له ممن أنتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء أراد أنا مخلوقون من ماء فورى (٧٤) عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه قول أبى العلاء المعرى

وحرف كنون تحت راء ولم يكن
بدال يؤم الرسم غيره النقط

فان هذا البيت يوهم انه أراد بدال وراء حرفى الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحرف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب والمراد بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيهها به فى تقوسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلى اذا رفق فى السير وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر (قوله المتبادر منه) أى الخفاء (انه ليس المراد الخ) اذ لو كان المراد ضد الخفاء لزم اجتماع الضدين تأمل (قوله لازم أحدهما) الذى ذكره شراح بديعية ابن حجة كشرح العمادى الدمشقى ان المرشحة ماذكر فيه لازم المورى به كمثال الشارح وهو يقتضى ان ذكر لازم المورى عنه لاتكون التورية به مرشحة وظاهر كلام الشارح حيث عبر بأحدهما الصادق بكل منهما انها تسمى مرشحة وليس كذلك فكان عليه أن يقول فان ذكر لازم المورى به الخ ويدل لذلك تقريره وبراد تأمل (قوله أن يؤتى الخ) كقوله تعالى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا الخ فالاستخدام فى لفظ الصلاة فاحد المعنيين الاقوال والافعال والآخر موضع الصلاة ويدل للاول حتى تعلموا ماتقولون وللثانى ولا جنبا الاعابرى سبيل وكقول بعض البلغاء فى تكلمه على صلاة الجمعة ويصلى الجمعة بها وبالمنافقين فاستخدم بهاتين اللفظتين القصيرتين مفهومى الجمعة وسورة الجمعة ولا يخفاك ان المثال الاول لايلائم أشهر العبارتين الذى ذكره الشارح لعدم ضمير عائد على لفظ الصلاة بالمعنى الآخر الذى هو المكان وقد يقال الضمير محذوف من جملة المقدر اذ التقدير ولا تقربوها جنبا الخ تأمل

ويراد به المعنى الآخر وروى ان أبا بكر رضى الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم فى الغار يقطران دما لانه لم يعتد الحفاء فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه حيات فالقمه عقبه فجعلت الحيات الافاعى تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تنحدر وفى رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه فى حجره ونام فلدغ أبو بكر فى رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروى ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أى بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه أى أبى بكر لانه الذى انزعج وهى أمنة تسكن عندها القلوب وأيده أى رسوله صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها أى ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معى ربى سيهدين ما بين مقاميهما اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا فامد الله أبا بكر بشهود المعية أيضا وقصرها موسى على نفسه وأيضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبى بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما طريق البحر (ونحا) أى قصد (المصطفى) على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم (المدينة) المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت فى طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تسقى وتطعم من يمر بها وكانت فى سنة جدباء فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا فأتى زوجها فتعجب منها فذكرت له القصة وأوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته وأخرج ابن سعد وأبو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن عمر رضى الله عنه ثم تعرض لهما بقديد سراقة كما يأتى وروى البيهقى انهما اجتازا بعبد يرعى غنما

(قوله انه دخل الخ) فسد ثقبا به ما فيه من جحر فبقى جحر فالقمه عقبه فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ثوبك يا أبا بكر فاخبره بالذى صنع فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة فاوحى الله اليه قد استجاب لك (قوله فلدغ) اللدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وعكسه للنار وأما اهمالهما واعجامهما فمن المهمل الذى لا معنى له (قوله فتفل الخ) قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك فى عقبه ولما تفل فى عقبه سرت فى العقب بركته سراية الحياة فى الجسد ويقال انه دعا فقال بارك الله فى عقبك الى يوم القيامة وفى الحديث ما أعطيت فضيلة الا وقد أعطيت شطرا منها حتى الشهادة فانى أعطاها بسم أكلة خيبر وتوتاها بسم أفعى ليلة الغار وفى الحديث ما أطيب مالك منه بلال مؤذنى وناقتى التى هاجرت عليها وزوجتنى ابنتك وواسيتنى بمالك كأنى انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتى وفى حديث رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر (قوله وهى أمنة) يقال أمن من باب فهم وسلم أمانا وأمنة بفتحتين من الامن ضد الخوف فهما بمعنى انتهى من المختار (قوله ثم يدلج) بتشديد الدال وهو السير آخر الليل وأما يدلج بسكونها من أدلج فهو السير أول الليل قال فى المختار أدلج سار من أول الليل والاسم الدلج بفتحتين والدلجة والدلجة بوزن الجرعة والضربة وادلج بتشديد الدال سار من آخره والاسم أيضا الدلجة والدلجة انتهى (قوله راحلتيهما) أضافهما اليهما لركوبهما لهما أو باعتبار المآل ان أريد اضافة الملكية بالنسبة لناقة رسول الله والا فهما وقت دفعهما لابن الاريقط كانتا مملوكتين للصديق ثم اشترى منه رسول الله احداهما كما سبق (قوله أم معبد) قال شيخنا الحلبى وفى كلام ابن الجوزى ان أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها خنيس بن الاصفر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك انتهى ع ش وأم معبد اسمها عاتكة (قوله ان أحلبها) بضم اللام (قوله حلب فيه) الضمير للاناء المعلوم من المقام وفى بعض الشروح ذكر الاناء بعد قوله فدعا بها وقبل قوله فاعتقلها حيث قال فدعا بها وباناء فاعتقلها الخ (قوله عللا) العلل الشرب الثانى والنهل الشرب الاول يعنى ليشرب منه ثانيا بعد الشرب منه أولا والا فظاهر عبارة الشارح انه لم يقع شرب ثانيا بالفعل حيث قال وتركها الخ (قوله فجاء زوجها) قيل لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بن أبى الجون ويقال

فاستقياه لبنا فأتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى أبا بكر ثم الراعي ثم شرب وهذا محمول على علمه بسيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربي غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودي علا على موضع عال فرآه فصاح هذا جدكم أي حظكم يا بني قيلة أي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ان أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أسرع اليه الشيب مع انه أصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا أصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل أول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك فادركه علي كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة أيام ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وأقام بقباء أربع عشرة ليلة كما في مسلم وأسس مسجدها وهو أول مسجد بني في الاسلام ولذا كان الاصح انه الذي أسس على التقوى من أول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أي ناقته فانها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت الى ان بركت بموضع باب المسجد ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب أبي أيوب رئيس بني النجار اخوال عبد المطلب ثم سارت منه وبركت في مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى (واشتاقت) من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع في ميل الجمادات له صلى الله عليه وسلم حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شئ الا يسبح بحمده لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية وتسبيح الحصا وتأمين أسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما مر اذ الاصح في مثل ذلك مما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما في حديث ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم أرسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم وأرسلت الى الخلق كافة (اليه من مكة) التي هي مولده وأم القرى وأفضلهن عند أكثر العلماء (الانحاء) أي الجهات والنواحي لانها كانت معمورة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحا والانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى منحوة أي مقصودة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت والغناء وناداه والنداء الآتيان (وتغنت بمدحه) أي أظهرت أوصافه الجميلة

ابن الجون انتهى من المواهب (قوله وهذا محمول الخ) ذكر ابن العربي ان أقوى الاجوبة انه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم انتهى فتأمل فيه فان دليله خاص بالمؤمنين فلا يطابق المدعى ان كان سيد العبد كافرا كما هو مقتضى الجواب الذي نقله الشارح (قوله الى الحرة) هي أرض ذات حجارة نخرة سود (قوله جدكم) بفتح الجيم (قوله بقباء) ممدود موضع بالحجاز يذكر ويؤنث انتهى مختار (قوله ولذا كان الاصح الخ) ومقابله ما قيل انه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من أول يوم) أي من أيام وجوده (قوله يوم الجمعة) هذا (٧٦) يشكل على ما تقدم انه نزل يوم الاثنين وأقام أربع عشرة ليلة اذ مقتضاه ان يكون ركوبه يوم الاثنين والا فيوم الجمعة ثاني عشر يوم نزوله فلا يلائم مدة اقامته التي ذكرها والاشكال ظاهر على ما ذكره من اقامته بقباء أربع عشرة ليلة وهو قول ذكره النجم الغيطي أيضا في مولده ثم ذكر قولا آخر لا اشكال معه حيث قال والمشهور عند أصحاب المغازي ما ذكره ابن اسحق انه أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ثم خرج منها ضحى يوم الجمعة فادركته صلاتها في الطريق فصلاها في بني سالم بن عوف في المسجد الذي في بطن الوادي بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة انتهى بحروفه ثم ان كان بطن الوادي الذي صلى به داخل المدينة كما هو ظاهر قوله فكانت أول جمعة فلا اشكال على مذهبنا وان كان خارجها ولم يكن في ابنيتها أربعون مقيمون أشكل عليه (قوله ان قلنا ان الانحاء الخ) انظر القول المقابل لذلك ماهو (قوله ورد العجز على الصدر) ويسمى في التصدير بان يأتي الشاعر بكلمة في صدر بيته ثم يعيدها في آخره بلفظها ومعناها أو بلفظها دون معناها أو يعيد ما يوافقها في المادة وان اختلفا صورة ومنه قول الشاعر يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار ومنه قول الصفي الحلي في بديعيته فمن يحدث عن سرى فاظهرت * سرائر القلب الا من حديث في وبقولي تبعا لبعض أهل البديع أو يعيد ما الخ يدخل بيت الناظم ومنه قوله ضرائب أبدعتها في السماح * فلسنا نرى لك فيه ضريبا والضرائب جمع ضريبة أي طبيعة والضرب المثيل والضرب المثل

(قوله فى صورة الغناء) فى القاموس ان الغناء الصوت المطرب (قوله ذاك الغناء) بكسر الغين والمد واما بفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها والقصر فمعناه اليسار مقابل الفقر (قوله فيا لقصى) أى ادعوكم لأتعجب منكم فيما أغفلتموه من حظكم وأضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله والجائكم اياه الى الخروج من بين أظهركم وبلى هذا البيت بيت وجدته فى شرح تائية السبكى وهو قوله
فما حملت من ناقة فوق ظهرها * ابر وأوفى ذمة من محمد (قوله مازوى) بفتح الزاى والواو أى جمع وقبض (قوله به) أى بخروجه من بين أظهركم فحذف المضاف للعلم به (قوله من فخار) وفى نسخة من فعال بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكرم وبكسر الفاء جمعا انتهى من نور النبراس (قوله لا يجارى) ضبط بالراء والزاى (قوله وسودد) بضم السين واسكان الواو مصدر يقال ساد سيادة وسوددا (قوله ليهن بنى كعب) أى الذى أم معبد منهم لانها كعبية خزاعية (قوله بمرصد) المرصد بوزن مذهب موضع الرصد يقال رصد الشئ أى رقبه اذا الراصد الراقب للشئ وبابه نصر فالمصدر رصد باسكون الصاد ورصد أيضا بفتحتين كما فى المختار (قوله فغادرها) أى تركها (قوله رهنا) أى ثابتة تقول رهنت الشئ عنده أى أثبته وبابه قطع (قوله فى مصدر) أى فى مكان رجوعها يقال صدر عن الماء وعن البلاد أى رجع وبابه نصر ودخل وقوله مورد من الورود ضد الصدر أى مكان ورود الماء (قوله ولما وصل الخ) فيه ان اقتفاءه أثره كان قبل وصوله من حين جاءه رسل قريش (قوله سراقة) هو الذى ألبسه عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وهو صحابى اسلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف

فى صورة الغناء الذى تتولع به النفس ولا يصير فيها امتنع لغيره (الجن) المؤمنون وهرت قصة اعلامهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن أمر معلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما أجمع عليه الامة (حتى أطرب الانس) المؤمنين بل وغيرهم (منه) أى الغناء (ذاك الغناء) الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن أو سرور ذكر أهل السير عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقال أين أبوك قلت والله لا أدرى فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وأنشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى مازوى الله عنكم * به من فخار لا يجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها واناتها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد

الضرة لحمة الضرع والصريح بمهملين أوله وآخره الخالص أى بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة

فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

أى خلف الشاة عندها رهينة بان تدر قالت أسماء فلما سمعنا قول الجن علمنا أين توجه النبى صلى الله عليه وسلم (و) لما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى قديد محل قريب من رابغ (اقتفى) أى تبع (أثره سراقة) بن مالك بن جعشم المدلجى قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا ديتين فركبت مستخفيا فلما دنوت منهما عثرت بى فرسى فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فبكى أبو بكر وقال يارسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات (فاستهوته فى الارض صافن) أى طابت أن تهوى به فيها هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل السين لمجرد التأكيد لان الذى فى القصة انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه فى الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة كان لاثر يديها

وكان شاعرا مجيدا توفى رضى الله عنه فى أول خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان اه شرح الشفاء قال فى نور النبراس والصحيح الاول وقد تقدم فى الكتابة على شرح قول الناظم وتداعى ايوان كسرى ما فيه زيادة على ذلك فيما يتعلق بسراقة رضى الله عنه فراجعه ان شئت (قوله ابن جعشم) بفتح الجيم والشين كجعفر الوسط وكقنفذ وجندب القصير الغليظ الشديد والطويل الجسيم ضد اه قاموس (قوله عثرت) قال فى المختار وقد عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر ويقال عثر به فرسه فسقط وعثر عليه اطلع وبابه نصر ودخل انتهى وفى القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم عثرا وعثارا وتعثر كبا ثم قال والعثور الاطلاع كالعثر واعثره أطلعه وعثر كذب انتهى (قوله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات) وهى اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وأنى شئت (قوله أى طلبت الخ) سيأتى تذكيرها فى قوله الذى يقوم الخ فيفيد انها تذكر وتؤنث قال فى القاموس والفرس للذكر والانثى

(قوله فاستعير للفرس) كان الاولى شبه به الفرس لوجود الطرفين وقد يقال مراده أطلق عليها الا الاستعارة الاصطلاحية (قوله ثم رأيت بعضهم) هو شارحها أحمد بن الاقبطع المالكى أى بقوله ويحتمل أن يريد الخ والاقصد رعبارته كعبارة الشارح التى نقلها عن الشارح فتأمل (قوله أى نضيق عليه) والاقطن نفى القدرة عليه لا يتوهمه مؤمن فضلا عن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومغاضبا من بناء المغالبة للمبالغة أولانه

أغضب قومه بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا انتهى من البيضاوى وقال على قوله أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه أولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا أولن نعمل فيه قدرتنا انتهى (قوله فلم يرزآنى) بتقديم الراء المهملة على الزاى المعجمة بعدها همزة فالف لينة هى ضمير التثنية (قوله استأصل شأفتهم) الشأفة قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته أى أذهبه كما أذهب الله تلك القرحة بالكى انتهى مختار وهى بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية (قوله كما طويت الخ) هذا يقتضى ان وصوله الى المدينة على خلاف العادة كوصوله لمكان سمع فيه الخطاب من غير واسطة ورأى فيه ربه بعين بصره ليلة الاسراء وفى مولد النجم الغيطى ما يقتضى خلافه وان سيره فى الهجرة الى المدينة على العادة حيث ذكر انه خرج من مكة يوم الخميس هلال ربيع الاول ودخل قباء يوم الاثنين ثانى عشره فتكون مدة سيره عشرة أيام كاملة وبعض يوم دخوله

غبار ساطع فى السماء كالدخان والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاثة قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر (جرداء) أى رقيقة الشعر قصيرته وهى صفة مدح فى الخيل وأصله للشجرة التى قلم ورقها فاستعير للفرس (ثم ناداه) أى سراقة النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه وقال الامان يا محمد (بعدما) مصدرية (سيمت) الفرس (الخسف) بفتح أوله وضمه قال الشارح فى موضع أى أوليته ذلا وقال فى آخر أى بعد اسامة الخسف للفرس أى بعد حصول الذل للفرس المذكورة وكأن الحامل له على هذا ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوائمها غاصت فى الارض فحصل لها الخسف الحقيقى لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت الخسف بالنظر الى كلها أى سيمت أن يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج الى ما قاله الشارح فتأمله ثم رأيت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سمته خسفا أوليته ذلا أو كلفته مشقة ويحتمل أن يراد بعد ما قاربت أن يخسف بها (و) من الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه (قد ينجد الغريق النداء) أى الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله عليه وسلم قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لا باثم عليه فنادى فى الظلمات الآية والنداء رفع الصوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم تخليصه أولا يعبأ به أحد فاذا رفع صوته ونادى وصاح تنبه الناس له وأنقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما على فادعوا الى ولكما على ان أرد الناس عنكما ولا أضر كما قال فوقفا لى فركبت فرسى حتى جئتهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى أى لم يأخذا منى شيأ وقالا اخف عنا فسألته كتابا آمن به فامر عامر بن فهيرة فكتب لى فى ورق وقيل فى عظم وقيل فى رق والرق على قول من قال من أدم أخرجها له يوم حنين فنفذها وأمنه ومن يلوذ به *(تنبيه)* ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسراء وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب فى الذكر الترتيب فى الواقع ولعله اهتم بشأن الهجرة فقدمها لتنبيه النفس الى حكمة ذلك وهى انه انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استأصل شأفتهم أى بقيتهم وقطع جادرتهم (فطوى الارض) فى حال كونه (سائرا) عليها (و) هذا كما طويت له قبل ذلك (السموات العلا) لما كان (فوقها له اسراء) ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعا فى أسرع وقت فقطع مسيرة ثمانية آلاف سنة فى أسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا بالنسبة الى السماء السابعة واما ما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين أو أدنى فلا يعلمه الا الله تعالى فيا لهما من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء أظهر الله عليه فيهما عظم قدره فى سيره واسرائه وأفضليه

تقدمه

وممكن أن يجاب بان الطى لا يلزم ان يكون سيرا على خلاف العادة قال فى القاموس طوى البلاد قطعها وطوى الله البعد لنا قربه انتهى وما هنا من الاول بخلاف طى السموات المشبه به فانه من الثانى فتأمل ثم ان قوله كما طويت قد غير به اعراب المتن فكان الاولى ان يقول كما طوى مع ما علمت فيه أول القولة من عدم ظهور التشبيه (قوله مسيرة) مصدر ميمى بمعنى السير كالمعيشة بمعنى العيش فليست التاء للوحدة (قوله ثمانية آلاف) فيه ان سمك السموات السبع وما بينها وما بين الارض والسماء الاولى سبعة آلاف فقط وسيأتى فى الشرح فى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب انه زج به فى النور فخرق سبعين ألف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة

تقدمه على جميع خلقه فى أرضه وسمائه قال بعض الائمة والمعاريج ليلة لاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة العشرة ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت بوفاته التى فيها اللقاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى المنزلة التى لا أرفع منها كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس (فصف) أيها الناظر فى شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما أكرمه الله به تلك (الليلة) وهى ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت من رمضان أو شوال أو رجب وبه جزم النووى فى الروضة أو الحجة أو ثالث عشر ربيع الآخر وجرى عليه النووى فى فتاويه أو من ربيع الاول وجرى عليه فى شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى أو بعشر أو باحدى عشرة أو ثنتى عشرة أقوال رجح كلا قوم (التى) وقع ذلك الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله وما رأى من آيات ربه الكبرى أى اذكر صفاتها الجليلة بما يمكنك والاجمال أن تستوعبها أو ان تأتى بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين والبينات وأقوى الحجج وأصدق الانباء وأعظم الآيات ومن ثم قال بعض المفسرين انها أفضل من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه أوتى فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم فى اليقظة من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخالف فى كونه بالجسم وكونه فى اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح أخرى مردود والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح فى اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان أمكن تأويله تعين والاحكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها على انها أولت و(كان للمختار) صلى الله عليه وسلم (فيها) عجائب منها انه جاءه جبريل وفى رواية وميكائيل وفى أخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل أولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم أو شعب أبى طالب أو بيته أو بيت أم هانئ بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها بانه بات فى بيت ام هانئ وبيتها عند شعب أبى طالب وأضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم أخذه فاخرجه من المسجد فأركبه البراق فاستمرت يقظته ورواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت أى من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه انصب من السماء انصبابة واحدة بازاء محله الذى هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة فى المناجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد ولاظهار انه مراد ووقع فى موسى بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وأيضا ففى فرج سقف البيت والتئامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة وانه لا بأس عليه فيه ومرت قصة شقه هنالك عند ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما أخرجه من المسجد أركبه (على البراق) فكان له عليه (استواء) أى استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الآدميون وهو كما صح به الخبر دابة أى يشبهها اذ هو ليس

حجاب (قوله والمعاريج ليلة الاسراء عشرة) فى معراج الشهاب القليوبى التصريح بنصب جبريل المعراج من الارض الى فوق سدرة المنتهى وفيه أيضا ان درجاته ثمان الاولى صعد عليها رسول الله ومعه جبريل فارتفعت بهما الى السماء الاولى وهكذا الى الثامنة ثم قال فيها صعدت بهما الى الكرسى ثم الى فوق سدرة المنتهى قيل بدرجة تاسعة وقيل بلا درجة وهو أقرب لانها داخل الكرسى ثم زجه أى دفعه جبريل فى النور فخرق الله له سبعين الف حجاب الى آخر ما ذكره وظاهر كلامه انه ليس هنالك ما يعرج عليه بعد سدرة المنتهى وكلام الشارح يقتضى وجود ذلك فحرر والمعراج من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ (قوله الى المستوى) بفتح الواو أى المصعد أى المكان العالى كما فى نور النبراس (قوله صريف الاقلام) أى صوتها (قوله والرفرف) قال فى القاموس الرفرف شئ يشبه الطاق (قوله بالمكافحة) أى المباشرة من غير واسطة (قوله الى بيت المقدس) بفتح الميم واسكان القاف وكسر الدال ويقال البيت المقدس بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة أى المطهر وعلى اللغة الاولى يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان والمعنى على الاول بيت الطهارة وعلى الثانى بيت مكان الطهارة وتطهيره اخلاؤه من الاصنام أو المراد الطهارة من الذنوب (قوله على انها أولت) ومما أولت به ان المراد بالبعثة قبل ان يوحى اليه فى شأن الاسراء والمعراج أى وقع ذلك بغتة قبل ان ينذر به انتهى غيطى فى معراجه (قوله جمع بينها الخ) الجمع ظاهر بالنسبة لغير القول بالمجئ والنزول بالحطيم اذ لم يكن نزوله ومجيئه له به بل قبله فتدبر (قوله الى المسجد) أى الى الحطيم منه ليتم الجمع (قوله أى نشبهها اذ هو الخ) فيه انه لا يحتاج لذلك الا ان كانت التاء للتأنيث وليس كذلك بل هى للوحدة

بذكر ولا أنثى دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوته عند أقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمى بذلك من البرق لسرعة سيره أو من البريق أو من قولهم شاة برقاء اذا كان فى خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ معناه أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير أى يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصره الذى فى الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع خطوات انتهى وهذا انما يأتى على رواية فحملت عليه أى البراق حتى انطلق بى جبريل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السماء والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتى وفى رواية لابى يعلى والبزار اذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفى رواية شاذة له جناحان وأخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كقوائم الابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره من ياقوتة حمراء وفى رواية صحيحة أتى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط أكرم على الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائى وابن مردويه وكانت تسخر للانبياء قبله ان الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم ألفة الركوب بل لبعد عهده به أو ليظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم وانها عات على سائر المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه فى سلم وأمن لا حرب ولا خوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له ورواه أحمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وأول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافى كونه فى خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره أن ينزل ويصلى وبمدين فامره بذلك وبيت لحم الذى ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام فأمره بذلك وأراه عجائب أخرى الى ان وصل الى بيت المقدس فنزلا وربطه أى جبريل كما مر فى رواية لكن فى أخرى النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التى كانت الانبياء تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبياء فصلى بهم وصح فى رواية أتى بارواح الانبياء أى مع أجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم وفى رواية لاحمد فاذا النبيون أجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفى حديث ما يدل على انه صلى صلى الله عليه وسلم بهم فى بيت المقدس بعد العروج أيضا وتلك الصلاة قبل الصبح أى بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقيل العشاء أى بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما فى رواية ابن هشام والبيهقى وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة ورأى فى السماء الاولى آدم وعن يمينه أرواح المؤمنين واذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح بنيه الكفار واذا نظر اليهم بكى أى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى هى مستقر أرواحهم والنيل والفرات أى انتهاؤهما والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى حديث البيهقى

(قوله يضع خطوته) وفى نسخة حافره وهى واضحة لان الخطوة بالفتح هى نقل القدم وبالضم ما بين القدمين وذلك المعنى غير ظاهر هنا ولذلك احتاج الشارح الى حمل اللفظ على غير ظاهره بقوله معناه انه يضع الخ (قوله فارفض) أى سال وجرى والمعنى فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب (قوله وكانت تسخر للانبياء) نعم كونه مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى من معراج الغيطى (قوله وبمدين) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية بلد بالشام تلقاء غزة سميت باسم مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله بالحلقة) بسكون اللام على اللغة الفصحى وحكى فتحها وجمعها على الفتح حلق وحلقات وعلى السكون حلق بفتح الحاء وكسرها (قوله أى مع أجسادهم) سيأتى له قريبا أقوال ثلاثة ولعله اقتصر على هذا القول هنا لرجحانه عنده (قوله ثم اذن الخ) ان كان المراد بالاذان والاقامة المعروفين ففيه انهما لم يشرعا الا بعد فرض الصلاة (قوله فقدمنى فصليت بهم) تقدم للشارح فى شرح قول الناظم ثم قام النبى يدعو الى الله نقلا عن فتح البارى انه افترض قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فراجع ما هنالك وما كتبناه ثم (قوله قبل الصبح بناء الخ) فيه ان أول صلاة صلاها بعد العروج الظهر وقوله وقيل العشاء بناء الخ فيه ان الصلاة لم تكن فرضت حينئذ والتأويل ممكن (قوله مرقاة) بالكسر والفتح أى درجة فمن كسر شبهها بالآلة التى يعمل بها ومن فتح جعلها موضع الفعل (قوله وهم وغيره فى النار) كان الظاهر ان يقول وهم فى الجنة والنار ليشمل أرواح المؤمنين (قوله أى انتهاؤهما) أى انتهاء اضافيا والا فانتهاؤهما الحقيقى فى الارض (قوله وفى الثانية يحيى وعيسى) وحكمة قرن عيسى بيحيى مع ان فى كل سماء نبيا واحدا ان السيد عيسى ينزل فى آخر الزمان

فيبقى يحيى فلا تخلو سماء من نبي انتهى شرح منظومة ابن العماد (قوله وحكمة تخصيص الخ) لم يذكر حكمة لقاء ادريس (قوله البيت المعمور) ويسمى الضراح بالضاد المعجمة واهمالها غلط وآخره حاء مهملة أي البعيد سمي بذلك لبعده عن الارض وسمي بالمعمور لكثرة عمارته بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده كذا في المفهم للقرطبي (قوله ويدخله الخ) وفي تفسير الكواشي يدخله كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك انتهى والدحية بالكسر رئيس الجند وابن خليفة الكلبي ويفتح كذا في القاموس (قوله سدرة المنتهى) ومغرسها يحتمل انه في الهواء وانه في الجنة (قوله والفرات) بالتاء الممدودة في الخط وفي النطق وصلا ووقفا فجعله بالهاء خطأ ومعناه الماء العذب جدا وهو نهر بالكوفة (قوله وسيحان) وعبارة الوافي بالوفيات ما نصه سيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء جيحون مما يلي بلاد الترك وجيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون نهر عظيم فاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وما داناها فكل من كان من تلك النواحي فهو ممن وراء النهر اذ النهر في كلامهم هو جيحون وهذان النهران مع عظمهما يجمدان في زمن الشتاء وتمر القوافل عليهما ويقيمان على ذلك بمقدار ثلاثة اشهر

(١١ - ابن حجر) (قوله الى مستوى) هو بفتح الواو كذا قيده النووي وهو باصل سماعنا بالبخاري ومسلم منون وهو المصدر وهو المكان العالي انتهى من نور النبراس (قوله صريف الاقلام) أي تصويتها حالة الكتابة والمراد بالكتبة الملائكة يكتبون أقضية الله والقدر المكتوب قديم والكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل السموات والارض وانما فيه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكره في الاثر انتهى من المواهب

وغيره فاذا أنا برجل أي يوسف أحسن ما خلق الله وقد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب والمراد غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا اعتمده النووي في موضع واعتمده آخرون أيضا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم . هذه مقدمة على رواية لم تضبط به منازلهم وعلى رواية ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى التي فيها انه ضبطها على انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه رآهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات أخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وبكاؤه ليس بحسد حاشاه الله من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة أجور نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له أو رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه أصغر منه سنا أو لان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له أوائل الهجرة كما عادوا عيسى وأرادوا قتله ويحيى وقتلوه وكرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هرون الى محبته وكمعالجته لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بها كما وقع لابراهيم ومن ثم رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله من يوم خلق الله الخلق الى يوم الابد كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون اليه وأخذ منه ان الملائكة أكثر المخلوقات * واختلفوا في رؤيته لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف قائلو هذا في الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل الارواح أيضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله لهم الحجب حتى رأى كلا في قبره من المحل الذي أخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها من أمر الله ما غشى حتى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من أصلها ورواية انها من الجنة لا تعارض ذلك لان ذلك ينبع منه تلك الانهار في الجنة فلا ينافي ما قيل أصلها في السماء السادسة وعليه تحمل رواية انه رآها فيها وأعلاها في السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهي اليها علم الخلائق ولم يتجاوزها أحد الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قاله النووي ويتعين حمله على انه لا يتجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتي من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف أقلام الملائكة ثم أدخل الجنة وأحاط بها ثم عرج به صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري حتى ظهر بمستوى أي بمحل عال يسمع فيه صريف الاقلام أي تصويت أقلام الملائكة بما يكتبونه من أقضيته الله تعالى وفي رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب

ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين ألف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لي رفرف أخضر ثم احتملني حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هي بالنسبة الى المخلوقين وأما هو تعالى فلا يحجبه شئ وصح عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار أي بقربه المعنوي كما أرشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى كما قال الناظم (وترقى) أي صعد البراق (به الى قاب قوسين) وقاب القوس ما بين مقبضه وآخر وتره ولكل قوس قابان ومن ثم قيل في الآية قلب أي قابي قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه بقرب قاب القوس اذا ألصق بقاب قوس آخر ثم رأيت بعضهم قال قاب قوسين أي مقدار قوسين وقاب القوس مقدار طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهري تقول بينهما قاب قوس أي قدر قوس ﴿تنبيه﴾ ما أفهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية البخاري ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قال ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السماء لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافي وانما الذي ذكر ذهابه عليه من مكة الى السماء اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في انه لا معراج وانه استمر راكبا البراق الى السماء الدنيا ثم التي بعدها وهكذا وجرى عليها الناظم كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا أعني رواية البخاري الظاهرة فيما في النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها العمل يظهر عذر الناظم في ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله الى السماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا على البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جيء به له ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شئ تعظيما للسموات ومن فيهن اذ هن أفضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله المنصور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم أفضل من الملائكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة لا يقال السماء لم يعص الله فيها أحد بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد يكون في

المفضول

(قوله ما بين مقبضه) بكسر الباء كمجلس كما في المختار (قوله في الآية قلب) ليس المراد بالقلب التقديم والتأخير بل المراد تبديل المفرد بالمثنى والمثنى بالمفرد كما أشار اليه بالتفسير (قوله بانه لا يتعين ذلك) أي التقرير المؤدي الى دعوى القلب (قوله بل المراد) أي في الآية كما هو ظاهر عبارته وهذا مناف لما سيأتي له في قوله واعلم ان التدلي الخ حيث جزم بان الدنو والتدلي فيها في حق جبريل وسيأتي ذكر خلاف الائمة في ذلك باختصار فلو جرى على ما سيأتي له لقال بل المراد تشبيه قرب جبريل من النبي بقرب الخ فتدبر ما سيأتي يظهر لك المقام ثم ان أصل هذا التشبيه ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحاج كل منهما عن (٨٣) صاحبه (قوله بقرب قاب القوس) أي فيكون قاب مفردا مضافا فيعم القابين أي قابي قوسين فمغايرة هذا المراد لما قبله في الشارح واضحة (قوله أي مقدار قوسين) وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس انتهى من تفسير الخازن (قوله وقاب القوس الخ) هذا من جملة قول بعضهم مشيرا به الى تقدير مضاف وهو طول فعلى هذا القول القاب بمعنى المقدار وفي الكلام مضاف محذوف (قوله وقيل قدر الوتر منها) هذا كقول بعضهم المذكور وانما خالفه في بيان المضاف ففي ذاك لفظ طول وفي هذا لفظ وتر فتلخص من كلام الشارح تقرير رابع لقوله قاب قوسين (قوله لكن صحت الاحاديث الخ) هذا هو المشهور المعتمد فتحمل رواية البخاري على ان راويها أسقط منها ما يوافق بها رواية غيره ويمكن على بعد ان يجعل ضمير به في كلام الناظم راجعا للاسراء وضمير ترقى للنبي صلى الله عليه وسلم أي ترقى المختار بسبب الاسراء ووجه بعد ذلك بعد الراجعين للضميرين (قوله وعلى مقابله المنصور) أي عنده والا فقد صرح الشربيني في شرحه على أبي شجاع بان الاصح تفضيل السماء وعبارته وبدأ المصنف بالسماء لشرفها على الارض كما هو الاصح انتهى وكتب عليه محشيه الاجهوري ما نصه قوله كما هو الاصح اعتمد هذا الشهاب الرملي في حواشي الروض والخلاف في غير البقعة التي ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم فانها أفضل حتى من العرش والكرسي انتهى بحروفه وعبارة النووي في التحرير نصها وجمع السموات لشرفها وهذا يؤيد المذهب الصحيح المختار الذي عليه الجمهور ان السموات أفضل من الارضين وقيل الارض أفضل لانها مستقر الانبياء ومدفنهم وهو ضعيف انتهى (قوله فتعظيما) أي فذهب من غير ركوب تعظيما الخ

(قوله بما وقع لآدم) أى صورة اذ الواقع له صورة معصية لأن الانبياء جميعا معصومون من ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها (قوله فان هذا فى حق جبريل) وهو الذى صدر به البيضاوى ثم قال وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس انتهى قال فى القاموس الشراشر النفس والاثقال والمحبة وجميع الجسد انتهى أى جذبه بجميع جسده أو بسبب محبته الى آخر ما ذكر قال فى الخازن وكونه أى جبريل شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (قوله وصح أيضا الخ) عبارة البيضاوى قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض انتهى وجزم فى الخازن بعدم رؤية أحد من الانبياء غير نبينا له على صورته الاصلية وذكر قبل ان المرة التى فى السماء عند سدرة المنتهى والتى فى الارض بالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق فسد الافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق وسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى أى دنا جبريل بعد استوائه فى الافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وهو أحد معنيين فى الآية ذهب اليه ابن عباس والحسن وقتادة والمعنى الثانى وهو ما ذهب اليه الضحاك ثم دنا محمد من ربه فتدلى أى هوى للسجود فكان منه قاب الخ (قوله الى ربه) أى الى مكان حدده له ان ينتهى اليه فكان ذلك الترديد بين ذلك المكان وبين موسى (قوله لامته) فالعجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى لانه عليه الصلاة والسلام يطيق أكثر من ذلك فقوله بعد فحط عنه أى عن أمته ولذلك قيل ان الخمسين لم تنسخ فى حقه قال ع ش على م ر المعتمد ان الخمسين صلاة نسخت فى حقنا وفى حقه صلى الله عليه وسلم ولكن كان يفعلها على وجه النفلية انتهى المراد منه واعتمد الحلبى فى حاشيته على المنهج والبرماوى فى حاشيته عليه انها نسخت فى حقنا الا فى حقه وارتضاه شيخنا الشهاب الخليفى لان أصحاب القولين متفقون على فعله صلى الله عليه وسلم للخمسين غير ان القائلين بالنسخ فى حقه يقولون ان فعله لها على وجه النفلية وهذا يحتاج لدليل اذ الاصل بقاء الفرضية حتى يثبت خلافها وقد علمت ان سؤال التخفيف عن الامة يؤيد ذلك أيضا تأمل (قوله فحط عنه) أى عن أمته وكذا فيما بعده بقرينة قوله ويسأله التخفيف لامته (قوله لانه اطلع) قال بعضهم أى ولانه كليم فمنصبه الكلام والمراجعة بخلاف ابراهيم فانه خليل فمقامه التسليم وان كان أفضل وأقرب اذ هو فى السماء السابعة

المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم لم يكونوا فى السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية تقع فى محل دون محل يقتضى أفضلية الثانى لذاته غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الخ ولم نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات فى هذا الامر الجزئى لا يقتضيه على ان ما وقع تلك الليلة من فرض الصلوات وغيره ذكر فى كل من رواية الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح فى اتحاد الاسراء وعدم تعدده فتأمل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلى والدنو المذكور فى حديث أنس وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلى فى أول سورة النجم فان هذا فى حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح أيضا انه لم يره فى صورته التى خلق عليها الا فى هذه المرة المذكورة فى الآية ومرة أخرى عند أوائل البعثة كما مر (وتلك) المرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هى (السيادة القعساء) أى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها نقص ولا تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذى لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى أمته فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض الله تعالى عليه وعلى أمته فاخبره فأمره ان يرجع الى ربه ويسأله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمسا ثم رجع فأمره بالرجوع أيضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمس فأمره بالرجوع وقال له ان بنى اسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربى وفى رواية علمت انها عزمة من ربى فلا أراجعه فقال تعالى هن خمس أى فى الفريضة وهن خمسون أى فى الثواب لا يبدل القول لدى وحكمة فرضها فى هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود أعطاه الله ذلك كله لامته فى ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وآدابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بأمره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم أمتى فقال له الله تعالى تلك أمة محمد فقال اللهم اجعلنى منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفى رواية

كان أشدهم على حين مررت به وخيرهم لى حين رجعت * (فائدة) * اختلف العلماء قديما وحديثا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه في هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من الخلق بعيني رأسه أو بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه رآه بعين بصره وفي أخرى انه رآه بعين قلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبراني باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفي وجاء عن أنس باسناد قوي رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما تنصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري يحلف انه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه وأنكرت عائشة وابن مسعود الرؤية قال النووي لكن خالفهما غيرهما من الصحابة والصحابي اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما في مسلم عنها ان مسروقا قال لها لم أنكرت الرؤية ألم يقل الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يارسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما رأيت جبريل وذلك لانها انما سألت عما في الآية فأجابها بانه لم يره أي في قصة الآية وقد مر انها غير قصة المعراج وان التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غيرهما في الآية ولا حجة لها في لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العين بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساويهما بالنسبة للمرئي وسؤال موسى اياها في الدنيا أظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز على نبي ان يسأل محالا وانكار المعتزلة قبحهم الله لها حتى في الآخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها في الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن أبي ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور أنى أراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف يراه مع ذلك وقد مر انه مرة رآه ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور فلا ينافي وقوع الاولى وسئل أحمد رضي الله عنه عن قول عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر واذا تأملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المكرامات التي تميز بها على سائر الخلق علمت انها (رتب) جليلة (تسقط الاماني) جمع امنية (حسرى) جمع حسير من حسر أعيا (دونها) ظرف لتسقط أي لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت أمنياتهم وتخلفت طلباتهم وآمالهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها ولم لا وهي (ما وراءهن وراء) أي ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم وسلم من سفر الاسراء مر على عير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ورأى بعيرا ضل وجمعه واحد منهم (ثم وافى) مكة قبل الصبح فأصبح (يحدث الناس) بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (شكرا) أي من جهة الشكر أو لاجل قيامه بشكر ربه أو حال كونه شاكرا لانعمه (اذ) أي لاجل أو وقت (أتته من ربه النعماء) أي في تلك الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا أسلموا فذهب المشركون لابي بكر رضي الله عنه وذكروا له انه يخبر أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك

(قوله فقال نور أنى أراه) بتنوين نور وفتح الهمزة في أنى وتشديد النون المفتوحة وأراه بفتح الهمزة كذا في شرح مسلم للنووي استفهام على جهة الاستبعاد قال النووي في شرح مسلم معناه حجابه نور فكيف أراه ثم قال قال المازني الضمير في أراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور منعني الرؤية كما جرت العادة باعشاء النور الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائي وغيره قال وروى نوراني أراه بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء أي خالق النور المانع من رؤيته فيكون راجعا لما سبق قال القاضي عياض وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها في شئ من الاصول انتهى وقال القرطبي ليست هذه الرواية بصحيحة ولعلها تصحيف (قوله فقد أعظم على الله الفرية) أي الافتراء وهي اختلاق الكذب وما يقبح التحدث به (قوله من حسر) يقال حسر البصر أعيا وحسر بصره كل وانقطع وبابه جلس كما في المختار (قوله سقطت أمنياتهم) أشار الى جمع آخر لامنية (قوله وتخلفت طلباتهم) جمع طلبة بكسر اللام الشئ المطلوب ككلمة وكلمات (قوله وتصرع) كان الظاهر وصرع أي طرح أي على الارض قال في القاموس الصرع ويكسر الطرح على الارض (قوله فسلم عليهم) ان كان فيهم مسلم وقصد السلام عليه فظاهر والا فالسلام غير مشروع على الكفار أو ذلك قبل النهي عنه عليهم في

(قوله النعماء) بالفتح ممدودا الجمع أنعم وأنعم جمع نعمة وتجمع أيضا على نعم كذا في القاموس وفي شرح ابن عبد الحق على بسملة شيخ

الاسلام انه جمع نعمة بمعنى منعم به وفى شرح الشنوانى عليها و يصح كونه اسم جمع للنعمة أو الانعام (قوله ورفعه) مبتدأ وقوله رواه البخارى خبره (قوله فكرب) كربه الامر شق عليه حتى ملأ صدره غيظا و بابه قتل مصباح (قوله فى مكان كذا) أى بلد بالروحاء على نحو أربعين ميلا بالمدينة (قوله يقدمهم) بضم الدال وماضيه بفتحها (قوله آدم) أى أسمر والادمة السمرة (قوله مسح) بكسر الميم بوزن ملح وهو البلاس انتهى من المختار وفى القاموس البلاس كسحاب المسح (قوله فارتاب كل مريب) قال البرلسى المالكى فى شرحه أى حصلت له الريبة فى دينه والشك فى كفره ومنه يؤخذ جواب عما عساه يقال ان المتن يحل الى حصلت الريبة لكل ذى ريبة وفيه تهافت وحاصل الجواب ان الريبة المفهومة من مريب متعلقة بنبوة النبى ورسالته والريبة المفهومة من ارتاب متعلقة بدينهم وكفرهم أى حصل لهم شك فى كفرهم ودينهم بعد ان كانوا فى شك فى نبوة النبى ورسالته فتأمل (قوله مريب) أى ذى ريبة قال فى المختار وأراب الرجل صار ذا ريبة فهو مريب انتهى فهو من أراب اللازم كمقيم من أقام الرجل فى مجلس كذا فليس اسم فاعل فعل متعد كاكرم والالصار المعنى موقعا غيره فى ريبة وهو غير مراد هنا فتأمل (قوله وجحدوا بها) أى بالآيات واستيقنتها أى وقد استيقنتها لان الواو للحال أنفسهم ظلما وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا انتهى بيضاوى ومعلوم ان هذه الآيات فى حق قوم موسى عليه الصلاة والسلام ولما كان قوم نبينا من الكفرة حصل منهم مثل ما حصل من قوم موسى مع مشاهدتهم آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الآية لتشبيههم بقوم موسى فيما ذكر فتأمل (قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم مواده فى التركيب أو لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه أو صيرنا كل شئ حى بسبب الماء لا يحيا دونه انتهى بيضاوى ثم قال والشئ مخصوص بالحيوان وفى تفسير الخازن أن الماء فسر بالنطفة واستشكله بأن بعض ما هو حى مخلوق من غير النطفة كآدم وعيسى والملائكة والجان وأجاب بأن المراد الغالب أى وجعلنا من النطفة غالبا كل شئ حى

فى خبر السماء فى غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه ورواه الحاكم فى مستدركه وابن اسحق وزاد ان أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر اليه و يصفه وأبو بكر يصدقه وقوله له صفه انما هو ليرد به على من تشكك فى ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخارى وكذا مسلم وزاد انه سألوه عن أشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه له اما بحمل مثاله ووضعه له قريبا منه وعليه تحمل رواية فجىء بالمسجد أى بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا أظهر لما مر فى واشتاقت اليه من مكة الانحاء ونظيره مجىء عرش بلقيس الى سليمان صلى الله عليه وسلم فى طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما تقرر أن فيهم من رأى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط أوضح آية على صدقه صلى الله عليه وسلم فى جميع ما أخبر به من أمر السماء ومما أخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما أقول لكم انى مررت بعيركم فى مكان كذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا و يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير كما وصف وفى رواية أخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء ففى يومه كادت الشمس ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافى قوله (وتحدى) صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر أى طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته بابداء نظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين (فارتاب) أى شك وخرس (كل مريب) فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من أسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا و يلزم من انقطاعهم عن معارضته ايضاح أمره صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده من ذلك شك (أ) يتضح ذلك الامر (و يبقى) معه ريب لا بل اتضح وما بقى معه شك أصلا وكيف يبقى (مع السيول) حال من قوله (الغثاء) وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات فكما ان هذا الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه فى أسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهى شك بل يذهب و يضمحل فى أسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما أتى به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء كل شئ حى كما ان ما جاء به الحياة المعنوية والغثاء بما تخيلوه لانه أمر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وفى ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفى الختم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل يجازى الا الكفور * (تنبيه) * ما قدرته بعد همزة الاستفهام هو رأى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر فى نحو أولم يسيروا فى الارض أمكثوا ولم يسيروا وفى أفلا تعقلون أتجهلون فلا تعقلون وفى اثم اذا ما وقع آمنتم أتكفرون ثم اذا ما وقع آمنتم به

فالهمزة فى الكل فى محلها الاصلى والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تأخير ورد أبى حيان لذلك بأنه تقدير ما لا دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهى ان المعنى معه أقوم وأوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة أصل أدوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربى فى المواضع الثلاثة أى أهذا ربى وفى وتلك نعمة تمنها على أى أو تلك نعمة تمنها على وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق أخرى وهل تختص بالثانى والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتأخر عنه وبانها تدخل على الشرط نحو أفائن مات أو قتل وعلى الاثبات والنفى (وهو يدعو) حال من فاعل تحدى أى تحدى الناس والحال انه صلى الله عليه وسلم مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء (الى الاله) أى المعبود بالحق الذى لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفى الى واله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم جنس فى الاصل لكل معبود لان الائمة أعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه فى المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يتجدد دعاؤه الى الله تعالى (وان شق عليه كفر به) أى الاله أو النبى (وازدراء) أى احتقار وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاء به * أخرج أهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن أبى معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه قائلا أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وصح ان عقبة بن أبى معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فقام أبو بكر ودفعه عنه وروى أحمد فى مسنده أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى أى من القتل بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه الله تعالى بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم ادراع الحديد وصهروهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد أى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وأخرج البيهقى عن عروة ان أبا بكر رضى الله عنه أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم الزنير بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة فعميت فقالوا اما أعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله

(قوله وفى الى واله الجناس الناقص) ويسمى المذيل أيضا بأن تنقص احدى الكلمتين حرفا من آخرها عن الأخرى بخلاف المطرف فهو ما نقص أحد ركنيه عن الآخر حرفا فى طرفه الاول نحو والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق (قوله واستعملوه الخ) أى فهو علم على الذات (قوله بالغلبة) أى التحقيقية بخلاف لفظ الجلالة فانه علم عليها بالغلبة التقديرية وأما اله بدون الالف واللام فهو اسم جنس لكل معبود بحق أو باطل كما صرح بذلك ابن عبد الحق فى شرحه على بسملة شيخ الاسلام نقلا عن السيد وغيره اه والفرق بين الغلبتين ان الاولى بالنظر الى الاستعمال بأن استعمل اللفظ فى غير ما غلب عليه أولا ثم ترك ذلك الاستعمال وصار لا يستعمل الا فيما غلب عليه والثانية بالنظر الى القياس بأن يقتضى القياس استعماله فى غير ما غلب عليه لكنه لم يستعمل فيه وانما استعماله من أول الامر فيما غلب عليه تأمل (قوله الوليد) هو والد خالد رضى الله تعالى عنه (قوله وصح ان عقبة الخ) مكرر مع قوله وخنقوه خنقا شديدا وسهل ذلك زيادة بيان كيفية الخنق ودفع أبى بكر عنه (قوله وعمار) ولم يشهد بدرا شخص ابن مؤمنين غير عمار بن ياسر (قوله وأمه سمية) بضم السين المهملة كذا فى المجموع للنووى ثم قال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية صحابيون رضى الله عنهم وكانوا ممن تقدم اسلامهم فى أول الامر وكانوا يعذبهم الكفار على الاسلام فيمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فيقول صبرا صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة وسمية أول شهيد فى الاسلام (قوله وصهروهم) أى أدنوهم عليها منها يقال صهره وأصهره ومنه المصاهرة فى النكاح وهى المقاربة اه هروى والمراد هنا ادخلوهم فى الشمس فتأمل ثم رأيت فى القاموس ما يوافق المراد هنا حيث قال وصهرته الشمس كمنع صحرته وقال فى الصاد مع الحاء صحرته الشمس آلمت رأسه (قوله وهو يقول أحد أحد) أى أنت أحد أنت أحد ويجوز ضمه من غير تنوين أى يا أحد يا أحد

عليها بصرها (و) هو مع ذلك أيضا (بدل الورى) أى الخلق وكأن الناظم أخذ هذا من الحديث الصحيح وأرسلت الى الخلق كافة فأما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كأمر وأما الملائكة فعلى الاصح عند جمع محققين كما صرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا يشهد للذلك اذ العالم ماسوى الله واستعمال هذا فى العقلاء انما هو لتغليبهم افضلهم وقول الرازى أجمعنا على ان المراد الانس والجن مؤول بل مردود وأما بعثه للجمادات فعلى ماذهب اليه بعض محققى المتأخرين ومعنى ارساله الى الملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره وللجمادات أنه ركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شئ الا يسبح بحمده أى حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه (على الله) أى على العلم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكل مالم يصل الى أعلى غايات الكمال وبما يجوزله من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التى لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر فى محله (بالتوحيد) أى بطلبه منهم توحيده تعالى بأن يقروا بأنه تعالى واحد فى ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباء فى بالتوحيد باء الآلة الاستعانة نحو كتبت بالقلم ويوجه بأن العلم بالتوحيد كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله كما تقرر (وهو) أى العلم بكل ذلك والدلالة عليه (المحجة) أى الطريقة الى رضا الله تعالى التى أمر بها وحث عليها (البيضاء) أى النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك * ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما أشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه الخ أطاع الله له أكثرهم حتى صاروا من أكابر أتباعه كما قال (فبما) الباء زائدة (رحمة) واصلة اليه (من الله) أى وهى فى الاصل ميل وعطف نفسانى غايته التفضل والاحسان والانعام أو ارادتهما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت فى القرآن أو السنة لله تعالى واستحال عليه معناها يراد بها غايتها أى فبسبب رحمة من الله لهم وعطفه عليهم لين رسوله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه هذا أيقظ قلوبهم وأزال ما فيها من كبر وعمى فحينئذ (لانت صخرة) هى الحجر العظيم (من) بيانية وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة مع كون من بيانية بعيد (اباتهم) أى امتناعهم (صماء) أى صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد أيضا وهو أن يجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة بتضاد أو نفى واثبات أو عدم وملكة أو نحو ذلك أى زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فأطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التى فى غاية الصلابة لابائهم عنه أولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والايذاء له صلى الله عليه وسلم ولينونتها وزوال صلابتها الاتباعهم له صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه آخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (و) بعد أن لانوا له صلى الله عليه وسلم ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى (استجابت له) أى أجابت دعوته وامتثلت اشارته (بنصر وفتح) أى مع أو بسبب ما أعطاه الله من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب فى القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم واستئصال شأفتهم (بعد ذاك) أى الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وبأتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعداء وتصميمهم على مناوأته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم (الخضراء) أى السماء سميت بذلك لانها ترى

٣ (قوله وأما بقية الجمادات) كان الاولى أن يقول وأما الجمادات لانه لم يذكر قبل بعض الجمادات ليظهر اتيانه بلفظ بقية وقد يجاب بأن الاضافة بيانية (قوله واشادة ذكره) أى رفعة قدره (قوله وهو المحجة البيضاء) أى كالمحجة البيضاء ففيه تشبيه العلم المذكور بالطريق النيرة بجامع الوصول الى المقصود من غير ضرر (قوله واصلة اليه) مقتضى ما يأتى فى قوله فبسبب رحمة الله لهم وفى قوله انما هو بواسطة الخ أن يقول هنا اليهم وان كان ماذكر احسانا عليه أيضا صلى الله عليه وسلم تأمل (قوله فعلم أنه استعار) ليس المراد الاستعارة الاصطلاحية للجمع بين الطرفين بل مراده اطلاقها عليه على خلاف الاصل تأمل (قوله ومعاداته) عطف تفسير

(٣) قول المحشى قوله وأما بقية الخ لعله على ماوقع له والذى فى الشارح وأما بعثه اهـ

كذلك فقد قال القاسم بن أبى برة ليست السماء مربعة لكنها مقبوة يراها الناس خضراء وبين الثورى سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض خضراء كما فى حديث البزار وغيره منها خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله ماهذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضى الله عنهما السماء من أى شئ فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول على رضى الله عنه وكرم وجهه فى حلفه والذى خلق السماء من ماء ودخان وقال كعب السماء أشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسى رحمه الله تعالى لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهبة حمراء والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور (والغبراء) أى الارض سميت بذلك لان جميع طباقها من طين كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما أراد الله ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا أرض ولا سماء خلق الله الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه فاخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء مامر فى لانت وصماء لكن هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة أهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع أى أجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من أهل مكة وغيرهم أحد عنه اذ لم يبق الا مسلم أو مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة أهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر وأما تقييد استجابة أهل السماء بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملائكة لنصرته الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء رعبه صلى الله عليه وسلم فى القلوب والاذن له فى الجهاد والفتح عليه (و) من جملة استجابة أهل الارض له بعد ذلك انه (أطاعت لامره) وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحذفه لفهمه مما ذكره (العرب) بضم فسكون أو بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم (العرباء) ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفى القاموس والعرب بالضم والتحريك خلاف العجم أى بالضم والتحريك أيضا كما ذكره فى مادته وهم سكان الامصار أو عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعاريب وعرب عاربة وعرباء وعربة صرحاء أى خلص ومتعربة ومستعربة دخلاء وقال ويعرب بن قحطان أبو اليمن قيل أول من تكلم بالعربية وفى النهاية الاعراب من العرب ساكنو البادية الذين لا يقيمون فى الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس أقام بالبادية أو المدن وفى الصحاح ليس الاعراب جمع عرب أى لان الجمع لا يكون أخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابى هو البدوى والعربى هو

(قوله لكنها مقبوة) قال الهروى فى غريبه والسماء مقبوة أى مضمومة ولا تقل مقبوبة ولكن مقبية اه ولعل المراد هنا مقوسة قال فى القاموس القبا تقويس الشئ ويكون المراد بتقويسها كونها كرية كما هو مذهب أهل الفلك تأمل (قوله منها خضرة السماء) فيه أن جرم الارض يمنع ظهور الخضرة فى السماء سواء قلنا السماء كرية أم لا (قوله أى وليست فى الحقيقة الخ) أى على غير رواية سلمان الفارسى الواهية (٨٨) الآتية اذ عليها هى خضراء حقيقة (قوله قال هذا موج) قال فى القاموس الموج اضطراب أمواج البحر اه ولعل المراد هنا دخان ناشئ عن اضطراب ماذكر بدليل خبر ابن عمر الآتى قريبا أى دخان مشوب بماء ليوافق قول الامام على رضى الله تعالى عنه (قوله مكفوف) أى ممنوع من السيلان بقدرة الله عز وجل (قوله مرمرة بيضاء) قال الجوهرى المرمر الرخام (قوله من ذهبة) هى القطعة من الذهب كما فى الجوهرى (قوله على الماء) ليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ماء تحت العرش ويحتمل أن يكون على البحر بمعنى ان أرجل حملته على البحر كما وردت فى الآثار اه من بعض شروح البخارى (قوله وأثار ركامه) الركام الرمل المتراكم أى المجتمع ويطلق على السحاب (قوله وزبدا) قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى زبدا رابيا أى عاليا والزبد وضر الغليان قال فى القاموس الوضر محركة وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء اه المراد منه والمراد هنا وسخ الماء الذى يعلو الماء عند اضطرابه (قوله والفتح عليه) فيه ان غزوة بدر كانت قبل الفتح وعليه فالبعدية بالنظر للمجموع أى النصر وأما على تفسير السماء بالرفيع والارض بالوضيع فتقييد النصر والفتح بالبعدية واضح المنسوب فحرر (قوله أطاعت) ضمن أطاع معنى انقاد فعداه باللام (قوله وحذفه لفهمه مماذكره) على حد سرابيل تقيكم الحر أو جرد الامر عن بعض معناه وهو قوله بلفظ افعل فيكون المراد به القول الدال على الطلب وذلك يشمل طلب الفعل وطلب الترك فيكون شاملا للنهى تأمل (قوله العرب المستعربة) ضبطها السيوطى بكسر الراء

(قوله كليل أليل) أى شديد الظلمة ومثله ليلة ليلاء وليل لائل مثل شعر شاعر (قوله متعلق) أى مرتبط به ارتباط الحال بصاحبها لا التعليق الاصطلاحى لجمود الآية تدبر (قوله الا أن الثانى) فيه انه أوّل تأمل (قوله لا آية من تقدمه) أى الذى يوهمه تعلقه بتوالت وان كان ايهاما بعيد الا ان الظاهر وتوالت له آياته (قوله الغارة) فيها ماسبق فى الآية (قوله وهى اسم مصدر لاغار) قال فى القاموس أغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل (قوله حتى صار) لعل الظاهر (٨٩) حذف حتى ليستقيم المعنى بتعلق بعد بصار

المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمى الذى لا يفصح وان كان بدويا والعجمى المنسوب للعجم اه وبين المبرد فى كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبى صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء وبينه وبين اسمعيل ثمانية آباء وقحطان قال الكلبى هو الهميسع ابن بنت ابن اسمعيل عليه السلام (والجاهلية الجهلاء) هو كالعرباء فيه تجنيس الاشتقاق وشبهه التأكيد اللفظى كليل أليل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة مالم يبلغه تصميم غيرهما (وتوالت) أى تتابعت (للمصطفى) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (الآية) مفرد محلى بال فيكون فى معنى الآيات وأيضا فالتوالى انما يكون فى متعدد أى العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه عليه وعلقه الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثانى فيه افادة ان ماتوالى له انما هو آياته الخاصة به لا آية من تقدمه (الكبرى عليهم) كالقرآن وانشقاق القمر (و) توالت له عليهم أيضا (الغارة) على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وذراريهم وهى اسم مصدر لاغار (الشعواء) بالعين المهملة أى الغاشية المستغرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب التى لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا أهلكته (و) بعد ان استجاب له أهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكثرت أتباعه جدا حتى صار (اذاما) زائدة (تلا) أى قرأ (كتابا) أنزل عليه (من الله) وهو القرآن (تلته) أى تبعته لاجل القراءة معه أو استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه صلى الله عليه وسلم لاسيما (كتيبة) بالفوقية أى جيش (خضراء) أى يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لانه لكثرة شجره من بعيد يرى أسود وهى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين أبى بكر وأسيد بن حضير ولما رآها أبو سفيان رأى مالا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى البخارى عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وقال لولا أخشى ان تجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع صلى الله عليه وسلم وبين تلا وتلته وكتاب وكتيبة تجنيس الاشتقاق أو شبهه (وكفاه) صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما انفر الاشقياء الذين زادوا فى ايذائه والعتو عليه (المستهزئين) به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به أى تولى اهلاكهم من كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها ومع توليه تعالى اهلاك المستهزئين به سلاه فأعلمه بأن هذا ليس خاصا به بل الانبياء قبله كانوا كذلك بقوله عز قائلا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قوله (وكم) مرات كثيرة (ساء) أى أحزن (نبيا) بينهما الجناس المصحف كقوله تعالى استهزئ برسل من قبلك الآية (من قومه) متعلق بقوله (استهزاء) أى سخرية وايذاء ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة أو شعر أو مثل سائر وذكرنا

(قوله ولما رآها أبو سفيان) أى ابن حرب أسلم وحسن اسلامه وأصيبت عينه يوم الطائف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال له أيما أحب اليك عين فى الجنة أو ادعو الله أن يردها عليك فقال بل عين فى الجنة (قوله ويرجع) ترجيع الصوت ترديده فى الحلق كقراءة أصحاب الالحان اه مختار (قوله المستهزئين) قال الحافظ ابن حجر فيما لخصه من السيرة المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص وكان اسلامه مع ذلك مدخولا وهو من غير الخمسة التى فى النظم قال البرلسى والمستهزئ هو الذى يبدى الاساءة على نوع من الهزل (قوله اقتبس المصنف من هذا الخ) الاقتباس من قوله ولقد استهزئ الخ ظاهر وأما من قوله فاصبر الخ ففيه نظر (قوله وهو الاشارة الى قصة) كما هنا وكما فى قوله

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

(١٣ - ابن حجر) وصف حرقته بالاحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخدر فى ظلمة الليل ثم استعظم ذلك حتى كأنه لا يمكن عادة كرد الشمس واستغرب وتجاهل وقال أهو حلم أراه فى النوم أم كان فى الركب يوشع عليه الصلاة والسلام واستيقافه الشمس على ماروى انه قاتل الجبار يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ من قتالهم فيدخل السبت فلا يحل قتالهم فيه فدعا الله فى استيقاف الشمس فوقفت حتى فرغ من قتالهم ومثال الاشارة الى شعر وقصة أيضا قول الحريرى فى المقامة السابعة والعشرين مسجعا فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية أشار الى قول النابغة أبيت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

قوله ساورتني أخذت برأسي ضئيلة أي حية رقيقة من الرقش أي فيها نقط سود وبيض ناقع بالغ ثابت والى قصة يعقوب ومثال الاشارة
الى مثل قوله في المقامة الثالثة والاربعين (٩٠) فكنت كمن ضيع في الصيف أشار بذلك الى المثل المشهور وهو الصيف ضيعت اللبن
(قوله في الجملة الاستفهامية) فيه ان الجملة خبرية لانه فسر كم بعبارات كثيرة وهو يقتضي ان كم خبرية لا استفهامية تأمل (قوله لكن فيه دقة الخ) انظر وجهه (قوله مع كل) أي من في ومن (قوله ثم فصل ذلك الداء الذي أهلكهم) أي معينا الخمسة المستهزئين الظالمين باسمائهم (قوله لانه حقت عليه الكلمة) يحتمل كلمة العذاب المذكورة في الآية ويحتمل ان المراد بها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بفناء البيت (قوله وبما تقرر) انظر التقرير الذي علم منه هذا الاعراب فانه لم يظهر لي (قوله ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد الخ) انظر ما المانع من جعله نعتا سببيا لعمى على حد قوله * وعزة ممطول معنى غريمها * (قوله فيكون رأيا ثالثا) انما يظهر ذلك اذا قال الكوفيون بعدم استحسان الاعتماد في تجويزهم عدمه والا فالاستحسان مذهبهم فليس هناك مذهب ثالث ثم رأيت عن المغني انهم يقولون باستحسان الاعتماد وحينئذ فما ذكره الشارح غير ظاهر (قوله ولا حجة لهم) أي للقائلين بخبرية ميت على تقدير وجود قائلين بذلك وانما قلنا على تقدير الخ لعدم وجود قائل بالفعل فتدبر (قوله خبير بنو لهب) تمامه فلا تك ملغيا * مقالة لهبي اذا الطير مرت أي ان بني لهب عالمون بالزجر والعيافة فلا تلغ كلام لهبي اذا زجر وعاف بحين عبر عليه الطير والزجر والعيافة ضرب من التكهن كذا في المختار وقال في القاموس وزجر الطائر تفاءل به وتطير فنهره ثم قال

التلميح هنا مع كثرته في كلامه لانه هنا أظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتناء بها وفيه أيضا التذييل والمثل السائر في الجملة الاستفهامية (ورماهم) أي أصابهم (بدعوة) منه عليهم وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه (من) أي بدعوة كائنة في (فناء البيت) أي حوالى الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال أمرت ان أكفيكهم ثم أشار الى كل بما أصابه وذلك لا ينافي دعاءه عليهم لان دعاءه كان سببا لاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق من برمى وانها لابتداء الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة أيضا بقوله (فيها) أي تلك الدعوة (للظالمين) متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشئ في غير محله (فناء) أي استئصال لهم حتى لم يبق منهم أحد وبين فناء وفناء جناس محرف لاختلاف حركة الفاء (خمسة) بدل من المستهزئين أو الظالمين ويصح رفعه أي هم وخصهم مع ان من المستهزئين أبا لهب وزوجته وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص لانهم أشدهم ولذا عجلت عقوبتهم (كلهم أصيبوا بداء) عظيم (والردى) أي الهلاك (من) جملة (جنوده) المعينة عليه (الادواء) جمع داء وهو المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له أي انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وأدواء جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الداء الذي أهلكهم الله به فقال (فدهى) من الداهية وهي الامر العظيم المهلك (الاسود بن مطلب) بن أسد بن عبد العزى فهو أسدي (أي عمى) أي عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الاعمى البصيرة (ميت به) أي بسبب ذلك العمى (الاحياء) أي هم في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين فانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم ان ميت مبتدا ومابعده سد مسد الخبر اى ان من شأن هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة مؤكدة لما أفاده تنوين عمى أي انه عمى بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوى ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكأنه يريد ان يجمع بين رأى البصريين والكوفيين لكنه خلاف ماصرحوا به فيكون رأيا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قوله خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحياء الطباق (ودهى) أيضا (الاسود بن عبد يغوث) ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة فهو زهري ويغوث في الاصل اسم صنم (ان سقاه كأس الردى) أي الموت (استسقاء) حصل له في جوفه واستمر به حتى أهلكه وهو داء خبيث على أنواع المراد منها هنا الزقي وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقاء جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالمشروب حتى أثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية (وأصاب الوليد) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومي (خدشة سهم) أي أثر جرحة بأسفل رجله من شخص في يده

نبـل وقيـل أصابت ذيله شوكة فمنعـه الكبر من ان يهوى لقلعها فضرب بها بالسوط فأصاب رجـله فتأكلت ومات منها قبـل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح أسرع الى هلاكه وأشـنع من سم الافاعى فلذلك قال (قصرت عنها) أى عن تلك الخدشـة (الحية الرقطاء) أى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى أعظم الحيات اذى ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتـل ان الحية قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لانها أثر تلك الدعوة عليـه المقبولة ثم رأيت ان بعضهـم قال وانما كان الذى أصاب الوليـد أعظم لان الحيـة اغتيالك بواسطة السم وهـذا بلا واسطة اهـ وماذكرته أوضح وأحسن كما لا يخفى (وقضت شوكة) دخلت فى أخمص رجل العاص (على مهجة العاصى) بن وائل بن هشام بن سـعد بن سـهم فهو سهمى أى قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال (فلله) هذه (النقعة) من قولهـم الناس نقائع الموت أى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة (الشوكاء) من قولهم بردة شوكاء أى خشـنة الملمس أى ما أعجب هذه القتـلة الشديدة التى حصـلت له من تلك الشوكة القليـلة التأثير عادة فلله درها من شوكة نحرته فى أسرع وقت (و) قضت (على) مهجة (الحرث) أى مولى الطلاطلة بالموت الفظيـع (القيوح) جمع قيح وهى المـدة البيضاء التى لا يخالطها دم (و) الحـال انه (قد سـال بها رأسـه وساء) أى قبح ذلك الرأس الذى هو (الوعاء) لتلك القيوح القاتـلة لصاحبـه وبين سال وساء الجناس الناقص وفى الختم بساء الوعاء التذييـل وهؤلاء الملاعين (خمسـة طهرت بقطعهم) أى هلاكهم (الارض) أى مكة ونواحيها أو مطلقا لان ضررهم يسرى الى جميع البلاد (فكف الاذى) الذى كان يصل للناس لاسيما للنبى صـلى الله عليه وسلم منهم (بهم) أى بسبب فقدهم أو مع فقدهم (شلاء) أى فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم أثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح (فديت) بالبناء للمفعول يقال فداك بفتح أوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء متضمن للتعظيم فهو من حيز الانشاء أى لو أمكن ان أحدا يكون فداء أحد من الموت لسألت أن يكون هؤلاء فداءهم أو المراد اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله ان كان للكرام فداء يدل على المعنى الاول (خمسة الصحيفة) الآتى بيانهـم (بالخمسة) الملاعين المار ذكرهم أى جعلت هؤلاء جميعهم فداء لكل واحد من أولئك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب ركب القوم دوابهم (ان) جزاؤها محذوف لدلالة ما قبـله عليه (كان للكرام فداء) وأولئك الخمسة الذين سـعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم فى أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهى ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليـه وسلم بأمره فى سـنة خمس من النبوة بضـعة عشر من أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبى صـلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وبفشو الاسلام فى القبـائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليـه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد اعزفتى فيهم ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أرادوا قتله وأجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهليـة فلما رأت قريش ذلك أجمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك

والزجر العيافة والتكهن (قوله وقيل أصابت الخ) والملايم للمثل ما صدر به لان السوط ليست بسهم (قوله دخلت فى أخمص) الاخمص بفتح الميم ما لم يمس الارض من باطن القـدم والمرأة خمصانة فتؤنثه بالتاء (قوله الجناس الناقص) فيه نظر اذ هذا من الجناس اللاحق لاختـلاف الكلمتـين بحرفـين متباعدى المخرج فان كانا متقاربين فالجناس المضارع ومنـه قوله تعالى وهـم ينهون عنه وينأون عنه فالهاء والهـمزة متقاربا المخرج فتأمل (قوله لسألت أن يكون الخ) غير ظاهر لسبق موت الجميع زمن تكلم الناظم بذلك فلا يتأتى فداؤهـم من الموت وان كان للكرام فداء حتى يسأله تأمل (قوله يدل على المعنى الاول) غير ظاهر لما علمت بل الظاهر الثانى ويكون المراد فداءهم من المؤذيات العذابيـة فلا يسأل لهم ذلك فتـدبر وسيأتى ان ثلاثة من الخمسة الساعين فى نقض الصحيفـة كانوا كفارا وأما الاثنان الباقيان وهما هشام وزهير فقـد ماتا مسلمين فلا مانع من سؤال فـداء الكفار لهـما من العذاب (قوله بعمارة) بضم العين (قوله وادخلوا رسول الله صـلى الله عليه وسلم) أى خرجوا به جميعا من مكة ومكثوا به فى شعبهم وهو الطريق بين الجبلين (قوله وائتمروا) أى تشاوروا (قوله أن لا ينكحوا اليهم) أى منهم (قوله ولا يبيعوا منهم) أى لهم

فى صحيفة بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تأكيدا فى حفظها وبقائها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش لعنه الله وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا حتى ان حكيم بن حزام حمل غلامه حبا يريد عمته خديجة رضى الله عنهما فلقيه أبو جهل اللعين فتعلق به وأراد أن يفضحه فانتصر له أبو البخترى بن هشام بن الحرث بن أسد وقال خل سبيله فأبى فأخذله لحى جمل فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام أولئك الخمسة فى نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن الحرث لقربه بعمه الذى هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبنى هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعزة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معى لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنخاه حتى قال لو وجدت رجلا قال أنا قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير بن أبى أمية قال ابغنا رابعا فذهب الى أبى البخترى واستنخاه أيضا فقال وهل من معين فذكر له أولئك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة واستنخاه فقال هل من أحد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وأنا أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير بحلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يباع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له أبو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال له زمعة أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال أبو البخترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقربه وقال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل اشتور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابى طالب يا عم ان الله سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم فأخبرهم أبو طالب بذلك وقال أنزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك انه لا مانع انهم لما رأوا ذلك وازدادوا شرا قام أولئك الخمسة فى اذهابها من أصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان أبا طالب انما أخبر بعد سعيهم فى نقضها أو بعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم (فتية) أى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم وفيه تصريح بما

(قوله حتى جهدوا) قال فى المختار وجهد الرجل على مالم يسم فاعله فهو مجهود من المشقة (قوله حتى ان حكيم بن حزام) أسلم بعد بدر وعاش ستين سنة فى الجاهلية وستين فى الاسلام قيل هو أيضا ممن سعى فى نقض الصحيفة (قوله فأخذله) أى أبو البخترى لحى بعير وهو العظم الذى تنبت عليه الاسنان فضربه أى ضرب أبا جهل اللعين (قوله ووطئه وطأ شديدا) أى داسه دوسا شديدا قال فى القاموس وطئه داسه (قوله وكان رأسهم هشام الخ) أول من مشى فى نقضه وكان كاتب الصحيفة وقد أسلم هشام المذكور يوم الفتح وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين خمسين من الابل وقيل كاتب الصحيفة بغيض ابن عامر بن هشام بن عبد مناف مات كافرا وقيل الكاتب النضر بن الحرث فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل النضر كافرا قال ابن كثير والمشهور ان كاتبها منصور بن عكرمة وقد شلت يده وقيل كتب منها نسخ والذى كتب المعلقة فى الكعبة هو الذى شلت يده وهى التى أكلتها الارضة كذا فى السيرة الحلبية (قوله ابن الحرث) نسبة لجده اذ هو ابن عمرو ابن الحرث (قوله فيخلع خطامه) بكسر الخاء حبل يقاد به البعير (قوله بنت عبد المطلب) فهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ابغنا ثالثا) أى اطلب قال الكواشى فى تفسيره يقال ابغنى بكسر الهمزة أى اطلب لى وبفتحها أعنى على طلبه (قوله واستنخاه) أى انتخاه أى مدحه كما فى القاموس (قوله فذهب الى أبى البخترى) بضم الباء والتاء بينهما خاء مهملة ساكنة كذا فى شرح ابن عبد الحق وسيرة الحلبى وبعضهم قال بالخاء المعجمة وبعضهم قال بفتح الباء والتاء وبينهما خاء معجمة والراء مكسورة (قوله بحلة) أى متجملا بلبس حلة (قوله فقال أبو جهل الخ) ذكر فى السيرة قبله ما نصه وقال هشام بن عمرو ونحوا من ذلك اه وهشام بن عمرو هو هشام ابن الحرث أحد الخمسة فالشارح نسبه لجده وصاحب السيرة نسبه لابيه كما سبق (قوله فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها الخ) فى السيرة الى الصحيفة فشقها وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا (قوله فازدادوا شرا) أى غالبهم والا فبعضهم ندم وقال بغينا على اخواننا وظلمناهم أوما

أومأ اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق (بيتوا) أى دبروا واشتوروا بالجون ليلا (على فعل خير) وهو نقضها والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهم (حمد الصبح) أى الفجر أو الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب (أمره) أى شأنه وغايته (والمساء) واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دل على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء أولى وأحق بذلك و بين الصبح والمساء الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما يأتى و جعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لا يتأتى على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة كما مر مبسوطا (بالامر) بفتح اللام هو نقضها و ناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم يا للدواهى اذا تعجبوا من كثرتها (أتاه بعد هشام) بن الحرث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤى فهو عامرى وقدمه لما مر انه أول الخمسة والسبب فى اجتماعهم (زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد (انه) بالكسر استئناف فيه معنى التعليل لكونه أول من كذب أبا جهل اللعين ورد عن هشام كما مر (الفتى) أى الكريم فى قومه (الاتاء) صيغة مبالغة من أتى ففيه مع أتاه جناس الاشتقاق كما فى فديت وفداء (وزهير) بن أبى أمية بن المغيرة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (والمطعم بن عدى وأبو البخترى) وأتى هؤلاء الخمسة النقض لا عن غير اتفاق ومواطأة بل انما أتوه اتيانا كائنا (من حيث) ظرف مكان حقيقة أو مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان و يجوز فتحه وجره وحاث وحوث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائى وعدم اضافتها بالكلية أندر فتعوض ما وتصرفها نادر بل أنكره أبو حيان والغالب كونها فى محل نصب على الظرفية أو خفض بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسى رحمه الله تعالى انها فى قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته مفعول به اذ المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيأ فى المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان أول بعالم (شاؤا) أى من المكان الذى قصدوه لتدبير أمرهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه ونتج الانتاج الذى دبروه (نقضوا) بدل من فعل خير من نقض العهد أبطله (مبرم) أى محكم وأصله كالبريم الحبل الذى جمع من مفتولين فتلا أى حبلا واحدا (الصحيفة) التى توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا أن يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم (اذ) أى وقت أو لاجل ان (شدت) أى صممت (عليه) أى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة (من العدا) بيان لقوله (الانداء) جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه وأصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر سمى من فيه باسمه أى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه (اذ كرتنا) بعد نسيانا جملة استئنافية لبيان ان لا كل الارضة للصحيفة نظيرا وهو اكلها العصا سليمان عليه الصلاة والسلام (باكلها) لتلك الصحيفة والضمير للارضة الآتية التى هى الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وهو سائغ (أكل) مفعول أذكرتنا ثانى (منساة) أى عصا (سليمان) بن داود صلى الله عليهما وسلم لما مات وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدأبون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا بأكل الارضة لمنسأته فخر ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين فى العمل وانهم كانوا كاذبين فى ادعائهم علم الغيب ولذا قال تعالى عز قائلا فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين (الارضة) بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهى دويبة تأكل الخشب أكلا

(قوله أومأ بالهمز ولا يقال أوميت بالياء كما فى المختار (قوله لكونه أول من كذب أبا جهل) تعليل لمحذوف أى وثنى به لكونه (قوله كما مر) الذى مر انه رد عن زهير لا عن هشام ولم يتقدم فى الشرح لهشام كلام حين اجتماعهم مع أبى جهل وقومه (قوله أكل منساة) والحكمة فى الا كل سواء منساة سليمان ليعجز الجن عن علم الغيب أى عن ادعائه والصحيفة لاذهاب مافيها من القطيعة والبين ليظهر عجزهم عن بقاء مرادهم من دوامها وعن نفاذ مافيها (قوله من الاعمال الشاقة) اى بناء بيت المقدس لان داود عليه السلام أسس بيت المقدس فى موضع فسطاط أى خيمة موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله وأعلم به فأراد أن يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا أى قصرا من قوارير أى زجاج ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فحصوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الخ (قوله ان لهم سنة مسخرين) وسبب معرفتهم ان المدة سنة انهم وضعوا الارضة على العصى فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة كما فى تفسير البيضاوى (قوله وهى دويبة الخ) واذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان

ذريعا (الخرساء) فيه تعجب من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجازاذ الخرس حقيقة فقد النطق عما من شأنه النطق (وبها) أى وبأ كلها الصحيفة (أخبر النبى) صلى الله عليه وسلم عمه أباطالب وهو أخبر قريشا كما مر مبسوطا (وكم) مرات كثيرة (أخرج) صلى الله عليه وسلم أى أظهر (خبأ) أى شيأ مخبأ (له الغيوب خباء) أى ساترة وبين خبا وخباء الجناس المحرف وفى كم الخ التذييل *(تنبيهان)* أحدهما يجب على كل مكلف أن يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ماحصل لرسله وأوليائه منه فهو اما بوحى من الله أو الهام والاستثناء فى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى الخ متصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة أولياء اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفى الحديث انى لا أعلم الا ما علمنى ربى ثانيهما فى بيان ما أشار اليه الناظم من كثرة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات *وحاصل شئ من ذلك مما يدلك على كثرة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب مافى القرآن منها مالا يحيط به حد وخبر الطبرانى ان الله قد رفع لى الدنيا فانا أنظر اليها والى ماهو كائن فيها الى يوم القيامة كما أنظر الى كفى هذه وخبر أبى داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به وفى الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والآخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشى يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا أحدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيدان فاستشهدوا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك فى زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فألبسها عمر له لما زال ملك كسرى فى زمنه تحقيقا لذلك وأخبر عمه العباس ببدر بما ترك بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه أحد غيرهما وأخبر بكتاب حاطب الى أهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها فى الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد أمراء الجيش الذى أرسله لمؤتة بلد بأرض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب فعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وبان بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها أول أهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية أشهر أو ستة وبان أشقى الاولين والآخرين قاتل على كرم الله وجهه بضربه فى يافوخه فيبتل من دمها لحيته فضربه الشقى ابن ملجم ضربة كذلك فمات منها وبان معاوية رضى الله عنه يلى أمر أمته وبانه لم يغلب رواهما ابن عساكر ومن ثم قال على كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل مظلوما وفى رواية تقتل وأنت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس أهلها وأبضاعهم وأموالهم وقتل سبعمائة يحفظون القرآن منهم ثلثمائة صحابى وافتض منها ألف عذراء وبوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلى رضى الله تعالى عنهم ولذلك قال على للزبير لما بارزه يومئذ أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وأنت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته انه مخطئ وهو له أجر بنص الحديث الصحيح ويجاب بان أصل الظلم وضع الشئ فى غير محله وان لم يكن فيه اثم فالمراد وأنت قد وضعت القتال فى غير محله خطأ منك لا تعمدا أوفأنت له ظالم حقيقة لو نظرت فى الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان المجتهد المخطئ له أجر وبقوله فى الحسن بن على كرم الله وجهه ان ابنى هذا سيد

نطير بهما وهى التى دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام (قوله ذريعا) أى سريعا (قوله الغيوب) جمع غيب وهو ما غاب عن العيون (قوله اما بوحى الخ) فمن حصل له ذلك فى جزئية أو جزئيات لا يقال فيه انه يعلم الغيب وقد يحصل لغير الاولياء معرفة ذكورة الحمل وأنوثته بطول التجارب وقد يخطئ الظن وتنخرم العادة والعلم الحقيقى عند الله سبحانه وتعالى وظاهر آية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها ان الغيب الذى لا يعلمه الا الله مكان الوفاة لا وقتها ويوافق ذلك ماروى ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شئت أنبأتك عن نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة أيام وانك لا تموت حتى تعمى وأنا لا يحول على الحول حتى أموت قال أين موتك يا يهودى قال لا أدرى قال ابن عباس صدق الله جل جلاله وما تدرى نفس بأى أرض تموت فرجع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة أيام ومات اليهودى قبل الحول ومات ابن عباس أعمى اه من شرح الترتيب للعراقى (قوله متصل) سيأتى له فى مبحث الولاية آخر الكتاب ان الاستثناء منقطع فراجعه (قوله بكتاب حاطب) قال فى المواهب ولفظ الكتاب الذى كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له فانظروا لانفسكم والسلام (قوله لمؤتة) بضم الميم ثم همزة ساكنة ويجوز ترك الهمز كما فى نظائره (قوله وبان أشقى الاولين) أى من العصاة المسلمين والا فأبو جهل وأبو لهب واضرابهما أشقى منه أفاده الدنوشرى

وسيصلح

و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد أبيه فمكث خليفة ستة أشهر ثم سار لمعاوية بأربعين ألفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك ابتغاء لوجه الله كما جاء عنه رضي الله عنه ثم أرسل لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فأرسل اليه قرطاسا أبيض وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية من خليفة يومئذ حقيقة ويقتل الحسين بن علي كرم الله وجهه بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استأذن ملك القطر به ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم أم سلمة فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحمه فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك أتحبه قال نعم قال ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلاء وفي رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل وأخبر ابن عمر انه سيعمى لما رأى جبريل معه في صورة رجل وأخبر أم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهم بانها ستلده وبانه أبو الخلفاء وبان منهم السفاح والمهدي وأخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك الناس ان يضربوا أكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن أنس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلوا وممن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر وأبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد وذو النون المصري والفضيل وابن المبارك وابن أدهم رحمهم الله وبعالم قريش وانه يملأ طباق الارض علما قال أحمد وغيره نراه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض لقرشي صحابي أو غيره ما انتشر للشافعي أي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصغاني ان الحديث موضوع تهور منه وانما فيه نوع ضعف ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل وأخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا أسود أحد عضديه مثل ثدي المرأة فقاتلهم علي وأخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس بالوصف الذي وصفه به صلى الله عليه وسلم وأخبر بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجئة وبان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها تكون كلها في النار الا الفرقة التي تكون على ما كان عليه هو وأصحابه وهم الطائفة الذين أخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة أي قربه بقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة

(قوله القيصوم) بالقاف والصاد المهملة اسم نبت النافع منه أطرافه وزهره مر جدا دخانه يطرد الهوام شرب سحيقه نافع لعسر النفس والبول ويقتل الدواب اه من القاموس (قوله عالم المدينة) الاضافة على معنى في (قوله هو مالك ابن أنس) لا يقال علماء المدينة كثير منهم الفقهاء السبعة وغيرهم من مشايخ مالك لان مذاهبهم لم تنتشر في الاقطار كانتشار مذهبه وكذا يقال في عالم قريش (قوله وأبو حنيفة) قال أشهب بن عبد العزيز رأيت أبا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي أمه قال الذهبي وهذا يدل على حسن أدب أبي حنيفة مع كونه أسن من مالك بثلاث عشرة سنة اه من طبقات المناوي قال المنلا علي قاري في شرح عين العلم الذي هو مختصر الاحياء ما نصه وقد أورد بعضهم حديثا في مدح أبي حنيفة وهو أبو حنيفة سراج أمتي وهو حديث موضوع كما قاله الصغاني وغيره بل قال السيوطي وما يورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث باطل لا أصل له نعم أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في انه هل روى عن الصحابة أم لا ومما يصلح للاستدلال على عظم شان أبي حنيفة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردري هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته اه وقوله وقد ثبت الخ غير صحيح لان الامام عليا مات قبل تمام سنة أربعين من الهجرة والامام أبو حنيفة انما ولد سنة ثمانين منها فقد مات الامام علي قبل ولادة أبي حنيفة بأربعين سنة الاأشهرا وقد ذكر الشعراني في طبقاته انه لم يكن في زمن أبي حنيفة من الصحابة الا أربعة أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وسهل بن سعيد وأبو الطفيل وهو آخرهم موتا ولم يأخذ عن أحد منهم اه كلام الشعراني فعنده انه لم يأخذ عن الصحابة ولم نعلم من اجتمع به من هؤلاء الاربعة (قوله تهور منه) التهور الوقوع في الشئ بقلة مبالاة اه مختار

حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة وتقدمتها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتغلى كغليان البحر الى أن ارتجت منها الارض ومن عليها حتى أيقن أهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم واحد ثمان عشرة زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد وريئت من مكة وجبال بصرى وانطفأت ليلة الاسراء سابع عشرى رجب وقد أوسع المؤرخون فى أخبارها بما يطول استقصاؤه واذا تأملت ما أطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بأمر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عناية ربه تعالى به وانه لا يضيمه أحد قط ومن ثم عقب الناظم ذلك بقوله (لا تخل) بفتح التاء الفوقية والمعجمة من خلت الشئ خيلا ومخيلة ظننته (جانب) هو فى الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية (النبى مضاما) أى مضيما (حين) وفى نسخة حيث والاول أظهر اذ هو ظرف لمضاما (مسته) صلى الله عليه وسلم (منهم) متعلق بقوله (الاسواء) أى الايذاآت الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى فى مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الآيات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما أصابه صلى الله عليه وسلم من ايذاآتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله اذ أصابهم من ايذاآت أممهم مثل ذلك أو أكثر منه لكن (كل أمر) من الامور العظيمة (ناب) أى أصاب (النبيين فالشدة فيه) التى تحصل لهم منه (محمودة) لانها لرفع درجاتهم العلية (والرخاء) أى السعة فيه محمودة أيضا لانه لتكثير أتباعهم ونفى أعدائهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه ان من المقرر فى العقول انه (لو يمس النضار) أى الذهب (هون) بالضم أى هوان (من) ادخاله الى (النار) لاختبار خلوصه من الغش والنقص (لما اختير للنضار الصلاء) أى العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من أدنى نقص يصيبه فالانبياء كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما أن النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة وفى لا تخل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه * ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب النبى مضاما برهن عليه بقوله (كم يد) أى جارحة (عن نبيه كفها الله) أى منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء قصد به صلى الله عليه وسلم (و) الحال انه قد وجد (فى الخلق) أى المخلوقين الذين هم أعداؤه المريدين لاهلاكه (كثرة واجتراء) أى شجاعة وتهور واقدام على فعل ما خطر فى النفس من غير نظر فى عاقبته (اذ) ظرف لكف أى وقت ان (دعا) أى طلب حال كونه (وحده العباد) كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات (و) ان (أمست) أى حصلت اذ أمسى يستعمل كثيرا فى ذلك (منه) فى كل الازمنة (فى كل مقلة) منهم وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد (أقذاء) جمع قذى وهى ما يسقط فى العين مما يؤلمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى أنديتهم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى أقرب أقاربه كعمه أبى لهب فى ايذائه والتجرئ عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لايذائهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيأ فشيأ الى ان مكنه الله تعالى من نواصى أعدائه فاذاق من بقى منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان ومما ينبئك بعظيم ايذائهم له ونصره

(قوله أى مضيعا) أى لا انتصار بعده (قوله الاسواء) جمع سوء وساءه أى فعل به ما يكرهه (قوله فالشدة فيه محمودة) أى لانهم أجل من يتحلى بمقام الرضا وشهود الشدة منه سبحانه والتلذذ بذلك الشهود (قوله لرفع درجاتهم) قال القاضى عياض وليعلم انهم من البشر يصيبهم محن الدنيا وما يطرأ على أجسام البشر فيتيقن انهم مخلوقون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات اه (قوله الصلاء) بكسر الصاد اه ابن عبد الحق (قوله مكلوء) أى محفوظ بكلاءته بالكسر والمد أى حفظه

(قوله وارتعدت منها فرائصهم) جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكبد أى التى لا تزال ترعد من الدابة (قوله يؤنبونه) قال فى الصحاح أنبه تأنيبا عنفه ولامه (قوله وأما قول بعضهم) وهو شارحها المالكى الشهاب بن الاقيطع البرلسى (قوله فأبى السيف) فى نسبة الاباء اليه تجوز (قوله وصح ان غورث) بضم الغين المعجمة وفتحها أسلم وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ومات

عليهم ماذكره أهل السير أن عمرو بن العاص قال للزبير ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان أشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فاساؤه ثم مر بهم فاساؤه فوقف فقال أتسمعون يا معشر قريش اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم فألانوا له القول وقالوا انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ماذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه بسب آلهتهم فأخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام اليه أبو بكر وحال بينهم و بينه كما مر * (تنبيه) * قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى فى العين مستعار لما حصل لهم فى عيون بصائرهم من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم كما مر آنفا وأما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالقذى ما على أعينهم من الغشاوة المانعة من النظر فى أمره الحاجبة لهم عن اتباعه أو يريد ما على قلوبهم من الران والصدا الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما يعلوها من الران والصدا اه فهو غفلة عن سياق المتن أو عدم تأمل له بالكلية لانه انما حكم بأنه صلى الله عليه وسلم أسكن القذى بكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح تفسير القذا بشئ مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتأمله والدليل على تلك الحراسة الباهرة انه (هم قوم) بدخل فيهم النساء تبعا (بقتله) بالسيف (فأبى السيف) أى امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه (وفاء) أى لاجل وفائه بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير مامر فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك منى قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث ابن الحرث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قال الله عز وجل فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى قال كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك فى غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها أغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فأنكروا عليه فقال نظرت الى رجل أبيض طويل دفع صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف من يدى فعلمت انه ملك وأسلمت (وفاءت) أى رجعت على راميها و بينه و بين وفاء الجناس اللاحق (الصفواء) أى رجعت الحجارة عن اصابته بل جمدت فى يد راميها الذى هم بقتله أيضا (و) هم (أبو جهل) بن هشام بن المغيرة المخزومى وكان من أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم و بالغ فى انذارهم وتسفيه احلامهم وسب آلهتهم فاظهروا له شدة الاباء والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم أبو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون وانى أعاهد الله تعالى انى لاجلس له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشئ أبدا فلما أصبح أخذ حجرا

بعد ذلك (قوله اخترط سيفه) أى سله (قوله صلتا) بفتح الصاد وضمها أى مسلولا اه شرح مسلم للنووى (قوله مع رجل) هو عثور بن الحرث كذا فى شرح الشهاب البرلسى (قوله الجناس اللاحق) فيه ان الجناس بين قوله وفاء وقوله وفاءت وحينئذ فهو جناس ناقص ويسمى مطرفا حيث وجد النقص فى الطرف كما هنا فله اسمان اذ واو العطف وتاء التأنيث حرفان مستقلان (قوله أى رجعت على راميها) فيه انها لم ترجع عليه وانما جمدت فى يده فالظاهر ما ذكره بعد من رجوعها عن الاصابة تأمل (قوله الصفواء) قال فى القاموس والصفاة الحجر الصلد الضخم لا ينبت الجمع صفوات وصفا جمع الجمع اصفاء وصفى وصفى كالصفواء والصفوانة جمعها صفوان ويحرك اه (قوله بل جمدت) من باب دخل ونصر (قوله وهو أبو جهل) هذا التقدير لا يناسبه واحد من الاعرابين الآتيين وكانه لمجرد بيان المعنى فقط اه طبلاوى والضمير راجع للرامى فى قوله جمدت فى يد راميها ولعل هو محرف عن هم فيكون قد قدر ما يوافق الاعراب الاول من الاعرابين الآتيين فحرر وقد وجدت فى نسخ ذلك و يعين ذلك قوله بعد ظرف لهم الخ وقد يقال بعدم تعيين ما يأتى بعد لذلك لاحتمال أن يراد بقوله ظرف لهم المقدر على أحد الاعرابين الآتيين له لا على ما قدره قبل و يكون ما يأتى له حل اعراب وما ذكره هنا حل معنى كما علمت من المنقول عن الطبلاوى تأمل

(قوله وضمها) والضم هنالك متعين للنظم (قوله أو الطائر العظيم المعروف) قال استاذنا في شرحه نقلا عن الجامع الكبير عازيا أي الجامع للسبط المسعودي في مروج الذهب عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى خلق طائرا في الزمن الاول يقال له العنقاء فكثر نسله في بلاد الحجاز فكانت تخطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان وهو نبي ظهر بعد عيسى أي على قول تقدم رده فدعا عليها ان يقطع نسلها فبقيت صورتها وفي المثل طارت به العنقاء وفي المختار العنقاء الداهية وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم (قوله جناس الاشتقاق أو شبهه) ان كان المراد بالاستقاق الاشتقاق النحوي و بشبهه مجرد المشاركة في المادة فهذا من شبهه وان كان المراد بالاشتقاق المشاركة في المادة

أعم من الموافقة في المعنى فهذا منه لكن رأيت في كثير من شروح البديعيات ان الاشتقاق ان يشتق من الاسم العلم معنى لمدح أو هجاء كقول ابن دريد في نفطويه النحوي

لو أوحى النحو الى نفطويه * ما كان هذا النحو يعزى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صراخا عليه

اه وعليه فعنق وعنقاء ليس من هذا القبيل وانظر المراد بشبه الاشتقاق على هذا المعنى حتى يكون هذا منه وفي مواضع من الشرح سابقا ولاحقا ما يدل على ان المراد بالاشتقاق الاتفاق في المادة مع المشاركة في أصل المعنى ويشبهه مجرد المشاركة في المادة من غير مشاركة في أصل المعنى كما في بديعية الزفتاوي وسيأتي في شرح وكم سام الشقوة الاشقياء وفي الكتابة عليه ما يصرح بأن المراد هذا وتقدم أيضا ما يؤيده عند قوله وشفتنا بقوله الشفاء وقوله قصور قيصر ولعل الاشتقاق عند أهل البديع قسمان القسم الاول ما نقلناه عن كثير من شراح البديعيات والقسم الثاني ما ذكرناه عن الزفتاوي فتدبر وحرر (قوله وظاهر قول القاموس) لم يقل و يعين لاحتمال ان تقاضاه في القاموس المراد به تقاضى منه فيكون على نزع الخافض (قوله مع هذا الرجل وغيره) يشير بذلك الى أن الناظم أراد ذم بيعه وشرائه من حيث هو لا بخصوص الواقعة لكونه أبلغ في الذم ومن ثم حسنت مراعاة النظير (قوله وقد انتقع لونه) و يقال امتقع بالميم اى تغير من حزن أو فزع (قوله مثل هامته) أي رأسه ولا صورته وفي نسخة قصرته قال في الصحاح القصرة بالتحريك أصل العنق

كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرهوبا قد يبست يداه على الحجر حتى قذف فقاموا اليه وقالوا له مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وأنيابه لفحل قط فهم بي ان يأكلني وذكرانه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا مني لاخذه (اذ) ظرف لهم المقدر قبل أبو جهل لانه معطوف على هم قوم بقتله بالحجر أي وهم أيضا أبو جهل بقتله بالحجر الذي حمله وقت ان (رأى عنق) بسكون النون وضمها (الفحل) وقد برز (اليه كأنه العنقاء) أي الداهية العظيمة أو الطائر العظيم المعروف و بين عنق وعنقاء جناس الاشتقاق أو شبهه وما ذكرته من ان أبو جهل معطوف على قوم وأن اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على الصفواء أي رجعت الصفواء عن الوصول اليه صلى الله عليه وسلم ورجع أبو جهل عن الرمي بها وقت رؤية الفحل فاذ حينئذ ظرف لفاءت مع فاعلها وما عطف عليه (واقتضاه) معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض أي اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلان طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه أي طلب (النبي) صلى الله عليه وسلم من أبي جهل اللعين ان يؤدي (دين) كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث (الاراشي) بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه أبو جهل ثم مطله بأثمانها فوقف الاراشي على نادٍ من قريش فقال هل من رجل يخلصني من أبي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل أي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا عبد الله ان أبا الحكم قد غلبني على حقي وقد سألت أولئك القوم فأشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف (وقد ساء بيعه) ذكر مع ان الكلام ليس الا في الشراء لانه نظيره فهو من مراعاة النظير (والشراء) أي وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه أمر واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج الي فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه فدخل فأخرجه اليه فجاء الى أولئك وأخبرهم بما وقع فجاء أبو جهل فقالوا له ويلك والله ما رأينا مثل هذا الذي صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب علي بابي فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا صورته ولا انيابه لفحل قط والله لو أبيت لاكلني (و) من ثم (رأى) أبو جهل اللعين محمدا (المصطفى) صلى الله عليه وسلم وقد (أتاه بما)

اى

(قوله وبرح التبريح) قال في المختار تقول برح به الامر تبريحا أي جهده ثم قال وتباريح الشوق توهجه (قوله ماقدرآه) انما عبربما التي وضعها لغير العالم مع ان الفعل جبريل عليه الصلاة والسلام وهو من ذوي العلم فالمناسب التعبير عن نظر الصورة التي انتقل اليها بالتطور وهي من غير ذوي العلم (قوله من القاء سلى الجزور) أي من التسبب في القاء والا فالمباشر للالقاء عقبة بن أبي معيط (قوله في القليب) هو البئر قبل ان يطوى أي قبل ان يبنى بالحجارة اه من المختار (قوله اذ قال قائل منهم) هو أبو جهل (قوله سلاها) السلى بفتح السين المهملة وتخفيف اللام مقصور وهو اللفافة التي يكون فيها الولد في سائر الحيوان

أي بفعل ابل (لم ينج) بفتح ثم ضم و بضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ولا يجوز كما هنا لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو وأنجى ينجي فهو ناج ومنج (منه دون الوفاء) لذلك الدين الذي للاراشي (النجاء) بوزن الضراب مبالغة في ناج فالوفا مقصور و يجوز تخفيف الجيم مصدرا فالوفاء ممدود وفي القاموس نجا ينجو ونجاء ونجاة ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفا مقصور وعلى كل هو فاعل ينج ونظيره في المصدر قول الحاجري

ملأ الوجد فؤادي * وبرح التبريح أي ذلك الفعل لا ينجي أولا ينجو منه النجاء بالمبالغة أي من تكررت نجاته من الامور الصعبة الاان وفي ذلك الدين أولا ينجو منه النجاء بالتخفيف الا بعد ذلك الوفاء (هو) أي الفعل المرئي في هذه الواقعة (ما) أي الفعل الذي (قدرآه من قبل) أي في الواقعة السابقة في قوله وفات الصفوا الخ (لكن) لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين (ماعلى مثله) في العتو والنهور السالبين لادراكه والموجبين لاهلاكه وهو أبلغ من عليه لانه لحصر اثبات الحكم عليه بينة على حد مثلك لا يبخل (بعد الخطاء) لان خطأه لا ينحصر فلا يعد ومد الخطاء لغة شهيرة

(تنبيه) قد يسئل عن الحكمة في كون أبي جهل منع في هاتين الواقعتين من أن ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمؤذ مطلقا أشد المنع ولم يمنع من القاء سلى الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت كأن السر في ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفي أمثاله ممن كانوا أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم بدعوته والقائهم في القليب على أخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه ومختصر تلك القصة أنه صلى الله عليه وسلم كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم وهو عقبة بن أبي معيط فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا أي لانه لم يعلم بخصوص ما وضع له وانما لم ينقل انه أعاد لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلاة الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وقدمه لانه أشقاهم وأشدهم أذية له صلى الله عليه وسلم وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب

وهي من الآدمي المشيمة اه شرح مسلم للنووي (قوله فانبعث أشقاهم) هو عقبة بن أبي معيط أي بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير وانما كان أشقاهم مع ان فيهم أبا جهل وهو أشد كفرا منه وايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم اشتركوا في الكفر والرضا بالفعل وانفرد عقبة بالمباشرة فكان أشقاهم ولذا قتلوا في الحرب وقتل هو صبرا وفيه ان عمارة لم يمت في الحرب كما سيأتي (قوله عليك بقريش) أي باهلاك كفارهم أو من سمى منهم فهو عام أريد به خاص ثم سمى أي عين وفصل ما أجمل قبل (قوله وقدمه لانه اشقاهم) أي أشقى من دعا عليهم لشدة تعنته في كفره وشدة أذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ماذكر سابقا من ان عقبة بن أبي معيط اشقاهم أي الجمع من كفار قريش ومنهم أبو جهل لان ذلك من جهة مباشرته لرمي القذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل أشقى من جهة (قوله والوليد بن عقبة) كذا بالقاف في صحيح مسلم أيضا واتفق العلماء على انه غلط وان الصواب عتبة بالتاء كما ذكره مسلم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة وقد ذكره البخاري في صحيحه على الصواب والذي بالقاف هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ولم يكن في ذلك الوقت موجودا أو كان طفلا صغيرا جدا فقد أتي به النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقد ناهز الحلم ليمسح على رأسه اه من شرح مسلم للنووي (قوله ثم سحبوا الى القليب) أي تحقيرا لشأنهم ولئلا يتاذى الناس برائحتهم والا فالحربي لا يجب دفنه

قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من تمامه وفيه علم من أعلام نبوته ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم فى القليب وقول عبد الله بن مسعود رأيتهم صرعى فى القليب مراده أكثرهم فان عمارة انما مات بأرض الحبشة لكن على أشر قتلة فانه تعرض لزوجة النجاشى فأمر ساحرا فنفخ فى احليله من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات فى خلافة ع ورواية أيضا عقبة بن أبى معيط انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وألقى ثم وأمية بن خلف وان قتل ببدر لم يطرح فى القليب (وأعدت) عطف على هم أى هيأت أم جميل بنت حرب بن أمية (حمالة الحطب) لقبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله (الفهر) أى الحجر الذى يملأ الكف لما أنزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا أبى لهب السورة (و) الحال انها قد (جاءت) اليه وهو فى المسجد وأبو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهى فى غاية الاسراع والعجلة (كأنها) الحمامة (الورقاء) أى الشديدة الاسراع أى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة (يوم) ظرف لأعدت (جاءت) فى حال كونها (غضبى) من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وفى نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد يؤججها طروّ السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شئ فى المغضوب عليه سمى غيظا كذا قيل وفى القاموس الغيظ الغضب أو اشده أو سورته أو أوله وحال كونها (تقول أفى مثلى) وأنا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بيقال (من أحمد) حال من الهجاء (يقال الهجاء) أى السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غيرا لهتهم فن ابتدائية نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان أصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هؤلاء فن تعليلية أى يقول الهه ذلك لاجله (وتولت) عطف على أعدت (و) الحال انها (ما رأته) أى وكيف تراه وهو فى ظهوره للقلوب السليمة كالشمس وهى أعنى تلك المرأة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة (ومن أين ترى الشمس مقلة) أى عين (عمياء) ولما رآها أبو بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله انها امرأة بذية فلو قمت قال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت أنت عندى تصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم لم ترك فقال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية قد أخذ الله ببصرها عنى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما تعجبون لما يصرف الله عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد صلى الله عليه وسلم * (تتمة) * قرأ صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فحينئذ ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وفى رواية ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده آخر السورة سجد المسلمون وسجد المشركون معهم لتوهمهم انه مدح آلهتهم وفى رواية ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية ففشا ذلك فى الناس واظهره الشيطان حتى بلغ المسلمين فى الحبشة فاقبلوا سراعا ثم لما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى أشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق أو غرنيق وهو طير الماء شبهت بها الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم الى الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو فى السماء وترتفع * (تنبيه) * كثر كلام العلماء رحمهم الله تعالى فى هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ فى انكارها وبطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازى وسبقهما لنحو ذلك البيهقى وأيدوا بان البخارى وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوز على نبى تعظيم وثن فقد كفر وبأنها من وضع الزنادقة والحق

(قوله الورقاء) أى التى فى لونها بياض الى سواد كما فى المختار ولا يخفى ان ذلك معناها بحسب الاصل والمراد هنا تشبيهها بها فى الاسراع كما ذكره الشارح (قوله أو سورته) قال فى المختار سورة الغضب وثوبه وسورة الشراب وثوبه فى الرأس وسورة الحمى وثوبها وسورة السلطان سطوته واعتداؤه (قوله من أحمد) بالتنوين للضرورة (قوله اما حقيقة) كذا بخط المؤلف رحمه الله تعالى وكأنه حذف المقابل اكتفاء بقوله نعم الخ (قوله من عمى البصيرة) فيه ان المقام لعمى البصر ولذا قال الناظم مقلة عمياء وقال فى الرواية الآتية لم يزل ملك الى آخرها وفى الرواية الثانية قد أخذ الله بصرها عنى (قوله اذ كرت هجوا الخ) فى نسخة وذكرت بتاء التأنيث هجوا قبيحا قال الشهاب البرلسى المالكى وهو قولها * مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا * اه لكن قوله فقالت لا يؤيد نسخة أذكرت بهمزة الاستفهام وضمير المتكلم وقوله يسبون ويهجون مذمما مما يؤيد النسخة الاخيرة لذكرها مذمما فيما نقل عنها البرلسى اللهم الا ان ثبت ان مذمما وقع فى كلام غيرها من الكفار

خلاف ذلك كله بل لها أصل أصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن أبي حاتم والطبراني وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وأبو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة لانه لم يرها مسندة من وجه صحيح اهـ ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بأن طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور وزعم ابن العربي وعياض ان رواياتها كلها لا أصل لها ليس في محله اذ لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها أصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ يتعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر كقوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القرآن عمدا أو سهوا واختلفوا في تأويله فأخرج الطبري عن قتادة انه أصابته سنة تجري على لسانه ولم يشعر به فلما علم أظهر بطلانه وأحكم ربه آياته واعترض بأنه لا ولاية للشيطان عليه في النوم ويجاب بأن هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما رآه أصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به أحد ثم رأيت من أجاب بما يؤيد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وايدوه بما جاء عن ابن عباس في تفسير تمنى بتلا فعنى في أمنيته أى في تلاوته وفي ذلك اخبار منه تعالى بأن رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم بين الله تعالى بطلانه فعلم ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم ما قاله لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه وأما الجواب بأن الشيطان ألجأه الى التلفظ بذلك من غير اختياره فردود بأن الشيطان لو قدر على ذلك لم يمكن أحدا من طاعة أو بأنه علق بحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح آلهتهم فجرى على لسانه سهوا فهذا افيد مما قبله أو بأنه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلاني فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام في الصلاة اذ ذاك كان جائزا أو بأنه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان يأتي بذم آلهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد أو بأن المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا فنسخ الله تلك الكلمة وأحكم آياته فهو ابعد مما قبله (ثم) بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع له كرامة أخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهي انه (سمت له) زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم (اليهودية الشاة) أى جعلت له فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت يهودا في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها أكثرت منه في الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع (وكم) مرات كثيرة (سام) من السوم الذي هو مقدمة الشراء أو الذي هو الرعي وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق (الشقوة) أى ثابر عليها وتحلى بها (الاشقياء) الذين صاروا كالانعام بل هم أضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا تساهل وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما

(قوله تجري على لسانه) كان الظاهر ان يقول فألقاه الشيطان بصوت كصوته ليلا ثم الجواب فتأمل (قوله سنة سبع) صوابه سنة ثمان لان غزوة حنين عقب فتح مكة والفتح كان سنة ثمان وسيأتي التصريح بذلك في كلام الشارح عند قوله من فضلا على هوازن (قوله لما قيل لها الخ) انما يقتضي اكثارها السم في الذراع مع ان المدعى انها أكثرته فيها وفي الكتف ولعل اكثارها فيه ملاحظتها احتمال فراغ أكله الذراع فيأكل منه لقربه منها فيزيد تأثير السم (قوله يحب الذراع) أى لنضجها وسرعة استمرائها مع لذتها وحلاوة مذاقها (قوله الشقوة) بالكسر وفتحه لغة اهـ صحاح وقال في القاموس هي الشدة والعسر وفي المختار انها خلاف السعادة (قوله أى ثابر عليها) المثابرة على الامور المواظبة عليها اهـ مختار (قوله وقول الشارح ان سام وسمت من هذا) أى من تجنيس الاشتقاق تساهل أى وانما هو شبه اشتقاق لانهما وان اشتركا في غالب الحروف لم يشتركا معنى فتأمل

قال اجمعوا الى من هنا من اليهود فجمعوا له صلى الله عليه وسلم فسألهم عن أشياء منها من أبوكم قالوا فلان قال كذبتم أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم من أهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم أبدا ثم قال لهم هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ذلك قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك أو نبيا لم يضرك ورووى أبو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منها وأكل رهط من أصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فأرسل الى اليهودية فقال صلى الله عليه وسلم سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه الذراع ومن ثم قال (فاذاع) أي أظهر له صلى الله عليه وسلم (الذراع ما فيه من سر) أي سم (بنطق) معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك اعني انه أخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم أخبرتني هذه الذراع (اخفاؤه) عن الحاضرين (ابداء) له صلى الله عليه وسلم أي هو وان خفي عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال صلى الله عليه وسلم لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى أصحابه صلى الله عليه وسلم الذين أكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل منها وفي رواية غير أبي داود انها جعلت تسأل أي الشاة أحب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موج أي يقتل لوقته فسمتها به وأكثرت منه في الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فادارا لقمتيهما وأكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى أوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطي ورواية انه قتلها تعارض رواية البيهقي عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها ومن ثم قال (وبخلق من النبي كريم) بل لا أكرم منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم أي بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح (لم تقاصص بجرحها) بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر (العجماء) أي المرأة ويقال للبهيمة أيضا وقال الزهري أسلمت فتركها وفي مغازي سليمان التيمي نحوه وانها قالت استبان لي الآن انك صادق واني أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقي بأنه يحتمل ان يكون تركها أولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك أجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر أحدا من الصحابة روى عنه انه قتلها قصاصا وانما الوارد أنه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد

(قوله فقال اخسؤا) قال في القاموس خسأ الكلب كمنع طرده خسأ وخسوأ والكلب بعد كانخسأ وخسئ والبصر كل والخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك ان يدنو من الناس اه والمعنى هنا ابعدوا ولا تدنوا منا وأوضح من ذلك ما ذكره البيضاوي في تفسير اخسؤا فيها حيث قال أي اسكتوا سكوت هوان ثم قال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ (قوله مصلية) أي مشوية بالنار (قوله أعني انه) أي الذراع وذكره مع انه مؤنث بدليل قوله في الحديث أخبرتني نظرا لتسميته عضوا (قوله واحتجم صلى الله عليه وسلم) أي بأمر جبريل له بالحجامة لحديث الحجامة في الرأس هي المغيثة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية وهذا صريح في ان احتجامه لاكله طعام اليهودية المسموم كان في الرأس والذي في الشارح انه احتجم على كاهله فان ثبت انه احتجم في الموضعين فلا اشكال تأمل (قوله فانتهش منها) قال في الصحاح النهش أخذ اللحم بمقدم الاسنان وهو ينتهش بالسين والشين جميعا (قوله دفعها الى أوليائه الخ) فيه انه قد ذكر سابقا ان أصحابه الآكلين ماتوا فلم اختص دفعها لاولياء بشر دون أوليائهم ولعله لعدم تحقق موتهم بالسم بخلاف بشر فتأمل (قوله بجرحها العجماء) فيه تلميح الى قولهم العجماء جرحها جبار أي لا قصاص فيه ويحكى ان خطافا راود خطافة في قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فسمعه يقول بلغ من حبك انك لو قلت اهدم القبة على سليمان فعلت فاستدعاه عليه الصلاة والسلام فقال لا تعجل ان للمحبة لسانا لا يتكلم به الا المجنون والعاشقون ما عليهم من سبيل فانهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل فضحك منه بما صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه وقال هذا جرح جبار ذكره الاكبري عند قولهم مما نعتوا به المحب انه كالدابة جرحه جبار (قوله أي المرأة) ظاهر تفسيره يدل على ان اطلاقه عليها بطريق الاشتراك وليس كذلك بل في البهيمة حقيقة ويطلق على المرأة تشبيها بها ففي التفسير ان يقول أي المرأة اليهودية التي كالبهيمة اه دنوشري (قوله وجمع البيهقي بأنه الخ) أي فقولهم لم يقتلها أي في الحال وقولهم قتلها أي بعد ذلك (قوله بنقضها العهد) انظره مع ما سبق عن مغازي التيمي انها أسلمت وفي شرح م ر عند الكلام على التضيف بمسموم ان قتلها لنقض العهد كما ذكره الشارح هنا ولعله لم يثبت عندهما ولم يصح ما روى من اسلامها فحرر

بما فعلته ويدل عليه ماجاء فى رواية أنه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسه ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودى الذى رض رأس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب فى قتل القصاص كما يصرح به كلام ائمتنا لما تقرران المدار فيه على المماثلة ما أمكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ائمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب فى غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذى نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت قلت الذمى اذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق فى أحكام لا يبعد ان يكون هذا منها على ان ذلك صار كحربى وأحكام الحربيين لا يقاس بها أحكام المعصومين فان قلت قولكم ايثارا للمماثلة الخ انما يتأتى على القول بتعينها فى القود وأما المخير بينها وبين السيف فيما ليس بمحرم أو المخير بينها وبين السيف فى القتل بمسموم فلا يتأتى عليه ذلك البحث قلت بل يتأتى على التخيير أيضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتأخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود أيضا لاحتمال انه لتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان مافى هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول أئمتنا من أضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فأكل منه فمات لاقود عليه لانه تناوله باختياره والمضيف لم يلجئه الى أكله وذلك لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذى قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات المخالفة فى ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصح عدمه قلت هذا يحصل منه مدعانا أيضا لان ثبوته اذا لم يصح من أصله أو بذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه ويخلق من النبى كريم (منّ) فهو معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص خلافا لما يوهمه كلام الشارح أنه استئناف أى أنعم نعمة عظيمة (فضلا) مفعول مطلق كفرحت جزلا أو مفعولا لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ماذكره الله تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء فمن بتخلية سبيلهم بعد أن ملكهم المسلمون أى رفع الرق عنهم لاجل فضله أى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فعنى هذه العلة والعلة التى تليها المستفادة من اذ كان له معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح أن تكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء أعلق على هوازن بمن أو بفضلا اكتفاء بقرينة السياق (على هوازن) قبيلة حليمة السعدية رضى الله تعالى عنها وهم أهل حنين المذكورون فى القرآن وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت أشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر ألفا عشرة جاء بهم

(قوله ان يقتلها بمسموم) لان من قتل بسم يقتل بمثل السم الذى قتل به مالم يكن مهريا يمنع الغسل والظاهر ان ماهنا لم يكن مهريا ومن ثم تأخر موت بشر مدة عن أكل السم اه من ع ش على م ر (قوله ان مافى هذه القصة) فهى واقعة حال فعلية طرقها الاحتمال فسقط بها الاستدلال على كون قتلها قصاصا تأمل (قوله من أضاف انسانا) أى مميزا بقرينة قوله لانه تناوله باختياره اما غير المميز ففيه القود كما هو مصرح به فى الفروع (قوله فهو معطوف) أى بحذف حرف العطف (قوله أى رفع الرق عنهم) أى باعتاقهم لان مافى السبى نساء وذرارى وهم يرقون بنفس الاسر فقول النبى فيما يأتى أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم أى مسلم لكم بعد عتقه وكذا يقال فيما بعد فيحتمل ان العتق فى غير ما للنبى قد فوض اليه ففعل ويحتمل ان كل من سمح بماله من الغانمين نجز عتقه بقى ان طروّ الرق على النكاح يفسخه فان كان رد النساء لهوازن من غير عود لازواجهن فلا اشكال والا أشكل الا ان ثبت تجديد عقد وانما لم يذكرهم النبى ذلك لكونهم عالمين بالحكم وفيه أيضا ان ثلاثة أخماس الخمس التى لليتامى والمساكين وابن السبيل لم يذكر فى القصة تبرعهم بها على انهم غير محصورين فلا يتأتى نزولهم عن حقهم الا أن يقال للامام أن يحصر حق بعض المستحقين فى بعض أنواع الغنيمة ويكون قد حصر حق هؤلاء الثلاثة من غير السبى كالابل فحرر (قوله وايهامه قصر فضلا) فيه نظر فان النص على الشئ لا ينفى ماعداه دلالة ولا ايهاما اه دنوشرى (قوله قريب من ذى المجاز) قال فى الصحاح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية اه أنظره مع قول الشارح بين ذلك الوادى الخ اذ ليس بين مكة ومنى هذه المسافة تأمل (قوله فى اثنى عشر ألفا الخ) عشرة جاء بهم أى لفتح مكة وألفان من طلقاء مكة أى الذين أسلموا من أهل مكة يوم فتحها فأطلقهم أى خلى سبيلهم ولم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى

وألفان من طلقاء مكة ولما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وأمر أن يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس والابل أربعة آلاف وعشرين ألفا والغنم فوق أربعين ألفا وأربعة آلاف أوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضع عشرة يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا يارسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك فامنن علينا مما منّ الله عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يارسول الله ان مافى الحظائر عماتك وخالاتك أى من الرضاع لانهن قرابات حليمة أوحاضناتك اللاتى كن يكفلنك ولوانا أرضعنا الحرث بن أبى شمرة أو النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بنى سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من أول سبى يصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من بقى عندهم ومنّ صلى الله عليه وسلم عليهم بذلك (اذ) أى لاجل انه صلى الله عليه وسلم (كان له قبل ذلك) أى وهو طفل (فيهم رباء) بفتح الراء والمد أى تربية من ربوت فى بنى فلان وربيت فيهم اذا نشأت بينهم أو طول باعتبار ماوصل اليه من لبن حليمة وتربيتها *(تنبيه)* جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ماعليه الجمهور قالوا ولادليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الآية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هى حينئذ حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لامن اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى الثانى فى الآية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضى وهو الغالب ثم قال الجمهور لاتكون الا ظرفا أو مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث أخبارها وقال الاقلون تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وكذا المذكورة أوائل القصص كلها بتقدير اذكر أو بدلا منه بدل اشتمال أوكل من كل ورده الجمهور بأن المفعول أو المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشرى أنها تكون فى محل المبتدا ممانفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا ومعنى واجيب بأنه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع (وأتى) ذلك (السبى) أصله الاسر والمراد به هنا المسبى أى المأسورون الى الجعرانة بأمره صلى الله عليه وسلم كامر ليقسمه فيها على المسلمين وكان ذلك السبى (فيه أخت) النبى صلى الله عليه وسلم من (رضاع) واسمها الشماء كامر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله انى أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى أختك قال وماعلامة ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها لكن (وضع) أى خفض (الكفر) القائم بها (قدرها و) كذلك وضع قدرها (السباء) أى الاسر القائم بها أيضا فاضمحل فى جنب ذلة هذين مافيها من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى جنب الكفر مافى نحو أبى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء بكل طريق أمكنته ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم لها (فحباها) أى أعطاها مالم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها (برا) أى لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز أن يكون هو المفعول الثانى ويؤيده انه أبدل منه قوله وبسط الخ كما يأتى ولما أتته بسط لها رداءه وأجلسها عليه ثم خيرها وقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان أمتعك وترجعى الى

قومك

مفعول (قوله وقام رجل من فخذ حليمة) قال فى القاموس الفخذ ككتف مابين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر وحى الرجل اذا كان أقرب من عشيرته والجمع أفخاذ اه (قوله أن مافى الحظائر) جمع حظيرة قال فى المختار والحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها البرد والريح (قوله قرابات حليمة) كان الظاهر ان يزيد وقرابات زوجها لاجل قوله عماتك اذ قرابات الام من الرضاعة خالات وقرابات الاب من الرضاعة عمات كالنسب (قوله الحرث) أى ملك الشام (قوله أو النعمان) أى ملك العراق (قوله واسمها الشماء) أى من غير ياء ويقال الشيماء بالياء (قوله وماعلامة ذلك) بكسر الكاف لانه خطاب مؤنث (قوله السباء) بكسر السين وفتحها (قوله مالم يكن فى حسابها) هذا المفعول الثانى المحذوف على جعل برا مفعولا لاجله

قومـن فعلت فاختارت قومها فمتعها و زاد فى الاحسان اليها كما هو شأنه و ردها الى قومها وأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلهما بقيـة (توهمت الناس) الذين رأوا ذلك البر أى وقع فى وهمهم أى ذهنهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شأنه (به) أى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه (أنما) بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورتها (السباء) أى المسبيات أو النساء لانهن يسمين سباء ففى القاموس والسبى ما يسبى وجمعه سباء والنساء لانهن يسبين القلوب أو يسبين فيملكن وحينئذ تصح قراءة النظم بسين ثم باء و بنون ثم سين اذ المعنى صحيح على كل منهما كما يعلم من تقريرى الآتى فتأمله و بينـه و بين الناس الجناس المقلوب (هداء) بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها أى مهديات كرجل عـدل والجـلة فى محل مفعول توهمت الناس أى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يسبين لعظيم ما قابلهن به من الاكرام وانما جئن لاكرام هداء عروس وجلائها عليـه صلى الله عليـه وسـلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثـله لنساء يهـدين عروسا لا لنساء مسبيات *(تنبيـه)* استعمال الناظم لانما هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فقال انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هـذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية وقول أبى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بأنه حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر أنه (بسط) فهو بدل من برا كما مر و يصح كونه بدلا من حبا (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (لهامن) الظاهر انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة (رداء) كان عليـه أى نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه و يصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسـلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول أقرب وعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء (أى فضـل) أى شرف عظيم لاغاية له (حواه) أى جمعه (ذلك الرداء) بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسـلم وما أفهمه هذا التقرير من ان أى فضل الخ جملة نعت لرداء ومن زائدة أو تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان تكون أى مفعول بسـط وأن فضـل بمعنى فضـيلة فمن تبعيضية وانه على حاله فمن تعليلية داخـلة على مضاف أى نشر لها من أجـل فرش ردائه لها فضـلا اعظيما حواه ذلك الرداء أى تمييزا ظاهرا على بقية نساء هوازن وفى رداء والرداء رد العجز على الصـدر (فغدت) أى صارت مندرجة (فيه) أى فى ذلك الفضل (و) الحال انها (هى سيدة) أولئك (النسوة) اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التميز الظاهر الباهر عليهن (و) ان أولئك النسوة هن (السيدات) قبل أسرهن (فيه) أى فى ذلك الفضل (اماء) أى صارت كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات اماء لها و بين السـيدات والاماء طباق وهـذه مؤكدة للجملة الاولى التى هى حال من فاعل غـدت كما علم مما مر ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقى الى ما لم يصل اليـه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات تنقطع أعناق الاطماع عن أن تمتد اليها وخصال لم يعول آمال الكمل الاعليها اطلب من كل سامع فانه مشاهدة رؤيته صـلى الله عليه وسـلم أن ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيـه فقال (فتنزه) قال الشارح هو من قولهـم خرجنا نتنزه فى الرياض اه وكأنه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وأرض نزهـة بعيـدة عن الريف أى الخصب والزرع وغمق المياه وذبان القرى وومـد البحار وفساد الهواء ثم قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح (فى) أوصاف (ذاته) مر الكلام عليها فى لك ذات العلوم (ومعانيـه) أى صفاته الخارجـة عن أوصاف ذاته صلى الله عليـه وسـلم (استماعا) أى من جهـة اصغائك الى

(قوله وأعطاها غلاماله) الذى فى النعمة الكبرى فاعطاها نعما وشاء وثلاثة أعبد وجارية (قوله نعت لرداء) فيـه انها انشائية ولعـل المـراد من حيث المعنى أو المراد معمولة نعت لان القول فى مثـل ذلك مقـدر أى مقول فيه أى فضل الخ تأمل (قوله وفى رداء والرداء رد العجز على الصدر) هو عبارة عن أن يأتى الشاعر بكلمة فى صدر البيت متقـــدمة كانت أو متأخرة ثم يأتى بها بلفظها فى عجزه وأحسنه ما كانت اللفظـــة افتتاحا للبيت والاخرى ختاما له كقوله

فى يحدث عن سرى فما ظهرت
سرائر القلب الامن حديث فى

وقد تقـدم (قوله وذبان القرى) الذبان معروف الواحـدة بهاء والجمع أذبة وذبان بالكسر وذب بالضم انتهى قاموس (قوله وومد البحار) الومد بالتحريك شدة حر الليل انتهى صحاح وفى القاموس الومد محركة الحـر الشـديد مع سكون الريح أوندى يجئ فى صميم الحر من قبل البحر (قوله واستعمال التنزه الخ) قد يقال يمكن اجراء كلام الناظم على قانون اللغـة لا على العرف بأن يجعل فى ذات الخ متعلقا بمحذوف وصلة تنزه محذوفة أى فتنزه أى تباعد عن العفونات ونحوها متلذذا فى أوصاف الخ

(قوله وبه يظهر) أى بقوله اجتليها حيث عداه بنفسه (قوله ان من زائدة) قال سيبويه يشترط لزيادتها أن يتقدم نفى أو شبهه وأن يكون مجرورها نكرة والاخفش لا يشترط ذلك قال ابن مالك وبقوله أقول واستدل بقوله يحلون فيها من أساور من ذهب وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ولسيبويه (١٠٦) أن يدعى أنها فى الآيتين تبعيضية وكذا نظائرهما فيقال فى النظم ان عز اجتلاء بعضها

استماع أوصاف ذاته وجميل صفاته الآتية فى هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجتلاء الآتى (ان عز) أى فقد (منها) متعلق بقوله (اجتلاء) من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية أى مكشوفة مزينة أى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم وعلى صفاته وبه يظهر ان من زائدة فى الايجاب وهو ما أجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحلون فيها من أساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من أبصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتأمله (و) لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل (املا السمع) بأن تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما سمعته شئ محسوس وان سمعك اناء واسع لملأت ذلك من المحسوس (من محاسن) اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق أحد آثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا (يمليها) من أمليته الكتاب ويجوز أمللته (عليك) من هذه القصيدة وغيرها (الانشاد) لها من شجى الصوت بأتم الاعراب فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وأريحية وطربا وذلك يحدث عندها بسببين أحدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته فى القلب واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى فى اللذة من عناق الشواب وقد ذكر الامام أحمد رضى الله عنه وغيره أن الله تعالى يقول لداود فى الجنة مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته بالموت فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغنى عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة (والانشاء) من ناظمها واسناد الاملاء اليهما مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك فى ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف و (كل وصف له) من صفاته الذاتية والمعنوية (ابتدأت) أنت أو أنا (به) فى الذكر أى ابتدأت بذكره لتحيط بغايته (استوعب أخبار الفضل) مفعول مقدم أى جميع أخبار الفضائل والكمال (منه) متعلق بقوله (ابتداء) أى كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل فى بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذى تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه

ويعلم بالاولى طلب التنزه فيما ذكر ان عز اجتلاء كلها تأمل (قوله لان مفرده حسن) قال فى المختار الحسن ضد القبيح والجمع محاسن على غير قياس (قوله الانشاد) قال الهروى فى غريبه والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر أى رفع الصوت به وقولهم نشدتك الله أى سألتك بنشدى أى رفع صوتى (قوله من شجى الصوت) أى الصوت الشجى أو من شخص شجى صوته فهو من اضافة الصفة للموصوف أو الوصف لفاعله أى صوته شجى أى مطرب قال فى القاموس شجاه حزنه وطربه كأشجاه فهما ضد (قوله وأريحية) أى خفة يقال راحت يده بكذا أى خفت له (قوله وطربا) الطرب خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور انتهى مختار فعطف طربا على أريحية مرادف (قوله ويمجده) أى فيرفع صوته بالزبور (قوله والانشاء) قال تعالى وهو الذى أنشأكم أى ابتدأ خلقكم وكل من ابتدأ شيأ فقد أنشأه فهو مجاز أى لان الذى على هو الشخص المنشد والمنشئ فهو على حذو اسأل القرية وبين الانشاد والانشاء الجناس اللاحق لبعد مخرجى الدال والهمزة (قوله يحجز بقية تلك الاوصاف) قال الجوهرى وحجزة الازار معقده وحجزة السراويل التى فيها التكة

نظر

نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدى أبى العباس المرسى وارث أبى الحسن الشاذلى قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته فى شرح هذا البيت يعلم انه من غرر أبيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد أيضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بأن الله تعالى أوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده فى آدمى مثله صلى الله عليه وسلم وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التى لم يصل اليها غيره فى كل من ذينك ومن ثم قال الناظم فى بردة المديح * فهو الذى تم معناه وصورته * البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه الذى تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما أحسن قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما أطاقت أعيننا النظر اليه وبين ابتدأت وابتداء جناس الاشتقاق *(تنبيه)* شرح الناظم بيان تمام معناه بما مر ويأتى ولم يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما أشار لذلك بقوله برؤية وجه الخ ضحكه التبسم الخ وبتقبيل راحة الخ فتعين علينا ان نشير الى شئ من ذلك فنقول أما وجهه الشريف فصح عن البراء انه صلى الله عليه وسلم كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت شيأ أحسن منه صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه صلى الله عليه وسلم وعن البراء انه قيل له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر أى لم يكن كالسيف فى الطول ولا فى اللمعان بل كالقمر فى التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة والاستدارة وجاء عن على رضى الله تعالى عنه لم يكن بالمكلثم أى شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو أحلى عند العرب وهو معنى قول أبى هريرة كان أسيل الخدين أى فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة ومدو تشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر أى عند التفاته وقيل احترازا عما فى القمر من السواد ويرده تشبيه أبى بكر رضى الله تعالى عنه وغيره له بدارة القمر وفى النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر صار وجهه كالمرآة فيرى خيال الجدر فيه وفى رواية يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده ينظره كمال النظر ويستأنس به ولا يتأذى منه بخلاف الشمس فى الكل ولذا كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته حين مرجعه من تبوك

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا محدث يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية *وأما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء وصح انه كان فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه أى رؤية ادراك كهى بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه كما زعم أن صورهم كانت تنطبع فى قلبه أو انها رؤية قلب أو ان المراد بها العلم بوحى أو الهام وحديث انى لا أعلم ما وراء جدارى لم يعرف له سند وانما ذكره ابن الجوزى فى بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفى علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحى أو الهام ومن ثم قال لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله انى لا أعلم الا ما علمنى ربى وقد دلنى ربى عليها وهى فى موضع كذا احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما أخبر صلى الله عليه

(قوله كان الشمس تجرى) قال الطيبى شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من تناهى التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس انتهى مواهب (قوله وصح انه كان فى الصلاة) فى الامداد استظهر عدم الفرق بين الصلاة وغيرها لاطلاق حديث الصحيحين

وسلم و بفرض التعارض فامر فى حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت التفت جميعا أى لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وان جل نظره النظر بلحاظه صلى الله عليه وسلم وهو جانب العين الذى يلى الصدغ وانه صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العينين بحمرة وروى مسلم أشكل العينين والشكلة الحمرة فى بياض العين وهى محمودة والشهلة حمرة فى سوادها وفى رواية أدعج العينين أى شديد سوادهما أهدب الاشفار أى طويلها * وأما سمعه صلى الله عليه وسلم فحسبك فيه خبر الترمذى انى أرى مالا ترون واسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وفى رواية لابى نعيم أو قائم * وأما شعره صلى الله عليه وسلم فصح انه كان بين شعرين لا رجل أى بفتح فكسر وهو ما يتكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط وكان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى لنفى كثيرها وانه الى شحمة أذنيه وانه الى أسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف أيضا لانه ربما ترك تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان اذا انفرق انفرق بنفسه والا تركه معقوصا ولعل هذا كان أولا والا فالذى صح انه كان صلى الله عليه وسلم يسدله أى يرسله ثم فرق ثم رأيت ان العلماء قالوا ان الفرق سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان فى عنفقته صلى الله عليه وسلم وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور ووقار لرواية ما شانه الله بالشيب أى لان النساء يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى الله عليه وسلم شيأ فقد خاب وكفر واختلفت الروايات فى تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبه بنحو الحناء ولا مخالفة لانه صلى الله عليه وسلم فعله كثيرا وتركه أكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه صلى الله عليه وسلم كان كثير شعر اللحية الكريم وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن شعر رأسه وتسريح لحيته وكان أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ولم يرد فيه أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه فى غير حج أو عمرة ورواية انه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية أعفوا اللحى فمن ثم أخذ بها أئمتنا رضى الله عنهم وورد انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته وانه صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد فى كل عين ثلاثة قبل النوم * وأما جبينه صلى الله عليه وسلم وحاجباه وأنفه ورأسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين أى شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بانهما كانا كثيرى الشعر كما فى رواية سابغين كما فى أخرى دقيقين كما فى أخرى فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى آخر العين ودقة فى طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كأنهما متصلان وليسا فى الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الرأس ضخم الكراديس أى رؤس العظام وجاء انه صلى الله عليه وسلم أقنى الانف أى طويله مع دقة أرنبته وحدب فى وسطه وعبر بعضهم بانه سائل مرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين أى أعلى الانف وان من لم يتأمله يحسبه أنه أشم أى طويل قصبة الانف * وأما فمه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه أى لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده وانه صلى الله عليه وسلم أشنب أى لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه وانه صلى الله عليه وسلم مفلج الاسنان أى متفرقها وفى رواية انه مفلج الثنيتين أى أكثر من البقية * وأما ريقه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه يوم خيبر تفل فى عينى على كرم الله وجهه ورضى عنه وكان به رمد فبرئ منه لوقته وأعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه صلى الله عليه وسلم مج فى بئر ففاح منه رائحة المسك وانه صلى الله عليه وسلم بزق فى أخرى فلم يكن فى المدينة أطيب ماء منها وانه صلى الله عليه وسلم كان فى يوم عاشوراء يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجزئهم ريقه الى الليل وانه صلى الله عليه وسلم مضغ قطعة لحم

وأعطاها

(قوله أطت السماء) أى صوتت من ثقل ما عليها كاطت الابل أى صوتت لثقل أحمالها (قوله كان يسدله) بضم الدال وكسرها (قوله يكرهنه) فعصم من ذلك رفقا بهن وقال بعضهم فيه نظر لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية ولك رده بان ذلك يجر الى الكراهة الاختيارية وهى كفر فمنع الله تعالى ما يجرهن الى الكراهة الداعية لذلك انتهى شرح الخصائص لابن علان (قوله الحناء) بالمد والتشديد (قوله كان ينظر فى المرآة) فيندب النظر فيها اقتداء به صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن جماعة نقلا عن المحب الطبرى (قوله مكحلة) هو أحد ما جاء على الضم من الادوات (قوله دقيق العرنين) عرنين كل شئ أوله وعرانين القوم سادتهم وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الانف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانين

وأعطاها لخمس نسوة فضغها كل فتى ولم يوجد لافواههن ريح خلوف وكان فى أفواههن نتن * وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فامر أظهر من أن يذكروأشهر من أن ينشر كيف وقد ارتقى فى كل ذلك الغاية التى لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن * وأما صوته صلى الله عليه وسلم فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى غنم فجلس مكانه وابن سعد انه صلى الله عليه وسلم خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم * وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه (سيد) للعالمين الاولين والآخرين كما مر مبسوطا أول الكتاب (ضحكه) أى الذى يظهر به سروره هو (التبسم) كما رواه البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا أى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخارى أيضا فى المواقع أهله فى رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهى لا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة رضى الله تعالى عنها انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى وقوع غير التبسم منه نعم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان أكثر أوقاته صلى الله عليه وسلم هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة أم لا ومن ثم روى البخارى فى أدبه وابن ماجه النهى عن كثرته وانه يميت القلب والفرق أن التبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة * وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز أى غليان يبكى رحمة للميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القرآن وأحيانا فى صلاة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاؤب بل جاء ان كل نبى كذلك * وأما يده صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كما فى عدة طرق بانه شثن الكفين أى غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف أيضا بان يده صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير والديباج وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك ولا ينافى هذا اللين ما مر آنفا لانه جمع له مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعى الشثن بغلظ فى خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه أنه قيل له ورد فى صفته صلى الله عليه وسلم أنه لين الكفين فاقسم أن لا يفسر شيأ فى الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة فى كفيه من جهاد أو عمل فى مهنة أهله وتفسير أبى عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما جاء أنه كان سائل الاطراف فالتحقيق أن الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر وروى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الشريفة الدم عن وجهه وصدره من جرح فى وجهه فكان أثر يده الشريفة غرة سائلة كغرة الفرس وصح أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأس لحية أبى زيد الانصارى ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما فى لحيته بياض ولا فى وجهه انقباض وروى أحمد وغيره أنه مسح رأس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب * وأما ابطاه صلى الله عليه وسلم فكانا أبيضين كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لكن تعارضه الرواية الصحيحة كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض فى الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم أنه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بل فى رواية له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره * وأما بطنه وظهره صلى الله

(قوله ريح خلوف) أى وكان فى أفواههن نتن كذا فى بعض النسخ وعبارة المواهب ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هى واخواتها يبايعهن وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا فضغ لهن قديدة فضغتها كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبرانى (قوله حتى أسمع العواتق) قال فى الصحاح وجارية عاتق أى شابة أول ما أدركت فخدرت فى بيت أهلها فلم تبن الى زوج من البينونة أى لم تبن من أهلها الى زوج (قوله وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم) يقال ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا وضحكا أربع لغات والضحكة المرة الواحدة ورجل ضحكة أى كثير الضحك وضحكة بالتسكين يضحك منه لا أضحوكة ما يضحك منه وامرأة مضحاك كثيرة الضحك اه صحاح (قوله حتى بدت نواجذه) جمع ناجذ وهو ما يظهر عند الضحك من الاسنان وقيل هى الانياب وقيل هى الاضراس وقيل الدواخل من الاضراس التى فى أقصى الحلق (قوله حتى تهملان) يقال هملت عينه أى فاضت وبابه نصر (قوله من التثاؤب) بهمزة بعد الالف وأما بالواو فغلط اه قسطلانى على البخارى ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس (قوله لكن تعارضه) فى الحقيقة لا تعارض

عليه وسلم خفاءانه مفاض البطن أى واسعه وقيل مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه صلى الله عليه وسلم كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه بعيد مابين المنكبين أى عريض الصدر

* وأماقلبه صلى الله عليه وسلم فهو أول قلب أودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه أول الخلق كما مر وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فهو أولهم وآخرهم فى حيازة أعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما ينبئك بان قلبه أودع مالم يودعه غيره تكرر شقه وملؤه ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التى هى أعلام على الاخلاق الباطنة فكمالات تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه * وأماجماعه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن أنس كنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا فى الجماع وروى الاسماعيلى أنه أعطى قوة أربعين رجلا زاد أبو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال أهل الجنة والرجل فى الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذى وقال غريب وأربعون فى مائة بأربعة آلاف ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من تقليل الغذاء ليخرق الله له العادة فى الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة رضى الله عنها يصبح صائما جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع لان هذا هو الذى من الشيطان بخلاف مجرد نزول المنى فى النوم

* وأماقدمه صلى الله عليه وسلم فجاء عن غير واحد انه شثن القدمين أى غليظ أصابعهما وكانت سبابة قدميه أطول من بقية أصابعهما ومن روى ذلك فى اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا الاخمص لهما أى ليس فى باطنهما كبير انخفاض بحيث يطأ به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق

* وأماطوله صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكنه الى الطول أقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفى حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده أو مع قصير والا طال على من ماشاه وهو صلى الله عليه وسلم ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة * وأمامشيه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن على كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صبب وفى رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب أراد به انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه فى هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشى وهذا هو مراد الناظم بقوله (والمشى) الكائن منه (الهوينا) تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو قول الشاعر

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافى ذلك رواية الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه مارأيت أسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه فى المشى كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له فى مشيه كما يدل عليه قوله كأن الارض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية ذريع المشى أى واسع الخطوة وقال ابن القيم فى رواية كان اذا مشى تقلع والتقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط فى الصبب وهى مشية أولى العزم والهمة وهى أعدل المشيات وأروحها للاعضاء فكثير من الناس من يمشى دفعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهى مذمومة كالمشى بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما اذا أكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهرى للملائكة وكان اذا مشى فى قمر أو شمس لا يظهر له ظل ومر قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعلنى نورا * وأمالونه صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض كما صح عنهم

من

(قوله مجرد نزول المنى) عبارة ابن علان فى شرحه للخصائص وجوز بعضهم عليهم الاحتلام الناشئ من امتلاء البدن وترك الجماع لانه أمر طبيعى ليس للشيطان فيه مدخل وفى قوله من امتلاء البدن نظر اذ الانبياء حاشاهم ان يملؤا أجوافهم وقد علمت قول الشارح قريبا كان على غاية من تقليل الغذاء وبقية الانبياء مثله فى ذلك كما هو اللائق بمقامهم عليهم الصلاة والسلام (قوله تصغير الهون) والهونى تأنيث الاهون كقولك الاكبر والكبرى وفى الحديث المسلمون هينون لينون قال ابن الاعرابى العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم بالهين اللين مثقلا وقال غيره هما شئ واحد والاصل فيه التثقيل تخفف اه من الهروى فى غريبه قال البيضاوى عند قوله يمشون على الارض هونا هينين أو مشيا هونا مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع (قوله الخطوة) بضم الخاء مابين القدمين وأما بفتحها فنقل القدم (قوله قدمهم أمامه) لعله غالبا بدليل قوله قبل لان عجزهم عن لحوقه اذ هو ظاهر فى مشيهم خلفه

من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى أبيض نعم قد ينافيها رواية أبيض شديد البياض الا أن يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق أى أحمر ليس بأبيض وقول عياض رحمه الله تعالى انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالآدم أى وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بأن المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه أسمر الوارد فى رواية وتوافقها رواية أبيض بياضه الى السمرة وفى رواية أحمر الى البياض أو المراد انه صلى الله عليه وسلم كان تحصل له السمرة اذا سافر لتأثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية الى أن من زعم انه صلى الله عليه وسلم كان أسود كفر وفى رواية يقتل أى لان السواد يشعر بالنقص * وأما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فكان فى ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن أنس وغيره وروى أبو يعلى والطبرانى ان رجلا استعان به فى تجهيز ابنته فاستدعى صلى الله عليه وسلم بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق فمر الناس منه وجدوا رائحته وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه أو من عرق جبريل أو من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب ان ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وأيده الحافظ عبد الغنى بان أحدا من الصحابة لم يذكر انه رآه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كدمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم اختار جماعة من أئمتنا رضى الله تعالى عنهم طهارة جميع فضلاته صلى الله عليه وسلم (و) أما (نومه) فهو (الاغفاء) أى أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه صلى الله عليه وسلم ويقظته ودوام شهوده لربه عز وجل ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى نائمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل فانه صلى الله عليه وسلم نام قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا فى شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت من تلك الواقعة كسهوه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه أيضا وهو الذى كان حينئذ وردوه بانه لم يثبت فهو مردود على قائله كما أول بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبى بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على شئ من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التى لم يخلق الله تعالى ذاتا أشرف منها فلنذكر شيأ مما يتعلق بمحاسن أخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله تعالى أشرف منها أيضا فنقول (ما سوى) أى ليس غير (خلقه النسيم) أى الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها خلق أحد الا خلقه الكريم العظيم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ثم قال أيضا فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه صلى الله عليه وسلم أفضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه صلى الله عليه وسلم قلت هذا الايذان انما

(قوله موضوع) قال السيوطى فى حسن المحاضرة ما ورد فى الورد رويت فيه أحاديث كلها (١١١) موضوعة منها حديث على رضى الله تعالى عنه مرفوعا لما أسرى بى الى السماء سقط الى الارض من عرقى فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتى فليشم الورد أخرجه ابن عدى فى كامله وحديث أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق خرجه ابن فارس فى كتاب الريحان والحديثان أوردهما ابن الجوزى فى الموضوعات (قوله تبتلعه الارض) أى ويشم منه رائحة المسك وكذلك الانبياء اهـ من الخصائص الصغرى للسيوطى (قوله أشرف منها) بل ولا مساوية لها وكذا يقال فيما يأتى (قوله وهذا مقتبس الخ) فيه أن قول ابن عباس ليس فيه ذكر النسيم فلا يظهر الاقتباس ويجاب بأن الريح فى كلامه أل فيه للاستغراق فيشمل سائر أقسامه ومنها نسيم الصبا وفيه أيضا ان المشبه فى كلام ابن عباس الجود لا الخلق وقد يجاب بان الجود من ثمرات الخلق الحسن فاذا شبه الفرع بالنسيم فالاصل أولى (قوله المرسلة) أى المطلقة يعنى انه فى الاسراع بالخير أسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بخيره كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه وانما قلت يعنى الخ لان اصطلاحهم فى التفسير انه اذا كان المعنى لا يحتاج لعناية بأن أفاده جوهر اللفظ عبروا بأى والا عبروا بيعنى

هو باعتبار الغالب والافقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما فى قوله كما صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا تشبيه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يقيت الروح ويحيي القلب ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لاقيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت لا يشبهها الخ لا بين أن هذا المراد من العبارة لا نفى هى به وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه صلى الله عليه وسلم لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه صلى الله عليه وسلم لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفى بغير وعبارة غير تقال على أوجه الاول ان تكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتى فى شرح قوله وما سواى هو العاصى ماله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم أو سكون قال الراغب هو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيآت والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخارى ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم والحق ان أصله غريزى وتمامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كانا فىّ أم حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله فترديده السؤال وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزى وبعضه مكتسب ويدل له أيضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وما صح انه كان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت فهو جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه أو كماله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يسهل على ذويها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم الغالب فى وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية الموطأ بلاغا بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردى رحمه الله تعالى ونفع به فى عوارفه فى قولها ذلك رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه صلى الله عليه وسلم أعظم خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة رضى الله تعالى عنها ان كمالات خلقه صلى الله عليه وسلم لا تتناهى كما ان معانى القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان فى أصل خلقته بالجود الالهى والامداد الرحمانى الذى لم تزل تشرق أنواره فى قلبه الى ان وصل لأعظم غاية وأنهى نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه الذى به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصيرة وفى القاموس بعد الاشارة الى الخلاف فى تعريفه والحق انه روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية

(قوله لا يفيد الخ) بل ولا يفيد أصل مشابهة خلقه لها على ما نقله عن الراغب فاذا قلت ما مررت برجل غير قائم لا يستفاد مرورك بقائم فضلا عمن حضر مرورك به فتدبر (قوله بمعنى واحد) كالشرب والشرب (قوله قال للاشج) لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لاثر فى وجهه واسمه المنذر بن عائذ (قوله والاناة) بزنة قناة أى التثبت وترك العجلة (قوله والدماثة) الدماثة سهولة الخلق انتهى قاموس (قوله خلقه القرآن) أى كان يتخلق بما فيه من محمود الاوصاف ويجتنب ما فيه من ممنوعها ويحتمل ان تريد بقولها القرآن الآيات التى اقتضت الثناء عليه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم انتهى من المفهم للقرطبى (قوله من سبحات الجلال) بضم السين والباء أى عظمته (قوله لانه الذى به الخ) ولذا فضله بعضهم على العلم لانه يدرك به والمعتمد ان العلم أفضل لان الله سبحانه يوصف به ولا يوصف بالعقل

والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد فى احدى وتسعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة والمتباعدة حتى قادوا دونه أهاليهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحدثين وفى هذا ما فى الذى قبله مما مر آنفا (ولا غير محياه) أى وجهه صلى الله عليه وسلم (الروضة الغناء) أى الكثيرة النبات والازهار والثمار أى ليست الروضة الغناء الا وجهه صلى الله عليه وسلم لانه أحسن الخلق وجها كما مر مبسوطا هو (رحمة) وهى عطف وميل نفسانى غايتها التفضل والانعام أى عينها مبالغة أو ذوها وهو خبر مقدم وأخبر بهذه وبما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته صلى الله عليه وسلم واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكأنه هى أى ركب منها وطبع عليها وخلق منها (كله) كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل أو مفعول لاجله وعلى حذف مضاف أى ذا رحمة والعالمون قيل الانس والجن وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل له أيضا قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ونقل الفخر الرازى وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود بل أخذ بعض متأخرى أئمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لانه بوجهه يستسقى الغمام وبدعائه ينزل الغيث من السماء فينبت النبات فيكون لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن عباس رضى الله عنه رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب أهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى يوم القيامة وأما من صدقه فله الرحمة فى الدنيا والآخرة فعلم ان ذاته الشريفة رحمة للمؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وروى الدارمى والبيهقى حديث انما أنا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال آخر الانبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن أوصافه تعالى الرحمن والرحيم والجبار والمنتقم وفى الشفاء حكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا له لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى اغفر لهم هذا الشئ المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله يملأ قبورهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء لله لا لحظ نفسه صلى الله عليه وسلم (وحزم) كله أى كل جميع أحواله التى تصدر منه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك (وعزم) كله من عزم على الشئ قطع به أى جميع ما يفعله بوحى أو اجتهاد وانما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته (ووقار) كله لان الله تعالى ألقى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه أبو داود

(قوله أى ليست الروضة الخ) مقتضى قوله فى نظيره سابقا وانما قلت يعنى الخ ان يقول هنا يعنى ليست الخ (قوله هو رحمة) كان الظاهر عدم تقديره لجعله رحمة خبرا مقدما أى وكله مبتدأ فتأمل (قوله للمؤمن والكافر) قال ابن علان ولحوق عذاب الكفر بهم ليس من نقصان الرحمة بل لعدم استعدادهم للتأهل لاثرها (قوله وأنت فيهم) ان قلت قد عذبهم ببدر والنبى فيهم قلت المراد وأنت فيهم مقيم بمكة وتعذيبهم ببدر انما كان بعد خروجه من مكة أو المراد ما كان الله ليعذبهم العذاب الذى طلبوه وهو امطار الحجارة وأنت فيهم اه من فتح الرحمن لشيخ الاسلام زكريا (قوله مهداة) أى هدية من الله للخلق

وكلامه فصلا) بالصاد المهملة أى بينا ظاهرا يفصل بين الحق والباطل وفى المواهب بعد فصلا لانذر ولا هذر ثم ضبط النذر بسكون المعجمة والهذر بفتحها (قوله كانما على رؤسهم الطير) قال الشارح فى شرح الشمائل وأصل ذلك ان سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان اذا أمر الطير بان يظلل أصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فقيل للقوم اذا

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجالس علم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم أطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وجاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هوّن عليك فانى لست بملك ولا جبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس انى أوحى الى ان تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفتخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه ماقدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم لما قدر أحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فأشار لجبريل يستشيره فأشار اليه ان تواضع فاختار العبودية (وعصمة) كله أى حفظ يستحيل عليه شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه ورضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسى به فى كل مايفعله من قليل وكثير صغير وكبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف حتى أعماله صلى الله عليه وسلم فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم صلى الله عليه وسلم أو لم يعلم ومن تأمل أحوالهم معه استحيا من الله كما قاله الامام المجتهد التقى السبكى أن يخطر له تشكك فى انه معصوم فى كل ماذكرناه وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون كماذكر وحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله فى غير الجهل بالله تعالى وصفاته أما هذا فهم معصومون منه اجماعا بل لا ينشأ الا على أكمل الاحوال من الايمان بالله تعالى ومعرفته كما ينبغى وحكى فى عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف أيضا وهو فى غاية الضعف بل ألزم قائلوه بخرق الاجماع ومالا يقول به مسلم ومحله فى غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفى غيرها مما يتعلق بطرق التبليغ أما هذا فهم معصومون منها اجماعا وأما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه أقوال كثيرة وأحسنها ماجاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وآخرين من صحابة وتابعين ان معناه ووجدك ضالا عما أتاك من معالم النبوة فهداك اليها ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدرى أى قبل الوحى ما الكتاب أى القرآن ولا الايمان أى الدعاء اليه أو ولا الفرائض والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس كما صرح به سبب النزول وماجاء مرفوعا أى وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه أو هو من ضل الماء فى اللبن اذا انغمر فيه أى وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على أقوال كثيرة منها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق آنفا ومن

سكتوا مهابة كانما على رؤسهم الطير أو من كونهم متلذذين بكلامه وأصل ذلك ان الغراب يقع على رأس البعير يلتقط عنه صغار القراد فيسكن سكون راحة ولذة ولا يحرك رأسه خوفا من طيرانه عنه (قوله القرفصا) مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بالضم ممدود أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه يضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه (قوله وسهوها) فان قلت امتناع الصغيرة والكبيرة سهوا يشكل عليه تسليمه عليه الصلاة والسلام سهوا من ركعتين من الرباعية مع حرمة السلام فى الفرض قبل محله لانه قطع له وهو محرم اتفاقا قلت يمكن ان يقال محل امتناعها سهوا مالم يترتب على السهو تشريع والا فيقع أو بان المنع من السهو معناه المنع من استدامته لا من ابتدائه أو بان محله فى القول مطلقا وفى الفعل اذا لم يترتب عليه حكم شرعى لانه صلى الله عليه وسلم بعث لبيان المشروعات وقد يشكل تفرقته بين القول والفعل مع ثبوت السهو بالسلام الذى هو قول الا ان يحمل القول على المتعلق بتبليغ الاحكام (قوله اذ الايمان يطلق عليها حقيقة) أى شرعية والا فهو لغة التصديق

أحسنها

(قوله أعباء النبوة الخ) أى المعبر عنها بالأوزار على طريق التشبيه بجامع المشقة (قوله أو المراد عصمناك) قال البرماوى غفر ذنبه صلى الله عليه وسلم المراد الحجز بينه وبينه بحاجز العصمة فلا يلابسه أصلا وغفر ذنب غيره الحجز بينه وبينه بحاجز العفو والغفر وهو كلام حسن وقال السيد الصفوى فيما كتبه على الشفاء وقد سنح لى معنى ليس بابعد من كثير مما ذكروه وهو ان العبد لا يأتى بما هو اللائق بجلال كبرياء الله تعالى ومنه ما عبدناك حق عبادتك فسمى هذا القصور بالنسبة الى كمال القرب مجازا ذنبا مبالغة وتخويفا ثم شرفه بتشريف لم يحم حوله أحد وهو ستر ذلك القصور بأن تعد عبادته على الوجه اللائق بجلاله ويجازى عليها كذلك وأى مرتبة فوق ذلك ولا يستبعد تسمية القصور مما هو فى كمال القرب ذنبا لشرفه (قوله عفا الله عنك) قال الرازى فى شرح أسماء الله الحسنى العفو أبلغ من المغفرة لان الغفران يشعر بالستر والعفو يشعر بالمحو والمحو أبلغ من الستر (قوله من خلاف الاولى) وهو الاذن للمنافقين فى التخلف عن غزوة تبوك فالعفو لا يستدعى سبق ذنب بل قال بعض المفسرين ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى (قوله فأراد أربد) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها دال مهملة هو أخو لبيد بن ربيعة لامه بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا ولبيد صحابى كما فى مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول يا بنى عامر أغدة كغدة البكر فى بيت من بنى سلول ثم خرج أصحابه حتى واروه بالتراب ثم قدموا أرض بنى عامر فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ما وراءك يا أربد قال لا شئ والله لقد دعانا الى عبادة شئ لوددت انه عندى الآن فارميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل يبيعه فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما انتهى من سيرة ابن سيد الناس (قوله أشد حياء) أى فى غير حدود الله ولهذا قال للذى اعترف بالزنا انكتها لا تكنى (قوله فى خدرها) الخدر ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر

أحسنها ان المعنى خففنا عنك أعباء النبوة التى أثقلت حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض أى صوت أو المراد عصمناك من الوزر الذى لو تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا أو رفعنا عنك أوزار أمتك التى أثقل ظهرك خوف غائلتها حتى أمنك الله ذلك فى العاجل بقوله عز وجل قائلا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأعطاك الشفاعة فيهم فى الآجل وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاختلفوا فيه كذلك وأحسن ما فيه أيضا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان أو المراد بالذنب ذنوب أمته على وزان ما مر أو ترك الاولى والاحرى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم أى محا عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين فى بعض هذه الآيات ما لا ينبغى من التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظ أيضا صلى الله عليه وسلم من أعدائه الحريصين على قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشى عليهم ثم تواعدوا مرة أخرى فلما رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وواعد أبو سفيان قرشيا ان رآه ليطأن عنقه فأعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا فكدت أهوى فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد أربد قتله فلم ير الا عامرا (وحياء) كله كما صرح به خبر البخارى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء فى خدرها يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو أقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه أحدا بما يكره بل اذا بلغه عن أحد شئ قال ما بال أقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب فى غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحى منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كأن له نفسين يستحى باحداهما من الاخرى وهذا

أكمل مايكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتى الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخارى وجعل من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزى غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم أوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره على مايكره لاسيما فى الشدائد حتى انه (لاتحل الباساء) أى الشدة وان أفرطت لاسيما فى الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها (منه) متعلق بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو بتحل (عرا الصبر) وهو حبس النفس على ماتكره أى أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة فى اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شئ وأحكمت فى عرا فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرا استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب الصابغ ذى الازرار والعرا المحكمة استعارة بالكناية وذكر لاتحل ترشيح وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه فى يوم أحد فى أشد ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومى أو اهد قومى فانهم لا يعلمون أى لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلى فانهم لا يعلمون تفاصيل مايترتب عليهم فى ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال بابى وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قبورهم نارا لان الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم فى أماكن متعددة لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه صلى الله عليه وسلم لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو من أجل احبار اليهود الذين أسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد عرفته فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف به لان أخالطه فأعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ردائه وقميصه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر أى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع فوالله لولا أحاذر فرقه لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال انا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان مارعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكرهما مامر وقد عرفتهما فأشهدك أنى قد أسلمت وروى أبو داود ان

(قوله وجعل من الايمان الخ) قال ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الايمان فجاز ان يسمى ايمانا لان العرب تسمى الشئ (116) باسم ماقام مقامه أو كان شبيها به (قوله وقد استعرت نيرانها) قال فى المختار سعر النار والحرب هيجها وبابه قطع ثم قال واستعرت النار وسعرت توقدت والسعير النار (قوله واصطلمت) الاصطلام الاستئصال قال فى القاموس اصطلمه استأصله (قوله عرا الصبر) الصبر له ثلاث درجات ترك الشكوى الى غير الله وهى للتائبين والرضا بالقضاء وهى للزاهدين ومحبة مايصنع الرب به وهى للصديقين (قوله من وقوع بادرة) قال فى المختار البادرة الحدة بدرت منه بوادر غضب أى خطأ وسقطات عندما احتد (قوله فذكر العرا الخ) أى وذكر الحل ترشيح (قوله وتشبيه الصبر) لعل الواو بمعنى أو أى اما ان تشبه الاسباب المعبر عنها بالصبر أو تشبه نفس الصبر فتأمل وذكر الحل ترشيح والعرا تخييل (قوله من كسر رباعيته) هذا ماقبل نزول آية العصمة وهى والله يعصمك من الناس لان سورة المائدة آخر مانزل من القرآن أو المراد العصمة من القتل (قوله ان انتهكت) الانتهاك المبالغة فى خرق محارم الشرع واتيانها (قوله يسبق حلمه جهله) الاولى جهل من جهل عليه لانه صلى الله عليه وسلم لا جهل له أو يقول يسبق حلمه الجهل تأمل ورأيت فى نسخة بدل جهله غضبه ويؤيد هذه النسخة ماسيأتى قبيل قوله وسع العالمين من تصريح الشارح عند الاشارة لهذه القصة بقوله غضبه (قوله فرقه) أى خوفه

اعرابيا

اعرابيا جاءاليه فجذبه بردائه وكان خشنا حتى أثر فى عنقه الشريف وقال له احملنى على بعيرى هذين فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدنى فى جذبتك التى جذبتنى كل ذلك والاعرابى يقول له لا أقيدك أبدا ثم أمر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا وروى البخارى ان اعرابيا جذبه حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فضحك ثم أمر له بعطاء وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أى لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخارى أن رجلا استأذن عليه فلما رآه قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه فلما مضى سألته عائشة رضى الله تعالى عنها عما قال وعما فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتنى فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألف له لانه رئيس قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهى بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصن الفزارى وقد كانت منه أمور فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد فى زمن الصديق وحارب ثم أسلم فى زمن عمر رضى الله عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من علامات النبوة ولا ينافى ما مر انه لم ينتقم لنفسه أمره بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فأيس من ايمانهم ومن ثم لما طمع فى ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من أعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما أشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا تتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وصح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وان أهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابى طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا ما رأينا من باس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطال العرب وفين بانهم لم يصرعوا فصرعهم صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن البراء بن عازب انه قيل له أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله عليه وسلم فى نحو ألوف مؤلفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه محتمين به ولما قال اللعين أبى بن خلف يوم أحد أين محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان أرادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه فى عنقه طعنة كان فيها انفلات نفسه الخبيثة اللعينة (ولا تستخفه) أى لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره (السراء) أى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى منحها فى أواخر حياته صلى الله عليه وسلم بل هو معها كهو

(قوله فجذبه) قال النووى فى التحرير الجذب والجبذ لغتان بمعنى وهو مد الشئ اليك يقال جذب وجبذ واجتذب (قوله وكررها ثلاثا) وقال المال مال الله وأنا عبده (قوله حتى تقيدنى) أى تمكننى من القود (قوله لا أقيدك أبدا) سيأتى فى الشرح انه صلى الله عليه وسلم قال له لم فقال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر الخ (قوله فحاشا) أى منسوبا للفحش فليس للمبالغة بل للنسب على حد قوله

وليس بذى سيف وليس بنبال

أى ذى نبل (قوله وفيه جواز الخ) وفيه أيضا جواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه ومن يحتاج الناس الى التحذير منه اه شرح مسلم وفى الحديث رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس اه وهى ان تلاينهم ولا تنفرهم عن نفسك وأصله من دريت للصيد اذا استترت عنه بشئ ثم ترميه لئلا ينفر ولا يعارض ذلك أمره بالاغلاظ على الكفار وبعثه بالسيف لانه أمر بالمداراة أولا فان لم يفد فالاغلاظ فان لم يفد فالسيف كما ذكره المناوى فى شرح الخصائص (قوله لا تتحدث الناس) جواب قوله لا أقتلهم فتتحدث الناس الخ (قوله اذا احمر الباس) احمرار الباس كناية عن اشتداد الحرب (قوله فطعنه فى عنقه) ولم يخرج من طعنته دم فرجع الى قومه وجعل يقول قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى وحكى عنه انه قال لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز لماتوا جميعا قال فى الصحاح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية

قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح فى تلك الجيوش الهائلة التى لما رآها أبو سفيان قال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة قال نعم وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء فى كتيبته الخضراء بين أبى بكر وأسيد بن حضير وجاء أنه وضع رأسه تواضعا لله تعالى لما رأى ما أكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذ أحل له بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التى لم توجد فى غيره لانه صلى الله عليه وسلم (كرمت نفسه) لان الله تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية فى حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق فى ارادته وعلمه ثم أعلمه الله تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبى الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر بمداه الهافى عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو صلى الله عليه وسلم وان تاخر وجود جسمه متميز عن العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمدانى ومحتد نفوذ الامداد الرحمانى (ف) بسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها عن كل رذيلة ونقيصة (ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء) كيف وقلبه قد طهره الله تعالى بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله فى الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانسانى مما يقتضى ذينك ثم طهر وغسل وحشى من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا المانّ به عليه صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى مع انتفاء السوء لانها السوء الذى جاوز حده لان المقام مقام اطناب واذا تاملت ما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مما مر من تلك الكمالات التى لا تحد ولا تعد علمت انه قد (عظمت نعمة الاله عليه) عظمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل أحد منهم الى مبادى غاياتها ومقاصد نهاياتها (ف) بسبب هذه العظمة المذكورة (استقلت لذكره) أى عند أو وقت ذكر ما أنعم الله به عليه ونظيره أقم الصلاة لذكرى (العظماء) أى جميع ما أنعم الله به عليهم لانه صلى الله عليه وسلم أوتى غايات الكمالات الباهرة التى لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوى العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التى أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده أعظم وأجل وأفخم وأعدت ضمير ذكره وجملت العظماء على ما ذكرته لان المتن صريح فى ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا من انى لو لم أفعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لا سيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا نظر مع ذلك الى قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشئ عده قليلا حتى فى العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى على ما ذكرته لان اضافة استقلال الى النعم توهم احتقارها وهو محذور أيضا قلت ممنوع لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة أخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا أصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها اذ لا يستعمل الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا نعم قرينة المقام لا سيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام كما هو جلى وبين عظمت والعظماء تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على من آذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التى لم يصل اليها غيره ومن ثم قال (جهلت قومه) أى قريش وغيرهم (عليه) أى آذوه أذى لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه

بالحجارة

(قوله فى كتيبته الخضراء) الكتيبة الجيش كما فى اللغة (قوله ونظيره الخ) أى فى كون اللام للتأقيت أى وقت ذكرى وهى مواقيت الصلاة كذا فى البيضاوى وذكر رضى الله عنه لها معنى آخر وهو العلية حيث قال أى لتذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لان اذكرك بالثناء أو لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى (قوله لذكرى) ومثله أقم الصلاة لدلوك الشمس وقولهم لثلاث خلون

بالحجارة الى ان أدموا رجله فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا الاجله بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم سنين حتى كادوا أن يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك وفى رواية البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة وذكر مامر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه (فاغضى) عنهم حلما وتكرما سيما وقد جاءه لما ان اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة السابق آنفا فانه قال بعد ان ذكر ما آذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت أبى طالب يدعوهم الى الله تعالى ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب أى ميقات أهل الحجاز فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بامرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجوان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ وكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم (وأخوالحلم) أى التأنى فى الامور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم أى الذى طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه (دأبه) أى شأنه وعادته المستمر هو عليها (الاغضاء) أى التغافل عن ان يلتفت الى انه أوذى فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه وفى كلامه المقابلة لما قررته ان المراد بالجهل لازمه من ايذائه بما لا يطاق ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى علما ينتفعون به اما لجهلهم أى اعتقادهم الشئ على خلاف ماهو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون حل ايذائه صلى الله عليه وسلم ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم اليه أدنى التفاتة من معجزاته صلى الله عليه وسلم لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو أضر منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان فى تعبير الناظم بالجهل تضمينا لجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وفيه المقابلة أيضا بين الامساك والاعطاء والتحقيق والظن الآتيين وفيه أيضا جناس الاشتقاق بين أغضى والاغضاء والتذييل بالمثل السائر وأصل الاغضاء اطباق العين عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذى تولى تأديبه بنفسه وأفاض عليه من حقائق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وكل من أثر له حلم واحتمال عرفت له زلة أو هفوة تنافى الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا احلما ولقد قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط الا أن تكون حرمة من محارم الله تعالى أى المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مبسوطا فى شرح قوله لا تحل البأساء منه عرا الصبر ومنه قصة الاعرابى الذى جذبه بردائه حتى أثر فى عنقه الشريف وقال له أعطنى من مال الله لا من مالك ولا من مال أبيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وأنا عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك وأمر له بحمل بعيرين ومر فى قصة اليهودى الذى أسلم

(قوله والجنون) فان قلت ما أصل تهمتهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون مع جودة عقلهم ومعرفتهم بان ذلك كذب لم يوجد منه شئ من أنواعه فالجواب انهم تعلقوا بصورة خيالية وهى ما كان يعترضه صلى الله عليه وسلم عند نزول الملائكة من الاستغراق لتلقى الوحى وحمرة وجهه وكثرة غطيطه وعميت قلوبهم عن طلب الفرق بين هذا وبين اغماء الجنون ونزول الشياطين اه خصائص الخيضرى (قوله بقرن الثعالب) قال القاضى قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير اه شرح مسلم للنووى (قوله ان أطبق عليهم الاخشبين) هما بفتح الهمزة وبالخاء والشين المعجمتين وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذى يقابله اه شرح مسلم (قوله وجحدوا بها) أى الآيات المتقدمة فى قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أى بينة أى كذبوا بها واستيقنتها أى والحال انهم قد استيقنتها أنفسهم ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا وأنت خبير بان هذه الآية متعلقة بفرعون وقومه لا بقوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر سياق الشارح وقد يقال مراده ان حال قوم رسول الله معه كحال فرعون وقومه مع سيدنا موسى فتأمل

انّ من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم انّ حلمه يسبق غضبه وانه لا تزيده شدة الجهل عليه الاحلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد أجلسوا فى المسجد الحرام وأصحابه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال لهم ما تظنون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء (وسع) بالكسر (العالمين) جمع عالم وللمحققين فيه فى الآية كلام منتشر لا بأس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه انّ المفرد وهو العالم أدل على الشمول والاستغراق اذا الجمع قد يحتمل غير الشمول لانّ الغرض هنا افادة انّ له أجناسا مختلفة كالجنّ والانس والملائكة والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض أفراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشى الكشاف هنا كلام متباين هذا أحسنه وغلب فى جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع انّ الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة فى جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوى العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عنى به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض التى يعلم بها الصانع ولذلك سوّى بين النظر فيهما فقال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام فى كتابه الانتصار لما فى الاحياء من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما فى العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف كل عالم منهما والانسان كذلك فالمشابه للاول أجزاء بدنه وللثانى نحو روحه وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة فى الحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن (علما) تمييز أى وسع علمه صلى الله عليه وسلم علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الاولين والآخرين ما كان وما يكون كما وحسبك فى ذلك القرآن الذى أوتيه صلى الله عليه وسلم ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرآنية ومثلها الذى أوتيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم أحاط بعلوم الاولين والآخرين وأن علومهم مندرجة ومنغمرة فى علومه صلى الله عليه وسلم (وحلما) تمييز أى وسع حلمه حلم العالمين باسرهم وكل من صدر منه هفوة فى حقه صلى الله عليه وسلم ولا غضب ولا انتصر لنفسه قط كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة أو هفوة تخدش فى كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلما وعلما الجناس المضارع (فهو) بسبب جمعه لتلك المعانى التى لم تجتمع لغيره (بحر) أى واسع العلم والحلم وغيرهما من أخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ أو استعارة على قول مردود أى كالبحر الذى هو خلاف البر والنهر سمى بحرا لاتساعه وعمقه (لم تعيه) من أعيا فلان فى مشيه أى تعب أو وقف (الاعباء) جمع عبء بكسر أوله وبالموحدة والهمز وهو الحمل والثقل من أى شئ كان أى لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعياء لكدورة المشرب والاعباء للشبه والجهالات واذا تأملت ما تقدم من أوصاف كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذى اندرجت البحار كلها فيه والحليم والكريم الذى دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن التلفت لما سوى الله تعالى (مستقل) أى محتقر (دنياك) أى الاموال التى هى من

جملتها

(قوله والاستغراق الخ) فى بعض النسخ وساقطة من نسخة المؤلف (قوله وبين علما وحلما الجناس المضارع) لتقارب مخرجى العين والحاء (قوله دنياك) لم يقل دنياه لانه صلى الله عليه وسلم لم ينسبها الى نفسه فقال حبب الى من دنياكم ثلاث ولم يقل من دنياى

جملتها الذهبي في الاصل اسم لما بين السماء والارض (ان ينسب الامساك منها اليه أو) ان ينسب اليه أيضا (الاعطاء) منها الانها الفناء او ثمرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقارا لشأنها او تعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن أمر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أعرض عليك ان أردت ان أسير معك جبال تهامة زمردا أو ياقوتا أو ذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فأعرض عنها وأباها مع انه لو أخذها لم ينفقها الا في طاعة الله تعالى لكن اختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زاكية كريمة ما أبهاها وقد أشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة المديح * وراودته الجبال الشم من ذهب * الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صح به الخبر السابق * (تنبيه) * قوله هنا مستقل الخ أحسن من قوله ثم وأكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء أنكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا أنكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب أولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي عن الشفاء وأقره ان فقهاء الاندلس أفتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم بالفقر في أثناء مناظرته باليتيم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك اه ولو قال لا المسكنة المرادفة للفقر أو المقابلة له لكان أنسب بغرضه وأما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى * (فائدة) * أكثر القرآن يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف وهي عدوة لله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن حاطب الذي أنزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات

(قوله اسم لما بين السماء والارض) ورجح النووي انها جميع الموجودات الحادثة الكائنة قبل الآخرة والجو والهواء وقيل هي كل موجود قبل الحشر وعليه فالبرزخ من الدنيا وسميت دنيا لدنوها وسبقها الآخرة فهي من الدنو وقيل لدناءتها فهي مأخوذة من الدناءة وجمعها دنا مثل كبرى وكبر وصغرى وصغر (قوله ان ينسب) عبارة ابن عبد الحق أي ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء منها للمستحق أي بعد ذلك قليلا بالنسبة لما يمسكه عن غير المستحق ويعطيه للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة (قوله بطحاء مكة) قال الجوهري الابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع الاباطح ومنه بطحاء مكة (قوله سفة من دقيق) قال في المختار وسفة من السويق بالضم أي حبة وقبضة (قوله هدة من السماء) الهدة صوت وقوع الحائط ونحوه والمراد هنا صوت اسرافيل (قوله ولو قال) أي البدر الزركشي وقوله لكان أنسب بغرضه أي لان صدر عبارته يصرح بأن كلامه في الفقر لا المسكنة فان حملت على المرادفة للفقر ناسب آخر عبارته صدرها وقوله أو المقابلة له زائد عن الغرض وهو المذكور في قوله انه لا يجد الخ والقول بالمقابلة هو الراجح كما ذكره الفقهاء في بيان الفقير والمسكين عند الكلام على الاصناف الثمانية فليتأمل (قوله في قصة ثعلبة) أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع لي ان يرزقني الله مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة

انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله تعالى يرزقه مالا فقال صلى الله عليه وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك فى اسوة أما ترضى ان تكون مثل نبى الله أما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وفى الخبر الحسن الدنيا معلونة ملعون مافيها الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وصح ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دعا بشراب فأتى بماء وعسل فبكى حتى أبكى أصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم انما أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم *(تنبيهان)* أولهما المراد بالدنيا المذمومة فى الاحاديث وغيرها ما فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ويجمع ذلك كل مالك فيه عاجل حظ أو شهوة من غير ان يعين على عمل اخروى ولا يقصد به * ثانيهما تعارضت الاحاديث فى ذم المال ومدحه لانه تعالى مع ماسبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفى الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكاة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفى حديث البيهقى وغيره كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبر اللهم من آمن بى وصدقنى وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بى ولم يصدقنى ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فاكثر ماله وولده وأطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة منها وهى صحيحة على شرط الشيخين ان أبا ذر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أحبكم أهل البيت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ألله قال لله قال فأعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى أسفلها مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المدعو به فى الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما لان الغالب فيهما الفتنة كما هو واضح من الآيات والاحاديث وفى الثانى من كثرتهما فالمراد به كثرة فوائدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف فى يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا أخرى أو كحية فى يد انسان فيها سم وترياق ولكن سمها أكثر وأغلب وأوحى للنفوس واذهب * واذا تأملت أيضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه صلى الله عليه وسلم (شمس) سماء العلوم والكمالات بأسرها كيف وكل (فضل) تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك (تحقق) من حق بمعنى ثبت (الظن) يعنى

والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيى فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى ان أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمن عثمان اه بيضاوى وأين هذا من عبد الرحمن بن عوف فقد روى انه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم اه بيضاوى (قوله فأعد للفقر تجفافا) قال النووى فى شرح مسلم التجفاف بكسر التاء هو ثوب كالجل تلبسه الفرس ليقيه السلاح وجمعه تجافيف وروى جلبابا قال العينى معناه ان ترفض الدنيا وتزهد فيها وتصبر على الفقر والتقلل فكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستران البدن (قوله فالمال ليس خيرا الخ) هذا كله الاعتقاد مع ما تقدم من الآيات والاحاديث مما يرجح القول بتفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر سيما ما تضمنته من اعراضه عن خزائن الارض مع انه سيد الشاكرين فترجيح بعضهم للغنى الشاكر يحتاج الى مزيد نظر وقوة دفع وتحقيق جمع (قوله تحقق الخ) حال مؤكدة لاستفادة ما أفادته من قوله شمس فضل وصاحب الحال ضميره صلى الله عليه وسلم وسيأتى ذلك فى التنبيه فى شرح البيت الآتى بعد هذا (قوله من حق بمعنى ثبت) وقال ابن عبد الحق أى صار الظن فيه تحقيقا اه فابقى الظن على حقيقته وجعل

مطابقة الواقع مستفادة من تحقق تأمل (قوله مراعاة النظير) مراعاة النظير هو ضم الشئ الى ما يناسبه من أحد الوجوه ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فالنجم هنا هو النبت الذى لا ساق له لما ذكر الشمس والقمر اختار لفظة النجم على لفظة النبت مراعاة للنظير وسماه قوم من أهل البديع التوفيق وبيت الصفى شاهد له تجار لفظ الى سوق القبول بها * من لجة الفكر تهدى جوهر الكلم

(قوله على أحد الاجوبة) اعلم انه يحتمل رجوع التشبيه للصلاة على سيدنا محمد وآله فيشكل بان المشبه أعلى من المشبه به والواجب عكس ذلك وأجيب أولا بمنع كون الواجب العكس بل قد يكون المشبه أعلى ومراعى فى المشبه به جهة تكون مصححة لتشبيه الاعلى بغيره وهى هنا كون الرحمة والبركة لم يجتمعا لغير ابراهيم وآله فطلب للنبى وآله مثلهما زيادة على ما أعطيته مما لم يصل اليه أحد وأجيب ثانيا بالتسليم ويجعل التشبيه راجعا لآل رسول الله دونه ولا شك ان الخليل وآله لكونهم رسلا أفضل من آل النبى فالصلاة المتعلقة بهم أفضل من المتعلقة بآله صلى الله عليه وسلم (قوله حيث بين انه صلى الله عليه وسلم انه أعلى الخ) أى بقوله وقد أثبت الخ وأما قوله فاذا ما ضحا الخ فقد يقال انما ظهر به بيان شئ من وجه الشبه أى ان ضوأه يمحو الظل كما ان ضوء الشمس يمحوه وان زاد ضوءه بانه لا يثبت معه ظل بخلاف ضوئها اذا علمت ذلك فكان الظاهر فى الحل فبسبب كونه مشبها بالشمس كان شأنه الخ ثم يقول عند قوله وقد يثبت الخ أشار به الى ان المشبه أعلى من المشبه به فتدبر (قوله ومعمولاتها) انظر المعمول الثانى لها فانه مع نصب ما ذكر لم يظهر الا معمول واحد وهو الجار والمجرور (قوله اذا يغشى) فالغشيان مقارن لليل (قوله ضحى) بفتح الحاء ويجوز كسرها أى برز للشمس اهـ ابن عبد الحق وفى القاموس ان الضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ثم قال وضحى برز للشمس وكسعى ورضى اصابته الشمس اهـ

الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (فيه) أى فى ذاته وصفاته (انه) بالنسبة الى بقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم (الشمس) المشرقة على هذا العالم البائنة عنه (رفعة) فلا يصل اليها أحد منهم (و) انه (الضياء) المفيض عليهم أضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضياء تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ أو الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذى مر رده ومر أوائل الكتاب ما للبلغاء فى التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به أعلى من المشبه أمرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما فى صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على أحد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله تعالى لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى شأنا فى الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة التى ذكرنا انه نبه لها (ف) بسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه (اذا ما) لم يتكلم الجمال ابن هشام على هذه فى المغنى مع أنها فى القرآن فى غير موضع وتكلم على اذ ما مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكى فى عروس الافراح فى أدوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفية أولا قال الجلال السيوطى يحتمل ان يجرى فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها أبعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذى يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد فى نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجرى فيها أحكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع فى الابتداء عكس الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا أو جملة اسمية مقرونة بالفاء أو باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون أو فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق والمقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما فى جوابها من فعل أو شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش فى حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جنى فى اذا وقعت الواقعة بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا ليس ومعمولاتها نعم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضى نحو واذا رأوا تجارة الآية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون فهى ظرف لهم المبتدا وزعم انه جوابها بتقدير فهم غفلة عن ان حذف الفاء ضرورة وأن هم تأكيد لواو يغفرون الذى هو جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل لاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار هنا وفى نظائره التى استدلوا بها انما أخذ من قرينة السياق دون موضوع اذا وتفارق ان اذا فى أحكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون والكثير الوقوع كما هنا فى اذا ما وان للمشكوك أو الموهوم النادر ولا يرد واذا متم لان الموت لكثرة الغفلة عنه وللجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لابد أن يمسهم شئ من العذاب (ضحى)

أى مشى عقب طلوع الشمس وهـذا ليس لتقييد الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون فى هـذا الوقت وغـيره لكنه فى هـذا لو تمت أظهر لقوة ضـياء الشمس وضحو نورها حينئـذ (محا نوره) وبين محا وضحى التجنيس اللاحق وهـذا والضحاء تجنيس الاشتقاق (الظل) مفعول أى ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صـلى الله عليه وسلم أصـل نور كل شئ وهو لا يبقى معـه ظلمة ومنها الظل أو المراد بالظل كل ضـلالة ونقص وبنوره ماجاء به صـلى الله عليه وسـلم من الكتاب والسـنة والعـلوم والآداب لكن المراد بضحى على هـذا مطلق ظهوره فى هـذا الكون بأوصافه الكاملة (و) الحال انه (قد أثبت الظلال) جمع ظل وهو ماتنسخه الشمس أو ينسخها هو وأخص منه الفئ لانه اسم لما بعـد الزوال من الظل فهو ما نسخ الشمس وقيـل كل ما نسخته فهو فئ وظل وكل مالم تنسخه فهو ظل لا فئ (الضحاء) أى ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من الشمس رفعة وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسـلم يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصائصـه صـلى الله عليه وسـلم أنه اذا مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص ولان الله تعالى استجاب له دعاءه المشـهور انه يجعـله كلـه نورا فكان بدنه فى غاية الاضاءة التى لا يحجب ما يقابلها قيل مد الضحاء لضرورة النظم اهـ وفيه نظر بل الذى فى القاموس ان الممدود مع فتح أوله ماقرب من انتصاف النهار كما مر ثم ذكر ان المقصور الشمس وحينئذ ان أريد بالضحاء الشمس كان مده ضرورة أو قرب انتصاف النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره فى هـذا الكون بأوصافه الكاملة لكن لا يصح ارادة هـذا هنا كما هو ظاهر من جعل الناظم جملة وقد الخ حالا من فاعل ضحى *(تنبيه)* لك أن تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بان حكمه عليه بانه شمس الفضل يغنى عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا ثبت أولا انه شمس الفضل الذى هو اسم يصح لكل كمال علم انه الشمس فى الرفعـة وانه الضياء فقوله تحقق الخ لا حاجة اليـه وجوابه أشرت اليه فى محـله من ان جملة تحقق الظن فيـه الخ حال مؤكدة لما قبلها وصاحب الحال الضمير العائد عليـه صلى الله عليه وسـلم اذ مستقل وشمس فضل معطوفان على بحر بحذف حرف العاطف أو يقدر لكل مبتدا استئنافا لتعداد شمائله صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا مستقل كامل فى ذاته ليضمه للبقيـة كما مر فى شرح قوله كل وصف له ابتدأت به الخ ولما ورد على ظاهر ماقرره نظرا للاحتمال الثانى من أن نوره صلى الله عليه وسـلم يمحو الظل ماسبق له صلى الله عليه وسـلم ان الغـمامة كانت تظله بان يقال كيف يمحو نوره الظل والغـمامة اظلته فلم يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه مع الضياء الاعظم من ضـياء الشمس فلا يؤثر فيـه أشار الى جواب لذلك لكن بما تقصر عنـه عبارته ببادئ الرأى فقال (ف) بسبب محو نوره الظل الحسى على

ولم ترفيـه أن ضحى بمعنى مشى عقب طلوع الشمس كما ذكره الشارح أولا ولا انه مجرد ارتفاع الشمس كما ذكره ثانيا تامل (قوله أى مشى عقب الخ) سيأتى عن القاموس ان الضحاء بفتح الضاد ماقرب من انتصاف النهار وعليه فكان الظاهر أن يقول هنا أى مشى قرب انتصاف النهار وذلك هو الملائم لقوله بعد لكنه الخ اذ هو وقت قوة ضياء الشمس والا فعقب الطلوع لا قوة له تامل (قوله اذ محو نوره الخ) أى فاذا حصل محو الظل بذلك النور فى ذلك الوقت ففى غيره من باب أولى (قوله تجنيس الاشتقاق) أى ان أريد بالضحاء معنى مصدرى بان فتحت ضاده وهو قرب انتصاف النهار فان أريد به الشمس بان ضمت ضاده كان شبه اشتقاق (قوله أو مطلق الظل) مع قوله لا يبقى معـه ظلمة يقتضى تفسـير ضحى بظهوره لا بخصوص مشيه عقب طلوع الشمس (قوله لا يبقى معـه ظلمة) ان كان المراد الظلمة الحسية كما هو الظاهر لذكره المعنوية بعد توقفت صحة ذلك على ثبوت انه اذا مشى فى ظل حائط مثلا زال بنوره واذا كان فى ظلمة ليـل زالت بنوره وهذا غير بعيد لكنه يحتاج لنقل فى ذلك فتأمـل (قوله الضحاء بالضم) (٢) ثابت بخط المؤلف وفى نسخة لفظة له بدل قوله بالضم (قوله أى ارتفاع الشمس) لا يناسب ضـبطه كما فى بعض النسخ بالضم لان المضمـوم اسم للشمس لا لارتفاعها كما سيأتى وانما الذى هو اسم لارتفاعها فهو بفتح الضاد تامل والمراد بارتفاع الشمس قـرب انتصاف النهار كما سيأتى قريبا عن القاموس فارتفاعها قبل ذلك لا يسمى ضحاء فتأمل (قوله كما مر) تامله فانه لم يذكر هذا المعنى فيما مر وانما ذكر أن معنى ضحى المشى عقب طلوع الشمس مامر وان معنى الضحاء ارتفاع الشمس وتقدم مافيه فتدبر (قوله ان المقصور الشمس) أى مع ضم أوله كما علم مما مر ويطلق أيضا على ضوئها ومنـه قوله وأخرج ضحاها أى أظهر ضوأها والشمس وضحاها أى ضوئها (قوله كان مـده صحيحا) أى مع فتح الضاد كما علم مما مر (قوله ان الغمامة الخ) وكذلك الشجرة وثبت التظليل عليه صلى الله عليه وسلم وقت رميه الجمار وماقيل فى الجواب عن تظليل الغمامة يقال فى الجواب عن تظليل الشجر من الاعلام بعموم ظله وأما جواب التظليل وقت الرمى فسيأتى انه كان للتشريع

(٢) قول المحشى الضحاء بالضم ليس فى نسخ الشارح التى بأيدينا لفظة بالضم ولا له اهـ

(قوله استودعته) يقال استودعت فلانا وديعة استحفظته عليها والمراد هنا استحفظت النبي الامة أى جعلته حافظا لها لكونه الظل المعنوى الاعظم الواقى لسائر اتباعه يعنى أن بقاء الظل الحسى اشارة الى بقاء ظله المعنوى تامل (قوله احداهما الارهاص) أى الاستجال أى عجل له ما يسمى معجزة بعد النبوة أو من أرهصه الله أى جعله معدنا لكل خير يعنى اعلام بجعله معدنا الخ (قوله وثانيهما اعلامه الخ) ذكر الشارح المالكى لتظليل الغمام معنى لطيفا هو ان الشمس لما بهرت وقت سلطان ضوئها خجلت أن تقابل النور الاصلى الذى هو أعلى من نورها وأصل له فاسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وهو الغمامة فنزلت منزلة عاقل أعطى التصرف فى السحاب لارسال قطعة منه حاملة لما ذكر (قوله سيجعل له أمة الخ) الذى يظهر فى (١٢٥) الجواب هو قوله وان الكل مستمدون الخ وأما كون أمته أكثر الامم فليس فى المتن ما يفيده فتدبر (قوله للظل) أى الحسى لا للنبى الذى هو الظل المعنوى كما سبق (قوله من رجوعه الخ) أى ويراد بمن أظلت الانبياء كما أشار لذلك بقوله كانت تظل الانبياء (قوله وظللنا عليهم الغمام) هذا فى سورة الاعراف والآية التى فى البقرة عليكم الغمام وقد ذكر المفسرون ان الغمام السحاب فلا يظهر جعل الشارح ذلك دليلا لتظليل الطير لهم فتأمل فكان الظاهر حذف قوله بل بنى اسرائيل ودليله لان المقام لا يناسب ذلك كما لا يخفى (قوله لا يطابق الخ) لان الانبياء لم يكونوا موجودين وقت تظليلها فكيف تجعلهم حافظين له أو تجعله حافظا لهم (قوله أو لما دل على سجية الخ) ربما يقتضى انه ان لم يكن صفة عاقل مذكر وليس كذلك وانما احتاج لذلك لقوله قريبا فعيل فذكر قوله أو لما دل الخ ليشمل فعالا كشجاع وفاعلا كصالح تامل (قوله دفوف) قال فى القاموس وعقاب دفوف تدنو من الارض اذا انقضت (قوله لا تجمع عليه أصلا) كان الظاهر لا تكون جمعا له تامل (قوله ولا يصف) قال الهروى فى الغريب وفى الحديث كل ما دف ولا تأكل ما صف أى ما حرك جناحه فى الطيران كالحمام ونحوه يؤكل وما صف جناحه كالنسور والصقور لا يؤكل (قوله بل لحركته) قال فى القاموس والدفيف الدبيب والسير اللين ومن الطائر مره فويق الارض أو ان يحرك جناحيه ورجلاه فى الارض (قوله فالنظم ينبو الخ) اذ يصير المعنى استودعت الظل الطيور الذين أظلتهم الطيور وفيه أيضا استعمال من فى غير العالم (قوله فى البردة) حيث قال مثل الغمامة انى سار سائرة * تقيه حر وطيس للهجير حمى أى مجىء

مامر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى (كأن الغمامة) لما أظلته قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بانها (استودعته) الامة بأسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم الدففاء ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله صلى الله عليه وسلم وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فبالذين بواسطتهم (من) أى الذين (أظلت) هم (من) بعض (ظله) الاعظم (الدففاء) جمع داف كعلماء جمع عالم وهم جيوشه سمى الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو أى يسيرون اليه لدفعه واستئصاله وحاصل الجواب أن ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه أمره من أن الله سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذين قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من ظله صلى الله عليه وسلم فسائر القرون مستمدون من أصحابه وأصحابه مستمدون وممدون من ظله وحينئذ فلا تنافى بين محو نوره الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم لان المحو هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوى على الامة من أولهم الى آخرهم فتأمل ذلك فانه مهم بل انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت فى نسخة وانه غير مفهوم المعنى وسبب انغلاقه عليه جعل الضمير المفعول فى استودعته للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفافاء الطيور يكون فى البيت حينئذ التلميح الى قصة هى ان الطيور كانت تظل الانبياء قبله كداود وسليمان بل بنى اسرائيل كما قال سبحانه وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكأنه يقول الغمامة لما أظلته استودعت الظل للانبياء الذين أظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن دفافاء فعلاء وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل بشروط أخر أو لما دل على سجية حمد أو ذم بشروط أخر كشجاع وشجعاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم أنه لا يصح حمله على الطيور أصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر أو سجية حمد أو ذم بشرطهما على أن الذى سمع فى الطيور دفوف فى العقاب وفعلاء لا تجمع عليه أصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطائر بل لحركته وبتسليم أنه وصف له هو غير عاقل فان قلت المعنى الصحيح أن الغمامة لما أظلته استودعت الظل الطيور التى أظلت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ظله صلى الله عليه وسلم فهل لا يحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر فى قاعدة جمع فعلاء وبتسليمه تجوزا فى الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة

أنه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فبينا فى مامر أن تظليلها للحكمتين السابقتين قلت ما أفهمه كلامه ثم يعارضه أن تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كمامر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة أيضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتأمله وأيضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة ولم يظلل اشارة الى أن السنة للمحرم أن يبرز للشمس وظلل عند الرمى اشارة الى أنه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال أصلا ومرت قصة تظليل الغمام ورواياتها فى شرح قوله

وأتاها ان الغمامة والسر * ح أظلته منهما أفياء

واذا تقرر أن كل فضل مستمد من فضله صلى الله عليه وسلم وان نوره يمحو الظل على ماسبق فى معناه علم أنه قد (خفيت عنده) أى فى جنب ما أوتيه (الفضائل) التى أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن (و) انه قد (انجابت) أى انكشفت (به) أى بسبب ما بثه فينا من علومه وآدابه وأخلاقه (عن عقولنا) معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وفيه خلاف طويل أشار اليه فى القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الامور أو القوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن أو لمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الاغراض والمصالح أو الهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق أنه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ اه (الاهواء) أى الضلالات والنقائص فلم تقع فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الهوى بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب (أ) يوجد (مع الصبح للنجوم تجل أو) يوجد (مع الشمس للظلام بقاء) أى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كمامر والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله شمس فضل بما بعده الى هنا لانه مناسب له عطف بحذف حرفه أو استأنف نظير مامر فقال (معجز القول) لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التى أوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن وكأن الناظم رحمه الله تعالى اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل أن يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه صلى الله عليه وسلم غير معجز (و) معجز (الفعال) فلا يقدر مخلوق أن يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة فى ذلك الوقت الذى أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الآلهية التى لا يدخل أحد اليها الا باذنه (كريم الخلق) كما يعلم مما قدمته مبسوطا فى شرح قوله فتنزه فى ذاته الخ (و) كريم (الخلق) بضم أوله كمامر مبسوطا فى شرح قوله ماسوى خلقه النسيم وبين الخلق والخلق والقول والفعل تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف فى الثانى (مقسط) أى عادل فى أحكامه وأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم فلا يصدر منه شئ نط الاعلى غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله حتى أعدائه ومناويه ألا ترى أن قريشا لما بنوا الكعبة والنبى صلى

الله

الاشجار مثل الخ اى المذكورة فى قوله جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم وقوله سائرة بالنصب بمحذوف أى تسير سائرة حيث سار أو خبر مبتدا محذوف وقوله وطيس هو فى الاصل التنور والمراد هنا الشمس والهجير وسط النهار واشتداد الحر (قوله ثم) أى فى البردة (قوله وأيضا الخ) أى فتظليله وعدمه كان للتشريع لا لوقاية الحر به فتأمل (قوله ورطة) الورطة الهلاك (قوله الكلام الجامع) هو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول الصفى الحلى فى بديعيته

من كان يعلم ان الشهد مطلبه
فلا يخاف للدغ النحل من ألم

وكقول أبى الطيب

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

(قوله وان احتمل الخ) بان يراد بالقول المشتمل على الاخبار بالمغيبات فان القول المشتمل على ذلك معجز باتفاق كما سيأتى قبيل قوله شق عن صدره الخ فقوله ان كلامه غير معجز أى كل كلامه لما علمته من ان كلامه المخبر بالمغيبات لا خلاف فى انه معجز (قوله ومناويه) أى معاديه قال الجوهرى وناواه أى عاداه انتهى فعطفه عطف أحد المترادفين على الآخر

الله عليه وسلم معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود واختلفوا فيمن يضعه فى محله ثم أجمعوا على انهم يحكمون أول داخل المسجد فكان النبى صلى الله عليه وسلم أول داخل فقالوا هذا الامين فحكموه فأمر صلى الله عليه وسلم بوضعه بثوب وأمر كل رئيس قبيلة أن يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى أن بلغوا به محله فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه فى محله وصح أن رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان صلى الله عليه وسلم يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا فى أحد (معطاء) أى كثير العطاء الذى يعجز عن أدناه الملوك فقد صح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التى منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها من أمهات الاخلاق اذ فى كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وصح عنه أيضا ما سئل صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شئ قط فقال لا أى لا ينطق بالرد بلا بل ان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء بان لم يرصد ما عنده لما هو أهم أعطاه والا سكت كما فى حديث مرسل فحينئذ لا ينافى الحديث الآية قلت لا أجد ما أحملكم عليه فهو صلى الله عليه وسلم لا يقولها منعا للعطاء بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفى حديث الترمذى انه حمل اليه تسعون ألف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال لسائل ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاء نا شئ قضيناه فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصارى انفق يا رسول الله ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر فى وجهه صلى الله عليه وسلم وقال بهذا امرت وقوم ما أعطاه يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف قيل هذا نهاية الجود الذى ما سمع لاحد بمثله وصح انه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين فامر صلى الله عليه وسلم بصبه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم وفى رواية مرسلة كان مائة ألف فخرج الى الصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم ومع هذا الجود الواسع الذائع كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقراء ويأتى عليه الشهران لا يوقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبى فسألته فاطمة رضى الله تعالى عنها فى خادم يكفيها مؤنة بيتها فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال صلى الله عليه وسلم لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التى لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها فى مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته (لا تقس) من قست الشئ بغيره قدرته على مثاله أى لا تشبه (بالنبى) الموصوف بما ذكروهو نبينا صلى الله عليه وسلم (فى الفضل) الجامع لتلك الصفات بل ولا فى كل وصف منها على حدته لان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم وصل فيه الى غاية منه لم يلحقه مخلوق فيها (خلقا) نبيا أو ملكا أو غيرهما أى لا تعتقدن مخلوقا يساويه أو يقاربه فى وصف من أوصاف كماله صلى الله عليه وسلم كما مر أول الكتاب فى شرح قوله لم يساووك فى علاك الخ (فهو) لا غير (البحر) الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال البالغ النهاية فيه (والانام) هو كما فى القاموس كسحاب والآنام بالمد والانيم كامير الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله

(قوله وأجود الناس) قال المرصفى فى كتابه اسفار الصباح الفتوة والايثار والجود والسخاء والسماحة مترادفة وبعضهم فرق بينها فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسماه حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والشكاسة عسر الخلق قال تعالى شركاء متشاكسون أى مختلفون عسرو الاخلاق انتهى مختار والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وضده التقتير (قوله غنما بين جبلين) أى غنما كثيرة كانها تملأ ما بين جبلين (قوله أهل الصفة) هى موضع مظلل من المسجد كانت المساكين تأوى اليه (قوله والمراد هنا الاول بدليل الخ) سيأتى تفسير العالمين بالانس والملائكة والجن وذلك يقتضى ان المراد بالخلق الذى هو الاول بعض ما صدقه وهو العوالم الثلاثة المذكورة فتأمل

الآتى فى العالمين (اضاء) بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهى الغدير ويجمع أيضا على اضا كفتى وشتان ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لاو (كل فضل) وجد (فى العالمين) الانس والملائكة والجن (ف)هو كائن (من فضل) ذلك (النبى) الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وبين فضل والفضلاء تجنيس الاشتقاق (استعاره) حال من ضمير الظرف المستقر (الفضلاء) لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبى انما هى مقتبسة من نوره صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب فهى غير مضيئة بذاتها وانما هى مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وأنوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع ألا ترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه الشريف فلما برز كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى مثلها أو اعظم منها كما سبره الائمة ووضحوه ومنه أن آدم لما اعطى خلق الله تعالى بيده أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه شق صدره وملأه ذلك الخلق النبوى فتولى من آدم الخلق الجسمى ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى ولذا كان هو المقصود من خلق آدم ومن ثم لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهة آدم كما قاله الفخر الرازى وادريس لما اعطى المكان العلى اعطى لنبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما ان نجى هو وقومه اعطى لنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يهلك أمته بعذاب عام ووقع فى تفسير الرازى انه صلى الله عليه وسلم اعطى مكان السفينة انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وابراهيم عليه الصلاة والسلام لما نجى من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار الحرب قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وروى النسائى انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما أعطى ابراهيم مقام الخلة أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد عليه بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابراهيم فى الموقف لما يسئل فى الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من وراء وراء ولما أعطى بناء الكعبة أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر الذى هو روحها فى محله لما اشتد رأى قريش ولما أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا حية أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى هو أبهر وأغرب وذكر الرازى وغيره ان أبا جهل أراد أن يرميه بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التى بياضها يغشى البصر أعطى نبينا عليه الصلاة والسلام انه كان عنده عباد بن بشر وأسيد بن حضير ليلا فخرجا وبيد كل واحد عصا فاضاء لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها فلما افترقا أضاءت عصا الآخر صححه الحاكم وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فاضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان أصابعى لتنير وانفلاق البحر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذى هو أبهر لانه تصرف فى العالم العلوى على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجير الماء من الحجر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره من بين أصابعه وهو أبلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء والكلام أعطى نبينا مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر

(قوله اضاء) فى نسخة ركاه جمع ركوة وهى الدلو الصغير (قوله وهى الغدير) هى القطعة من الماء يغادرها السيل اه جوهرى (قوله لما أعطى المكان) أى السماء الخامسة أو السادسة على الخلاف (قوله مكان السفينة) أى مكان استقرارها على الماء (قوله انه دعا حجرا) حيث قال له عكرمة بن أبى جهل ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه الى آخر ما فى الشرح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع لمكانه (قوله العصا) تكتب بالالف لانك تقول فى التثنية عصوان وجمعها عصى وعصى فى الكثير ووزنها فعول عصو فاستثقلوا الواو فى الجمع فقلبوا من الضمة كسرة ومن الواو ياء وأجاز سيبويه فى الجمع القليل عصا وأعص مثل دلو وأدل وأجاز الفراء قفا وأقفن ومثالهما من الصحيح جمل وأجمل وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم لا ترفع عصاك عن أهلك فلم يرد عليه الصلاة والسلام التى يضرب بها ولا ضرب صلى الله عليه وسلم خادما له قط ولا أمر بذلك صلى الله عليه وسلم وانما أراد الادب ويقال شق فلان العصا أى خرج عن السلطان وألقى فلان العصا أى ترك السفر وأنشد

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

وشتان ما بين جبل الطور الذى نوجى به موسى عليه الصلاة والسلام وما فوق العرش الذى نوجى به نبينا صلى الله عليه وسلم وهرون الفصاحة أعطى نبينا أبلغ منها وأبهر على انها فى العبرانية والعربية أفصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحدى بها الا نبينا عليه الصلاة والسلام ولقد قال له بعض أصحابه ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين ويوسف شطر الحسن وتأويل الرؤيا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما فى الحديث وعبر عن المرائى فوقعت كما عبر مالا يدخله الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام انما كان فى ثلاث مرائى كما فى سورته وداود تليين الحديد أعطى نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وأن شاة أم معبد درّت بيركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه الحجر وسبح الحصا فى كفه وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبى وشكى اليه البعير والريح التى غدوّها شهر ورواحها شهر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو أسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى لحظة واحدة وأقل مسافة فى ذلك سبعة آلاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وأيضا الريح سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الى نواحى الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض أى جمعت له حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه فى صلاته فاراد ان يربطه بسارية فى المسجد وسخر له الجن حتى أسلموا ولم يسخروا لسليمان الا فى العمل وعد الطير من جملة جنوده تقاومه حمامة الغار وعنكبوته بل هذا أعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير بالشئ القليل وعيسى عليه الصلاة والسلام ابرأ الاكمه والابرص وأحيى الموتى أعطى نبينا عليه الصلاة والسلام رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وذكر الرازى انه صلى الله عليه وسلم مسح برصاء فشفيت والبيهقى ان رجلا قال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع أبلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس مالا تتكلم وبالجملة فقد أوتى صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم الممد لهم دائما وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعاروه ليصفهم بالفضل أى هم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال به بل على وجه الاستعارة المستحقة الرد اذا أراده المعير ولم يكون ذلك كذلك وقد (شق عن صدره) الكريم وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه صلى الله عليه وسلم شق عن صدره أولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق أربع مرات أو خمسا مبالغة فى التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقدم الكلام على ذلك مستوفى فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس (وشق له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم (البدر) أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا فى عناده فطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وهى ان يشق لهم القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن الشريف وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكى وغيره وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة اعلاما بصدقه فى دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام لظهوره فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه بحيلة وفى روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام

(قوله وعبر) بالتخفيف وعبرت الرؤيا أعبرها عبارة فسرتها والتثقيل مبالغة وضبطها بعضهم بالتثقيل (قوله فى ثلاث مرائى) هى رؤيا الاحد عشر كوكبا ورؤيا السبع سنين ورؤيا الذى يعصر خمرا والذى صلب فتأكل الطير من رأسه (قوله فحمله من الفرش الى العرش) هذا خلاف الراجح السابق من ان البراق انما حمله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وان صعوده الى السماء انما كان على المعراج (قوله وشق له البدر) أى ثم التأم كما فى الخازن

بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان أحدا من أئمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين أراد فرقتين كما فى روايات أو فلقتين كما فى أخرى وفى روايات ان فرقة كانت فوق جبل حرا وأخرى كانت أسفله فرواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتئذ وفى رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفى روايات انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا السفار فجاؤا من كل جانب وأخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبنى على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرائع فيما وردت به وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص به أهل مكة لتوفر الدواعى على نقل العجائب فهو من تهوّراته لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا أو أول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الا الفذ قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ماذكره بوجه على ان الاجماع الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة فكأن هذا الملحد لم يسمع بما هو الواقع البديهى ان الكسوف قد يدركه أهل قطر دون أهل قطر آخر وما قيل ان القمر قد دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فباطل لا أصل له *(تنبيه)* البدر القمر ليلة أربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة أربعة عشر ولم أرله فى ذلك سلفا ولعله أراد بالبدر مطلق القمر سمى بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كأنه يعجلها المغيب وقيل لتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجر علىّ بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه كان يوحى اليه فلما استيقظ سأله أصليت العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان فى طاعة الله ورسوله فردت ليصلى العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث اختلف فى صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو الحق وقول أسماء فى الرواية الصحيحة فرأيت الشمس بعد ما غربت حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علىّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت رد لزعم انها وقفت ولم ترد ولزعم ان حركتها انما أبطأت فقط وفى رواية سندها حسن أمر صلى الله عليه وسلم الشمس فتأخرت ساعة من نهار ومر انها ردت عليه بعد الاسراء لما أخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان أدبرت خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على أحد غيرى بل على ان كثيرين أو الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه وروى حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوى فى تفسير ردوها على انها حبست لسليمان صلى الله عليه وسلم ورد بان المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق وشق الجناس التام وهو أن يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة فى الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وأن لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا يعنى بليدا اه فان قلت هذا يأتى هنا لان الشق فى الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو فى أحدهما حقيقة وفى الآخر مجاز قلت يمكن أن يقال انه فيهما مختلف وحقيقى اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث الصورة والآلة وأيضا فشق القمر شقه جرمه كله وشق

(قوله من تهوّراته) التهوّر الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة (قوله وقيل لتمامه) أى انما سمى بدرا التمامه (قوله ردت عليه) الذى مر انها وقفت عن المغيب حتى دخل العير فالمراد بقوله ردت عليه حبست عليه أى لاجله عن المغيب لا انها غابت ثم ردت تأمل (قوله ابن نون) قال أبو حيان فى النهر يوشع بن نون بن أفراثيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى ولما مات موسى وهرون نبأ الله يوشع بعد كمال أربعين سنة فصدقه بنو اسرائيل وأخبرهم بأن الله أمرهم بقتال الجبارين فبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبنى اسرائيل وفى تلك الحرب وقفت له الشمس (قوله فرد عليه) أى ردها عن المغيب أى أمسكها لا انها غابت ثم ردها كما لا يخفى (قوله وذلك لان المراد) أو قال ذلك قبل أن تحبس له عليه الصلاة والسلام (قوله قلت يمكن الخ) فيه نظر اذ مثل هذا لا يكفى فى تحقق التجنيس مع اتحاد معنى أصل الشق والا لكان كل لفظ باعتبار موارد استعماله جناسا ولا قائل به ثم رأيته أشار لذلك آخرا فتأمله طبلاوى

الصدر ازالة غشائه لاغير وكفى بهذا اختلافا ثم المتبادر من كل منهما انه حقيقى كما لا يخفى قيل ليس فى القرآن من الجناس التام غير هذه الآية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر بآية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار فانه استعمل الابصار أولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار فى البصائر مجازى وقد تقرر انه لا يكفى وقد يجاب بادعاء أنه حقيقة عرفية وعلى كل فأقول فى القرآن آية أخرى أظهر من تينك وهى يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور فى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثانى التوراة والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها أى ما هو شئ من كتب الله فان قلت هذا أعم من الثانى فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا له حقيقة كما مر جوابه وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفى هنا فيكفى التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لا يعدوا منه أن النفس بالنفس الخ قلت كأنه لكونه هنا مميزا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة على المقابلة فتأمله فان قلت لم اكتفوا فى التورية بكون أحدهما مجازا لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكتف فيه كون أحدهما مجازا ومن ثم أقر بعض المحققين اشتراط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل أن يقال لا بد أن يكون له حقيقة فى الشرع أو فى العرف أو فى اللغة فلا يكفى كون أحدهما حقيقة شرعية والآخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر أنهما لا يكفيان ويحتمل أن يقال يكفى ذلك ويؤيده اطباقهم على ان الآية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة أو عرفا أو شرعا شئ واحد وانما الاختلاف من حيث انها فى مطلق الزمن حقيقة لغوية وفى القيامة حقيقة شرعية وهذا الثانى أقرب ومما يؤيد الثانى اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا أو دائما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفى كون أحدهما مجازا لزم وجود التجنيس فى غالب الالفاظ أو كلها وهو بعيد جدا ولك أن تأخذ من قولهم ليس فى القرآن جناس تام الامام مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا الحر بالحر ونحو وذلك أن شرط الجناس التام أن لا يكون فى اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية أصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما أمكن نظير التورية ولم أر لاحد من أهل البديع فى هذا المبحث ما يشفى فتأمله فان قلت ماذكر فى شق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين دون موضعهما وذلك لا يكفى قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من أن يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذا تباينت به صورتهما (و) انما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزى على ذلك اذ (من شرط كل شرط) وقع فى البدن لغرض مقصود أن يكون له (جزاء) أى من برء من مرض أو غيره فكذا هنا لما روقع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم جوزى على ذلك بجزاء عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وأبهرها بعد القرآن وفى كلامه الجناس التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقة ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة نحوية والثانى حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل أن يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثانى بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان أحدهما مجاز يكون فيه التورية أو حقيقة أيضا ولكنه أبعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومر الكلام فيهما مستوفى اذ الشرط المراد به فى الاول ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وفى الثانى شق الجلد واللحم والجزاء فيه تورية أيضا اذ هو يطلق على الجزاء النحوى والجزاء العرفى وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة (و) من معجزاته صلى الله

(قوله قلت كأنه) لا حاجة لهذا اذ شرط التجنيس لم يوجد لعدم اختلاف المعنى الحقيقى فيهما فتأمله وبهذا يندفع قوله ولك أن تأخذ الخ كما سيأتى اه طبلاوى فيه نظر فان معنى النفس الاولى المقتص منها ومعنى النفس الثانية المقتص لها فهما متغايران وحينئذ فلا يندفع قوله ولك الخ فتدبر (قوله قلت هذا وان كان) الى آخر ما قدمه فى توجيه عدم الاكتفاء بكون أحدهما مجازيا وانه مبنى على التعمية يمنع هذا أو يبعده جدا وكلام أئمة الفن مصرح بخلافه فتأمله طبلاوى (قوله حقيقة عرفية) لعل الظاهر لغوية

عليه وسلم أيضا انه فى غزوة بدر وغزوة حنين (رمى) أعداءه (بالحصى فاقصد) أى أصاب فاهلك فى القاموس أقصد السهم أصاب فقتل مكانه اه (جيشا) عظيما كانوا ألبوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه أى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة فى ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكذلك روى غير واحد انها نزلت فى رميه يوم بدر وان كان رمى فى غيره ولاهل الجبر فى هذه الآية غلط لا بأس بذكره ثم رده قالوا فيها سلب فعل النبى صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة أفعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا لزمهم أن لا تكليف ولا عقاب وسر ما فى الآية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايتها وهو الايصال فأضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته ونظير هذا ما فى الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتأثير وان غيره ليس منه الا أسباب تظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فأرسل الله تعالى عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم وسمعوا فى أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا آيسين خائبين ومن ثم أخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونه بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله فى السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا أناس قليلون من أهل بيته العباس وأبى سفيان بن الحرث وعلى والفضل وأصحابه أبى بكر وعمر وآخرين فأمر صلى الله عليه وسلم أن ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه أى اشتد حر الحرب حتى أشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه رمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفى رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى بكل مرة أو انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفى رواية عند أحمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله أنا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب به وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد الا امتلأ عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى من تشتيت شملهم وافتراق جمعهم وهزيمتهم آن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل ذلك (ما) استفهام انكارى (العصى) التى القاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك (عنده) أى الحصى المرمى (وما

(قوله لما بلغت القلوب الخ) أى رعبا الان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب اه بيضاوى وعبارة الخازن وبلغت القلوب الحناجر أى زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلقوم من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فاذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة (قوله فى ارجاء معسكرهم) العسكر الجيش والموضع معسكر بفتح الكاف (قوله وأصحابه) أى غير أهل بيته والافمن تقدم من أهل بيته أصحابه أيضا (قوله وآخرين) أى متممين لبضعة عشر اذ لم يبق معه الا هذا القدر (قوله انه رمى بكل مرة) يؤيد ذلك رواية ابن مسعود الآتية فانها تفيد انه ناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب وصرح فيها بالتراب وانه ضرب به وغير روايته انه تناول الحصى أو التراب بيده من الارض وذلك ظاهر فى انه رمى بالحصى مرة وبالتراب مرة وكونه أخذ بيده من الارض كفا من الحصى ثم ركب وأخذ بمناولة ابن مسعود كفا من تراب ورمى بهما جميعا بعيد تأمل (قوله ثم اقتحم الخ) أى رمى بنفسه قال فى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فجأة بلا روية وقحمته تقحيما وأقحمته فانقحم واقتحم (قوله عن فرسه) سيأتى عن ابن مسعود فحادت به بغلته أى مالت به

الالقاء) لتلك العصا على تلك الحبال والعصى الذى فعله سحرة فرعون أى لاتقس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى صلى الله عليه وسلم فى القاء عصاه على ماذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر وأبهر اذ القاء موسى لعصاه حاكى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تحاك شيأ قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصى حية وابتلاعها لتلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا شتت شملهم بل زاد بعدها طغيانهم وعتوهم على موسى وقومه وجانس بين الحصى والعصى وتفنن بين رمى والالقاء *(تنبيه)* أكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصائرهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى مامن الانبياء نبى الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا أوحاه الله الى وانا أرجو ان أكون أكثرهم تبعا وفى معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى أن المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى القيامة لايمر عصر الا ويظهر فيه شئ أخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول (و) من معجزاته أيضا انه (دعا للانام) مر تفسيره لكن المراد به هنا غيره ثم اذهم هنا أهل المدينة ومن ضاهاهم (اذ) أى وقت أو لاجل ان (دهمتهم) أى غشيتهم (سنة من) أجل (محولها) متعلق بما بعده أى شدة جدبها وقحطها (شهباء) أى لاخضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب والمحل وتطلق على الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تأكيد وعلى الثانى تأسيس وسبب دعائه مافى الصحيحين ان الناس أصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس فى السماء قطعة سحاب فما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل حتى أصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فاقلعت السحابة وخرجوا يمشون فى الشمس وسال وادى قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير (ف) بسبب دعائه (استهلت بالغيث) أى صبت المطر بشدة (سبعة أيام) كوامل لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى بالفاء الكسر (عليهم سحابة) فاعل استهلت (وطفاء) أى مسترخية الجوانب لكثرة مائها حال كونها (تحرى) أى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز كما يأتى فى جدارا يريد أن ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها (مواضع الرعى) أى الكلا الذى يرعى (و) مواضع (السقى) التى يجتمع الماء فيها ليشرب منها البهائم وفى الرعى والسقى مراعاة النظير والسقى والسقاء تجنيس شبه الاشتقاق (و) تحرى أيضا (حيث العطاش) أى مواضعهم التى (توهى) بالبناء للمفعول أى تخرق (السقاء) منهم فيها أى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تحرى الامكنة المعطشة التى تخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا أظهر وأولى مما سلكه الشارح كما يعرف بتأملهما لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الخ لانا نقول قرينة قرن السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهائم فاحتاج فى افادة عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش أيضا قال الشارح أيضا وفى قوله حيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق فى الفلاة ماؤه

(قوله وجانس) أى أتى بالجناس المضارع لتقارب مخرجى الحاء والعين (قوله فادع الله لنا) فى رواية يغثنا قال فى المواهب يغثنا بفتح أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا أرسل عليها المطر (قوله يريد ان ينقض) عبارة البيضاوى أى يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء
ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال

ان دهرا يلم شملى بجمل
لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه أو افعل من النقض (قوله تخرق السقاء) أى لنفاد مائه (قوله السقاء) قال فى الصحاح السقاء يكون للبن والماء والجمع القليل اسقية واسقيات والكثير أساق والوطب للبن خاصة والنحى والعكة بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد كل منهما للسمن والقربة للماء

يضرب لمن لا يستقيم أمره فضرب به المثل هنا في المحل والجدب اهـ ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم مادلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن (و) لما استمرت عليهم سبعة أيام وكادت ان تهلكهم (أتى الناس) اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سألوه ان يدعو لهم (يشتكون أذاها) أي تلك السحابة أي الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكي واحد لان مابه بهم فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا أسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا (ورخاء) اى سعة من المطر (يؤذى الانام غلاء) أى شدة عظيمة وأصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذاها ويؤذى جناس الاشتقاق والرخاء والغلاء جناس التضاد (ف) بسبب ان هذا الرخاء الذى هو المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها (دعا) صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشف عنهم (فانجلى الغمام) أى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا (فقل) أيها العالم بهذه الوقعة ماشئت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب (فى وصف غيث اقلاعه) أى انكشافه (استسقاء) اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقاء بمعنى السقى لانه يلزمه فوات هذه النكتة التى هى سبب التعجب (ثم) بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم (أثرى الثرى) أى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من أثرى الرجل كثرماله (ف) بسبب هذه الكثرة (قرت) أى فرحت واطمأنت من أقر الله عينه أى أعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه (عيون) لاهل المدينة بسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب (و) بسبب عمارة (قراها) أى العيون أى المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها (وأحييت) بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها كالموتى من أحياه الله فحيى بالفك وحى بادغام وهو الاكثر (احياء) جمع حى أى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسهم ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق فى أثرى الثرى وقرت قراها وأحييت احياء (فترى) أنت لو شاهدت تلك الواقعة (الارض غبه) أى عقب ذلك الغيث المتولد منه ما يدهش الابصار من النبات والزهور (كسماء) حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت علمية (أشرقت) أى زالت عنها (من) أجل (نجومها الظلماء) ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية فى السماء والمجازية فى الارض وبين الارض والسماء والاشراق والظلمة الطباق وتراها أيضا (تخجل) أى تحير وتدهش (الدر) أى اللؤلؤ (واليواقيت) وهى فارسى معرب واسناد الخجل اليها مجازا أو هو على حذف مضاف أى أهلهما بمعنى ان من بأيديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا الاعلا يكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة (من نور) بفتح النون أى زهر وهو بيان لفاعل تخجل الآتى (رباها) بضم الراء المحال المرتفعة منها وخصت لان ما بها أنضر وأبهى من بقيتها (البيضاء) راجع للدر (والحمراء) راجع لليواقيت أى يخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه ألوان وما تقرر ان الناظم انما أراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد أيضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما أبطؤا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام جاءه أبو سفيان فقال له يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا

الناس

(قوله الذين قال لهم الناس) المراد بالناس الاول فى الآية نعيم الاشجعى وحده والمراد بالناس الثانى أبو سفيان وأصحابه (قوله أى ذو استسقاء) وتقدير ذلك المضاف لا يوضح المراد وعبارة ابن عبد الحق أى اقلاعه كاستسقاء فى النفع فالاستسقاء هنا بمعنى الاسقاء اهـ والمعنى الواضح الذى يبين به المتن ان يقال ان اقلاعه على حذف مضاف أى طلب اقلاعه وان استسقاء على حذف اداة التشبيه أى كاستسقاء أى طلب اقلاعه كطلب السقيا فى ترتب دفع الضرر على كل تأمل (قوله غالبا) وقد يكون لطلب زيادة بها نفع وقد يكون لطلب عذوبة الماء بعد ملوحته (قوله وفيه تجنيس الاشتقاق) الظاهر انه شبه اشتقاق لان أحد اللفظين وهو الثانى فى المواضع الثلاثة ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق تأمل (قوله تجوز) أى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه ازالة الظلام باشراق الضوء بجامع ترتب النفع بالابصار (قوله انما يستعمل) اى لان أشرق معناه أضاء (قوله فسقوا الغيث) بضم السين والقاف على صيغة المجهول وأصله سقيوا استثقلت الضمة على الياء فنقلت لما قبلها بعد سلب حركتها فصار سقوا على

وزن فعوا والغيث مفعول ثان لسقوا (قوله مالا طمع فى حصوله) وذلك التفسير الاول من التفاسير الاربعة لقول الناظم ليته خصنى
برؤيته وجه وقوله أو مافيه عسر وذلك مابقى من التفاسير لان ذلك أمر متعسر باعتبار توقفه على تخلية النفوس من ظلمات الرعونات
وتحليتها بانوار الطاعات فتأمل (قوله برؤيته) هى والرؤيا بألف التأنيث قيل بمعنى والاظهر ان الاولى أعم لشمولها اليقظة والمنام
واختصاص الثانية بالثانى ولنا رسالة تتعلق برؤيا النبى صلى الله عليه وسلم سميناها بتبليغ المرام ببيان حقيقة
رؤيته فى اليقظة والمنام
فارجع اليها ان أردت (قوله
من رآنى فسيرانى فى اليقظة)
وورد من رآنى فقد رأى
الحق أى الرؤيا الحق (قوله
أراه فى يقظتى) بان يرى
روحه الشريفة المتشكلة
شكل جسده الشريف
المنطلقة الانطلاق الكلى
أو جسده الشريف فانه حى
فى قبره ولا مانع من اكرام
الله بعض عبيده برفع الحجب
بينه وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيراه فى قبره
وان بعدت داره فليس
المراد برؤيته يقظة انه
يخرج من قبره بروحه
وجسده ويمشى فى الاسواق
ويأتى لمكان الرائى ويخفى
عمن لم يرد الله له رؤيته
كالملائكة وان نقله بعض
شراح المعاريج عن الجلال
السيوطى للزوم خلو قبره
عنه ولوجود رؤية اثنين
فاكثر له فى آن واحد مع
تباعدهما بأن يكون
أحدهما بمصر والآخر
بالبصرة وانما المراد ان
الحجب تزول خرقا للعادة
بأن تجعل تلك الحجب كالزجاج
الذى يحكى ماوراءه فيراه
أولياء الله بعين بصرهم مع كونه فى قبره ويحادثونه ويسألونه عن أشياء ويجيبهم ويسمعون وان بعدت أماكنهم لانه حى فى قبره أو بان
روحه الشريفة تتشكل بصورته الكريمة وتجول فى الملك والملكوت وتحضر عند الموعود برؤيتها فيراها عيانا كما يراها أحيانا بعين
بصيرته ويكون نورها وشعاعها عند حولانها متصلا بجسده المطهر فى قبره ألا ترى ان نور الشمس مثلا مشرق بالارض مع بعد المسافة فنور
روحه أولى بذلك لانه أصل كل نور وورد ان أول مايرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام والقرآن والحجر الاسود كذا فى الخصائص

الناس كثرة المطر فسأل الله تعالى رفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما
يشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال (ليته) هى لتمنى مالا طمع فى حصوله
أو مافيه عسر (خصنى برؤية وجه) أى ليتنى أدركت زمنه لاكون من أصحابه اذهم أفضل من
جميع من جاء من بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو
أفضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقى الى درجة الصحة مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره
خير أم أوله وللخبر الحسن أيضا ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا وفى حديث أبى داود
والترمذى يأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه
قبل ان يعلم أفضلية أصحابه فلما علم بها صرح بها بقوله لو أنفق أحدكم ملء الارض ذهبا لم يبلغ مد
أحدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون قرنى وعن الثانى بان أو فيه تحتمل ذلك أيضا وعن الثالث
بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضى الافضلية على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم
لما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضى الله عنهما أيهما أفضل قال للغبار الذى دخل
فى أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز وأشار
بعضهم الى ان محل الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية وأما من زاد على ذلك بنحو رواية
أو غزو فلا نزاع فيه أو ليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض وفى الجنة شافعا نافعا أو ليتنى أراه فى النوم
رؤية تدل على اعتنائه بى لاخباره صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة بان من رآه فيه رآه حقا
وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم ولا يتشبه بها وان من رآه فيه فقد رآه فى اليقظة
أى كانه رآه فى اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به صلى الله عليه وسلم فهو وان مكن من التصور
باى صورة أراد لم يمكن من التصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان رؤى بصورته
التى كان عليها وقال بعضهم ان رؤى بصفته التى قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مايفهمه وفى حديث ضعيف انى أرى فى كل صورة وصحح
النووى وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن العربى وغيره لكن رؤيته على غير صفته
مثال فرؤيته مقبلا أو بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض فى رواية مسلم
من رآنى فسيرانى فى اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته صلى الله عليه وسلم على صفته موجبة لرؤيته صلى
الله عليه وسلم فى الآخرة على نوع مخصوص من قربه منه أو شفاعته له وفى هذا أقوال أخر كثيرة وقال
الغزالى فى رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما فى رؤية الله
تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور أو غيره أو ليتنى أراه فى يقظتى بناء على امكان ذلك وهو
ماحكاه ابن أبى جمرة والبارزى واليافعى وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انه رآه فى المنام
فرأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن أشياء غيبية فأخبرهم بها وكانت كما أخبر قال ابن أبى جمرة وهذه
من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها الوقوع فى ورطة انكار كراماتهم وفى منقذ الغزالى ان أرباب
القلوب فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويسمعون منهم

الصغرى للسيوطى (قوله الوحى) زنة فعيل أى السريع قتله (قوله مالم يحصل لغيره) بل قد وقع له ذلك الامداد لاسيما فيما يرجع الى منظومه فى المديح والحظ الوافر فى قبوله وانتشاره فى جميع أقطار الاسلام بحيث لم يلتحق به فى شئ من ذلك سابق ولا لاحق مع فصاحتهم وبلاغتهم التى لا تدانى كما أشار اليه الشارح أول الكتاب (قوله فهى) أى الباء هنا أى من قوله ليته خصنى برؤيه وجه داخلة على الاول أى المقصور على كل من الثالث والرابع (١٣٦) وهما قوله أو ليتنى أراه فى النوم رؤيه تدل على اعتنائه بى الخ أو ليتنى أراه فى يقظى الخ غير ظاهر بل الظاهر دخولها على المقصور عليه ويكون من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا والمعنى ليتنى مقصور على ماذكر لا أتجاوزه الى رؤية لا تدل على الاعتناء بى على الاول كرؤيته مدبرا عنى أو لا أتجاوزه الى رؤية نومية على الثانى وأما على ماقاله العلامة الشارح فيكون المعنى لا يتجاوزنى ماذكر الى غيرى من أفراد الموصوف اذ هو على ماقال من قصر الصفة على الموصوف ومعناه ان الصفة لا تتجاوز ذلك الموصوف الى موصوف آخر لا أنها لا تتجاوزه الى اتصافه بصفة أخرى كما قرره علماء البيان نعم على ماقرره سابقا فى صدر التنبيه من قوله أى ليته خصنى الخ يصح انه من قصر الصفة على الموصوف لانه جعل الصفة لا تتجاوزه الى موصوف آخر ولما كان فيه بعد تكلف صحته بقوله ولا نظر الى كونه الخ وكذا يقال فى الرابع فافهم

وقوله وعلى الاولين أى ليتنى أدركت زمنه ورؤيته مع الاجتماع المتعارف لاكون من أصحابه أو ليتنى أراه مرادا فى الموقف وعلى الحوض الخ فخصنى فيهما بمعنى أعطانى ظاهره ان المعنى فيهما لا يصح ان يكون على الحصر وهو غير ظاهر بل يصح ان يكون ماذكر من قصر الموصوف على الصفة كالاولين والمعنى ليتنى مقصور على الكون من أصحابه أو على رؤيته فى الموقف الخ لا أتجاوزه الى التأخر عن زمنه فى الاول أو على رؤيته رؤية نازلة عن هذه الرؤية على الثانى اهـ (قوله والماضى) قد يستعمل

أصوا تاو يقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسن الاهدل وقوعها للاولياء تواترت بأجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وماتواترت عليه أخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم أخذ يبطل ذلك كله ويفسده ويعظم النكير على مجوزه بلا حجة له فيه ومما يبطل جميع ماندن به وجاوز فيه الحد أن من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره وانه لا يراه فى اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه لا يبعد أن من أكرم برؤيته صلى الله عليه وسلم ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه فى قبره يراه الاولياء فى اليقظة فى قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم فى الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على سبيل الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابى فهؤلاء كذلك بالاولى فاندفع قول فتح البارى هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة اهـ ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه أراد ذلك انه تلميذ القطب أبى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث القطب الاكبر أبى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال أبو الحسن لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسى مسلما والقطب على ابن القطب محمد بن أبى الوفاء وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى ومن ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لاسيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور فى كراماته فيكون الناظم رحمه الله تعالى منسوبا بهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة يقرب انه سأله فى وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخى وشيخ والدى الشمس محمد بن أبى الحمائل يرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسئل فى الشئ فيقول حتى أعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدخل رأسه فى جيب قميصه ثم يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما أخبر لا يختلف ذلك أبدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الوحى *(تنبيه)* ماذكرته من مناسبة الاول والثانى بعيد اذ لا يناسبه لفظ خصنى بل ولا معناه لان الذى تمناه رؤيته فى حياته ليكون من أصحابه أو فى الموقف أو فى الجنة وكل مسلم يتمنى ذلك فالتمنى أمر عام لا خصوصية فيه ومن الثالث قريب يناسبه لفظ خصنى ومعناه أى ليته خصنى فيما مضى برؤيته له فى النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا الخصوصية لان مرائى الناس له فى النوم متعددة الانواع والدلالات فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية تخصه دون غيره باعتبار ماتدل عليه من الحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة لاكثر الاولياء والعلماء لان ذلك لا يمنع انه يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد وحظ مالم يحصل لغيره ومن المعنى الرابع قريب أيضا لكن على القول بوقوعه وحينئذ ينتج ان أحسن هذه الاحتمالات الذى لا نزاع فيه هو الثالث ﴿تنبيه آخر﴾ من المقرر عند المحققين ان الباء فى حيز الاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور والمقصور عليه فهى هنا داخلة على الاول على كل من الثالث والرابع وأما على الاولين فخصنى فيهما بمعنى أعطانى والماضى قد يستعمل

مراد به الاستقبال أيضا ﴿تنبيه آخر﴾ ما تقرر من ان خص وما أخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد فى نحو خصه بكذا قصره عليه قصر قلب تارة وافراد أخرى هو المشهور أيضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفى القاموس خصه بالشئ خصا وخصوصا وخصوصية وقد يفتح وخصيصا ويمدو خصيه وتخصة وخصه فضله بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم اهـ ولا يتوهم منه أن الاختصاص غير الحصر لانه لا يسمى فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده قوله والتخصيص ضد التعميم الصريح فى ان التخصيص قصر العام على بعض افراده فتأمل ذلك كله فانه نفيس (زال) أى تحول فزال هنا تامة لا ناقصة (عن كل من رآه) مؤمنا فى حياته أو بعد موته فى يقظة الرائى لان ذلك لا يقع الا لاكابر الاولياء أو فى النوم على صفته التى كان عليها صلى الله عليه وسلم لما مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة فى الآخرة (الشقاء) أى جميع أنواعه لان الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول كما يشهد لذلك الكتاب والسنة نحو أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل من وصمته وحباه بجعله من أحبته ببركة شمول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم * ولما ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقاء عن كل من رآه أتبعه بذكر صفات وخصوصيات له صلى الله عليه وسلم ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال (مسفر) ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه أى مشرق نوره الذى يكاد ان يخطف الابصار (يلتقى) ذلك الوجه أيضا (الكتيبة) أى الجيش بالمثلثة أو المثناة من تكتبت بنو فلان اذا اجتمعوا حال كونه (بساما) أى متبسما يفتر عن مثل سنا البرق أو عن مثل حب الغمام (اذا أسهم) أى غير من سهم بفتح عينه أو ضمها وجهه اذا احمر وتغير (الوجوه اللقاء) للعدو فهو صلى الله عليه وسلم فى الحالات التى فيها ينزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة والثبات والتبسم لعظيم ما آتاه الله سبحانه وتعالى من الشجاعة التى لم يصل غيره الى أدناها وقد صح كما مر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وانه سمع صياحا بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد فلم ير شيا فلما رجع رأى الناس خارجين فقال صلى الله عليه وسلم لن تراعوا أى روعا عن حقيقة ما رأينا من شئ وصح انه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه ان شأنك لعجيب وصرع آخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين لما تفرق عنه أصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح لكر ولا لفر وهو صلى الله عليه وسلم يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضى الله عنهم كنا اذا حمى الوطيس أى اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعلناه أمامنا واستقبلنا العدو به صلى الله عليه وسلم وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه نقصه اذ يجوز ذلك عليه فى خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم يقبل له توبة اهـ وقياس مذهبنا خلافا لمن أخطأ فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض أئمتنا الى انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه (جعلت مسجدا له) أى لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع (الارض) كلها كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة حيث قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع سجود أى ان السجود

هذا بالنسبة لما عدا الاول وأما بالنسبة اليه فالماضى على حقيقته تأمل لكن كلام الشارح سابقا مندافع فى الثالث حيث قال أولا أوليتنى أراه فى النوم فعبر باراه وقال ثانيا ومن الثالث قريب الى ان قال أى ليته خصنى فيما مضى (قوله على صفته التى كان عليها) وأما من رآه لا على تلك الصفة ككونه اسود فان ذلك لا يدل على زوال جميع أنواع الشقاء عنه بل يدل على نقصه فتأمل (قوله لان الصحابة) تعليل قاصر على من رآه مؤمنا فى حياته صلى الله عليه وسلم اذ هو الذى ثبتت له الصحبة فلا يشمل من رآه بعد موته فى يقظة الرائى أو نومه على الصفة التى كان عليها مع حكم الشارح عليهما بأنهما كالاول تأمل (قوله يفتر) أى يضحك (قوله أى روعا الخ) أو المراد روعا مستقرا أو روعا يضركم (قوله صرع ركانة) بضم الراء أسلم يوم الفتح ومات بالمدينة (قوله وصرع آخر) هو أبو الاسود الجمحى قيل وصارع أبا جهل ولكنه لم يصح (قوله جعلت مسجدا الخ) مناسبة ذلك فى خلال التكلم على صفات وجهه الشريف تعلق السجود على الارض به اذ هو بجزء من أجزائه (قوله الحديث) تمامه وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة اهـ ق ن عن جابر

(قوله يتيقنون طهارته) أى الامم السابقة (قوله كالبيع) جمع بيعة بالكسر معبد النصارى اى الرئيس منهم كالراهب (قوله

لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبنى للصلاة وهو مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة فى جميعها كانت كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ولغيرى مسجدا لا طهورا الا ان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلى حيث أدركته الصلاة وقيل ان المراد ان الصلاة لم تبح الا فى محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة أبيحت لها فى كل أرض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا فى أماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وتوافقه رواية ولم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه وبهذين يرد الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها لدلالة هذين على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافى الخصوصية لانها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وأمته بخلاف عيسى صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب هذا الجعل (اهتز) أى تحرك طربا وفرحا (به) صلى الله عليه وسلم (للصلاة) أى لاجلها (فيها) أى الارض (حراء) بالكسر والمد يجوز قصره وصرفه وعدمه باعتبار المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو الجبل الذى كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وفى رواية وسعد بن أبى وقاص ولم يذكر عليا أخرجهما مسلم وخرجهما الترمذى وذكر انه كان عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال صلى الله عليه وسلم اثبت حراء وفى رواية اهدأ حراء ورواه البخارى فى أحد بلفظ انه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان ورواه النسائى والترمذى فى ثبير وهو جبل مقابل لحراء انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض أى الذى فى قراره وأسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وما أشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك انما هو للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخارى ابن التين فى أحد فقال قيل الحكمة فى ذلك انه لما رجف أراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه الصلاة والسلام لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التى توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك فاستقر اه واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع العلم بمن فوقه وقوله اثبت الخ يقتضى ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث الصحيحة التى منها أحد يحبنا ونحبه ان أحدا أودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة كل منها يقتضى الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما منه أولا هزة الطرب وآخرا سكون الحياء والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله عليه وسلم فأمره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضى هزة الجبال واللقاء المنبئين عن غاية الفرح والسرور قال الطبرى وغيره واختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهذا واضح لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وأيده شيخ الاسلام الحافظ العسقلانى بعد ما توقف فيه بان الذى معه بحراء أزيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه التعليل فى قول الناظم للصلاة فيها قلت كأنه يشير الى ان الله تعالى لما أقطع نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها

والكنائس) جمع كنيسة متعبد اليهود أو النصارى أو الكفار (قوله والصوامع) جمع صومعة كجوهرة بيت النصارى (قوله برد الاحتجاج بقصة عيسى الخ) وعليه ما الحكم اذا سافر واحد من قومه ولم يكن فى طريقه محل معد للصلاة ككنيسة فان كان فى شريعته سقوط الصلاة حينئذ فظاهر وكذا ان كان عدم صحة صلاتهم فى غير المعد مقيدا بالاقامة فحرر (قوله أو شهيد) أو فيه وفيما قبله بمعنى الواو كما سبق والمراد بالشهيد الجنس فيصدق بأكثر من واحد فلا يرد ان الشهداء فى حراء أكثر من واحد تأمل (قوله العشرة) بزيادة طلحة وسعيد على من ذكر (قوله اهدأ حراء) عبارة المختار هدأ سكن وبابه قطع وخضع واهدأه سكنه (قوله الحضيض) أى القرار من الارض عند منقطع الجبل اه جوهرى (قوله لما رجف) من باب نصر والرجفة الزلزلة والاضطراب الشديد (قوله لا رجفانه) الرجفان بفتحتين الاضطراب (قوله فأقر الجبل بذلك) أى خلق الله فيه الاذعان لما نص عليه صلى الله عليه وسلم من المقامات الثلاثة المقتضية للادب والحياء لا الطيش فاستقر وثبت وقد أشار لذلك فى جواب الاشكال (قوله أزيد ممن معه بأحد) أى وممن معه بثبير

كلها

(قوله للجبل) أى بتأويله بالبقعة تأمل وعبارة المالكى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان جعلت له الارض مسجدا أى مكانا لصلاته وطهورا أى مكانا للتيمم ثم قال ومن جملة ذلك صلاته فى جبل حراء وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل البعثة فانه اهتز أى تحرك فرحا وطربا لما كان على ظهره مع جماعة من أصحابه ثم ذكر حديث أعطيت خمسا وغيره (قوله ساقط لانه الخ) فلو جعل ذلك البعض المراد بالصلاة صلاته بعد النبوة حالة كونهم عليه وقت الهزة لاستقام (١٣٩) ماذكره لكن صحة ذلك تتوقف على ثبوت

كلها مسجدا له صلى الله عليه وسلم وشرفها بصلاته فيها دخل فى ذلك جبالها فاذا صعد بعضها تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة اللذين حصل بهما للجبل كبقية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رأيت بعضهم جعل ضميرفيها للجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلى فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه (مظهر) ذلك الوجه الكريم (شجة الجبين) أى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفى التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتى ان الذى شج جبهته وفى رواية وجنته صلى الله عليه وسلم والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة (على البرء) أى فيه أو معه من برئ من المرض بالكسر برأ بالضم وبرأ بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم أحد أخرج ابن هشام عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص أخا سعد بن أبى وقاص أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم أحد ويقول له ارم فداك أبى وأمى قال فلم يجمع أبويه لغيرى وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالى أى لانه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فكسرت رباعيته اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى وان عبد الله ابن هشام الزهرى شجه فى جبهته وأن ابن أبى قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة حتى رموه صلى الله عليه وسلم لشقه فى حفرة الحديث وروى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن أبى قميئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى أحمد والترمذى والنسائى عن أنس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وفى مرسل قوى ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين مرة وقاه الله شرها كلها (كما) مصدرية (أظهر الهلال البراء) بفتح الموحدة وهو أول ليلة من الشهر أى ان وجهه الكريم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الكمال والجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الرائون لذلك والراوون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله صلى الله عليه وسلم لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الاحسن من الهلال كما قال (ستر) ذلك الوجه (الحسن) الاصلى (منه بالحسن) العارض من الشجة (فاعجب لجمال) أصلى (له الجمال) العارض وفى هذا كالذى قبله الجناس التام المتماثل بناء على ما مر مع الكلام عليه فى

صلاتهم عليه عند الهزة والا تعين ماذكره من قوله كأنه يشير الخ تأمل (قوله وجنته) الوجنة مثلثة وكمكلمة ما ارتفع من الخدين (قوله أول من رمى بسهم) راجع لسعد رضى الله عنه (قوله وكان) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتخر به أى بسعد أى فى ظاهر الامر تعليما للامة بتخير محل النطف والافسعد هو الذى يفتخر بكونه صلى الله عليه وسلم ابن أخته وأعظم به فخرا (قوله رمى رسول الله الخ) أى عتبة (قوله فشج وجهه) أى جرح وجنته كما سبق قريبا (قوله وكسر رباعيته) يقتضى ان كاسرها ابن قميئة وقد سبق قريبا ان كاسرها عتبة بن أبى وقاص فان ثبت ان الرباعية هنا غير اليمنى السفلى اندفع التنافى (قوله أقمأك الله) بالهمز أى حقرك وأذلك (قوله ليس لك من الامر شئ) اعتراض بين المتعاطفين (قوله أو يتوب عليهم الخ) معطوف على قوله أو يكبتهم أى يخزيهم والمعنى ان الله مالك أمرهم فاما ان يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا وليس لك من أمرهم شئ وانما أنت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم (قوله وهو أول ليلة) عبارة القاموس البراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره اه فقصر الشارح له على أول ليلة منه لقوله الهلال (قوله كظهور الهلال) قال المالكى واستعار الهلال للشجة لانها تشبهه غالبا

شرح شق عن قلبه وشق له البدر وأما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلى والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعد وامنه الذين قال لهم الناس ان الناس أن النفس بالنفس نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميزه كما هنا بخلاف ما فى الآيات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل أو نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح فى رده وفى البرء والبراء الجناس المطرف (وفاء) وسبب ذلك ان الله أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها المخلوق كامر بدليله فى باطنه وظاهره و يكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله تعالى جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من أنواره الباطنة ما صيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب و يتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه توضح ذلك وتكشفه فقال (فهو) أى ما ظهر بالشجة من باطن بدنه صلى الله عليه وسلم (كالزهر) أى نور النبات اذا (لاح) أى ظهر (من سجف) بفتح أوله وكسره أى ستر (الا كمام) والا كمام هو كالا كمة جمع كم بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد (و) هو أيضا مثل (العود) الذى يتطيب به اذا (شق عنه اللحاء) وهو قشر الشجر من لحوته ألحوه قشرته فظاهر الجلد كاللحاء و باطنه كالعود وفى هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال (كاد) ما ظهر بالشجة (أن) وهى وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها (يغشى) بالغين المعجمة أظهر من المهملة (العيون) أى يغطى عليها (سنا) بالقصر أى ضوء عظيم خارج (منه لسر) عظيم وفى نسخ بسر (فيه) أى فى ذلك الباطن الذى ظهر هو مصيره كله ضياء أعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان أصل ذلك السر لا كماله (حكته) أى شابهته (ذكاء) بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول أل عليها أى الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما تقرر علم ان من أسباب عدم شينه بتلك الشجة ما أوتيه صلى الله عليه وسلم من الحسن الذى لم يؤته غيره ومن ثم (صانه) ذلك (الحسن) لو انفرد فكيف (و) قد انضم اليه (السكينة) أى وقار الظاهر مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يحس به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره (ان تظهر فيه آثارها) هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو (البأساء) أى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال كامر فعلم أنه صلى الله عليه وسلم لما أودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء فى حالة السراء كهو فى حالة البأساء فلا تؤثر فيه البأساء البتة (وتخال) أى تظن أنت (الوجوه ان قابلته) أى عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوى خجله حتى كأن تلك الوجوه عند ذلك التلون (ألبستها ألوانها) هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو (الحرباء) المشهورة ومن شأنها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة (ف) بسبب هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان (اذا شمت) بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه (بشره) أى طلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم (ونداه) أى جوده أى اذا تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه (اذهلتك) أى أنستك ما أنت بصدده (الانوار) الباهرة التى تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه صلى الله عليه وسلم (والانواء) جمع نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم أو وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهو هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وأمله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر

(قوله وأما جزم الشارح) أى وكذا الشارح المالكى (قوله نعم يمكن الخ) تقدم دعواه لذلك فى شق عن قلبه وشق له البدر (قوله وفى البرء الخ) كان الاولى تقديمه على هذا البيت لانه متعلق بالبيت الذى قبله (قوله المطرف) فيه ان المطرف كما فى البديعيات وشروحها ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه و بين المذيل فانه ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى آخره فصار له كالذيل اه فكان الصواب ان يقول المذيل بدل المطرف على ان الحرف الزائد لم يقع طرفا بل وسطا لانه قبل الهمزة الواقعة طرفا فليس مذيلا أيضا مثال المذيل قول البهاء زهير

أشكو وأشكر فعله
فاعجب لشاك منه شاكر
طرفى وطرف النجم فيـ * ـك كلاهما ساه وساهر

فكان المناسب ان يقول بدل المطرف الناقص الاعم من المطرف والمذيل كما هو معلوم من فنه (قوله العود) أى كالعود الهندى اذا أزيل عنه القشر المانع لكثرة طيب رائحته فانه يظهر ظهورا تاما للشام (قوله ألحوه) لحوا ولحيته ألحيه لحيا (قوله يغشى) بضم الياء (قوله الحرباء) وهى دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها كما فى القاموس وتطلق على مسمار الدرع أو رأسه فى حلقة الدرع والظهر وذكر أم حبين وعلى الارض الغليظة كما فى القاموس أيضا (قوله اذا تطلعت الى مخايله) أى محاسنه

(قوله الجناس اللاحق) لبعد مخرجي الراء والهمزة (قوله أي واعطاؤها) فالعطاء اسم مصدر لاعطى (قوله لبراءتها) أي براءة صاحبها اذ هو المتصف بالبراءة من الغرض حقيقة (قوله ثم خفف بحذفه) أي بعد نقل حركته للساكن قبله (قوله وبينهما تجنيس الخ) أي وتجنيس شبه الاشتقاق لان أحد اللفظين ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق حتى يكون جناس اشتقاق فان السيل هنا اسم للماء الكثير الجاري كما ذكره الشارح تأمل (قوله التحريف والتصحيف) ذكر شراح (١٤١) البديعيات ان جناس التصحيف ما أبدل حرف

والانوا للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى نحو لا تدركه الابصار الآية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمنى رؤية الوجه المكرم واستتبعه باوصافه العلية أخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها العلية فقال (أو) ليته خصني (بتقبيل راحة) أي بلثمي في اليقظة أو النوم نظير ما مر لكفه التي (كان لله) أي لاجله ابتغاء لوجهه تعالى دون غرض آخر (وبالله) أي بسبب شهود اعانته وحده (أخذها والعطاء) اسم مصدر بمعناه أي واعطاؤها لبراءتها من كل غرض ينافي الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها في شيء منذ أفاض الله عليها خوارق جوده الا مع شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم في تصرفها كانت (تتقى) بفتح التاءين أي تخاف وتحذر (باسها) أي شدتها في الحرب (الملوك) كقيصر وكسرى والمقوقس الى ان ظفرها الله بجميعهم (و) كانت (تحظى) أي تفوز (بالغنى) الحسي والمعنوي (من) بعض (نوالها) أي عطائها (الفقراء) لانه صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه نظراؤه وبين الاخذ والعطاء والملوك والفقراء وتتقى وتحظى تجنيس التقابل (لا تسل) أصله بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ في سال سائل (سيل) وهو الماء الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف (جودها) بفتح الجيم وهو المطر الغزير أي لا تسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شيء لا يقدر أحد من البشر قدره بل (انما) الذي يليق بك ان تسأل ما (يكفيك) وهو ان يصل اليك (عن وكف) أي قطر (سحبها) جمع سحاب (الانداء) جمع ندى وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه في الدنيا والآخرة ومن أوصاف تلك الراحة العلية أيضا انها (درت الشاة) أي أرسلت لبنها الغزير (حين مرت عليها) فبسبب ذلك صار (لها) بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها فحل قط (ثروة) أي كثرة اللبن (بها) أي بسبب تلك الراحة الكريمة (وغناء) أي زيادة في تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب من رابغ على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقي وتطعم وكانوا في غاية القحط والجهد فطلبوا منها اللبن واللحم ليشتروه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها فقال هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك والله ما ضربها فحل قط فقال

من أحد ركنيه بحرف آخر على صورته في الخط واختلفا لفظا ويسمى جناس الخط كقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والجناس المحرف ما اتفق ركناه في أعداد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي واذا اجتمع فيه التصحيف والتحريف صار مشوشا كقول الحريري

* زينت زينب بقد يقد *

وبه تعلم انه ان أريد في تعريف جناس التصحيف بالحرف المبدل كونه في موضع المبدل منه كما في الآية فان النون واقعة في موضع الباء أي بين السين والواو وما في المتن ليس منه لاختلاف الموضع وان أريد الاعم كان منه وان كانت أمثلة أهل البديع تأباه وأما كونه جناسا محرفا فغير ظاهر لاشتراطهم التوافق في الترتيب ولم يوجد ذلك في النظم لان التاء في أول أحد الركنين والباء في وسط الآخر فتأمل ثم رأيت في شرح بديعية لبعض الادباء عدم ذكر الترتيب في حقيقة الجناس المحرف وحينئذ فيظهر وجود الجناسين في النظم كما ذكره الشارح اهـ لكن في شرح بديعية الصفي الحلي ما نصه وأما المحرف فهو ما تماثل ركناه في الحروف وتخالفا في الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما كما في الحديث المذكور اهـ وعليه فليس تسل وسيل منه لعدم مماثلة التاء للياء اللهم الا أن يراد المماثلة في الصورة سواء تماثلا نطقا كما في الحديث أولا كما في النظم ويكون الفارق بينه وبين المصحف اختلاف اللفظ في المصحف واختلاف الشكل في المحرف فتدبر (قوله لا يقدر أحد) أي لا يطيق حصره وضبطه (قوله وكانت برزة) قال في القاموس وامرأة برزة أي بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة شديدة جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهي عفيفة (قوله في كسر الخيمة) بفتح الكاف وكسرها وسكون السين أي جانبها

صلى الله عليه وسلم أتأذنين لى ان أحلبها فقالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فعقلها ومسح ضرعها بيده وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب بيده مرة أخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا ذكر ذلك أصحاب السير وغيرهم * ومن أوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه (نبع الماء) بها أى بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها أما الاول فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة و وردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعى رضى الله تعالى عنهما ان هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين لان الحجر يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما فى الصحيحين عن أنس ان الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الماء فأتى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخارى كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين أصابعه ومن أطراف أصابعه صلى الله عليه وسلم وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتى بها فصبها صلى الله عليه وسلم فى صحفة ثم وضع صلى الله عليه وسلم راحتيه فيها فتحلبت عيون من بين أصابعه فرواهم وابلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية لاحمد عنه فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة وظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وهو ما صححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير أصل نعم فى رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن يابسة ووضع صلى الله عليه وسلم يده فيها فنبعت عيون الماء وأما الثانى ففى مسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حين يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى فسبق رجلان ومساه قبل أن يأتى صلى الله عليه وسلم فسبهما ثم اغترفوا له قليلا منها فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة فى العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماءها قد ملأ بساتين وعمرانا وفى رواية الموطا وغيره فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وصح عن مقاتل فى بعض رواية ان العطش اشتد بهم فى غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقى على كبده فسأله أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم أتحبون ذلك قال نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها جاوزت العسكر وفى البخارى فى غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة أمرهم بوضع سهم من كنانته فى محل الماء ففاض ومرة بوضع يده الشريفة فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم * ومن أوصافها أيضا انه (أثمر النخل فى عام) أى فى سنة غرسه (بها) أى بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل فى قصة سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه التى ذكرها أصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر

(قوله حلبا) بفتح اللام أى لبنا محلوبا (قوله فتفاجت) أى فتحت رجليها للحلب (قوله ودعا باناء) جمع آنية كسقاء وأسقية ورداء وأردية وجمع الآنية أوان ووقع فى الوسيط وغيره من كتب الخراسانيين اطلاق الآنية على المفرد وليس بصحيح اه من التحرير للنووى (قوله وعدل اليها) أى الى بها المذكورة بعد قوله أثمر النخل فى عام لانها تنازعها نبع وأثمر (قوله من التواتر الخ) تقدم عند شرح قوله

* وسلوه وحن جذع اليه *

بيان التواتر اللفظى والمعنوى فراجعه ان شئت (قوله ينظرونها) أى المطرة المعلومة من السياق (قوله بوضع يده) كان الظاهر حذف الباء أى ومرة وضع بلفظ الماضى اذ يبعد أن يكون أمرهم بوضع يده ثم هذا مكرر مع ما سبق عن جابر وقد يقال بتعدد وضع اليد فى الركوة فلا تكرار (قوله وكان مسترقا) أى مدعى رقه بالكذب اذ هو حر كما سيأتى فى شرح قوله كان يدعى قنا

وأربعين أوقية ذهبا ثم أخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فماماتت منها واحدة حتى أثمرت كلها فى عامها وفى رواية توقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم وأعادها فساوت البقية فأداها وبقى عليه الذهب فجاء للنبى صلى الله عليه وسلم مثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها صلى الله عليه وسلم له فقال وأين تقع هذه مما على قال صلى الله عليه وسلم خذها فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية * ومن أوصافها أيضا انه (سبحت بها) أى فى راحته صلى الله عليه وسلم (الحصباء) أى الحصى كما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان فقبض صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن أبا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم أخذها الحاضرون فلم تسبح مع أحد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصا الا طريق واحدة مع ضعفها لكنها مشهورة عند الناس اه نعم أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى فتح البارى عن الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مرض فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه فسبح *(تنبيه)* تسبيح الجماد كالطعام والحصا معناه ان الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به * ومن أوصافها العلية أيضا انه (أحيت المرملين) أى الذين نفد زادهم من القحط حتى أشرفوا على الموت فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز أيضا فهو استعارة تبعية (من موت جهد) أى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان يباقريا للموت أطلق عليه اسمه (أعوز القوم) عدل اليه عن اعوازهم الذى هو القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب فى مثله شائعا ذائعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرملين قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظى وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فأفاد القوم مالم يفده المرملين (فيه) أى ذلك الجهد (زاد وماء) من أعوزه الشئ اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال فى طعام المسافر اشعارا بأنهم لما حصلت لهم تلك الشدة التى أدت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق كالرى والشبع المفهومين مما يأتى (فـ) بسبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم الطعام والماء القليل جدا حتى (تغدى) بالدال المهملة أى أكل وقت الغداء وهو ما قبل الزوال (بالصاع) الواحد وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا (ألف جياع وتروى بالصاع ألف ظماء) جمع ظامئ أى عاطش أما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تارة وببركة دعائه تارة أخرى فتقدم الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع فيه المراد به

(قوله فوزن لهم منها الخ) قال سلمان والذى نفس سلمان بيده وزنت لهم منها أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم (قوله نفد) من باب تعب أى فرغ (قوله لازالة ايهام الخ) أو لضرورة النظم أو دفعا لتوهم اختصاص ذلك بالمسافرين فقد قال البرلسى فى شرحه المرملين جمع مرمل من أرمل اذا فقد زاده فى السفر والمراد هنا فقد الطعام مطلقا (قوله احيائه) مقتضى السياق احيائها أى الراحة وان كان ما ذكره صحيحا أيضا (قوله بالدال المهملة) وأما بالذال المعجمة مطاوع غذيته بالتشديد فمأخوذ من الغذاء بالكسر وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب يقال غذوت الصبى باللبن من باب عدا أى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا ويقال غذيته مشددا اه مختار (قوله وهو ما قبل الزوال) قال فى القاموس الغداء طعام الغدوة والجمع أغدية وتغدى أكل أول النهار اه فقول الشارح وهو أى الغداء ما أى طعام يؤكل قبل الزوال انظر ابتداء تسميته غداء من أى وقت وقد يؤخذ من قول القاموس وتغدى أكل أول النهار ان ابتداءها الفجر وأما العشاء كسماء فقد قالوا هو ما يؤكل بعد الزوال وانظر غاية تسميته بذلك قال فى القاموس العشاء كسماء طعام العشى والجمع أعشية اه وقال قبل والعشاء كبناء أول الظلام أو من المغرب الى العتمة أو من زوال الشمس الى طلوع الفجر اه فان كان المراد بالعشاء كسماء ما يؤكل فى وقت العشاء كبناء فالمناسب المعنى الاخير فيكون انتهاء تسمية ما يؤكل بعد الزوال عشاء الفجر فتدبر وغير خاف حدوث تسمية خاصة لبعض ما يؤكل بين الزوال والفجر بفطور لما يأكله الصائم عند الغروب وسحور بفتح السين لما يأكله الصائم بعد نصف الليل وقبل الفجر (قوله والتعبير بالصاع فيه الخ) مقتضاه ان التعبير بالصاع فى التغدى على حقيقته وهو ظاهر فى رواية جابر للتصريح فيها به وأما فى بقية الروايات بعدها انما يظهر اذا كانت الاقراص فى قصة أبى طلحة وفضل الازواد فى قصة عمر والحيس فى قصة أم أنس وما فى القصعة فى قصة سمرة مقدار صاع فى كل منها تأمل

الماء القليل كما يعلم مما مر وانما ذكره على جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة وفى بعض المواطن كانوا ثلثمائة وفى بعضها كانوا أقل وفى غزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة وأما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى الصحيحين عن جابر رضى الله تعالى عنه انه رأى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا أى سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم وأخبره وطلب ان يأتى بنفر معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم ثم أمره أن لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجىء فلما جاء صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين وبارك ثم فى البرمة وبارك ثم أمرها أن تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم ألف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما أيضا الا بعض زيادات ففى مسلم عن أنس رضى الله عنه فى غزوة الخندق أيضا ان عمه زوج أمه أبا طلحة عرف جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فأخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطتها لانس ولفت طرف الخمار على رأسه مرتين كالعمامة وأرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد أى الموضع الذى أعده لمحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقال له أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال ألطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم أنس فأخبر عمه فقال يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فتلقى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمى يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ففت وعصرت عكة سمن فأدمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تعالى أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا ثم قال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا بقية وفى طرق هذه القصة ما يقتضى تعددها وأدخلهم عشرة عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول أنس نعم اما لاستحيائه من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه النبى صلى الله عليه وسلم وحده واما لان من أرسله ذكر له انه اذا رأى كثرة الناس دعاه وحده وفى رواية ان أبا طلحة قال انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ادخل فان الله تعالى سيبارك فيما عندك وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع فى الجفنة وفى أخرى أن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرى أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم أنهم فى غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو بفضل أزوادهم ثم يدعو الله تعالى لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شئ يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فما تركوا فى العسكر وعاء الا وملؤه فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الحديث وفيهما عن أنس أيضا أن أمه أرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة فى تور وهو عروس بزينب فأمره أن يدعو من لقى فدعا من لقى فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم

(قوله وبالالف الخ) على أن التعبير بالالف لا ينفى الزيادة عليها لكن يحتاج لما ذكره الشارح لشمول الاقل من الالف (قوله وبالالف) أى فى التغدى والتروى بقرينة ما يأتى أن عدد الآكلين كانوا ثمانين غير رسول الله وأهل البيت فى قصة أبى طلحة وقدر ثلثمائة فى قصة أم أنس (قوله وشاة داجنا) (١٤٤) الداجن التى تألف البيوت من الشياه وتطلق أيضا على كل ما يألف البيوت من طير أوغيره كذا فى اللغة فليس السمن من مدلول الداجن فقول الشارح أى سمينة زائد على مدلوله فلعله اطلع على كونها متصفة بذلك (قوله صنع سورا) قال النووى فى شرح مسلم السور بضم السين واسكان الواو غير مهموز وهو الطعام الذى يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهى لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله تكلم بالفاظ غير عربية (قوله فحيهلا) بتنوين هلا وعدمه (قوله ألطعام) باللام كما يدل عليه قوله فقال الخ اذ لو كان بالباء لطلب الطعام فما فى بعض النسخ من الباء الموحدة بدل اللام غير ظاهر (قوله عكة) بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد للسمن خاصة وقوله فادمته بالمد والقصر لغتان آدمته وأدمته اه من شرح مسلم للنووى (قوله مسح القرص) المراد الجنس لما تقدم ان الذى أتت به من الخبز أقراص (قوله بحيسة) قال فى المختار الحيس تمر يخلط بسمن وأقط (قوله فى تور) الثور بالمثلثة القطعة من الاقط اه صحاح وأما بالمثناة من فوق المفتوحة والواو الساكنة فهو اناء نحو القدح اه من شرح مسلم والظاهر انه هنا بالمثناة (قوله زهاء) بضم الزاى والمد اى قدر اه شرح مسلم

دعا

دعا عشرة عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب أنهم تداولوا القصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة و يقعد عشرة قيل له فما اذا كانت تمد قال ما كانت تمد الامن ههنا وأشار الى السماء (و) منها أنه (وفى قدر بيضة) أى بيضة دجاج (من نضار) أى ذهب (دين سلمان) الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر آنفا مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة (حين حان) أى قرب (الوفاء) أى حلول الاجل و بين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان أنه (كان يدعى قنا) أى أرق بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من أصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة النصارى فأعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده فقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم فأرسل يسأل من النصارى عن علماء دينهم فقالوا بالشام فأرسل اليهم اذا جاءكم أحد من الشام فأخبرونى ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها وسأل عن أعلمهم فدل عليه فخدمه الى أن مات ثم خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه فأخبره وخدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بنصيبين فجاءه وأخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بعمورية من أرض الروم فلما احتضر قال له ذلك قال يابنى ما أعلم أحدا على ما كنا عليه آمرك أن تأتيه وانه أظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من أرض العرب يهاجر الى أرض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بأرضه فافعل ثم مات فمر بى نفر من كلب فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم ما عندى فحملونى فلما بلغوا وادى القرى ظلموه فباعوه من يهودى فباعه من ابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما أنا أجنى لسيدى تمرا جاء ابن عمه فقال له قاتل الله بنى قيلة وهى أم الاوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى فأخذتنى رعدة وشدة حتى ظننت أنى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال مالك ولهذا أقبل على عملك فلما امسى أخذ شيأ جمعه وذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة فأمر أصحابه بأكله ولم يأكل فجمع شيأ آخر وأتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فأكل هو وأصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره صلى الله عليه وسلم فعرف النبى صلى الله عليه وسلم أنه يتأمله لشئ وصف له فألقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه وأسلم فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب فكاتب نظرا الحالته الراهنة والا فهو من جملة الاحرار الذين هم أتباع حوارى عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية من ذهب فغرس له النخل فأثمرت من عامها وأعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين (فأعتق) باداء النجوم (لما أينعت) أى نضجت (من نخيله) حال من قوله (الاقناء) جمع قنو وهو العذق أى العرجون ولاجل ماذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبى صلى الله عليه وسلم أخذته الرعدة والشدة وهو على رأس نخلة يجتنيها السيده وشاهده سيده منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه بلغ أمره ونعته الاباعد والاقارب لما فهم أن له تلفتا الى سماع خبر النبى صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمن نبى عربى كريم فنكون أول من يتبعه ونقتلكم

(قوله دين سلمان) كان من المعمرين عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين والاول أصح (قوله الناقص) أى المذيل لزيادة حرف فى آخر احدى كلمتى الجناس (قوله اللاحق) لبعد مخرجى الحاء والدال ومخرجى الياء والالف وبين حين وحان شبه جناس الاشتقاق (قوله بعمورية) بفتح أوله وتشديد ثانيه من أرض الروم كان ملكها يركب فى مائة ألف فارس وكان حولها ألف عمود على كل عمود راهب لا ينزل منه الا بالموت وكانت مركز قيصر ومنها كان يستعد للغارات على بلاد المسلمين الشام والجزيرة وغيرهما ففتحها المعتصم (قوله بقباء) بالمد يذكر ويؤنث ويقصر أيضا كما فى المختار وفى القاموس انه بضم القاف (قوله بالبقيع) ويقال له بقيع الغرقد بالغين المعجمة وأصل الغرقد شجر عظام أوهى العوسج اذا عظم واحده غرقدة وأضيف البقيع الى الغرقد لانه كان منبتها اه قاموس وعبارة المختار البقيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه يسمى بقيع الغرقد وهى مقبرة بالمدينة والاروم جمع أرومة بفتح الهمزة وضمها وهى الاصل أى أصول الشجر (قوله نضجت) بكسر الضاد أى أدركت (قوله العذق) بكسر العين المهملة وأما العذق بفتحها فهو النخلة كذا فى حاشية السيرة الهشامية للغشنى (قوله ونقتلكم) أى على زعمهم انه صلى الله عليه وسلم يكون معينا لليهود على الانصار

معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به أكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض الناظم رحمه الله تعالى لموالى سلمان منكرا عليهم اذ لم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ماشاهدوه من حال سلمان بل زادوا فى الطغيان بضربه فقال (أ) تلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به (فلا تعذرون سلمان) أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته صلى الله عليه وسلم (لما) أى حين (ان عرته) أى غشيته (من) أجل (ذكره) أى ذكر اليهودى لقربه النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا (العرواء) أى قوة الحمى ومسها فى أول أخذها الانسان بالشدة والرعدة وماذكرته فى تقرير هذا البيت المطابق لما فى قصة سلمان والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد والبهتان أولى مما وقع للشارح فى تقريره على ما فيه من النظر كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق (و) من أوصاف تلك الراحة أيضا انها (أزالت بلمسها) لمن به أمراض أعيت الاطباء (كل داء) به (أكبرته) أى استعظمته وعجزت عن برئه (أطبة) جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل ورفع الحاصل (واساء) بكسر الهمزة أى مرضى جمع آس كراع ورعاء روى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى *(فائدة)* روى البخارى ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط (و) من أوصافها أيضا انه برئ بها (عيون) باصرة (مرت بها) تلك الراحة (وهى رمد) أى معطلة الابصار (فأرتها) أى تلك الراحة تلك العيون (ما) أى الشئ البعيد الذى (لم تره) فيه مع أرتها جناس الاشتقاق (الزرقاء) المشهورة بزرقاء اليمامة التى كانت تنظر من مسيرة ثلاثة أيام *روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال أين على ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما فى رواية أخرى قالوا يشتكى عينيه قال ارسلوا اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبرانى عن على رضى الله تعالى عنه فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومى هذا *(فائدة)* روى ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان قد وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط الابيض فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان (و) منها أيضا انها (أعادت على قتادة) بن النعمان رضى الله تعالى عنه (عينا) له ذهبت (فهى حتى) أى الى (مماته النجلاء) أى الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه أصيبت يوم أحد فوقعت على وجنته فاتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى تقذرنى فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من أنت فقال

(قوله العرواء) بضم العين المهملة وفتح الراء قال ابن سيد الناس فى سيرته العرواء الحمى النافض والبرحاء الحمى الصالب والرحضاء الحمى التى تأخذ بالعرق والمطواء التى تأخذ بالتمطى والثؤباء التى تأخذ بالتثاوب (قوله أولى مما وقع للشارح) عبارة الشارح ومن ذلك قصة سلمان الفارسى حيث وفى دين كتابته لمواليه وقد كان شيأ كثيرا من قطعة ذهب قدر البيضة أعطاها له ومما حصل من ثمار نخيله التى غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهى ثلثمائة ودية ولاجل ذلك الذى رآه من عظيم آياته وبركته كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم تأخذه الرعدة انتهى وكذا صنع الشارح المالكى فقال وكان اذا ذكر تلك البركة أخذته الرعدة كما تأخذ المحموم من الحمى ثم ساق قصة سلمان التى ساقها الشارح لكن فاته الاشارة كالجوجرى الى ان مراد الناظم بالعرواء الرعدة الخاصة بالقصة المذكورة المشتملة على الانكار والتبكيت بطريق بليغ فما فعله الشارح رحمه الله تعالى أولى وأفيد كما قال (قوله فائدة روى البخارى الخ) هذا ليس مما الكلام فيه وهو ازالة الداء ببركة لمس الراحة وانما ازالته ببركة ريقه الشريف وكذا يقال فى قصة عينى فديك الآتية ولعل هذا هو السر فى تعبيره فى كل منهما بقوله فائدة فكأنه يقول فائدة زائدة عن المقام لمناسبة لا تخفى تأمل (قوله رمدت) من باب طرب انتهى مختار (قوله وعند الحاكم الخ) هذا هو الملائم للمقام وأما رواية البخارى التى قبل هذه فالبرء فيها من ريقه لا من كفه تأمل (قوله والقر) أى البرد (قوله واسعة النظر) أى لا واسعة الجرم عن الاخرى لان ذلك يشوه (قوله تقذرنى) القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقذرت الشئ من باب طرب

ابونا

أبونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى اى ارد
فعادت كما كانت لاوّل أمرها * فياحسن ماعين ويا حسن ماخد

فوصله عمر رضى الله عنه وأحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى فأتيت بهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما و بصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عنه كنت يوم أحد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتها بان أحد الرواة ظن أن الساقط واحدة وبعضهم على انه ثنتان فأخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية الثنتين (أو) ليته خصنى فى اليقظة أو النوم نظير ما مر (بلثم) أى بتقبيل (التراب) المنفصل (من قدم) له صلى الله عليه وسلم موصوفة باوصاف جليلة كثيرة كسابقها منها انها كانت اذا مشت على حجر (لانت حياء) أى لاجل أو من جهة استحيائها منها واجلالها (من) أجل (مسها) أى تلك القدم الكريمة لها (الصفواء) أى الحجارة الصلدة فاعل لانت وأعيد ضمير مسها وما بعده عليها التقدمها رتبة ونبه بذلك على أنه ينبغى لك أيها العاقل أن تستحى من مخالفتك ماجاء عن نبيك صلى الله عليه وسلم لانك اذا علمت أن الحجر الاصم استحى منه أن يبقى على صلابته مع مشيه عليه صلى الله عليه وسلم فتشق عليه صلابته فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه فأنت أولى بالاستحياء منه ان تبقى على مخالفتك مع علمك بجليل أوصافه وعلى أخلاقه صلى الله عليه وسلم ثم هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة الجلال السيوطى فى خصائصه ومما أورده رزين صاحب الصحاح فى خصائصه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وذكر الحافظ التبريزى الحنبلى تلميذ ابن القيم ذلك فى خصائصه فقال وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا أبلغ ثم قال وأعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لانت تحت أقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة الجارية وقال فى أوّل كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبى من المعجزات وما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وماله من الفضائل والفواضل (موطئ) بدل من التراب (الأخمص) بضم الميم والمراد به الجنس أى الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان البالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبى امامة كان

وتقذرته واستقذرته أى كرهته انتهى مختار (قوله ندرت) أى سقطت (قوله ويجمع بين رواية الخ) هذا الجمع قد ينازعه ما فى الواحدة من الزيادة بنحو قوله اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا فتأمله اذ هو ظاهر أو صريح فى سلامة الاخرى فيعارض فسقطتا على وجنتى الذى هو نص فى عدم سلامتهما معا وانما كان يتجه الجمع لو اقتصر فيها على قوله ندرت منه حدقتى انتهى طبلاوى (قوله واجلالها) يقتضى ظاهره ان النسخة التى شرح عليها لفظة مسها بالسين المهملة من المس لا مشيها بالشين المعجمة والاقبال عليها أى الصفواء وقوله آنفا اذا مشت على حجر يقتضى ظاهره ان النسخة مشيها والخطب سهل (قوله الصلدة) الصلد هو الصلب الاملس (قوله وأعيد ضمير الخ) حرره فان الضمير قد أعاده على القدم وهى متقدمة رتبة ولفظا والمتقدم رتبة فقط هو الصفواء وأيضا ليس بعدها ما يعود ضمير منه عليها فى كلام الناظم نعم ضميرانها فى كلام الشارح عائد على الصفواء فيصح أن يقال فيه أعيد عليها المذكور وكذا ضمير استحيائها وضمير اجلالها السابقين (قوله لكن بلا سند) وفى فتاوى الشارح هل ورد انه صلى الله عليه وسلم لان له الصخر وأثر قدماه فيه وانه اذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه وانه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة وان الاثر الموجود بها الآن أثر قدمه وانه صلى الله عليه وسلم لما جاء الى بيت أبى بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق فى الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق بمكة زقاق المرفق فاجابه بقوله أجاب الحافظ السيوطى لما سئل عن ذلك كله فقال لم أقف على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه من كتب الحديث انتهى وقد ذكر الائمة ان الحافظ اذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا أعرفه دل على عدم وروده (قوله الاخمص بضم الميم) فى شرح ابن عبد الحق بفتح الميم على الاشهر (قوله والخمصان) بضم الخاء وفتحها (قوله البالغ فيه) أى الخمص المفهوم من الخمصان

(قوله اذا مضجعي) بفتح الجيم انتهى ابن عبد الحق (قوله أي أصابه القضض) عبارة ابن عبد الحق أي أصابه تراب منه ثم قال وصف ذلك التراب بانه اذا أصاب مضجعه من ترابه كان فراشا في الحقيقة لقلبه يستريح باضطجاعه عليه أعظم من استراحته باضطجاعه على الفرش اللينة (قوله كما ان الفراش الخ) (١٤٨) فيه ان الفراش انما يصون من تعب البدن الظاهر من نحو يبوسة لا من الخواطر والشغل بالاغيار فكان الظاهر أن يقول كما ان الفراش يصون من تعب الظاهر فتدبر (قوله وهذا أولى وأظهر الخ) عبارة الشارح في الاعراب وموطئ الاخمص يصح جره بدلا من التراب ورفعه خبرا لمبتدا محذوف والاخمص مضاف اليه والمراد الجنس الصادق باخمص الرجلين معا الذي صفة الاخمص وهو موصول صلته للقلب منه وطاء ووطاء مبتدأ وللقلب خبر ومنه صفة وطاء تقدمت عليه فصارت حالا ومضجعي اقض اسمية في محل جر باضافة اذا اليها وأفادت اذا شرطية الجملة التي تليها للجملة المتلوة بها ثم قال المعنى تمنى تقبيل موطئ قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم التي لانت لممشاها الحجارة الصم استحياء منها ان تستمر على صلابتها مع مسها لها وعبر عنها بالاخمص تعبيرا بالبعض عن الكل وان موضعها يكون وطاء لقلبه ومهادا له لشدة ميله اليه اذا خشنت المضاجع (قوله حظى) بفتح الحاء انتهى ابن عبد الحق أي حصل له بذلك حظوة بكسر الحاء وضمها كما في القاموس أي منزلة رفيعة على غيره من البقاع التي لم يمش فيها ورأيت في كلام بعضهم فتح الحاء أيضا ولم أره في القاموس ولا في المختار لم

(قوله ايلياء) بالكسر يمد ويقصر ويشدد فيهما والياء بياء واحدة ويقصر انتهى من القاموس (قوله أي بيت المقدس) ويقال القدس والقدس بالسكون والتحريك والمسجد الاقصى وصهيون كبرذون بكسر الصاد المهملة والزيتون أيضا يقال لمسجد بيت المقدس اه من مثير الغرام الى زيارة القدس والشام (قوله ورمت) يقال ورم يرم بكسر الراء فيهما وهو شاذ اه مصباح (قوله تفطرت) أي تشققت

صلى الله عليه وسلم لا أخمص له يطأ على قدمه كلها الان المراد ان أخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون وان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم (الذي) نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بالتكلف (منه) صفة للمبتدا الذي هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا (للقلب) خبر للمبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومر المراد بالقلب والخلاف في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير (اذا مضجعي) أي جنبي الذي أضطجع عليه (اقض) بالقاف والمعجمة أي أصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس (وطاء) أي فراش وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه أصابه تراب فراشه الذي هو من جملة ذلك التراب سرى سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فأناره وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاهوال كما ان الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا أولى وأظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتأملهما ومن أوصافها أيضا انه (حظى المسجد الحرام) يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في القرآن في مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا في نحو قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام (بممشاها) أي بمشي تلك القدم فيه أي فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه أكثر العلماء بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب أرض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذي يرويه مفضلو المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية أبو عمر بن عبد البر وصرح بان افضلية مكة هي الحق عند من ألهم رشده وبرئ من التعصب (ولم ينس حظه) منه (ايلياء) أي بيت المقدس بل شرف بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه أيضا وصلاته فيه بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسراء كما جاء ذلك في الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه هو الذي أنشأ شرفها كما قال في الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة أي نزل تحريمها على لساني ولم يسبق زمني بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما في حديث البخاري وغيره فحديث البخاري وغيره أيضا ان ابراهيم حرم مكة معناه أظهر حرمتها الاغير جمعا بين الحديثين فانه متعين ما أمكن وليس الكلام فيما أنشأ حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبل على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره حينئذ ففضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين حظى وحظه كورمت ورمى تجنيس شبه الاشتقاق ومن أوصافها أيضا انها (ورمت) كما في حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي رواية لهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها قام نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له

(قوله فلما بدن) من باب ظرف أى سمن فقوله وكثر لحمه تفسير (قوله قام فقرأ) انظره فانه انما جلس ليقرأ المشقة طول القيام مع البدانة وحينئذ فقيامه لمحض الركوع من قيام لا للقراءة قبله (قوله أى طأ الارض) انما يظهر ذلك على القراءة الشاذة بسكون الهاء لتكون بدلا من الالف أو هاء السكت قال البيضاوى وقرئ طه على انه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت فى يطأ ألفا كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وقوله على احدى رجليه قال فى الخازن ليراوح بين قدميه (١٤٩) فى الصلاة لطول قيامه وقوله ثم بنى عليه أى على

لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير أترك تهجدى فلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف أتركه قال ابن بطال شارح البخارى فى هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار اهـ قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فأنزل الله تعالى عليه طه اى طأ الارض بكل قدمك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (اذ) أى وقت أو لاجل انه (رمى بها ظلم الليل) فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريف بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله تعالى أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل صولة عدوه ووطأته فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى بها فى النفس واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقى للباء على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من أو عن وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف أو سعة رجاء بين الناظم رحمه الله تعالى أن قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما أفاده قوله صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه فان خوفه ورجاءه صلى الله عليه وسلم اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال (الى الله) خبر مقدم (خوفه) منه قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله تعالى وأخوفكم منه (والرجاء) أى وسعة أمله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه عن أن ينظر أو يميل الى غيره طرفة عين بل هو دائم المثول فى حضرات الشهود الاقدس والتملى بمعالى القرب الانفس ووقع للشارح رحمه الله تعالى حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته أولى وأنسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متأمل ثم رأيت القرطبى أشار لما ذكرته حيث قال ظن من سأله فى حديث الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فأفادهم أن هناطريقا آخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وفى الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد فى العبادة والخشية من ربه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم

المضارع وعلى فتح الهاء يكون ذلك قسما أى أقسم الله بطوله وهدايته فالطاء مقتطعة من طول والهاء من هداية وقيل هو اسم من أسماء الله أى مأخوذ من اسمين لله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى كذا فى الخازن (قوله يزيل صولة عدوه) أى سطوته واعتداءه (قوله ووطأته) أى قيامه (قوله وبهذا التقرير الخ) لم أر ما نسبه للشارح والذى فى نسخة صحيحة منه ما نصه ورمت جملة فعلية فاعلها ضمير يعود على القدم اذ ظرف أى وقت قيامه عليها الليل ورمى بها فاعله يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وبها متعلق برمى وضميره للقدم والجملة فى محل جر باضافة اذ اليها وظلم الليل مفعول ومضاف اليه وخوفه مبتدا والرجاء معطوف على المبتدا والى الله خبر المبتدا وما عطف عليه أى الامران منه يتقرب بهما الى الله (قوله دائم المثول) قال الجوهرى مثل بين يديه مثولا أى انتصب قائما اهـ قال فى المختار وبابه دخل وقال فى النهاية ومنه من سره أن يمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار أى يقومون له قياما وهو جالس يقال مثل الرجل يمثل مثولا اذا انتصب قائما ودوام المثول حال المراد لله المحبوب له فانه بمحبته له ينسيه ما عداه فيعبده لذاته خالصا سأل رجل معروفا الكرخى أى شئ أهيج للعبادة وأقطع لهوى النفس فقال خوف الموت فقال وأشد من ذلك قال هول الموقف فقال وأشد من ذلك قال يا أخى ان أحببته أحبك وان أحببته أنساك هذه كلها وعبدته لاجله خالصا (قوله ووقع للشارح رحمه الله الخ) عبارته ووصف القدم المذكورة بأنها ورمت من طول قيامه عليها فى طاعة الله تعالى صلاة وخوفا ورجاء وان كل ذلك الصادر منه لله تعالى عصمه الله من الميل الى أعراض الدنيا صلى الله عليه وسلم

٢

انما ألزم الانبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم فى عبادته تعالى ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد اه وقيام الليل كان فى أول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لكن أكثر أصحابه على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى عبادة زائدة فى فرائضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه صلى الله عليه وسلم لاذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب وأما حديث اللهم انى أسألك الجنة وماقرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول أو عمل فهو تعليم لامته صلى الله عليه وسلم و بين الخوف والرجاء المقابلة ومن أوصافها أيضا انها (دميت) أى خرج دمها (فى الوغى) قال الشارح هو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا اه (لتكسب) هى (طيبا ما) الذى (أراقته) (من الدم) بيان لما (الشهداء) جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله له فيها عند طلوع روحه أو مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل أراقت أى من حكم خروج الدم من رجله المشرفة أن يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رائحة دمهم كريح المسك كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بأنه كذلك وكان ينبغى للناظم أن يذكر هذا من أوصاف يده الكريمة لان الذى فى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت وقد يحمل كلام الناظم على ماسبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله تعالى فأبوا وأغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان أصل الوغى الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على أن لنا أن نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه أقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه شجاجا وهذا حرب أى حرب لان من أقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهون من غير أن ينزجر بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم أى محارب ويدل لذلك أن اغتنام عدوا من المتحاربين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الآخر وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمى سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل أولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولآلهتهم وبما قررته يعلم عذر الشارح فى صرفه الوغى عن معناه الحقيقى الى معناه المجازى وقال انه المراد هنا أى كما يقضى به سياق النظم لكن كان عليه أن يبين مايشهد لذلك المراد من كتب السير أو غيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمت وانها دميت فى الحرب ليكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا (فهى) حينئذ (قطب المحراب و) قطب (الحرب) أى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى ولا أخشع لله تعالى منه ولا أشجع كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء بها والمجاهدة معها كما قال (كم) أى مرات كثيرة (دارت عليها فى طاعة) الله تعالى حال من قوله (ارحاء) أى قبائل وهذا تذييل وقطب الرحا ماتدور عليه ويسمى أمير الجيش قطب

رحا

(قوله والجلبة) عبارة المختار الجلب والجلبة بفتح اللام فيهما الاصوات وعليه فهو من عطف المرادف وذكر قبل ذلك ان جلب يجلب جلبا بوزن طلب يطلب طلبا بمعنى صاح به من خلفه واستحثه للسبق وكذا جلب عليه وأجلبوا عليه تجمعوا (قوله تشهده) أى تحضره (قوله عند ذلك) أى خروج روحه (قوله وقد يحمل الى آخر ماذكره) انما يصح كون ماذكره من أوصاف رجله لاراحته فيقتضى أن المناسب ذكره من أوصافها أيضا فلم يستفد من ذلك الحمل الجواب عنه فتأمل (قوله أدموا رجليه) أى عراقيبه كما سيأتى التصريح بذلك وهى عصب فوق القدم فلا يطابق المدعى من كون الذى دمى قدمه فان ثبت نزول الدم من خصوص القدم بجرحها اتضح ماذكره من غير احتياج لتكلف جواب فتدبر (قوله أذلقته) بذال معجمة وقاف أى أضعفته (قوله فى طاعة) أى من صلاة وجهاد وغيرهما

رحا الحرب لانها تماندور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمتصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق (وأراه) أى اعلم انه صلى الله عليه وسلم (لو) هى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى ويصح ان ماجت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ماجت واعلم أن الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد أردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفته فأقول هى شرط للماضى غالبا واختلفت عبارات النحاة فى معناها حتى قيل انهم لم يفهموه وقال سيبويه هى حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف فى مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لاعكسه لان انتفاء السبب لايدل على انتفاء مسببه لجواز أن يكون للشئ أسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفى تعدد الآلهة بامتناع الفساد لاعكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز أن يفعله الاله الواحد سبحانه اه وردوا عليه وأطالوا وصوبوا أن المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بأن الجواب قد لايمتنع فى اماكن كثيرة نحو ولو أن مافى الارض من شجرة اقلام الآية وقول عمر رضى الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط أم لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف أم لا فلذلك حول جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفى التالى فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بأن لزم الثانى الاول عقلا أو شرعا أو عادة ولم يخلفه المقدم فى ترتيب الثانى عليه غيره لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم لتعدد الآلهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشئ ولم يخلف التعدد فى ترتب الفساد غيره فينتفى الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخلف الانسان فى ترتب الحيوان غيره كالحمار ويثبت الثانى مع انتفاء الاول ان لم يناف انتفاءه وناسبه اما بالاولى كاثر عمر المرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو أنسب للترتيب عليه أيضا فى قصده والمعنى أنه لا يعصى الله مطلقا لامع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن ان يعصيه أو المساوى كقوله صلى الله عليه وسلم فى بنت أم سلمة لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ماحلت لى انها لابنة أخى من الرضاعة رواه الشيخان أى لاتحل لى أصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم أو الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ماحلت للنسب الادون منه الرضاع (لم يسكن) هو (بها) أى بقدمه الشريف (قبل) بالبناء على الضم (حراء) مفعول يسكن بالصرف هنا لاغير لئلا ينزحف الوزن وفى غير هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين (ماجت) أى تحركت واضطربت (به) أى القدم أو النبى صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بها (الدأماء) اعلم أن الشارح رحمه الله تعالى تكلم على هذا البيت بما فيه خفاء ونظر لانه جعل مفعول أراه الثانى ماجت ولو لم يسكن شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال فى الدأماء هى بالمعجمة كأنه أراد بها سرعة الحركة وقال فى حله ومن أوصافه صلى الله عليه وسلم انه لو لم يسكن بالقدم المذكور حراء لما أراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه صلى الله عليه وسلم كما أنه لما صعد أحدا تحرك به فقال اسكن أحد فذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل اه ولم يظهر من هذا الحل مع ماقبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت فى غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على انه فى القاموس لم يذكر الذأماء بالمعجمة ولا لذأمه بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة ولا

(قوله واستفيد من ذلك الخ) قد يقال هذا لا يفيده جوهر اللفظ وان كان ماذكره ثابتا فى نفس الامر اذ المستفاد من جوهره أنها مركز دائرة خصوص العباد والمجاهدين فتدبر

مقاربالها أصلا واغاذكر لأن ذأمه ماقد يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته فى ذأمه بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده وخزاه والاذآم الرعب وماسمعت له ذأمة كلمة اه واغاذكر الدأماء بالمهملة فقال دأم الحائط كمنع دعمه وتدأم الماء الشئ غمره والفحل الناقة تجللها وتداءمه الامر كتفاعله تراكم عليه وتزاحم والدأماء البحر ثم قال وجيش مدأم كمنبر يركب كل شئ انتهى والذى يتجه فى حله ان ماجت جواب لو وان الدأماء بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم أشبه تحركه حينئذ تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذلا يستعمل ماج الافى الماء كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه لولم يسكن بقدمه حراء قبل أى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حراء الى آخر مامر فى شرح قوله فاهتز به للصلاة فيها حراء لماج أى استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان القياس لولم يسكن بقدمه الشريف قبل حراء ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الدأماء لافادة مافى تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذى مر فى حراء انه انما قال له اثبت أو نحوه ولم يضرب به بقدمه وانما الذى ضرب به بقدمه أحد وثبير فمن أين للناظم قوله لولم يسكن بها قبل حراء قلت كأنه نظر لما فى بعض الطرق فى مسند الحرث بن أسامة اذفيها أحد أو حراء بالشك وصح فى رواية حراء وفى رواية أحد فاقتضى ذلك أن الضرب بالقدم الكريمة فى حراء كما انه فى أحد ولك أن تحمل النظم على ان المراد لولم يسكن حراء قبل أى قبل طلوعه عليه هو وأصحابه بقدمه أى مشيه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حتى طلع عليه ثانيا هو وأصحابه وحينئذ لايرد على الناظم شئ الا أن يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت أواهدأ حراء فلاوجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بأنه لامانع أن المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لاينافى انه لامسكن غيرها ولك أيضا أن تجعل الدأماء الارض تسمية للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لولم يسكن بقدمه الكريم حراء أى بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره

(تنبيه) اشار صلى الله عليه وسلم فى أحد الى أن سبب تحركه به محبته له فقال أحد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابى والمراد يحب أحد حب أهل المدينة نحو واسئل القرية ورده البغوى وتبعوه بانه لامانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف حب الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة نظير مامر فى حنين الجذع لمفارقه صلى الله عليه وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم على قبل النبوة وروى البزار وأبو نعيم حديث لما أوحى الله الى جعلت لاأمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن به من فوره بين أن الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا لاحقيقون بأنه يقال فى شأنهم (عجبا) بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول (للكفار) أى منهم حال كونهم (زادوا ضلالا به) المعجزة القرآن وغيره (الذى فيه) أى فى كل فرد من افراده (للعقول) السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل ومافيه من الخلاف (اهتداء) الى الدين الحق الذى جاء به صلى الله عليه وسلم والى صحة ماتحدى به ويصح أن يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على مايشمل مابالقوة ومابالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان قارنها

(قوله ان ماجت جواب لو) أو مفعول ثان دل على جواب لو المحذوف كما سبق آنفا (قوله استعارة مرشحة) ذكر البيانيون أن الترشيح يجوز أن يكون باقيا على حقيقته وأن يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له فما ذكره الشارح جار على هذا الجائز الثانى بتشبيه تحرك الجبل بموجان البحر واستعارة الموجان للتحرك ثم اشتق منه ماج بمعنى تحرك ففيه استعارة تصريحية تبعية فهو ترشيح لفظا تجريد معنى وتسميتها مرشحة لجريانها فى الترشيح والا فهى تصريحية تبعية كما علمت (قوله أى استمر الخ) اذ هو الذى انتفى بمقتضى لو والا فأصل التحرك قد وجد لكن قوله الى آخر الدهر تحتاج استفادته الى عناية وقد يقال ان التحرك تحرك طرب ومن خلق الله فيه قوة ادراك سببه من حلول النبى ومن معه عليه لا يغفل عنه فلا ينقطع تحركه (قوله لكن لما احتاج الخ) فيه أنه لا يحتاج فى التشبيه المبنى عليه الاستعارة الى ذلك العدول لان الضمير فى ماج المعدول عنه كهذا الظاهر فى العدول اليه فى جريان الاستعارة وان اختلفت حقيقة الاستعارتين من أنها فى الظاهر مصرحة وفى الضمير مكنية نعم استقامة النظم متوقفة على هذا العدول (قوله أواهدأ حراء) أى اسكن يقال هدأ يهدأ كخضع يخضع (قوله أنه لامسكن غيرها) حق العبارة أن يقول لاينافى كون المسكن غيرها معها أو يقال لاتقتضى أنه لامسكن الا هو فتأمل (قوله تسمية للمحل الخ) لم يجعل من تسمية الكل باسم الجزء لان ماخلقت منه الارض غير ماخلقت منه الجبال كما سبق فخلقت الارض أولا ثم خلقت الجبال عليها (قوله لا بالقيدين المذكورين) أى العناد والخذلان بقرينة قوله وان قارنها الخ

عناد

عناد أو خذلان وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الآتيين الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (و) عجبا أيضا من (الذي يسألون)ه (منه) على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه (كتاب منزل) معه عليهم من السماء (قد أتاهم) به وهم يشاهدونه (وارتقاء) منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا له أيضا لقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فاسئل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا في بلادنا وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته في هذا البيت أولى مما قرره الشارح فيه من أن الذي مبتدأ خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي الانكاري في قوله (أ) يقولون ذلك كله ويتعنتون به (ولم يكفهم) عن ذلك كله (من الله) حال من فاعل يكف وهو (ذكر) واصل اليهم وتسميته ذكرا جاءت في آية مرادا به الشرف كما في آية وانه لذكر لك ولقومك وفي أخرى مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر (فيه للناس) والجن والملائكة (رحمة) باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم (وشفاء) من كل داء ظاهر وباطن حسي أو معنوي كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض أكابر أئمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوية والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بفساد ذلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض

وأما الحسد والغل فيرجعان الى العناد لانهما سببه (قوله لن نؤمن الخ) أي تعنتا بعد ما ألزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه والينبوع عين لا يغور ماؤها (قوله أو تكون لك جنة الخ) أي بستان يشتمل على ذلك (قوله أو تسقط السماء الخ) يعنون قوله تعالى أو تسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا الروم وابن عامر الا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور (قوله قبيلا) أي كفيلا بما تدعيه أو شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا أي نراه مقابلة كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها أو جماعة فيكون حالا من الملائكة (قوله أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة أو ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك (قوله أولى مما قرره الشارح) عبارته والذي موصول وهو المبتدأ ويسألون صلة الموصول والظاهر أن العائد محذوف أي يسألونه وضمير منه للنبي صلى الله عليه وسلم وكتاب خبر المبتدأ ومنزل صفته وقد أتاهم جملة حالية وارتقاء معطوف على كتاب وكأنه أشار الى قوله تعالى أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ثم قال والمعنى تعجب من بقائهم على كفرهم مع مشاهدتها يعني معجزاته صلى الله عليه وسلم بل من ازدياد كفرهم مع مشاهدتهم من الآيات والمعجزات ما يرشد العقول الى الحق ويهدي اليها ولا المعاندة والخذلان وأخذ يوبخهم بما حكاه عنهم من أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم أن يرقى في السماء ويأتيهم بكتاب منزل عليه ولم يكفهم عن ذلك الذي تعنتوا بطلبه واقترحوه عليه ما أنزل عليه من الكتاب العزيز الذي هو رحمة للمذنبين وشفاء للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (قوله والملائكة) ظاهر بالنسبة للرحمة وقد وجه ذلك بقوله وانما قلت الخ لانهم يتنعمون ويتلذذون باستماعه وذلك نعمة عظيمة وأما كونه شفاء فخاص بالثقلين لان الملائكة اجسام نورانية لم نعلم اتصافهم بأمراض حسية ومعصومون فلا يتصفون بالامراض المعنوية فلا يحتاجون لدواء تأمل (قوله ولا أنجع الخ) قال في الصحاح ونجع في الدابة العلف ولا يقال انجع وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء أي دخل وأثر فيه اه وقوله ولا يقال انجع أي من باب الفعل المزيد وأما صوغ اسم التفضيل من نجع كما في الشارح فصحيح تأمل

على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بالكلية وعدم أكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن هذه حالته على أى مرض كان مبرئة له وان أعيا الاطباء ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك فى الادوية والادواء الحسية فقد روى حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن وعن العارف الامام الكبير أبى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى أن ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ما بولده فقال له أين أنت من آيات الشفاء أى وهى ست آيات مشهورة فكتبها ومحاها بماء وسقاها له فكأنما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شئ مما اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فمن ذلك بل أبهره فى قمع المعارض وادحاض الجاحد أنه (أعجز) قيل علم اعجازه ضرورى والاصح أن محله فيمن شاهد النبى صلى الله عليه وسلم أو علم وجوه الاعجاز وظاهر أن المشاهد يحصل له العلم الضرورى باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضرورى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا أمر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع أن ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لاسيما وكل أحد يدرك فرقا بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما (الانس آيه) عبر بها تبعا للقاضى ولم يبال بأن الذى عليه الجمهور أن اقل ما وقع به التحدى اقصر سورة منه وهى ثلاث آيات ومثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله فعجزوا فطلب أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان أقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان فى دليل الجمهور شيئا اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على أقل منها لان المشاهدة قاضية بأنهم عجزوا حتى عن بعض الآية المفيد كما يفيده قول الناظم الآتى أو بعضها لان فى ارتباطها بما قبلها أو بعدها أنواعا من بدائع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى ثم نظر أو بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها وأما التصريح بأنه لم يقع العجز الا عن ثلاث آيات فترده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن أحد قط انه حاكى شيأ (منه و) اعجز (الجن) آية منه أيضا وذكرهم كالآية لان التحدى وقع لهم أيضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث لهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما لاعجازه لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى يرد بان الآية تقتضى انهم يحسنون اللسان العربى فادعاء خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم منويون فى الآية أيضا وانهم لا يقدرون على معارضته أى وكأن حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع أحد من الفريقين بل الثلاثة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتى بمثل سورة أو يأتى بمثل آية منه على نظمه البديع وتأليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ (فهلا) هى فى الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما لتلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة الآية فهى هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا للتوبيخ من

(قوله بقراءته) أو بكتابته ومحو نقوشه بالماء أو نحوه وشربه كما فى قصة القشيرى الآتية (قوله وهى ست آيات) هى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما فى الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (قوله أو بعضها) لا وجود له فى كلام الناظم وانما النسخة المحرفة ببعضها وهى خطأ والصحيحة يأتى بها البلغاء فان كان هناك نسخة ثالثة هى به أو بعضها ظهر قوله أو بعضها وهى أخفش تحريفا من نسخة ببعضها تأمل (قوله تعظيما الخ) أى لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز (قوله العربى) أى الذى جاء القرآن على أساليبه (قوله بان الآية) أى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن

يزعم

بزعم امكان المعارضة كبعض أهل الضلال والالحاد (يأتى ببعضها) أى الآية والمراد بعضها المفيد وفى نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود ضميره على ماذكر من الآية وأعاده على القرآن وماقلناه أبلغ (البلغاء) جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب أو المحكى من تنكير أو اطلاق أو تقديم أو اضمار أو ايجاز أو فصل أو ضد كل ويوصف بها ماعدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى تعقيب أو استدراك وأفاد الناظم رحمه الله تعالى بهذا أن البلغاء والشعراء فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء والفهماء فى قريش وغيرها والمتقدمون فى اللسن والتبيان والرؤساء فى قوانين المعانى والبيان والفرسان فى ميادين الفصاحة والشجعان فى مهامه البلاغة أظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب فى الآية وأوضح فى الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون فى ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان ألى أربهم ومنتهى طلبهم التفنن فى افنية الفصاحة والتنزه فى رياض البلاغة والتقدم فى أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة عن السكوت عن معارضة آية منه المستلزمة لنقض أمره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبى ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم أنى افتريته لعلمى بأخبار الامم فأتوا بعشر مثله مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامى عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته صلى الله عليه وسلم قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله تعالى وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه معجز وانهم لا يأتون بمثل اقصر سورة منه فلولا أنه على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشئ من ذلك على انه لم يزل ينادى عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض فى مناقضته فلم يستطع أحد منهم ان يناديه ولم يرفع رأسه الى ان يباريه بل رضيت هممهم السرية وأنفسهم الابية اذ كانوا آنف شئ وأشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء رضى الله عنهم من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع أنهم أوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويترسلون فى أوديتهما فيأتون بالسحر الحلال ويتطوقون من دررهما أجمل من سمط الجمال فلا يشكن عاقل أنهما طوع مرادهم وسلك قيادهم فراعهم الا رسول كريم بكتاب قديم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهر بفصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا فى هذا الباب مقالا وأشد ما وجدوا فى الخطابة والشعر منالا اصار خافيهم فى كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا أجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى أسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح نفوسهم وأموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم يأتوا بعقال صابرون على الجلاء

(قوله وفى نسخة الخ) أى وشرح عليها هو أيضا فى النسخة المرجوع عنها فقال به أى بمثل ماذكر من السورة أو بعضها ثم ضرب عليه وعدل الى ما رأيت من قوله ببعضها وهو مبنى على ماحرفته يد التحريف فى النظم اذ لا يخفاك ان قوله ببعضها يخرج النظم عن ميزان الشعر ويلحقه بالنثر فالصواب ما شرح عليه أولا من قوله به فليرجع اليه وليعتمد عليه (قوله به) أى بدل قوله ببعضها وهو الصواب لعدم استقامة الوزن على نسخة ببعضها (قوله على القرآن) أى المعبر عنه فيما سبق بالذكر والا فلفظ القرآن لم يتقدم تأمل (قوله فى قوانين) جمع قانون أى أصل وليس بعربى (قوله فى مهامه) المهمه المفازة البعيدة والجمع المهامه اه جوهرى (قوله عوار) العوار العيب وقد تضم العين اه صحاح (قوله فى الآية) أى العلامة (قوله مصقع) بكسر الميم وسكون الصاد أى بليغ (قوله يباريه) أى يعارضه ويأتى بمثله (قوله آنف شئ) يقال أنف من الشئ يأنف أنفا وأنفة أى استنكف اه صحاح (قوله من سمط) السمط وزان حمل القلادة أى الخيط مادام فيه الخرز والا فهو سلك (قوله الجمال) باللام هو الموافق للسجع ووقع فى بعض النسخ الجمان بالنون وكتب عليه بعضهم الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعها جمان

والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء فى قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا واذ لو أطاقوا أدنى معارضة لبادروا اليها وأفحموا الخصم الذى كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء أموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابسلوا فايسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتى اليهم به مكث بين ظهرانيهم أربعين سنة أميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا أنشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقى وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال صلى الله عليه وسلم له اسمع منى وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا له ما وراءك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة أطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحق والبيهقى ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة طلب منه ان يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعادها اياه فأعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمعذق وانه ليعلو وما يعلى وما يقول هذا بشر وما فيكم اعلم منى بالشعر واجمعوا فيه رأيا قبل حضور وفود العرب فى الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول انه كاهن قال ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما أنتم قائلون من هذا شيأ الا وانا أعلم أنه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقى لما رق لقراءة القرآن عليه جاءه اللعين أبو جهل فقال ياعم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك أتيت محمدا للمال فقال قد علموا أنى من أكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا أقول وذكر ما مر من مدح القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر ساعة فلما فكر قال هذا سحر يؤثر أى ينقله عن غيره فتأمل قضاء هؤلاء الاشقياء على أنفسهم بالعناد المحض والسفساف القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا وأما تفصيلها فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر

(قوله بالتشغيب) أى تهييج الشر (قوله وأساطير) قال فى القاموس والاساطير الاحاديث لا نظام لها جمع اسطار واسطير بكسرهما واسطور وبالهاء فى الكل اهـ أى اسطارة واسطيرة واسطورة وقيل هى الاباطيل وأصلها من سطرت أى كتبت اهـ من تفسير الثعلبى (قوله قلوبنا غلف) أى غطى عليها بغلاف فهى لا تحفظ والغلاف غلاف السيف (قوله وفى أكنة) أى أغطية (قوله وقر) أى ثقل (قوله بل ابسلوا) قال فى الصحاح وقد بسل بالضم بسالة فهو باسل أى بطل ثم قال وأبسلت فلانا اذا أسلمته للهلكة (قوله أميا) قال بعضهم أعظم به ممدوحا بخصيصة هى فى حق سواه نقيصة وحكى الجرجانى من الالفاظ التى ظاهرها مدح وباطنها ذم قول بعضهم فى فلان فضيلتان من فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وهما أمى لا يقول الشعر (قوله وان عليه لطلاوة) أى حسنا وقبولا (قوله وان أسفله لمعذق) لفظ ابن اسحق وان أصله لعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة والعذق النخلة بحملها ولفظ ابن هشام لغدق بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من الغدق وهو الماء الكثير ورواية ابن اسحق أفصح لان بها آخر الكلام يناسب أوله (قوله ما هو بزمزمته) الزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم وكأنه والله أعلم اذا أراد الكاهن حضور رئيه من الجن زمزم له فيحضر (قوله بخنقه) بالحاء المهملة أى غيظه وبعضهم ضبطه بالمعجمة وكسر النون مصدر خنقه أى ربط عنقه بحبل والمناسب للمقام الاول تأمل (قوله ولا بوسوسته) هى ما يلقه الشيطان (قوله ما هو بنفثه) اشارة الى ما يفعله الساحر من عقده خيطا ثم نفثه عليه والنفث بالفم شبيه بالنفخ والتفل يكون معه شئ من الريق (قوله والسفساف) بفتح السين الردئ من كل شئ والامر القبيح اهـ صحاح فقوله القبيح نعت كاشفة

مقصود اعجازه فى أمور أربعة وعدها بعضهم أكثر من ذلك وهى ترجع الى ما قلناه أحدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب والفصاحة بحيث وصل فى كل منها أو من مراتب البلاغة فيها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصرانى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من أمر الدنيا والآخرة ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاة بعض قصار المفصل فأتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين ياضفدع كم تنقين وأعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر وقال آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال آخر الفيل وما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا لقليل ثانيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فخبر عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شئ منه اذ لا مثال له يعول عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت اليهم فصاحة وقتهم شيأ من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر فتاب ومحا ما عمل ثالثها تأثيره فى النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تكريره زادت حلاوته واتضحت طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا فى الكتاب من شئ ومن الاخبار بالمغيبات مما كان وما يكون نحو فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ولن يتمنوه أبدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودى وهذه أيضا من أبهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما لذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تأليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما لصرف الناس عن معارضته والاعجاز فى هذا ظاهر أيضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة أو مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلى التوجه ولهذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لحرفة أخرى وهكذا فلما دعا الله تعالى أهل البطالة الذين

(قوله الى المرتبة العليا) ظاهره اختيار مذهب القاضى الآتى فى شرح قوله كل يوم تهتدى الى سامعيه الخ من ان كل جملة منه فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة فتراكيبه غير متفاوتة فيهما ويقوى اختياره لذلك قوله فلا يضع لفظة الخ ويحتمل اختياره مذهب أبى نصر القشيرى الآتى أيضا من تفاوته فيهما بأن يريد أن مجموع تراكيبه فى المرتبة العليا لا كل فرد فلا ينافى ان البعض متصف بأصل الفصاحة لا بأعلاها فليحرر (قوله مسيلمة الكذاب اللعين) ويروى عن اللعين انه قيل له ان محمدا اذا تفل فى الماء الملح صار عذبا فهلا تتفل فى هذا البئر الملح فيصير عذبا مثله فتفل فيه فغار ماؤه وأتى له بأعور فدعا الله تعالى ان تعود له عينه العوراء فغارت الصحيحة فقيل ما هذا فقال ان محمدا بعث بالعمار وبعثت بالخراب وقد أنزل الله تعالى فيه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الآية وقتل فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه زمن خلافته لما غزا اليمامة وقتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب قال قتلت بحربتى خير الناس وقتلت بها شر الناس يعنى مسيلمة ويعنى بخير الناس حمزة رضى الله عنه ولعل الله ان يكفر هذا بذاك (قوله ياضفدع) بكسر الضاد والدال كزبرج وبفتحهما كجعفر وبضمهما كجندب وبكسر أوله وفتح ثالثه كدرهم وهذا أقل أو مردود (قوله كم تنقين) يقال نق الضفدع والعقرب والدجاجة ينق نقيقا أى صوت وربما قيل للهر أيضا والنقاقة الضفدعة والنقنقة صوتها اذا ضوعف (قوله والذاريات) قال المفسرون يعنى الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فانهن يذرين الاولاد أو الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم ولعل المراد بالذاريات فى قول اللعين والذاريات قمحا الايدى الباذرات والمفرقات للقمح فى الارض للزراعة بقرينة قوله لعنه الله والحاصدات والطاحنات والا فالمعانى التى ذكرها المفسر فى تفسير الذاريات فى كلام رب العزة لا تناسب ما ذكره هذا اللعين الا بتكلف تأمل (قوله شراسيف) الشرسوف كعصفور غضروف معلق بكل ضلع أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن اه قاموس (قوله له ذنب وثيل) قال فى الصحاح الوبيل بالباء الموحدة الشديد وقال الوثيل بالمثلثة الليف قول الخبيث وثيل كذا فى النسخ بالمثلثة والظاهر ان الواو للعطف أى وله ثيل وفى القاموس الثيل بالكسر والفتح وعاء قضيب البعير وغيره أو القضيب نفسه اه

يهيمون فى كل واد من المعانى ببلاغة لسانهم الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولى الالباب ان لها صارفا الهيا صرفهم عن ذلك وأى اعجاز أبلغ من ذلك اه ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن أفسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فيه دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة الاعجاز الى القرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وفيه خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة أيضا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها فى نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان أهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ماقيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كأبى جهل وأبى لهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد أيضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به وآخرين ان العجز انما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففى قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة فى الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعرى والمتنبى ونظائرهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادى عليهم بالخزى والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان تاب أكثرهم وأظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القرآن على مالا يحصى من العلوم والمغيبات وأحوال العالم الدنيوى والاخروى وغير ذلك من العجائب كان (كل يوم) أى وقت (يهدى) فاعله القراء أى توصل وأفاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية (الى سامعيه معجزات) مر بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب والا لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتدأة (من لفظه) لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادرة تارة عن الامم الماضية وأخرى عن المغيبات ومافيه من العلوم التى لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من أصحابنا أن كل واحد من هذه رأى قوم انه سبب اعجاز القرآن ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا فى وجوه اعجازه جزأ واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشى فقال أهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ماسبق لاشتماله على الكل فنسبته الى أحدها أى وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفى الاسماع وجمعه صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهى مفتقرة اليه وهو غنى عنها ومن ثم كان أبهر فى الاعجاز من سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل معادلا للكل لان سببها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبله كثيرة كما تقرر فى وجوه اعجازه وسئل بعضهم ماموضع الاعجاز من القرآن فقال هذا شبيه بقولك ماموضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن

(قوله ولم يتصدوا) أى يتعرضوا (قوله بالصرفة) أى كان فى قدرتهم ان يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك بان سلب علمهم بذلك فلم يكن معجزا فى ذاته بل للغير

لشرفه

(قوله فى حلاها) أصله حلى بزنة فعل بضم الفاء وفتح العين قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وأعيدت الالف هنا لعدم التنوين المقتضى لحذفها بسبب الاضافة والحلى جمع حلية بزنة فعلة بكسر الفاء وسكون العين أى صفة كلحية ولحى وذلك قليل والكثير جمع فعلة على فعل بضم الفاء وفتح العين قال فى الخلاصة والفعلة فعل أى بكسر الفاء فيهما كمرية ومرى وحجة وحجج وقد يجىء جمعه على فعل أى بضم الفاء وفتح العين (قوله بنت عمرو) أى أخت صخر ويقال لها خناس بالضم وأما خنساء بنت خدام وبنت عمرو بن الشريد فصحابيتان وهما خلاف أخت صخر الشاعرة (قوله وخصها) يعنى الخنساء باخت صخر انظر من أى شئ أخذ الشارح تخصيص الناظم بها فان لفظ الخنساء صادق على الثلاثة من ذكرت وخنساء بنت خدام وخنساء بنت عمرو بن الشريد فتأمل (قوله مفلقة) اسم فاعل من أفلق الشاعر أتى بالعجيب كما فى القاموس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أنت أشعر من كل ذى حر فقالت ومن كل ذى انثيين يا أمير المؤمنين (قوله الا اذا جليت الخ) ومن أعظم ما يحصل به الجلاء ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ صقالة وان صقالة القلب ذكر الله وما من شئ أنجى من عذاب الله من ذكر الله ولو ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ولذا لما قالوا له صلى الله عليه وسلم انا لنجد للقرآن منك مالا نجده من أنفسنا اذا نحن خلونا قال أجل انا اقرؤه لبطن وأنتم تقرؤنه لظهر قالوا يا رسول الله ما البطن وما الظهر قال اقرؤه اتدبره واعمل بما فيه وتقرؤنه أنتم هكذا واشار بيده فامرها ولا يخفى عليك ان خطابه صلى الله عليه وسلم للصحابة ومعلوم ان اللائق بمقامهم ثبوت التدبر والعمل لهم فكيف نفيهما عنهم والجواب ان المراد باشارته نفى تدبرهم كتدبره ونفى عملهم كعمله لا نفى أصل التدبر والعمل وسيأتى لنا فى شرح قوله كم أبانت آياته من علوم فى نقله عن الاتقان ان معنى البطن والظهر

لشرفه لا يشار لشئ منه الا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس فى قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كتابه فلذلك طارت العقول وتاهت البصائر عنده واختلفوا فى تفاوته فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضى المنع وانما المتفاوت ادراك الناس له واختار أبو نصر القشيرى وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يأت كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقاء العجز عن معارضته (القراء) لان من سمع ألفاظ القرآن وتدبرها حق تدبرها علم ان كل لفظ منها باعتبار مادل عليه أمر معجز لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القرآن فى الجلالة التى مرت الاشارة اليها مالم يبلغه غيره كان حقيقا بانه (تحلى به) أى بسماعه (المسامع) من التحلية بالفاظه (و) تحلى بالفاظه (الافواه) من الحلواء (فهو الحلى) راجع للاول (والحلواء) راجع للثانى (رق) أى حسن (لفظا) أى من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ماينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد (وراق) أى تصفى من شوائب النقص فاعجب كل ناظر فيه (معنى) أى من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفى رق وراق والحلى والحلواء الجناس كحلاها وحليها وسور وصور والنظائر والنظراء الآتيات والمسامع والافواه واللفظ والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفاء والآيات والحروف والهجاء الآتيات وفيما بعدها اللف والنشر المرتب (ف) بسبب كون سوره رقت وراقت (جاءت) فاعله الخنساء ومقبله حال منه أى حال كونها (فى حلاها) أى صفاتها الجيلة (وحليها) أى زينتها (الخنساء) بنت عمرو وخصها من بين كثيرات سمين بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما يأتى بسط الكلام فى ترجمتها شبه سور القرآن فى صفاتها العلية وترتيبها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة بلغت فى الزينة وأوصاف الحسن مالا يمكن التعبير عنه (وأرتنا) أى أوضحت لنا وفاعله رقة الآتى (فيه) أى فى القرآن (غوامض) أى خفايا (فضل) كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى افعلت (رقة) كائنة (من زلالها) الزلال ماء فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى أجواف صور توجد فى نحو الثلج تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض أكابر أئمتنا (وصفاء) من ذلك الزلال شبه آى القرآن فى محاسن أساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن حدق فى خفاياهما حديد نظره وحقق فى غورهما دقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوى حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمآرب الروحانية بماء فى غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما من شأنه ان يخفى وبهذا الذى قررته من برد اليقين وصفاء القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما أشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال (انما تجتلى الوجوه) أى تظهر ظهورا واضحا لا اخفاء معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة (اذاما) زائدة (جليت) أى أزيلت وبين هذا وتجتلى تجنيس الاشتقاق (عن مرآتها) بكسر الميم والمد (الاصداء) فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار واذابت قواها فيما

المناسب هنا ان الاوّل ما تضمنه من الاسرار التى اطلع عليها أرباب الحقائق والثانى ما ظهر لاهل العلم بالظاهر فافهم (قوله فى اشتمال كل منها الخ) عبارة السنباطى فكما تميزت كل صورة منا عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الخلقية والخلقية فكذلك سور القرآن كل منها تميز عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية ومن ثم كان بعضها أفضل من بعض باشتمالها على مالم تشتمل عليه الاخرى من الفضائل والفواضل (قوله وتطلق النظائر على الاماثل الخ) أى كما تطلق على السور وعلى الامثال والاشباه ومن اطلاقها على السور ما نقل (١٦٠) عن ابن مسعود والملائم لسياق المتن ان المراد بالنظائر الاماثل والافاضل اذ هى المشبه بها السور لانها مشبهة بالسور كما يقتضيه قوله أى ومثل الخ فتدبر (قوله وكل منهما) أى المعنيين المذكورين الاوّل المثل والمناظر أى المشابه والثانى الاماثل والافاضل وقوله خلافا للشارح حيث خصص كون المراد بالنظائر هنا المعنى الاوّل وعبارته والنظراء جمع نظير وهو المثل والمناظر والنظائر الاماثل والافاضل ويكون جمعا لنظير وهو المراد هنا انتهت وعلى ما ذكره من كون المراد بالنظائر هنا جمع نظير بمعنى المثل يكون المراد بها السور ويكون المراد بالنظراء الاماثل والافاضل كما نقله شارحنا عن ابن مسعود فيقتضى ذلك كون السور مشبها بها والصور التى هى الاماثل والافاضل مشبهة وهو خلاف ما ذكره قبل حيث قال تطلق النظائر الخ فلو قال أى ومثل الاماثل الخ تلك السور الخ لوافق ما ذكر قبل لكن ما ذكره ثانيا هو الموافق لما نقله عن ابن مسعود من ان النظائر هى السور فتدبر وأنت خبير بان مدخول مثل والكاف هو المشبه به فتكون النظائر هى المشبه بها وذلك يقتضى انها الصور المعبر عنها بالاماثل والافاضل والسور هى المشبه وذلك هو الموافق لقوله سور منه أشبهت صورا منا فليحرر (قوله ومقطع) أى آخر تنتهى اليه (قوله الاولى ان يقول الخ) أى لان قوله طائفة من القرآن يصدق بالسورة فلا يكون الحد مانعا وقضية هذا ان قوله من السور لازم فى الحد

هى بصدده آناء الليل وأطراف النهار (سور) جمع سورة وهى الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفى (منه) لبيان الجنس لان ما يأتى ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها كلها (أشبهت) لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما فى الاخرى ومن ثم وقع التحدى باقصر سورة منه (صورا) جمع صورة وصورة الشئ شكله (منا) فى اشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما فى غيره وكأن الناظم رحمه الله تعالى قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة لان ما فيه من أنواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها المنافاته لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قائلوها معتزلة لا يقام لهم وزن (ومثل النظائر) جمع نظير (النظراء) جمع نظير أيضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل ومثل تلك السور التى هى نظائر كما قال ابن مسعود ولقد عرفت النظائر التى كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون فى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل (والاقاويل) جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد (عندهم) أى الكفار ظرف للمبتدا أو لخبره وهو (كالتماثيل) جمع تمثال وهو الصورة يعنى ان تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح فى حقيقة أمره من زخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك فكما أن هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان (فلا يوهمنك الخطباء) أى فاحذر ان يوقع من حرفوا الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم فى ذهنك أدنى ريب أو شك فى شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقى منها (كم) أى مرات كثيرة (أبانت) أوضحت (آياته) جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج فى سورة قاله الجعبرى ويشكل عليه عدهم نحو ثم نظر فى المدثر آية اذ ليس فى هذه جمل ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القرآن الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الآية بذلك لانها علامة على صدق الآتى بها وعلى عجز المتحدين بها ويأتى قريبا عد آى القرآن (من) زائدة فى الاثبات كما هو رأى جماعة (علوم) لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وفى حديث الترمذى وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم وأخرج عن الحسن أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان

(قوله زنبورا) بضم الزاى وجمعه زنابير (قوله فهى الخانات) قال البيضاوى فى تفسير الآية كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع أى استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة (قوله من آخر سورة المنافقين) وهى قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا الى آخرها (قوله لكل كلمة ظهر) مما قيل فى معنى البطن والظهر أن ظاهر الكلمة لفظها وباطنها

والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة القرآن أى مع زيادات لا تنحصر ومن ثم قال الشافعى رضى الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وما ثبت ابتداء بالسنة فهو فى الحقيقة مأخوذ منه لانه أوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلونى عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى فامتحن بدقائق فاستنبطها من القرآن منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزاء فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان عمر رضى الله عنه أمر بقتله والنبى صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر والله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وتبعه يعنى الشافعى العلماء على ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيأ أو قضى أو حكم بشئ الا وهو أو اصله فى القرآن قرب أو بعد وقال آخر ما من شئ فى العالم الا وهو فيه فقيل له أين ذكر الخانات فيه فقال فى قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فهى الخانات وقال آخر ما من شئ الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى ان عمر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة استنبط من آخر سورة المنافقين لانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال آخر لم يحط بالقرآن الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استأثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كأبى بكر فانه أعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه أنا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جميع ما أبرزته لكم من التفسير فانما هو عن على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى انه قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله أولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه أنواعا ليضبط كل طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم أفرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التى كادت أن تخرج عن الحصر وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بنا ليف لا تحصى وقال آخر علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينهما من روابطه لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به نعم أم علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أمه لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شئ كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ أما العلوم فلا تجد مسئلة هى أصل الا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما فى الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الانبياء والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وأمارات الساعة وجميع أحوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ أنه لا يوجد فيه شئ من المذهب الكلامى الذى هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقى الذى تستنتج منه النتائج

تأويلها ومنه أن القصص التى قصها الله عن الامم الماضية وما عاقبهم بها ظاهرها الاخبار بهلاك الاولين وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم ومنه أن ظاهرها ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من الاسرار التى اطلع عليها ارباب الحقائق وقوله وحد أى أحكام الحلال والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والظاهر بدله مطلع أى اشراف على الوعد والوعيد اه كذا فى الاتقان وما ذكره صاحب الاتقان لا يلائم التعبير بكل كلمة كما عبر به الشارح لان القصص ليست مأخوذة من كلمة وكذا أحكام الحلال والحرام والاطلاع على الوعد والوعيد لان ذلك انما يستفاد من الجمل المفيدة وانما يلائم ما ذكره من التعبير بالقراءة بان يقال ان للقرآن ظهرا وبطنا الخ والحاصل أن تعبير الشارح بكل كلمة انما يلائم تفسير الظهر باللفظ والبطن بالمعنى والحد بمقدار من

الثواب ان وافقت تلاوة الكلمة الشرع أو العقاب ان خالفت كمقارنة رياء لها والمطلع بما يشرف عليه الانسان من دقيق المعنى وأما تفسير الظهر باخبار القصص بما ذكر والبطن بوعظ الآخرين المذكور والحد باحكام الحلال والحرام والمطلع بالاشراف على الوعد والوعيد فلا يناسب تعبير الشارح لان هذا ليس معنى لكل كلمة بل لبعض جمل القرآن تأمل (قوله وحد) الحد منتهى معناه الذى أراده الله وقيل مقدار من الثواب أو العقاب اه من الاتقان

الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه بأنه مشحون من ذلك اذ مامن برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبنى منه كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله ينطق به وقد بين الاسلاميون من أهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه أن من أول سورة الحج الى قوله تعالى وأن الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارات حتى لعلم الهندسة بل لاشكل مافيه وهو الشكل الثلاثى بقوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب الآية قال الائمة وانما أوردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع أن يفهم غيره بالاوضح الذى يفهمه الاكثرون لا ينبغى له أن ينحط الى الاغمض الذى لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم أخرج تعالى فى مخاطباته محاجات خلقه فى أجلى صورة وأوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم أو يلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقائق المعارف التى هى منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الآيات أنها ابانت تلك العلوم التى لا غاية لها حال كونها متولدة (عن) بينها وبين من الجناس اللاحق (حروف) قليلة بالنسبة اليها أخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جميع آى القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمائة حرف واحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجى بل مسمياتها فحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال (أبان) أى كشف (عنها الهجاء) أى التهجى وهو تعديد الحروف بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التى هى مادة الكلمة قبل أن تحصل صيغة والمراد هنا أنه يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل و بيانه أن الحرف الذى أول زيد مثلا له مسمى وهو ز والخط أفيه بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه سائر علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما وقد سأل اصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التى فى ذلك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجى من المراد من الثانى ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا اما لغة واما مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ (فهى) أى حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب كحروف أسماء الاعداد والافتنان ما بينهما اذ ما يأتى له أمد معلوم ينفى فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالى الازمان فى هذه الدار بل وفى دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح أنه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا و يأتى ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو اما انها كحروف أسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهى الوهم الى المعدود بها واما انها (كالحب) الذى يلقيه الزراع (والنوى) الذى يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد أن لا يحصى ولا يتناهى ومن الثانى من الثمر ما هو كذلك وفى هذه الحالة (أعجب) فاعله يأتى فقول الشارح ان فيه ضمير الحب والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور فى فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا فى حالة واحدة (الزراع) والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر أى والبرد وفيه أيضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكاء لهما (منها) أى من تلك الزروع والاشجار (سنابل وزكاء) أى نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع أهل الارض على استقصاء عدده لما اطاقوه فقد علمت أن المتناهى هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية و يحصل منها من

(قوله وان غزرت) الغزارة الكثرة وقد غزر الشئ بالضم يغزر فهو غزير اه صحاح (قوله فقول الشارح الخ) عبارته فهى مبتدا كالحب خبر والنوى عطف على الخبر أعجب فعل فاعله ضمير الخبر وما عطف عليه بتأويل المذكور أو الواو بمعنى أو والزراع مفعول وسنابل فاعله وزكاء عطف عليه

العلوم

العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثال المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والافشتان ما بين الامرين ألا ترى أن عدم تناهى تلك الحبوب والثمار انما هو فى مدة قليلة ثم تفنى عن قرب وأما تلك الحروف فان معانيها لا تتناهى فى الدنيا ولا فى الآخرة ففى الحديث الصحيح أنه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وبه يعلم أنه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات التى تم فيها التأهل وذلك أمر لا يتناهى أبدا ومن عجيب شأن الكفار أنهم مع هذه المعجزات والآيات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار (فأطالوا فيه التردد والريب) أى الشك عطف مرادف (فقالوا) كما حكاه الله عنهم فى كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه (سحر) أى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ورق (وقالوا) مرة أخرى انه (افتراء) أى كذب ومرة أساطير الاولين الى غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو والله المتفضل بانزاله قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وأنهم لا عقل لهم ولا رأى ولا استعداد (و) لكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو مقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة أنه (اذا) كانت (البينات) أى الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان (لم تغن) هم أى لم تفدهم (شيأ) من الهدى (فالتماس الهدى بهن) أى طلبه منهم بتلك الحجج بعد اليأس من ايمانهم (عناء) أى تعب لا يفيد شيأ (واذا ضلت) عن طرق الحق (العقول) جمع عقل وسبق الكلام عليه مستوفى (على) أى مع (علم) منها بتلك الطرق أى أضلها بارئها (فماذا تقوله) أى فأى قول تقوله الانبياء (النصحاء) وقولهم حينئذ لا يفيد شيأ والبيت الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والثانى من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وبما قررت به كلامه يعلم أن هذين البيتين من الكلام البديع الجامع *(تنبيه)* لا يتوهم من النظم أنه مخالف لقول الائمة أجمعت الامة على التكليف بالمحال كغيره كتكليف أبى جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بأنه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى عنا عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عنه عاجزين باطنا لعلم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جاءت به الشرائع فاحذر أن تميل اليه فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون *(فوائد)* منها قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة أن قصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق للهجة مفلقا فى شعره أى غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل ما دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سئل الغزالى عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم وأعراضهم وأحوالهم ومنها أن سائر كتب الله تعالى لا اعجاز فيها من حيث النظم والتأليف لان ألسنتهم لا تفى بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا تشترك فيه ولكون ألسنتهم كذلك

(قوله عطف مرادف) ما المانع أن يراد بالتردد ما يشمل الظن والوهم فيكون من عطف الخاص على العام تأمل (قوله ومباهتتهم) أى قولهم فى القرآن خلاف الواقع مأخوذ من قوله بهته قال عليه ما لم يفعل (قوله وتلبيسهم) من لبس فى الامر خلط أى تخليطهم (قوله على التكليف بالمحال) عبارة لب الاصول وشرحه لشيخ الاسلام الاصح جواز التكليف عقلا بالمحال أى الممتنع بمعنى جواز تعلق الطلب النفسى بايجاده مطلقا أى سواء كان محالا لذاته أى ممتنعا عادة وعقلا كالجمع بين السواد والبياض أم لغيره أى ممتنعا عادة لا عقلا كالمشى من الزمن اه وكتب عليه أيضا وخرج بالتكليف بالمحال التكليف المحال فلا يجوز والفرق بينهما أن الخلل فى الاول يرجع الى المأمور به وفى الثانى الى المأمور كتكليف ميت وجماد اه لب (قوله أن قصارى) قال فى الصحاح وقولهم وقصرك أن تفعل كذا وقصاراك أن تفعل كذا بالضم وقصارك ان تفعل كذا بالفتح أى غايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه (قوله بتصور الباطل الخ) قال السيوطى فى المزهر قال بعض العقلاء وقد سئل عن الشعر ان هزل أضحك وان جد كذب فالشاعر بين كذب واضحاك (قوله اختلافا كثيرا) أى تناقضا وأما اختلاف الروايات فثابت لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف

(قوله وكلا وفكلا) عبارة الاتقان قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفى الاعراف فكلا بالفاء قيل لان السكنى فى البقرة الاقامة وفى الاعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول اليه تعالى وقلنا يا آدم ناسبت زيادة الاكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لانه أعم وفى الاعراف ويا آدم فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الاكل على السكنى المأمور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ (قوله يذبحون ويذبحون) لان الاولى من كلام الله تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحق تكرما فى الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفى الاعراف يقتلون وهو من تنويع الالفاظ المسمى بالتفنن اه اتقان (قوله سنزيد وسنزيد) ان قلت لم ذكر هنا بالواو وفى الاعراف بدونها قلت لان اتصاله هنا أشد لاسناد القول فيه الى الله فى قوله واذ قلنا ادخلوا بخلافه ثم فالا ليق به حذف الواو ليكون استئنافا اه من فتح الرحمن (قوله الافى الندبة والاستغاثة) أى لانهما يطلب فيهما مد الصوت والحذف ينافيه وقوله ومع الضمير أى لتفويت الدلالة على النداء قال الاشمونى فى شرحه على الخلاصة أفهم كلامه جواز نداء المضمر والصحيح منعه مطلقا وشذ نحو يا اياك قد كفيتك وقوله

* يا أبجر بن أبجر يا أنتا *

وأما قولهم ياهو يا من لاهو الاهو كما فى دلائل الخيرات وغيرها فهو فيه اسم للذات العلية لا من قبيل ضمير الغيبة اه وقول الاشمونى مع والصحيح الخ قال فى التصريح الخلاف فى ضمير المخاطب وأما ضمير المتكلم والغائب فندا ؤهما ممنوع اتفاقا فلا يقال يا أنا ولا ياهو (قوله وكذا مع اسم الاشارة الخ) فى شرح قول الخلاصة * وذاك فى اسم الجنس والمشار له * قل ومن يمنعه فانصر عاذله للاشمونى ما ينبغى الوقوف عليه لمن أراد تحقيق المقام

كان كل ما فى القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جنى وغيره ومنها وقع فى القرآن آيات مشتبهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة فى سور وفواصل مختلفة كوكلا وفكلا يذبحون ويذبحون سنزيد وسنزيد وذلك كثير وقد أفرد خلائق الجواب عن ذلك بتآليف مختلفة مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التأمل نحو ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأول من تكلم فى الجواب عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم تبعه الائمة حتى أفرد بعضهم ذلك بالتأليف كما ألفوا فى مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها من المتشابه الذى استأثره الله تعالى بعلمه أو علمه أيضا الراسخون فى العلم وهو مبحث طويل فلا بأس بذكر خلاصته وهى قيل القرآن كله محكم كما فى آية وقيل كله متشابه كما فى آية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكمت آياته أتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها وبمتشابهات أنه يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه كالساعة والحروف المقطعة أوائل السور وفيهما أقوال أخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشؤهما اهل الوقف على فى العلم من قوله تعالى والراسخون فى العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووى انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا أهل السنة أن الوقف على الا الله من قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله وهو أصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعانى اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بأن من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التى فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين وجمهور أهل السنة منهم أكثر السلف وأهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تأويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذى نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال وعلى ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا أئمة الحديث والفخر فقال وأحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظى وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلى وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك انما يكون بلفظى وقد تقرر أنه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه فى المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التأويل اه وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التأويل ان قرب فى لسان العرب نحو على ما فرطت فى جنب الله أى فى حقه وما يجب له لا ان بعد كتأويل استوى باستولى * ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع أهل الكتابين ليبين ما آل اليه أمرهم أيضا فقال يا (قوم) وحذف حرف النداء جائز الا فى الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا

مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول به (عيسى) المدعوين بالنصارى (عاملتم قوم موسى) وهم اليهود (ب) التصديق بكتابهم وهو التوراة (الذى عاملتكم) بنظيره وهو التصديق بكتابهم الذى هو الانجيل (الحنفاء) أى المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق ثم بين ما أبهمه فى البيت قبله بقوله (صدقوا) أى قوم عيسى (كتبكم) وهى التوراة وما بعدها كالزبور (وكذبتم كتبهم) وهى الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة وفى هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين والتصديق والتكذيب الطباق (ان ذا) أى الذى فعلتموه معشر اليهود (لبئس البواء) أى الصنيع الذى رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله (لو جحدنا) من الجحد وهو الانكار عن علم (جحودكم) أى مثله بان أنكرنا كتابكم كما أنكرتم كتابنا وكتاب عيسى (لاستوينا) نحن وأنتم (أ) يكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف (و) ليس (للحق) وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله (بالضلال) وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض (استواء) أى مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل أنا لم نجحد شيأ من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب أى المكذب لهم فى ذلك وكأن الشارح أخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين أهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الآية اهـ وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع أن النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ أى باعتبار تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسيرا لعاملتكم الحنفاء وفى السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول أقرب * ولما كان من المعلوم المستقر أن اليهود أشد الناس حسدا قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك أيضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر من سخفاء العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال (ما لكم) أى أى حال حصل لكم معشر الفريقين يا (اخوة الكتاب) المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصل واحد حال كونكم (اناسا ليس) شأنكم انه (يرعى لحق منكم اخاء) بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أنه اسم ليس ونائب فاعل يرعى ضميره أى مؤاخاة أى ليس تصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التى منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفى اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق كالشهادة والشهداء الآتى ومن عدم رعايتكم لذلك انه (يحسد الاول الاخير) كما وقع لليهود أنهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا أنهم قتلوه وصلبوه وما درى الملاعين أنه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدى أول نزوله ليعلم

(قوله وهذا مقتبس من قوله الخ) يقتضى أن البواء بمعنى الرجوع ولم يذكر فى القاموس البواء بهذا المعنى قال فيه باء اليه رجع أو انقطع ثم قال وباء بذنبه بوأ وبواء احتمله أو اعترف به وقال بعد أيضا البواء السواء والكفء وأجابوا عن بواء واحد أى بجواب واحد فخر ثم رأيت فى البيضاوى ما نصه رجعوا به أو صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به وأصل البوء المساواة اهـ وقد يقال مراد الشارح بالصنيع الذى رجعوا به القهقرى المفسر به البواء الاحتمال أى احتمالهم غضب الله بتكذيبهم كتاب الله المنزل فيكون موافقا لقول القاموس وباء بذنبه بوأ وبواء احتمله فتأمل (قوله أم يحسدون الناس) المراد بالناس رسول الله وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم وقوله من فضله أى من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم اهـ من البيضاوى (قوله معشر الخ) المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف والشباب معشر والشيوخ معشر والانبياء معشر (قوله سماهم بذلك) وكما يقال فى الصديقين اخوان لاستوائهما فى الصداقة (قوله ليس شأنكم) يشير الى أن اسم ليس ضمير الشأن وهو بناء على أن اخاء نائب فاعل يرعى وقد أخر هذا المسلك الجوهرى فقال ويجوز ان يجعل النائب هو الاخاء فيكون اسم ليس ضمير الشان (قوله ويجوز أنه اسم ليس) قدمه الشارح الجوهرى وقال انه أحسن (قوله جناس الاشتقاق) كان الظاهر شبه الاشتقاق وقد سبق الفرق بين الاشتقاق وشبهه

أنه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها أنه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودي ونصراني في الارض لان نوعا من الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم (ومازال كذا) أي هكذا المذكور من حسد الاول للاخير (المحدثون والقدماء) من لدن آدم الى اليوم (قد) هي للتحقيق (علمتم) يا أهل الكتاب (بظلم قابيل) من اضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون جاؤا له من حواء في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا أربعين ألفا (هابيل) بشدخه رأسه بين حجرين وهو ثاني أولاد آدم صلى الله عليه وسلم حسد اله على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال له لاقتلنك فأجابه بانه يستسلم لقضاء الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما أفاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء أن سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست بجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة آدم عليه الصلاة والسلام أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع مخالفته لظاهر الآية يمكن تأويله بأنه لا مانع من ان حسده لسببين أخروي وهو ما في الآية ودنيوي وهو ما ذكر على أنه جاء في القصة ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أمر قابيل أن يزوج اخته لهابيل فامتنع وقال أختي أحسن لا أمكنه منها ولا أرضى أختمه أمرهما أن يقربا قربانا وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده حتى قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدماء جناس الطباق كوفيتم وخانوا واحسنتم وأساؤا والآباء والابناء وعرفوه وأنكروه الآيات (ومظلوم الاخوة) الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف كونها بمعنى في وأخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وقسميه (الاتقياء) لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا ومازال الخ وعلم من قولي وهذا فيه الخ أنه ليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بأنه أراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بأن أقل الجمع اثنان (و) قد (سمعتم) هو لليقين لان المراد في كل العلم (بكيد أبناء يعقوب) المسمى في القرآن باسرائيل أي عبد الله ابن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر أنه اخوه اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم (أخاهم) يوسف صلى الله عليه وسلم فانه لا خلاف في نبوته كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص أي لانها سيقت على اسلوب لم يسق عليه غيرها من بقية القصص (و) لا يتوهم من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين أن ذلك ينافي صلاحهم لاتفاق العلماء على أنهم (كلهم صلحاء) عدل اليه عن أنبياء لانه الامر

(قوله قابيل) سيأتي في كلام الشارح التصريح بأنه كافر (قوله وهم أربعون الخ) تقدم للشارح في شرح قول الناظم لم تزل في ضمائر الكون البيت ان آدم أولد حواء أربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيثا وصيه فانه ولد منفردا اكرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله اهـ وتقدم لنا في الحاشية أن قوله الا شيثا الخ يقتضي أن الصواب أن يقول بدل أربعين ولدا تسعة وثلاثين ولدا ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين الا شيثا الخ فقوله وهم أربعون الخ صوابه أن يقول وهم تسعة وثلاثون ويقول بعد قوله ذكر وأنثى الا بطنا من البطون لم يكن الا ذكرا وهو شيث فتأمل (قوله تقبل قربان هابيل) وكان هابيل صاحب غنم وكان لين الجانب وكان قابيل صاحب صيد وقنص وكان فظا غليظا فاصطاد صيدا وقربه وعمد هابيل الى أحسن غنمه فقربه اهـ والذي في الخازن أن قابيل كان صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء وأضمر في نفسه لا أبالي أيتقبل أم لا لا يتزوج اختي أحد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى كبش من غنمه وقربه وأضمر في نفسه رضا الله وهابيل أول قتيل قتل ولذا ورد في الحديث ما من قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منها لانه أول من سن القتل وكان قبله حسد ابليس آدم فهبط عن الملكوت وقيل هي أول معصية وجدت أي من أولاد آدم (قوله أخت هابيل) وتسمى لبودا (قوله بجمال أخته) وتسمى اقليما (قوله أراد بالاخوة الخ) على أنه لا يصح ارادة ذلك لانه لا يظهر معه جعل مظلوم للجنس فلا توجد مطابقة المبتدا للخبر فتدبر (قوله أي عبد الله) قال النووي في التهذيب قال أبو علي الفارسي هذا الذي قيل ان معناه عبد الله المتفق خطأ من وجهين أن ايل وال لا يعرفان في أسماء الله تعالى الثاني لو كان كذلك لا نصرف آخر الاسم في وجوه العربية ولكان آخره مجرورا كعبد الله قال وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب اهـ وفي الوجه الثاني نظر (قوله نحن نقص الخ) قال الكرماني في العجائب في قوله تعالى نحن نقص الخ قيل هو قصة يوسف لاشتمالها على حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس واطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق اهـ اتقان

المتفق عليه كما تقرر أو لقوة الخلاف عنده فى عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف فى نبوته لكن الحق أنه ظاهر الآية أو صريحها وهى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم أولاد يعقوب وقد ذكرت الآية أنه أنزل عليهم شئ يجب الايمان به غير ما أنزل على آبائهم وذلك الشئ هو الوحى كما هو المتبادر بل صرحت به آية وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفى نبوتهم المستلزم لنفى الوحى اليهم مناقض لصريح الآية فتأمله ولا ينافى نبوتهم ما حكى عنهم فى تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تأويلات تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك أن العلماء رضى الله تعالى عنهم اتفقوا على صلاحهم وأن تلك الامور التى جرت منهم لم تؤثر فى صلاحهم فكذا فى نبوتهم على ان فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا فمحل بسطه كتب الاصول (حين) ظرف لكيد (ألقوه فى غيابة جب) هو البئر الذى لم يطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه أصغرهم عليهم الذى أنبأت عنه رؤياه المذكورة أول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم أحد عشر والشمس والقمر أبوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته وكان الامر كذلك كما فى آخر السورة فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وليس فى التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح فى نبوتهم على القول بها كما قال تعالى لافضل خلقه صلى الله عليه وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين لك فالنزغ أدنى حركة أمره تعالى انه متى تحرك عليه أدنى غضب على عدوه وأراد الشيطان القاء أدنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه أمره وهذا من تمام عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لا يسلط عليه بأكثر من التعرض له بهذا الامر الذى لا تأثير له من غير قدرة له عليه (و) من كيدهم له أيضا انهم (رموه بالافك) حيث قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون يوسف عليه الصلاة والسلام (وهو براء) أى برىء منه وفى تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة والسلام صنما لجده أبى أمه من ذهب وفضة فكسره والقاه على الطريق فعيرته اخوته بذلك وأخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التى عابوه بها أخذه صنما كان لابى أمه وانما أراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وابن جرير وزاد ان أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه كان زيد هذا من العالمين بالقرآن فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة

(قوله أو لقوة الخلاف) قال شيخ الاسلام زكريا فى فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لم يكونوا أنبياء على الصحيح (قوله بسطه كتب الاصول) حاصل المعتمد منه أنهم معصومون قبلها أيضا من الكبائر والصغائر عمدا وسهوا ثم رأيته صرح به فيما سيأتى (قوله فانهم لما جاؤا اليه الخ) روى أن يوسف طاف بيعقوب فى خزائنه كلها فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على مسافة ثمان مراحل قال أمرنى جبريل بذلك قال أما تسأله قال يوسف أنت أنشط اليه منى فاسأله أنت فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك انى أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى (١٦٧) وأقام يعقوب عند يوسف أربعا وعشرين سنة فلما حضره الموت وصى يوسف بأن يحمل جسده ويدفنه عند أبيه فمضى يوسف بنفسه ودفنه عند أبيه ثم عاد الى مصر وروى أنه وصل اليه ريح يوسف من العريش قرية بين مصر وكنعان استأذنت ريح الصبا فى اتيان يعقوب بريح يوسف قبل اتيان البشير فأذن لها فجاءت بريح يوسف وكان يعقوب ساجدا اهـ كواشى (قوله وخروا له سجدا) قال البيضاوى تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته (قوله وقد أحسن بى) ويقال أيضا أحسن الى والمفعول فيهما محذوف تقديره صنعه (قوله من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تستحى اخوته من ذلك ومن تمام الصفح والعفو ان لا يذكر ما تقدم من الذنب أو لان السجن كان باختياره بقوله السجن أحب الى ولاختيار آفات فشكر الله تعالى على تخليصه من فتنة اختياره بخلاف الجب فانه كان موضع اضطرار واختيار من الله تعالى اهـ كواشى وقال القاضى فى تفسيره انما ابتلى بالسجن لقوله هذا أى رب السجن الخ وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (قوله من البدو) أى البادية وكان منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام باطراف الشام بالبادية بادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وفى الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اهـ من النهر لابى حيان (قوله من ذهب وفضة) وقيل ورثت عمته من أبيه منطقة ابراهيم وكانت تحض يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة فى وسطه ثم أظهرت ضياعها

فذكروها تعبيرا له صلى الله عليه وسلم فلم يكذبوا وانما الذى وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته فى كتابى سعادة الدارين فى صلح الاخوين وذكرت فيه نحو ما سبق وملخصه واعلم ان واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على عجائب وغرائب وحكم وأحكام وعبر وأمثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وان لم يكن له اعوان ولا أنصار وعلى خذلان المبطل وان كان أعوانه وأنصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة أمر قديم قلما يسلم منه خيم أو أديم وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل أنبياء بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية اتفقوا على ان المراد بالاسباط أولاد يعقوب فكوننا أمرنا بالايمان بما أنزل الى أبيهم وبما أنزل اليهم ظاهر أو نص فى انه أنزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح فى نبوتهم وعليه فقد يستشكل ما وقع منهم فى هذه القصة من الامور الكثيرة التى ظواهرها يجب تنزيه الانبياء صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصى وكبائرها سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما هى بعد النبوة لا قبلها والاولى ان يجاب بان هذه الامور انما تستشكل على قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا ندريه وبفرض انه يوافق شرعنا فى ذلك فيحتمل ان لهم تأويلا يسوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التى ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف تقرأ نرتع ونلعب بالنون وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا بارضا الله تعالى ومحبته (فتأسوا) أى فتعزوا اذ التأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به أى حملت حالى على حاله ففى التأسى تسكين النفس على الامر المشق وتصبرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسى والتعزى واحد أو متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما (بمن مضى) قبلكم من الكمل فى ذلك (اذ) أى وقت أو لاجل ان (ظلمتم) من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال (فالتأسى) فى المصائب لا سيما بالكمل (للنفس فيه عزاء) أى تسل وتصبر يحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل (أتراكم) الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين أى أتظنكم أهل الكتاب (وفيتم) بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به (حين) ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثانى (خانوا) ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم (أم) متصلة لانها معادلة للهمزة السابقة (تراكم) أهل الكتاب (أحسنتم) فى اتباع نبيكم فى جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيأ قط ولم تبدلوا فى حياته ولا بعد وفاته (اذ أساؤا) الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما ينالون من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية (بل) لا يرون شيأ من ذلك وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه (تمادت) أى تتابعت واستمرت (على التجاهل) الموجب لرفض الحق واتباع الباطل أى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم غير الحق ودمتم على العمل به (آباء) بينه وبين الابناء الطباق (فقفت) أى تبعت (آثارها) الباطلة (الابناء) انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون

فتفحص عنها فوجدت مخزومة عليه فصارت أحق به فى حكمهم (قوله قلما يسلم منه خيم) الخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه والاديم الجلد ويطلق على وجه الارض والادمة محركة الجلد مما يلى اللحم اه قاموس والمراد بالاديم هنا الجسد لقولهم ما خلا جسد من حسد (قوله ونلعب) أى نتسابق ونتناضل للتدرب لقتال العدو فلم يكن لعب لهو بدليل انا ذهبنا نستبق وأطلق عليه لعب لانه بصورته (قوله وجحدوا بها) أى الآيات التسع المتقدمة فى الآية وهى القلق بسكون اللام والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم

(قوله لانه باعتبار افراده) أي افراد ذلك المنزل على عيسى وأما الافراد التي وقع فيها التغيير والتبديل فليس فيها الحق مبينا وهي أربعة وثمانون ثم رجعوها لعنهم الله الى أربعة قال العلامة نصر بن عيسى المهتدى في كتابه المسمى بالنصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية الذي ذكر فيها بيان ضلالاتهم وابطال مذاهبهم لانه رضي الله عنه أسلم وحسن اسلامه بعد ان أحاط بما هم عليه مع علمه وفهمه وألف هذا الكتاب لاشهار حقيقة الاسلام وزيادة ايضاح ضلالات النصارى ان أربعة وثمانين رجلا من علمائهم كل رجل غير وبدل واتخذ له انجيلا على قدر عقله واستمروا على ذلك الى زمن ملك من ملوكهم يقال له قسطنطوس فلما رأى هذا الملك اضطراب حال النصارى بسبب اختلاف أناجيلهم وأن كل واحد قد أتى في انجيله بشئ لم يات به الآخر وقد تبع كلا منهم جمع كثير وكثرت الفتن بينهم وكل فرقة منهم تكذب الاخرى وتكفر اعتقادها أمر ذلك الملك جميع النصارى باحضار ما عندهم من الاناجيل واحضار علمائهم من أقاصي البلدان فحضر جميع ذلك وكان عدة من حضر من علمائهم ثلثمائة وثمانية عشر عالما ثم ان الملك أمرهم ان يقتصروا من تلك الاناجيل على بعضها فامتثلوا أمره واختاروا أربعة أناجيل وهي التي بأيديهم الآن وهي لمتى ومرقوس ولوقا ويوحنا وأسقطوا الثمانين انجيلا وهذه الاربعة أيضا فيها التغيير والتبديل لكنها أخف من التي تركت (قوله أنشدك الله) قال النووي في شرح مسلم معنى أنشدك أسألك رافعا نشيدتي أي صوتي وهو بفتح الهمزة وضم الشين وفي شرح الشفاء للشهاب أنشدك الله قسم بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وأنشدته وفي القاموس نشد فلانا استحلفه بالله والله منصوب بنزع الخافض أي أسألك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين (قوله فأرتج النبي صلى الله عليه وسلم الخ) قال في الصحاح وارتج على القارئ على ما لم يسم فاعله اذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه كما يرتج الباب وكذلك ارتتج عليه ولا تقل ارتج عليه بالتشديد اه فعليه كان الظاهر ارتج على النبي بزيادة على تأمل فلو قال فرتج النبي بفتح فكسر استقام المعنى من غير زيادة على قال في القاموس ورتج كفرح استغلق عليه الكلام ولم أجد فيه ما في الصحاح من التقييد بما لم يسم فاعله (قوله ليس بفظ) أي سيئ الخلق ولا غليظ أي قاسي القلب والمراد على المؤمنين فلا ينافي قوله تعالى واغلظ عليهم أي الكفار (قوله ولا سخاب) بالسين المهملة والخاء المعجمة أي صياح في الخصومات فالسخب هو الصياح واضطراب الاصوات للخصام (قوله الملة العوجاء) يعني ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالمعوجة (قوله يفتح بها أعينا الخ) اطلاق ذلك عليها مجاز علاقته المشابهة على طريق الاستعارة المكنية (قوله غلفا) جمع أغلف وهو الشئ في غلاف وغشاء بحيث لا يوصل اليه (قوله من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ومنع صرف سيناء للعلمية والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور اه من تفسير القاضي

(بينته) أي الحق الذي من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته (توراتهم) المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم من أوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور (والاناجيل) المنزلة على عيسى عليه الصلاة والسلام من نجل الشئ أخرجه اتى لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ولا ينافي هذا جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا من أعظم الادلة على نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من أمره لانه صرح بذلك على رؤس أهل الكتابين ولم يخش ان أحدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله بالذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال انعت ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله أحد الى آخرها فقرأ فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى أي التوراة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا تجزى بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن كعب والبخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انهما نقلا عن التوراة والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه وفي التوراة تجلى الله من طور

سيناء أى بتكليمه موسى عليه وأشرف من ساعير اسم جبل أى بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال فاران أى جبال بنى هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفى الانجيل كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل (وهم) أى اليهود والنصارى (فى جحوده) أى ذلك الحق الذى بينه كتاباهما وهو الانكار بعد العلم (شركاء) أى مشتركون فى لعنة الله تعالى عليهما (ان) شرطية (تقولوا) يا أهل الكتاب (ما) نافية (بينته) أى التوراة والاناجيل الحق المذكور (فمازالت بها) أى التوراة والاناجيل (عن عيونهم عشواء) بالمعجمة والمهملة أى عن ابصارهم ظلمة مانعة لهم عن ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط أمره على غير بصيرة وقولهم ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهى الناقة التى لا تبصر أمامها فهى تخبط بيديها كل شئ ففيه الاشارة للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية فى اثبات الظلمة للعيون والترشيحية فى قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به (أو تقولوا قد بينته) كما هو الحق (فما) أى فاى شئ حصل (للاذن) أى لاذنكم حتى انها (عما تقوله) التوراة والاناجيل واسناد القول اليها فيه الاستعارتان السابقتان آنفا وكذا فى قوله الآتى فى طعنتهم الخ وقوله كساهم الخ (صماء) أى غير سامعة له سماع قبول فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد (عرفوه) أى الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم (وأنكروه) بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وأنكروه الطباق وذلك نتيجة الالزام السابق (وظلما) مفعول لاجله (كتمته) أى الحق المذكور (الشهادة) بدل اشتمال من كتمته أى كتمت الشهادة به (الشهداء) الذين هم أهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم أنكروا ذلك رأسا حسدا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى ما ينالونه منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررته انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقيقة دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها أبلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه أى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف قوله اعلم (أ) تكتمون ذلك وتظهرون الضلال (ونور الاله) أى الذى هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق (تطفئه) من اطفأت النار أذهبت حرها (الافواه) أى الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع لا يكون ذلك يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهى (وهو الذى به يستضاء) ظاهرا وباطنا أى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب (أ) يستمرون على ضلالهم وادعاء انهم محقون وينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم (ولا ينكرون من طحنتهم) أى أهلكتهم (برحاها) أى أسلحتها (عن أمره الهيجاء) أى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا عليه طحنهم صلى الله عليه وسلم برحا حربه كما طحن آباءهم وأبناءهم وأهليهم بجلاء بنى النضير الى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير سلاح وقتل بنى قريظة (و) لشدة بأسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم عليهم (كساهم ثوب الصغار) اى الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى قريظة استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية (و) الحال انه (قد طلت) أى دفقت (دماء منهم) كبنى قريظة (وصينت دماء) منهم كبنى النضير أو المراد دماء المسلمين لان الله جعل

(قوله من ساعير اسم جبل) من جبال فلسطين وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمى من اتبعه نصارى (قوله من كتمته) أى من مفعول كتمته (قوله وينكرون) الذى فى النظم أو لا ينكرون وهو الموافق للوزن وكتب عليه السنباطى ما نصه أتنكرون الحق أيها الملاعين ولا تنكرون الخ أى من أهلكتهم منكم الحرب بسلاحها عن أمره صلى الله عليه وسلم اه ثم قال أى لا ينبغى لكم أيها الملاعين ان تنكروا الحق ولا تنكروا ما ذكر الدال عليه ثم رأيت فى نسخة صحيحة من الشرح نصها أو ينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم ولا ينكرون من الخ وعليها فلا خلل فى الوزن ولا اشكال (قوله ثوب الصغار) من اضافة المشبه به للمشبه لا من الاستعارة فليس على حد الآية تامل (قوله وصون دماء) انما يكون من ملائمات المشبه الذى هو الصغار ان أريد صون الدماء منهم كبنى النضير اما اذا أريد دماء المسلمين فلا يكون من ملائمات المشبه لان الله جعل لهم العزة لا الصغار تامل (قوله قد طلت) قال فى الصحاح وطل دمه أى بالبناء للمفعول فهو مطلول وأطل دمه وأطله الله وطله أى أهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وأبو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه ثلاث لغات طل دمه وطل دمه وأطل دمه وأطل عليه أى أشرف

لهم الغلبة والدائرة على أعدائهم واذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم (كيف يهدى) أى يوصل (الاله منهم قلوبا حشوها) أى ملؤها (من) بمعنى اللام المعدية (حبيبه) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (البغضاء) أى شدة البغض لحبيبه صلى الله عليه وسلم ويصح على بعد انها للتعليل أى من أجله أو البدل أى حشوها بغضه بدل حبه وفى هذا الاستعارتان السابقتان أيضا (خبرونا) أى أعلمونا يا (أهل الكتابين) التوراة والانجيل (من أين) استفهام انكارى (أتاكم تثليثكم) أى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) من أين لكم معشر اليهود (البداء) بالموحدة والمهملة من بدا ظهر وهو كما يأتى ظهور مصلحة بعد خفائها او بنوا على ذلك امتناع النسخ أى لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم ﴿تنبيه﴾ حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغة لانه من بدا يبدو واثم رده بان ابن دريد ذكره قال التبريزى هو بالمد من قولهم بدا لى فى الامر أى تغير رأيى فيه عما كان ونقله الزركشى عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال السهيلى الاسم البداء ولا يقال فى المصدر ومن أجل ان البدو الظهور كان البداء فى وصف البارى سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه ويجئ بدا بمعنى أراد كما فى حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا لله ان يبتليهم أى أراد الله لا ظهر لانه كفر كما يأتى (ما أتى بالعقيدتين) المذكورتين (كتاب) من كتب الله تعالى أبدا (واعتقاد) وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل (لا نص فيه) أى فى اثباته وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن الاحتمالات العشرة المقررة فى محالها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفى فيها الدليل الظنى (ادعاء) أى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص اليه كآيات الصفات وأحاديثها اذ ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها بما يوافق العقل وأنكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها والزامهم باعتقاد ظواهرها من التجسيم أو الجهة وأطالوا فى ذلك بما كان سببا لمحقهم وسحقهم فى الدنيا والآخرة (والدعاوى) التى تقولون بها معشر

(قوله أو البدل) انما ظهر ذلك اذا كان مدخولها حبه لا حبيبه كما يرشد اليه قوله أى حشوها الخ ولذلك جعل صحته بعيدة لاحتياجها الى التكلف أى من حب حبيبه فتدبر (قوله الاب والابن الخ) انما يناسب هذا لو قال الشارح ان الله أجزاء ثلاثة وأما قوله ان الله ثالث ثلاثة انما يناسب ان يقول بعده ما فى الجلالين من تفسير قوله ان الله ثالث ثلاثة ونص ما فيهما أى آلهة ثلاثة أى أحدها والآخران عيسى وأمه وقد يقال هذا ظاهر على ما ذكره السنباطى فى معنى الاب والابن وروح القدس وأما على ما ذكره الخازن فيناسب ما ذكره الشارح فتأمل والذى ذكره السنباطى يريدون بالاب الوجود وبالابن العلم وبروح القدس الحياة والذى ذكره الخازن فى تفسير الاقانيم ما ملخصه ان أقنوم الاب ذات الله وأقنوم الابن عيسى وأقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اهـ وفيه ان الحياة الحالة فى عيسى ليست الها حتى يكون ما ذكره الخازن مناسبا لما فى الشرح اللهم الا أن يقولوا ان الحياة المذكورة اله وحينئذ فتظهر مناسبته لما فى الشرح تامل وحينئذ فعبارة السنباطى وقول الشارح الاب (١٧١) انما يناسبان قول فرقة أخرى من أهل الضلال ان الله مركب من أقانيم ثلاثة الاب والابن وروح القدس المبينة فى شرح السنباطى وهذه الفرقة هى النسطورية من النصارى ويقولون أيضا ان المسيح ابن الله والفرقة القائلة بان الله ثالث ثلاثة المبينة فى الجلالين وهم المرقوسية وهم نصارى نجران (قوله البداء) أى ادعاؤكم استلزام النسخ البداء أى ظهور المصلحة فى الشئ لله بعد خفائها عليه تعالى (قوله بدا بمعنى أراد) وهذا المعنى لبدا هو المصحح لاخذ البدل منه فمعناه الارادة لا المعنى المتقدم المستحيل على الله الذى رتب عليه اليهود امتناع النسخ (قوله الاحتمالات العشرة المقررة فى محالها) قال ابن أبى شريف فى حاشية جمع الجوامع هى كما يتحصل مما مر تعارض المجاز والاشتراك تعارض النقل والاشتراك تعارض المجاز والاضمار تعارض النقل والاضمار تعارض التخصيص والمجاز تعارض التخصيص والنقل تعارض التخصيص والاشتراك تعارض التخصيص والاضمار تعارض الاحتمال والاشتراك تعارض المجاز والنقل وهذه العشرة حاصلة من ضرب خمسة فى اثنين والخمسة هى التخصيص والمجاز والاضمار والنقل والاشتراك وقد جمعها بعضهم وأضاف اليها النسخ وقدم المجاز على الاضمار فقال

تجوز ثم اضمار وبعدهما * نقل تلاه اشتراك فهو يخلفه
وأرجح الكل تخصيص وآخرها * نسخ فما بعده قسم يخلفه

ويمكن انشادهما على ترتيب وفق الكتاب بان يقال تجوز مثل اضمار وبعدهما الخ اهـ وقد مثل فى شرح جمع الجوامع لبعضها فراجعه ان شئت (قوله كآيات الصفات) نحو يد الله فوق أيديهم (قوله وأحاديثها) نحو ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل فالمراد باليد فى الآية القدرة وفى الحديث الرحمة

اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى (ما) مصدرية ظرفية (لم تقيموا عليها بينات) أى أدلة قطعية لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها الظن (ابناؤها) أى نتائجها (أدعياء) أى باطلة والدعى فى الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن أصل فاسد وهذا استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى هو وطء الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ثم رشح لها بذكر الادعاء المناسب للمشبه به وبين الادعاء والادعياء والدعاوى تجنيس لاشتقاق وشبهه كالطوها والخلطاء والصفات ووصفه الآتيات وفى النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل ﴿تنبيه﴾ فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد أشار الناظم رحمه الله تعالى للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث لانهم أكثر وأشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر فى قوله عز قائلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الآية (ليت) حرف تمن (شعرى) أى علمى أى ليتنى علمت ما تقولونه انضباطا حتى أتكلم معكم فى رده بأبلغ مما هنا وهو (ذكر الثلاثة) الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) ذكر (الواحد) الصادر منكم تارة أخرى حيث ادعيتم توحيده (نقص فى عدكم أم نماء) أى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم (كيف وحدتم) أيها القائلون بالتثليث (الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء) اللذان أثبتموهما فى دعواكم التثليث (أ) يمكن ان يوجد (اله مركب) من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لا لانا (ما سمعنا باله لذاته أجزاء) أو جزآن أى بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من أجزاء أو متعدد قيل لهم (ألكل منهم نصيب) أى جزء (من الملك) فان قالوا نعم قيل لهم (فهلا) وفى نسخة فلم لا وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون (تميز) بالبناء للفاعل أى تميز أو للمفعول (الانصباء) أى نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التمييز

(قوله نسطورية) بضم النون وفتحها أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وان المسيح ابن الله وقوله ويعقوبية أصحاب يعقوب راهب القسطنطونية قالوا ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقوله وملكية أصحاب ملكان الذى ظهر ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه كذا فى البيضاوى فى سورة مريم عند قوله فاختلف الاحزاب الآية زاد الثعلبى والمرقوسية وهم نصارى أهل نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وأمه وسيأتى ان الناظم أشار لفرقة خامسة بقوله أم أردتم بها الصفات كما فى شرح السنباطى على ما يقتضيه ظاهر عبارته وسيأتى نقلها هنالك وامكان رد ما ذكره لمذهب اليعقوبية (قوله وقد أشار الناظم الخ) فيه نظر بالنسبة للملكية على ما نقله عنهم البيضاوى من أن اعتقادهم ان المسيح عبد الله ونبيه وهذا موافق لعقيدة أهل الحق ويكون ضلالهم وكفرهم بغير ذلك فان كان لهم اعتقاد فاسد غير ما ذكر كغيرهم من بقية فرقهم صح (قوله للبحث مع الكل والرد عليهم) بالنسبة لهم أيضا ولعلهم يعتقدون ان الاله مركب من الصفات الثلاثة حال فى بدن عيسى فراجع وحرر ثم رأيت فى الخازن فى تفسير قوله يا أهل الكتاب تعالوا ان الملكية قائلون ان عيسى هو الله كاليعقوبية وان المرقوسية لهم مذهب آخر غير ما ذكره الثعلبى وهو انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون بأقنوم الاب الذات الالهية وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اهـ قال فى المختار الاقانيم الاصول واحدها أقنوم وأحسبها رومية (قوله ليت حرف تمن الخ) عبارة السنباطى ثم أخذ فى الرد على النصارى فى دعواهم ان الله ثالث ثلاثة مع دعواهم انه اله واحد فقال ليت الخ ثم قال بعد قوله ذكر الثلاثة والواحد فى قولكم الله ثلاثة الله واحد وفيه مع ما بعده لف ونشر مشوش (قوله الاب) تقدم ما فيه من أن صوابه تعيين الثلاثة بالله وعيسى وأمه وهو ظاهر على ما ذكره السنباطى وأما على ما ذكره الخازن فما ذكره الشارح صحيح على ما سبق من ان الحياة الحالة فى عيسى اله (قوله أيمكن ان يوجد الخ) أى فان قالوا واحد مركب من ثلاثة أجزاء كل منها اله قلنا أيمكن الخ أى ما سمعنا باله لذاته أجزاء كل منها اله أى لم يوجد اله كذلك لانه لو وجد لكان الاله متعددا وحينئذ الكل الخ (قوله مركب من أجزاء) أى كما تقول النسطورية وقوله كما انها تحيل تعدده أى كما تقول المرقوسية وان لم يذكر الشارح هذه الفرقة وتقدم ان الثعلبى ذكرها (قوله أى تميز) أى فهو مضارع محذوف احدى التاءين ويصح أن يكون ماضيا وقوله أو

دليلا

دليلا على مازعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والنماء جناس التقابل كالحاجة والاضطرار ولاماتة والاحياء الآتيات فان قالوا الكل نصيب أو انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم (أتراهم) أي أتظنهم (لحاجة) أي احتياج (واضطرار) وهو شدة الحاجة الى الشئ بحيث لا يجد منه وحة عنه (خلطوها) خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر لشئ مطلقا لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعى على عدم الوهيته فان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فاكثر (و) الحال انه (ما) نافية (بغى) أي ظلم (الخلطاء) أي الشركاء أي بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دائمة بين شريكين وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والدلائل العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل ألزم قائله الكفر بعض المتأخرين وألف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلى وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين في الايجاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان من شأن النفس أن لا تريد بقاء شريك معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان وأحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجه آخر وبيانه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينئذ يقال لهم (أ) تقولون في حال ركوب عيسى الحمار (هو) أي الاله (الراكب الحمار) فان قلتم انه هو فركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا ومازعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وحينئذ (فيا عجزاله) تعجب من دعواهم المستلزمة ذلك (يمسه الاعياء) أي التعب (أم) متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة (جميع على الحمار) فيقال لكم (لقد جل) حينئذ (حمار يجمعهم) أي الآلهة أي مجموعهم (مشاء) صيغة مبالغة من مشى وقبح اله يحتاج الى ان يمشى به حمار فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على مافيها (أم) متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون (سواهم) أي الثلاثة الذين على الحمار (هو الاله ف) بسبب ذلك (ما) استفهامية (نسبة عيسى اليه) خبر نسبة (والانتماء) هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة أي أخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل ذى عقل يجزم بأنه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجزاله ومابعده تذييل متكرر (أم) متصلة كذلك (أردتم بها) أي بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة (الصفات) القائمة بذات الاله والصفة مادل على معنى زائد على الذات (فلم) مر آنفا الكلام عليها (خصت ثلاث) بالصرف للوزن (بوصفه) أي الاله (وثناء) بضم أولهما معدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد

المفعول فيه نظر سواء كان ماضيا أو مضارعا لانه لازم وصفة المجهول في الماضى مكسور الياء وفي المضارع مفتوحها كما لا يخفى تأمل (قوله واحتمال توافقهما) وهذا هو المذكور في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فالملازمة المستفادة من لفظه عادية لا عقلية لجواز اتفاقهم في المراد عقلا فلا يلزم الفساد ولكن العادة تحيله كما مر فان قلت فالحجة المستفادة منها ظنية لا عقلية قلت ممنوع بل هى مفيدة للعلم وعدم استحالة النقيض عقلا لا يخرجه عن كونه علما اذ لم يؤخذ (١٧٣) في مفهوم العلم استحالة النقيض بل مجرد الجزم عن موجب وهو موجود في ذلك اه سنباطى (قوله وبيانه) كذا بخطه رحمه الله تعالى والاولى حذفه (قوله أتقولون الخ) رد على طائفة من النصارى تزعم ان المسيح هو الله وتقدم ان ذلك مذهب اليعقوبية وانه في الاصل في السماء ثم نزل الى الارض ثم رجع لمحله وعبارة السنباطى ثم من النصارى لعنهم الله من يزعم ان الله هو عيسى بن مريم ومنهم من يزعم انه ابن الله فقال لهم من المعلوم ان عيسى كان يركب الحمار وحينئذ أتقولون هو أى الله الراكب الحمار بأن أردتم بالثلاثة التى هى الله عندكم الذوات امتزجت بعيسى امتزاج اللبن بالخمر فكان الله هو الراكب الحمار فاهذا الاعياء فيا عجزاله يمسه الاعياء أم لغيره اعياء والثلاثة التى هى الله عندكم جمع الخ (قوله جميع على الحمار) دعلى طائفة من النصارى تزعم ان الاله ثلاثة الله وعيسى وأمه لعن الله جميع فرقهم الخاسرة وتقدم ان هذا مذهب المرقوسية (قوله فما نسبة الخ) أي لا نسبة بينهما الا التباين فكيف قلتم بالاتحاد اه سنباطى (قوله القائمة الخ) أي قامت بعيسى قيام العرض بمحله فكان هو الله اه سنباطى وهذا مذهب لطائفة من النصارى غير المذاهب الاربعة المتقدمة فتأمل فذكر الفرق ثلاثة في كلام الشارح وأربعة في كلام غيره ليس للحصر فتأمل ويمكن ان يقال ان هذا مذهب اليعقوبية القائلين بان الاله هو عيسى هبط الى الارض ثم صعد الى السماء أي الصفات التى هى آلهة قامت به قيام العرض بمحله فكان هو الله (قوله وثناء) زائد عما ذكره من ادعاء النصارى التثليث مبالغة في الرد عليهم أي حتى لو ادعيتم ان

الاله اثنان فدعوا كم باطلة لما ذكروا انما قلنا زائد الخ لانا لم نعلم أحدا منهم قال ان الاله اثنان ثم رأيت ان فرقة منهم قائلة ان المراد بالاب ذات الله و بالابن كلام الله وبروح القدس العلم فيمكن بقطع النظر عن كلام الشارح أجراء قول الناظم أو ثناء عليه فانهم قائلون بامتزاج الصفتين المذكورتين وجعلهما الها ولا ينافى ذلك ضم شئ اليه وهو الاب المفسر بذات الله (قوله الى مجموع الثلاثة) أى الوجود والعلم والحياة التى عبروا عنها بالاب والابن وروح القدس كما تقدم التى قامت بعيسى الى آخر ما سبق آنفا (قوله والاثنين الخ) المراد بالاله بالحقيقة عيسى والاله بالتجوز الصفات المذكورة فهى اله مجازا وعيسى اله حقيقة لكن ظاهر النظم ان المراد ثناء من الصفات وصرح بذلك الشارح حيث قال لا ينحصر فى اثنين وذات عيسى ليست حقيقة فتدبر وتأمل (قوله على حد سواء) قد يقال للملاعين ان يقولوا بالفرق لان عيسى لا اب له من الخلق بخلاف غيره من الانبياء فيرد عليهم بادلة نفى أبوة الله سبحانه المقررة فى التوحيد ومن أدلة الرد قوله قتلته اليهود (قوله قتلته) فلا يكون الله ولا ابنه والا لم يتمكنوا من قتله (قوله احياء) أى باذن الله فمن كان يرد الحياة بعد ذهابها باذن الله فكيف لا يحفظها عن الذهاب باذنه ولا سيما عن نفسه (قوله بضم الهاء) عبارة الجوهرى رحمه الله تعالى وهراء بضم الهاء وبالراء المهملة قال ابن السكيت هرأ الكلام اذا أكثر فى الخطا وهو منطق هراء قال الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وفى بعض النسخ هزاء بالزاى ولعله من قولهم رجل هزءة بالتسكين يهزأ به وهزأة بالتحريك يهزأ بالناس فهو نظير ضحكة بضم فسكون لمن يضحك منه وبضم ففتح لمن يضحك كثيرا وظاهر أخذه من هزأة بالتسكين على قياس ضحكة انه يجامع قيام الوصف بغير من وصف به فقولك قول هزءة أى يهزأ الناس به فالوصف قائم بالناس لا بالقول كرجل ضحكة لمن يضحك منه الناس فالضحك قائم بالناس لا بالرجل تأمل (قوله وفى نسخة الخ) وفى نسخة شرح عليها السنباطى بالذال المعجمة وفسره بالخطا ثم رأيت فى القاموس ما يؤخذ منه انه المكروه سماعه حيث قال هذأ فلانا كمنع أسمعه ما يكره (قوله من تعالى) أى من ضميره محول عن ذلك الفاعل (قوله ورفعه خبر مبتدا الخ) أو صفة ثانية لقول ولا يشكل كونه حالا أو صفة باضافته لمعرفة لانه لا يتعرف بالاضافة تقول مررت برجل مثلك (قوله لزمت دعواه الخ) تقدمت المقالة الشنيعة اللازمة لدعوى النصارى التثليث وأما المقالة الشنيعة اللازمة على دعوى اليهود عدم النسخ فقد أشار اليها الناظم بقوله وأراهم لم يجعلوا الخ (قوله هل هى ناسخة لشريعة موسى) عليه

هنا ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا فى ثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل (أم) تقولون (هو) أى عيسى صلى الله عليه وسلم (ابن الاله) فيقال لكم لم اختص عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه (ما) نافية (شاركته فى معانى النبوة الانبياء) بل عيسى وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى ذلك على حد سواء فادعاء النبوة لعيسى عليه الصلاة والسلام تحكم باطل أيضا (قتلته) أى عيسى عليه الصلاة والسلام (اليهود) حال كون قتلهم له انما هو (فيما) أى فى القول الذى (زعمتم) معشر النصارى والزعم أصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول أم هانئ للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن أمى أى على كرم الله وجهه انه قاتل من أجرته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وكيف يزعمون ذلك (و) الحال انه (لاموات كم به) أى بسبب عيسى عليه الصلاة والسلام (احياء) وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يحيى الموتى ويتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تنتبهون له وعلى كل حالة (ان قولا) مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث (أطلقتموه على الله تعالى) عما تقولون أنتم وأمثالكم علوا كبيرا (ذكرا) أى ثناء وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلاثة (لقول هراء) بضم الهاء من هرأ الكلام اذا أكثر فى الخطا وفى نسخة بالزاى من قولهم هزءة بالتسكين أى مهزوء وبالتحريك يهزأ بالناس ويصح ان ذكرا تمييز من تعالى أى تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع (مثل) يجوز نصبه حالا أى لقول هراء حال كونه مثل أو نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا محذوف أى هو مثل (ما قالت اليهود) أى قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين (وكل) من الفريقين (لزمته) أى لزمت دعواه (مقالة شنعاء) أى قبيحة جدا (اذهم استقروا البداء) أى تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا شرعا على الله تعالى نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى ينسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهى فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظى واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هل هى ناسخة لشريعة موسى صلى الله

عليه وسلم أو مخصصه والاظهر انها مخصصه لا ناسخة لقوله تعالى ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم
قال الامام فى تفسيره روى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعته الا شريعة عيسى
عليه الصلاة والسلام ﴿تنبيه﴾ ذكر الامام أيضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع
كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة
الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على
خلق الله تعالى ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة
نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة
لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك
الطريق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة فان
الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان
الخلق طبعوا على الملالة من الشئ فوضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا فى أدائها وأعظم
حكمة اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته صلى الله عليه
وسلم لا ناسخ لها ومن حكم النسخ أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء فى يوم وبآخر
فى يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثانى أثقل ﴿تنبيه﴾ آخر ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم
البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين أو الازمنة وذلك لا يستلزم
بل ولا يقتضى ان الله تعالى ظهر له شئ بعد أن لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة
الرافضة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ منه وهذا أغلظ من الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب
عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه أو قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين
وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادى قاطع بان الفعل قد يكون
مصلحة فى وقت مفسدة فى وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق
آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت أو فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ أيضا
لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضى
نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه أيضا
ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم فى زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق
منهم الادون عدد التواتر بل قيل انهم لم يبق منهم الا ستة أطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن
الطويل كما فى التوراة فى صور كثيرة (وكم) أى مرات كثيرة (ساق وبالا) أى عذابا (الهم استقراء)
وفى هذين كفالت ومقالة السابقين جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفى المسخ والنسخ ونسخ
ومسخ الجناس اللاحق وحالفوهم وخالفوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ
من التذييل البديع (وأراهم) أى اعلمهم لقولهم بذلك أعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء (لم
يجعلوا) أى لم يعتقدوا (الواحد) فى ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له بوجه ما (القهار فى الخلق) أى
للخلق على نفوذ ما أراده فيهم ويصح تعليقه بفاعلا فى على حالها (فاعلا ما يشاء) لان امتناع النسخ
عليه يستلزم قهره وعجزه (جوزوا النسخ) جواب لو الآتية تجويزا (مثل ما) مصدرية (جوزوا المسخ
عليهم لو أنهم فقهاء) أى فهماء ولا فهم لهم اذ ما فرقه أبلد من الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير

أى جميعها وقوله أو مخصصه أى ناسخة لبعضها فان تحليل بعض ما حرم الله فيه نسخ التحليل بالتحريم (قوله فلا يتصور فيه نسخ) أجاب
المالكى عن هذه الشبهة بعد ايراد شقيها بان المسلمين اتفقوا ان الله شرع لموسى شرعه بلفظ الدوام ولا يجب ان يكون ذكر
معه ان يكون منسوخا اذ
لا يجب البيان عند الخطاب
بل يجب عند الحاجة انتهى
ولا يخفى ما فيه (قوله بخت
نصر) بضم الموحدة واسكان
الخاء المعجمة ثم مثناة فوقية
وبفتح النون والصاد المهملة
المشددة أى ابن الصنم لان
بخت معناه ابن ونصر اسم
صنم كان يعبد ولم يعرف
له أب فاضيف اليه (قوله فى
صور كثيرة) منها كما ذكره
الشارح المالكى انه قال فى
العبد يستخدم ست سنين ثم
يعتق فى السابعة فان أبى
العتق فاتثقب اذنه ويستخدم
أبدا وهو منقطع بالموت
فاطلق الابد على العمر وقال
فى البقرة التى أمروا بذبحه
تكون لكم سنة أبدا وهى
تنقطع بخراب العالم وقال
فى الجمل الذى أمروا بذبحه
وان تأكلوا لحمه ولا
تكسروا عظمه ويكون
لكم هذا الجمل سنة أبدا
قال ثم مذهبهم منقوض
بصور منها ان السارق اذا
سرق فى المرة الرابعة تثقب
اذنه ويباع وقد اتفقنا على
ان ذلك تغيير ومنها قصة
الذبيح ومنها ما فى التوراة
ان الجمع بين الحرة والامة
كان جائزا فى ملة ابراهيم
وحرمته التوراة وهل
النسخ الا رفع حكم بحكم آخر ومنها ان فى التوراة قال الله تعالى يا موسى اخرج أنت وشعبك لترثوا الارض المقدسة التى وعدت بها آباكم
ابراهيم ان أورثها نسله فلما ساروا الى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لانكم عصيتمونى وهو عين النسخ ومنها تحريم السبت فانه لم يزل
العمل مباحا الى زمن موسى وأمور أخر (قوله جواب لو الآتية) أى على مذهب الكوفيين حيث جوزوا تقديم الجزاء على أداة

والنقل كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب آخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء ورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد أي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يدول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى أقبح منها في كثيرين منهم في زمن موسى عليه الصلاة والسلام لما خالفوا في السبت فسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى علينا في كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ و (هو) ليس فيه (الا أن يرفع الحكم) الشرعي أي استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن أو نفيه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء أو تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل ولا الى بدل فان كان الى بدل زيد في الحد (بالحكم) الشرعي وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك (وخلق) أي ايجاد (فيه) أي المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة الاولى (وأمر) أي تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني (سواء) لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلفها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلفه الحكم الثاني فاذا جوزتم الاول لزمكم أن تجوزوا الثاني والا فأنتم سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله (والحكم من الزمان انتهاء) والناسخ وهو المراد بقوله (والحكم من الزمان ابتداء) ولا ينافي هذا تفسيره النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف أو دوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح انه اشارة الى تفسيرين في النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تأويل التفسير به بما قلنا كما هو المقرر في محله فتأمله وعلى كل فجواز النسخ أولى من جواز المسخ لان ذلك في الاحكام وهذا في الذوات سواء أجعلنا النسخ رفعا أم بيانا وسواء أجعلنا المسخ في صورتهم حتى صارت أقاربهم من المؤمنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجيء القرد الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له ألم نهكم عن المخالفة فيشير اليه برأسه ان نعم أو في قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتداء وانتهاء طباق واذا أردتم أيها المسلمون المبالغة في ادحاض حجتهم (فسلوهم) قائلين لهم (أكان في مسخهم) التفت عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم أي جعلهم قردة في الصورة كما هو المشهور أو في قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد (نسخ لآيات الله) وهي الصورة الاولى مع أحكامها أو للادراك الاول بناء على قول مجاهد (أم انشاء) لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها أو لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة أو بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشاء لا يقال قد لا يعترفون بطر والتغير على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به في قولهم قلوبنا غلف أي مغطاة بأغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به (وبداء) بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ خبره (في قلوبهم) الثابت عنهم وتقولهم (ندم الله على خلق آدم أم خطاء) المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بداء أي سلوهم عن قولهم هذا أهو عن قصد منهم أم عن خطا منهم فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذي أنكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وانهم

الشرط ووافقهم بعض البصريين ومذهب جمهور البصريين عدم جواز تقدمه وان تقدم على أداة الشرط شبيه بالجواب فهو دليل عليه وليس اياه ويمكن تقدير مضاف في كلام الشارح فيكون جاريا على مذهب الجمهور أي دليل جواب الخ وفيه ان جعله دليل الجواب لا يقتضي نفيه مع انه المراد بخلاف جعله جوابا فجريانه على مذهب غير الجمهور متعين (قوله أو نفيه الخ) فيه انه انما أريد استمراره لا ذاته كما انه في الاول انما أريد تعلقه لا ذاته فلا بد من تقدير مضاف اما تعلق أو استمرار فكان الظاهر أن يقول فعلم ان المراد تعلقه أو استمراره لا ذاته التي الخ (قوله اقتضاء) أي طلبا للفعل وجوبا أو ندبا أو للكف حرمة أو كراهة أو خلاف الاولى وقوله أو تخييرا بين الفعل والترك أي اباحة (قوله وخلفه الحكم الثاني) أي ان كان الى بدل (قوله وقول الشارح الخ) عبارته وهذا فيه اشارة الى تفسير آخر للنسخ فانه انما اختلف فيه هل هو رفع أو انتهاء فاشار الى التفسيرين (قوله فتأمله) تأملناه فوجدنا ما ذكره من عدم صحة كلام الشارح غير ظاهر لان ما أول به الرفع يؤول به الانتهاء والابتداء أي انتهاء تعلقه وابتداؤه فيرجع التفسيران الى معنى واحد فتدبر (قوله والحق ان المسخ الخ) لا داعي الى ذلك ذلك أن تقول ذلك في معنى أحد قسمي النسخ وهو النسخ الى بدل فتأمل (قوله على خلق آدم) بصرفه للضرورة

في

(قوله والمناسب الخ) هو كذلك وفيه بعد اذ الامساء المذكور انما يترتب وجوده على محو آية هى النهار لا على محو آية هى الليل وقد يقال وجود ما ذكر مترتب على محذوف أشار اليه الشارح بقوله وهكذا أى ومحا آية النهار وأتى بالليل بدله ويمكن بقطع النظر عن كلام الشارح تصحيح كلام الناظم من غير نظر لمحذوف بان يراد بآية الليل القمر ويراد بمحوها ذهاب نورها ويراد بالامساء الاظلام وترتب الامساء بهذا المعنى على ذلك المحو ظاهر تأمل (قوله و بفرض وقوعه) كان الاولى وعلى وقوعه لانه محقق لا مفروض مقدر تدبر (قوله أومن الترديد الثانى) وكذا بالاول من الترديد الثانى لان فيه السهو أيضا حيث قال فهل هو عمد بعد سهو (قوله هو الذى جعل الليل) التلاوة وهو بالواو ثم رأيت فى نسخة بالواو الموافقة للتلاوة (قوله آيتين الخ) قال البيضاوى تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد فمحونا آية الليل أى الآية التى هى الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة أى مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر أو مبصرة أهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها انتهى مع بعض حذف (قوله أهل الكتابين) ومن ثم جرى الناظم عليه لان كلامه معهم (قوله يا ابن الذبيحين) وما يروى من قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعنى بهما عبد الله واسمعيل و به استدل من يقول الذبيح اسمعيل رد بان هذا الحديث لم يثبت انتهى من النعمة الكبرى (قوله نذر لله ان سهل الله له أمرها الخ) تقدم للشارح قبيل قوله وتداعى ايوان كسرى ان نذره ذبح ولده معلق على رزقه عشرة أولادا لا على تسهيل أمر زمزم كما هنا وعبارته هناك فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن أحدهم لله انتهت

فى غاية السفاهة والغباوة وسيلزمهم الاعتراف بالبداء لا بالخطا فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء وسلوهم أيضا عما لا يمكنهم انكاره لانه أمر محسوس ورد القرآن على طبقه فقولوا لهم أعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول احداهما بالاخرى (أم محا) أى أذهب (الله آية) أى علامة (الليل) اسم جنس جمعى واحده ليلة كتمر وتمرة وأتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة (ذكرا) بضم الذال تمييز أى من جهة الذكر أى العلم والتعمد (بعد سهو ليوجد الامساء) أى الدخول فى المساء وهو ما بعد الزوال والمناسب أن يراد به هنا ما بعد الغروب أى سلوهم أهل هذا المحو واقع أم لا و بفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو أو عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد الثانى لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار فى غير ما آية فقال تعالى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة أى يخلف أحدهما الآخر لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضى دوام أشياء بلا تبديل ولا تغيير تقتضى تبديلها وتغييرها وفى ذكرا بعد سهو جناس التطابق كحرم والتحليل وجحدوا وآمن الآيات (أم بدا لله فى ذبح اسحق) حيث أمر به ثم نسخه (و) الحال انه (قد كان الامر فيه) أى بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله عليهما وسلم فى النوم (مضاء) أى ماض نافذ وفى نسخ قضاء بالقاف أى حتم وذلك لان رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى أى سلوهم عما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام انه أمر بذبح ولده أمرا جازما ثم عند ارادته له لما أضجعه على جنبه نسخه الله تعالى فأمره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال من أن الرقبة كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص فكله لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا أو غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة * (تنبيه) * ما جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل وأجمع عليه أهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولا أتى تلك الاماكن قاضيان بانه اسمعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك روى الحاكم فى المستدرك ان الصنابحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسمعيل وقال بعضهم الذبيح اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال له يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما أمر أى فى المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله له أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم

(قوله وجحدوا بها) الضمير في الآية للآيات التسع التي لفرعون وقومه أي فلما أنكر اليهود الآيات التسع مع تيقنها أنكروا نبوة المصطفى مع تيقنهم لها فالضمير باق على كونه للآيات ولا يظهر ترجيعه للنبوة للزوم تغير القرآن عن معناه فتأمل (قوله بالجبت) الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن (١٧٨) والساحر ونحو ذلك انتهى صحاح (قوله للذين كفروا) أي لأجلهم (قوله حيي بن أخطب)

فأسهم أي أقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسمعيل الذبيح الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في تفسيريهما وسلوهم أيضا فقولوا لهم (أ) تنكرون النسخ (و) تقولون (ما حرم الاله نكاح الاخت بعد التحليل) في زمن آدم صلى الله عليه وسلم أو تقولون حرمه بعد ان حلله وعليه (فهو) أي نكاحها (الزناء) موجب للرجم ومد الزناء لغة فان قالوا حرمها بعد ان أحلها فهذا صريح في النسخ الذي أنكروه وان قالوا لم يحرمها فهو عناد محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم واذا بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فاسأل عن حجاجهم و (لا تكذب ان اليهود و) الحال انهم (قد زاغوا) أي مالوا (عن الحق) من وجوه عديدة سفها وحسدا (معشر) أي قوم (لؤماء) جمع لئيم وهو الدنيء الاصل الشحيح النفس (جحدوا) بدل من زاغوا (المصطفى) أي المختار من الصفوة أو المصفى من كل نقص أي أنكروا نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بها علما يقينيا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (و) الحال انه قد (آمن بالطاغوت) أي الشيطان وكل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادته فعلوت من الطغيان (قوم هم عنده هم شرفاء) هذا كالذي بعده بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس وأقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى عز قائلا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا عن اشرافهم أو كفار العرب هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ومن العجيب من الشارح كيف أخذ النظم على ظاهره واستدل له بالآية مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد وآمن بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ ويقولون أي اليهود للذين كفروا أي من كفار العرب الذين آمنوا بالجبت هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ويدل على هذا أن حيي بن أخطب لما ذهب لقريش وغيرهم يحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا من محمد قالوا نعم ففرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الآتي أولى من قول الشارح انها عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده أي لما قررته فيه ان مدحهم بالمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة واللؤم وأحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على الاخرى أن يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد يقال في النظم دلالة لما فعله الشارح لانه أتى بأربع جمل ثنتين بلا واو وثنتين بواو ونظر للمناسبة المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قوله (قتلوا) بدل بعد بدل أو عطف بحذف حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله (الانبياء) كزكرياء ويحيى وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق بقلهم ومعاشهم (واتخذوا العجل)

بالتصغير وأخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء (قوله قتلوا الانبياء) ذكر ابن عطية في تفسيره انه لم يقتل من الانبياء الا من لم يؤمر بالقتال وكل من أمر بالقتال نصر (قوله واتخذوا العجل) حاصل قصتهم انه لما وعد الله موسى لميقاته وهو أربعون ليلة كان قوم موسى قد أمنوا من عدوهم ودخلوا في مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه ما تأتون وما تذرون وواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة استخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال لها فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيي فلما رآه السامري وكان رجلا ضالا اسمه ميخا من أهل كرمان أو غيرها وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس يخضر وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وألقى في روع السامري انه اذا ألقى في شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في أيديهم فقال السامري لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعرتموه غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع

موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فيه فلما اجتمع الحلى صاغه السامرى عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس
الرسول فيه فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشى و يخور فقال السامرى هذا الهكم
واله موسى نسيه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الموعد وعدوا اليوم مع الليلة حتى مضت عشرون يوما ولم يرجع
موسى فوقعوا فى الفتنة وكان موسى وعدهم ثلاثين ليلة وزيدت العشرة وكانت الفتنة فى العشرة فعكفوا على عبادة العجل وكان
الذين عكفوا على عبادته منهم ثمانية آلاف أوكلهم عبده الا هرون مع اثنى عشر ألف رجل وهو الصحيح والسامرى اسمه موسى بن
الظفر أو ميحا كما سبق وقيل غير ذلك (قوله استعاره) الذى فى القصة استعاروه أى بنو اسرائيل (قوله خور) قال فى المختار فى خار الثور
يخور خورا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقوله جسدا أى بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح
ونصبه على البدل والخوار اسم لصوت البقر كذا فى البيضاوى وقوله خاليا من الروح أى صاغه بنوع من الحيل
فتدخل الريح جوفه
ويصوت وقيل ألقى
فى فمه من تراب أثر فرس
جبريل فصار حيا (قوله
ولكن لا يشعرون) صوابه
لا يعلمون لانه التلاوة
وقد يقال ليس مراد
الشارح ذكر نظم التلاوة
(قوله محدثا بحضرتهم)
ظاهر ما فى القصة انه لم
يصغه بحضرتهم (قوله
يسمى الترنجبين) ونقل
عن تذكرة داود انه غيره
حيث قال هو نوع من
الحلوى كالترنجبين وهو
طل ينعقد فى الهواء
ويسقط ثم بعد ذكر
خواصه قال والترنجبين
أقوى عملا وأكثر فائدة
انتهى قال القاضى قيل
كان ينزل عليهم المن مثل
الثلج من الفجر الى الطلوع
ويبعث الله الجنوب فيحشر
عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (قوله هو السمانى) ولا يقال سمانى
بالتشديد الواحدة سماناة والجمع سمانيات انتهى صحاح (قوله كما قرئ به) أى شذوذا انتهى سنباطى (قوله لن نصبر على طعام
واحد) ان ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى والمراد بوحدته والله أعلم انه نوع واحد لا تختلف ألوانه ولذلك أجموا أى سئموا وكرهوه
قال فى الصحاح أجمت الطعام بالكسر أى كرهته من المداومة عليه (قوله هو أدنى) وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة
كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل (قوله ملئت بالخبيث) عبارة السنباطى ملئت بالمأكول الخبيث أى
الحرام كالربا والسحت منهم بطون فكيف لا يطلبون أن علا هاهذا المأكول الخبيث بالنسبة للمن والسلوى لما بينهما من المناسبة
فى مطلق الخبيث وان اختلف جهة الخبث فيهما (قوله أى معى) قال فى القاموس المعى بالفتح وكالى من اعفاج البطن وقد يؤنث الجمع
أمعاء اه قال فيه فى فصل العين من باب الجيم العفج وبالكسر وبالتحريك وككتف ما ينتقل الطعام اليه بعد المعدة والجمع اعفاج وفى

العجل) الها ومعبودا مع ان السامرى هو الذى صاغه لهم بحضرتهم من الحلى الذى استعاره من
القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذى جاء به لفرعون
حين دخل وراءهم البحر لما انفرق لهم لانه كان أحجم عن دخوله فبمجرد ان القى فيه القبضة خور
فقال هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله
تعالى علينا مبسوطا فى القرآن ومن ثم كان فى كلامه اقتباس لقوله (ألا) حرف تنبيه لاستفراغ
وسع السامع فى القاء سمعه لما بعدها (انهم هم السفهاء) ولكن لا يشعرون بجهلهم مركب فلا أسفه
ولا أغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس
بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد والاله لا يكون كذلك عند من له أدنى
عقل وتمييز ثم بين أدنى أنواع سفههم بقوله ملمحا لما وقع لهم (وسفيه) خبر مقدم أو مبتدأ وسوغ
الابتداء به وقوعه بيانا لما قبله كما تقرر (من ساءه) أى أحزنه (المن) وهو نوع من الحلوى يسمى
الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار (والسلوى) وهو السمانى طير من اشهى
الطيور لحما وأنفعها وأطيبها اغتذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيمدون أيديهم اليه و يأخذون
منه ما شاؤا (وأرضاه الفوم) أى الثوم كما قرئ به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة
ليست من الادنى (والقثاء) بل سأل السعة فيهما وفى نظائرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه أنزل
عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت
الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وفى
كلامه اقتباس وطباق بين ساءه وأرضاه ومراعاة النظير فى المن والسلوى والفوم والقثاء (ملئت
بالخبيث) وهو ما سألوه من الفوم وما بعده (منهم) صفة تقدمت فصارت حالا (بطون) ليناسب
ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة أو المراد ملئت بطونهم بالداء الخبيث أى
العضال الذى لا دواء له وهو الغل وما بعده والى هذه يرشد ما رتبه عليه بقوله (فهى نار) أى مشتملة
على ما يؤدى الى النار أو سماها نارا باعتبار المآل كما فى أرانى أعصر خمرا (طباقها) أى النار
(الامعاء) أى المصارين أى معى فوقه نار ثم معى ثم نار وهكذا والى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث

المشعربات بطونهم صارت به كنار ذات طباق وطباقها هي اعتقاداتهم النجسة ويصح أن المراد
بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض فطباقها امعاؤهم اذ الخبيث الذي ملئت به
بطونهم هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وأيضا الخبيث
بعضه أشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى أكلهم واكتسابهم هذا
على الاصح عندنا في الاصول أنهم مخاطبون بفروع الشريعة فيعاقبون عليها بخصوصها في الآخرة
وعلى مقابله هم كفروا من وجوه عديدة بعضها أشد من بعض (لو) شرطية (أريدوا في حال سبت)
مصدر سبت اليهود أي عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة وأصل السبت القطع (بخير)
الباء زائدة للتأكيد كما هو رأي جماعة وكل من الظرفين متعلق بأريدوا على ان الثاني مفعول ويصح
كون الاول حالا من خيرا أي لو أراد الله لليهود في حال سبتهم الذي فرض الله عليهم تعظيمه خيرا (كان
سبتهم لديهم) أي عندهم (الاربعاء) بتثليث الباء هذا من حيث ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة
المستفادة من لو في غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك اذ لم يتنبه له وانما تكلم على بعض
مفرداته فقط ومنها قوله والسبت آخر الاسبوع والاربعاء رابعه وقيل السبت أوله والاربعاء خامسه
وقد يقال كأن الناظم نظر الى أن السبت القطع كما مر والى أن الاربعاء محل النور الحسي لما يأتي
أن الله تعالى خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوي الذي هو الوصل فكأنه يقول لو أريد بهم الخير
لجعل قطعهم وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك الخ لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه
وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه باعتبار أنه لو أريد بهم تمام الخير لجعل محل عبادتهم مؤذنا بوصلهم
الذي من شأنه أن ينشأ عن العبادة وأما اذ جعل محل عبادتهم مؤذنا بقطعهم باعتبار أصل مدلوله
فهذا مما يؤذن بنقصهم وانه لم يرد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا أن الله تعالى ادخر لهذه الامة يوم
الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذي هو أكمل المقامات وأفضلها وجعل
لليهود السبت المؤذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن
الخيرات والسعادات فكان فيما اختصت به كل أمة من الايام دليلا على أحوالها وما يؤول اليه أمرها
فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة في مدح هذه الامة وذم
غيرهم أو يقال ان الناظم أراد بذلك أنهم لو أريد بهم الخير لكانت الايام كلها سبتا عندهم ليعموها
جميعها بالعبادة وأما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما أريد بهم من خلاف
الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبتهم ذكر شأنه ويكون ذكر الاربعاء
للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا ينافي ما قبله لان بركته
لا تنافي أن تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم أن قول الشارح والسبت الخ عجيب منه
اذ ما حكاه بقيل هو الذي صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة وأصلها ونقله في
شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي في روضه لم يقل بأن أوله الاحد الا ابن جرير واستدل له في
شرح المهذب بخبر مسلم عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله
التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر
الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوي كالسهيلي وابن
عساكر أن أوله السبت وجرى النووي في موضع على ما يقتضي أن أوله الاحد فقال في يوم الاثنين
سمي به لانه ثاني الايام الا أن يجاب بانه جرى في توجيه التسمية المكتفي فيه بادنى مناسبة على القول
الضعيف نعم انتصر لكون أوله الاحد الذي جزم به القفال من أصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم
وقد تكلم فيه الحفاظ علي بن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان أبا هريرة انما

الحديث المؤمن يأكل (١٨٠) في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء قال في المختار لان المؤمن لا يأكل الا من الحلال ويتوقى الحرام والشبهة والكافر لا يبالي ما أكل وأين أكل وكيف أكل اه وحيث ثبت أن لهؤلاء الكفار ومن شابههم من الفجار سبعة امعاء وقدرنا أن بعضها فوق بعض صح تشبيهها بالطباق النار به والبطن الجامع لها بجهنم (قوله في حال سبت) عبارة السنباطي ان المراد بحال السبت السكون عما عدا العبادة وكأنه قال لو أراد الله بهم خيرا كاملا في سكونهم في ذلك اليوم لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم النور فاختيار يوم السبت المشير لقطعهم النظر لمعناه الاصلي دون الاربعاء المشير للنور والوصل دليل على أنه لم يرد بهم ذلك تأمل (قوله متعلق باريدوا) فيه أنه جعل حرف الجر في الثاني زائدا وهو لا يتعلق كما هو معلوم في فن العربية تدبر ويمكن أن يقال المراد بالتعلق الارتباط لا التعلق الجار الاصطلاحي أي كل منهما مرتبط باريدوا ارتباط المعمول بعامله تأمل (قوله خلق الله التربة الخ) واذا أردت ضبط ترتيب المخلوقات الواقعة في الحديث فأنت بكلام تكون حروفه مرتبة على ترتيب أوائلها يسهل استحضاره فقل تجشم نداء أي تكلف رفع صوت (قوله وخلق النور) رواه مسلم بالنون مكان الراء أي الحوت وجاء في رواية الحوت بدل النون ولا منافاة لجواز خلقهما أي النور والنون في ذلك اليوم (قوله المكتفي فيه) أي

سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك أعرض مسلم عما قاله أولئك واعتمد الرفع وأخرج طريقه فى صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون أوله السبت بما حاصله أن تأييد ابن جرير لكون أوله الاحد بان هذا العالم خلق فى ستة أيام وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الست التى فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل آدم فى اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر الايام وانما أخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة أيام فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر فى ذلك ويؤيده أيضا الخبر الصحيح أن الله تعالى هدانا اليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى أى لان اليهود لما اعتقدوا أن أول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فأخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا أن أوله الاثنين أخذوا الاحد وأما هذه الامة فاعتقدوا أن أوله السبت فأخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا الان هذه التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على قاعدة مذهبهم فأخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة والسبت وليسا من أسماء العدد اه على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمى خامس الورد رابعا وهكذا وهذا هو الذى أخذ منه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوله الذى كاد أن ينفرد به ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه وهكذا (هو) أى يوم السبت (يوم مبارك) لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب أى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير فى الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون أى أن نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك (قيل) بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم أنه قول ضعيف (للتصريف) أى للتصرف (فيه) ببيع أو نحوه (من اليهود اعتداء) أى ظلم وعدوان كان سبب المسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك أنهم لما أمروا أن يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله تعالى بان ألهم السمك يوم السبت أنه ما يبقى حوت فى البحر الا ورفع خرطومه أو خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر فاجتمع رأى جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك ويمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلئ منه يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووا وأكلوا ففشم جيرانهم فسألوهم فأخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقى فبنوا بينهم حائطا فأصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثانى على خلاف فيه أى لان الآية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا أدرى ما فعل بالثالثة نجاها أم مسخها كذلك قال مالك يؤخذ من هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع اه ويرد بان المقرر فى الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد فى شرعنا ما يوافقه بالدليل هو شرعنا لا غيره (فبظلم) متعلق بعدتهم (منهم) وهو وضع الشئ فى غير محله كتعديهم فى السبت وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل (وكفر) من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به (عدتهم) أى فاتتهم (طيبات) من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من

التوجيه (قوله كن كناية الخ) أى فليس المراد بالآية الكريمة أن الله يقول لشئ من الاشياء كن لا فى الازل وفيما لا يزال بل المراد بها التمثيل لتأثير قدرة الله تعالى فى مراده من غير توقف على عمل واستعمال آلة قطعا للمادة الشبهة وهى قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق (قوله قردة وخنازير) مسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهم أذناب يتعاوون فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا اذ لم يبق ممسوخ فوق ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد وقال مجاهد انما مسخت قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع (قوله وكانوا بايلة) أى وكانت اليهود الذين بها نحو سبعين ألفا (قوله الا ورفع خرطومه) أى حتى لا يرى الماء من كثرته (قوله حفرا) أى وعمقوها فيقبل الموج بالحيتان اليها فلا تقدر على الخروج لبعد عمقها (قوله واعتزلهم الثلث) فى شرح قصيدة ابن زيدون أن الناهين الناجين اثنا عشر ألفا وعليه فيكونون أقل من الثلث لما علمت من أن جميع أهل القرية كانوا نحو سبعين ألفا تأمل (قوله وكذا الثانى على خلاف فيه) فى شرح ابن عبد الحق ما يقتضى ترجيح عدم مسخه كالثالث حيث قال مسخ الله الاول دون الثانى وكذا الثالث على ما قاله عكرمة ورجع اليه ابن عباس بعد قوله لا أدرى ما فعل بالفرقة الثالثة لما بين له وجه أخذه من الآية وكساه حلة (قوله حرمها الله) أى بسبب ذلك

وقد كانت حلالا لهم وهى التى فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (قوله خدعوا بالمنافقين) أى خدعهم الله بسبب المنافقين أى بسبب صدهم لهم عن رسول الله وأما قول السنباطى أى خدعهم المنافقون ففيه أن المنافقين لم يريدوا بهم مكروها حين صدوهم بل انما أرادوا عزهم بظنهم الفاسد فتأمل (قوله وكانوا يدسون) أى يخبرونهم بذلك خفية من دس الشئ فى التراب أخفاه فيه وبابه رد كما فى المختار (قوله وجعل الشارح ينفق الخ) قال فى المختار ونفق البيع بالضم نفاقا راج اه ثم رأيت فى شرح السنباطى ينفق كيضرب أى يروج اه وهو مخالف لما فى المختار اذ مقتضى ما فيه أن المضارع بهذا المعنى بضم العين كيشرف تأمل وفى المصباح مثل ما فى السنباطى وكذلك فى القاموس لانه حين ذكر نفق بمعنى راج يضبطها وقد ذكر فى خطبته أن كل كلمة عراها عن الضبط فانها بالفتح الا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين فان كان فيه الضبطان أى من باب شرف وباب ضرب ارتفع التنافى بين المختار وغيره وعليه فينفق فى النظم مبنى للفاعل من باب عدل أو شرف كما علمت لانه لازم فلا يصاغ منه المجهول بخلافه على جعله من الانفاق تأمل (قوله الملائم للمشبه به) انظر وجه كون السفه ملائما للسلعة المعروضة للبيع اللهم الا أن تقيد بكونها خبيثة أو تعرض للبيع عرضا كذلك كما قيدت الدراهم فى التشبيه الاول بالصرف فى الشر فتأمل (قوله وغطفان) بفتح الطاء حى من قيس (قوله الخندق) فارسى معرب وأصله كنده اه شرح التقريب (قوله خرج اليهم) أى جاء عاجلا الخندق بينه وبينهم (قوله خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة أشهرها فتح الخاء واسكان الدال نديمهم
قال النووى فى شرح مسلم اتفقوا على أنها أفصحهن قال ثعلب وغيره وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم قال الخطابى ومعناه أنها مرة واحدة أى اذا خدع المقاتل مرة واحدة لم يكن لها اقالة أوان معناه أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر أو تكون وصفا للمفعول كما قيل ضرب الامير أى مضروبه اللغة الثانية بضم الخاء واسكان الدال أى أنها تخدع لان أحد الفريقين اذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت هى الثالثة ضم الخاء وفتح الدال أى أنها تخدع أهلها وتمنيهم الظفر أبدا وقد ينقلب بهم الحال لغيرها كما يقال رجل لعبة وضحكة للذى يكثر اللعب والضحك وحكى فيها الحافظ المنذرى فى حواشى السنن رابعة وهى فتحهما جمع خادع يعنى ان أهلها بهذه الصفة فلا يطمأن اليهم كأنه قيل أهل الحرب خدعة ثم حذف المضاف قال وأصل الخدع اظهار أمر واضمار خلافه (قوله بنى قريظة)

الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ومن شأن الطيبات أن يوجد (فى تركهن) الذى تحتم الامر به (ابتلاء) أى اختبار ومحنة للعبد تكون سببا لفلاحه أو هلاكه (خدعوا) أى يهود المدينة وما قرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده (بالمنافقين) من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فأظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هوى هؤلاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت أحبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبى صلى الله عليه وسلم فينزل القرآن مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم أخرى ومنبها على أحوال المنافقين الذين هم معهم باطنا أخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم أنهم أريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فينخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال (وهل ينفق الا على السفيه الشقاء) أى وما ينفق الشقاء الا على السفهاء وهم اليهود لا غير شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف وتخرج فى الشر فهى استعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا وجعل الشارح ينفق من النفاق أى الرواج فعليه شبه الشقاء بالسلعة المعروضة للبيع وأثبت لها النفاق تخييلا ورشح أو جرد بذكر السفه الملائم للمشبه أو المشبه به (واطمأنوا) فى زعمهم مما كانوا يترقبونه من النبى صلى الله عليه وسلم (ل)سبب (قول الاحزاب) أى طوائف أهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد (اخوانهم) فى الكفر لهم (انا لكم أولياء) أى متوالون ومتفقون على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن جماعة من اليهود منهم اللعين حيى بن أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستأصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان رضى الله تعالى عنه وغطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن فاجتمعوا فى عشرة آلاف واليهود قاطعون بأنهم بذلك يستأصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم أشار سلمان الفارسى بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما أو خمسة عشر يوما وهو الاشهر لا قتال بينهم الا الرمى بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى أسلمت ولم يعلم بى قومى فمرنى بما شئت فأمره صلى الله عليه وسلم بان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بنى قريظة وكان

ندبهم في الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معونة قريش الان أخذوا منهم رهنا وخوفهم على أموالهم وأولادهم فقالوا أشرت بالرأى ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وأنهم ندموا على ذلك وأرسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم وانحل عزمهم فخذلهم الله تعالى وأرسل عليهم ريحا في ليلة شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخاذلهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر ماذا يفعل القوم ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا فدخل بينهم فسمع أبا سفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فأخذت بيد من بجنبي فقلت من أنت قال فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان والله يا معشر قريش ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ثم أمرهم بالرحيل فارتحل قال حذيفة ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تحدث شيأ لقتلته بينهم ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا أيضا فلما أصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال صلى الله عليه وسلم لا تغزونكم قريش بعدها أبدا ولكن أنتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اعمد بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة أو خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم أنه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فأبوا فقال الليلة السبت فلعلهم أمنوا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبعة أرقعة فأمر صلى الله عليه وسلم بهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم أخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا اليه فضربت أعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ولا تنافيه الرواية الصحيحة أنهم كانوا أربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم أن الاحزاب (حالفوهم) أى اليهود أى عاهدوهم مع الأيمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وخالفوهم في ذلك) فرحلوا عنهم وأسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم (ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء) وأراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء للسامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى أراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال شأفتهم ﴿تنبيه﴾ تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب أو الانكار أو التوبيخ كما هنا أو التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى (أسلموهم) أى المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهود المسمين بني النضير (لاول الحشر) المقتبس من قوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم

قبيلة من يهود خيبر (قوله نخذلهم) قال في المصباح خذله اذا ترك عونه ونصره (قوله بيد من بجنبي) كل منه ومن جنبي مفرد مضاف فيعم اليدين والجنبين لانه أخذ بيد من عن يمينه وبيد من عن يساره وقال لكل من أنت (قوله الكراع) بالضم في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع أكرع ثم أكارع اه مختار (قوله معتجرا بعمامة) قال في المصباح المعجر ما تشده المرأة على رأسها ومنه يقال اعتجرت المرأة والاعتجار أيضا لف العمامة على الرأس (قوله يا خيل الله) على حذف مضاف أى يا فرسان خيل الله على حد لا يفضض الله فاك أى أسنان فيك (قوله اخدودا) الاخدود شق مستطيل في الارض اه مختار (قوله تجاهل العارف) وهو من محسنات البديع وشاهده قول الحافظ السيوطي في بديعيته

لقد تجاهلتم عني بمعرفة
فلتم أطالب وصل أم قرى هرم

سألوا عن ذلك مع علمهم وعرفانهم أن المحب انما مناه وصالهم وأن فيه بقاء مهجته ولا يظن أنه طالب قرى وضيافة بطعام (قوله شأفتهم) بشين معجمة وهمزة وفاء قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو اذا قطعت مات صاحبها واستأصل الله شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة أو أزاله من أصله اه قاموس (قوله أى المنافقون) أى فضمير الفاعل غير راجع للاحزاب وان قربوا وانما هو للمنافقين في قوله خدعوا بالمنافقين فلو ذكره عقبه لكان أولى (قوله بني النضير) وقريظة وبنو النضير قبيلتان من يهود خيبر وقد دخلوا في العرب على نسبتهم لهرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام منهم محمد بن كعب القرظي (قوله فأتاهم الله) أى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الاجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله اه بيضاوي

(قوله يخربون بيوتهم بأيديهم) ضمنا بها على المسلمين (قوله وأيدى المؤمنين) وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه اه بيضاوى (قوله ففشلوا) فشل من باب طرب أى جبن اه مختار (قوله وبيوتا منهم) أى لهم (قوله أى أخبر تلك البيوت) عبارة السنباطى أى أخبر بخرابها منهم المشبه بموتهم جلاؤهم منها بجامع الانتقال من دار لدار والذل والهوان بعذاب هؤلاء الملاعين فى القبر وما بعده وسلب أموالهم (قوله المشبه بالموت) فيه أنه لم يذكر فى الكلام ما ذكر من القهر والزوال الذى جعله مشبها ولا الموت الذى جعله مشبها به والاستعارة لابد فيها من ذكر أحد الطرفين نعم ان شبه المضاف الذى هو أهل لكونه فى قوة المذكور ٣ بضمير البيوت الذين مثلهم فى الضلال اتجه تقرير المكنية (قوله فقطع النخل) الاولى لمناسبة الآية والكلام القسطلانى الآتى ولقول الشارح فى تفسير اللينة أصناف الخ ان يقول بدله اللينة وعبارة القسطلانى فى المواهب ولم يقل من نخلة على العموم تنبيها على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجى أن يصل للمسلمين وأصل لينة لونة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وقال البيضاوى اللينة من اللين وهى النخلة الكريمة وجمعها اليان اه فقول الشارح فقطع النخل أى الكريمة التى حملها لا يقتات فعليه يكون قوله تعالى من لينة أى من حامل لينة (قوله أصناف التمر) أوهى ضرب من النخل يرى حجم نواه من خارجه يغيب فيه الضرس اه كواشى (قوله العجوة) قال الجوهرى هى تمر المدينة وهو من أجود تمرها قال الازهرى والصيحانى منه (قوله والبرنى) نسبة لشخص يقال له رأس البرنية (قوله أحسن غذاء) ما يغتذى به من الطعام والشراب يقال

رسول

يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين أى فى أول حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام أو من محلهم الى محل آخر وانما كان أولا لانهم لم يصبهم قبل نظير ذلك أو فى أول حشرة الى القتال لما يأتى فى قصتهم أنهم عزموا على القتال ففشلوا وألقى الله الرعب فى قلوبهم وآخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر من هؤلاء ومن أهلها الى الشام أو فى أول حشر الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر (لاميعادهم) أى المنافقين لليهود بانهم ينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم (صادق لانهم سولوا لهم قتالهم وأنهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم (ولا الايلاء) أى الحلف منهم لهم صادق أيضا (سكن الرعب) أى هيبة النبى صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم (والخراب) الآتى لدورهم (قلوبا) من اليهود المحصورين وغيرهم من أهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول (وبيوتا منهم) راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب (نعاها) أى أخبر تلك البيوت بموت أهلها المعنوى من نعاه له نعوا ونعيا ونعيا اذا أخبر بموته (الجلاء) أى خروجهم من ديارهم شبهه فى كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر فهى استعارة بالكناية وذكر النعى الملائم المشبه به استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما أشرت اليها بقولى المشبه بالموت وظاهر النظم أن واقعة بنى النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمأنوا الخ وهو ما أوهمه كلام بعض أهل السير لكنه مردود بأن بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فلم يكن لهم فى الاحزاب ذكر بل كانوا من أعظم الاسباب فى جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيى بن أخطب واضرابه وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله أهل السير فى واقعة بنى النضير أنه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فأظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك أخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا لهم أنه يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه أصحابه فأخبرهم ونزل فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع فى نفوس بعض المسلمين شئ من ذلك نزل ما قطعتم من لينة الآية واللينة أصناف التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى الآية أنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفى الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذى أحسن غذاء والبرنى أيضا كذلك وكان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم ابن أبى بعثوا اليهم أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب فسألوا

٣ قول المحشى بضمير البيوت الذين مثلهم الخ هكذا فى الاصل الذى بايدينا وتأمل فى صحته وفى اجراء المكنية عليه اه

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وفى رواية ابن سعد أنهم لما هموا بالغدر أرسل اليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدى وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا فى التجهيز فأرسل اليهم ابن أبى بان يمتنعوا ويمدهم بمن ينصرهم فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فأظهر التكبير وكبر المسلمون لتكبيره فسار اليهم وعلى يحمل رايته فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن أبى وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع فنزلوا على ذلك وكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على ستمائة بعير ولكون القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقى من أموالهم له صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار (و) خدعوا أيضا بنى قريظة منهم (بيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار) منهم (فيه وضلت الآراء) وذلك أن الاحزاب لما أقبلوا ونزلوا حوالى المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم وبين القوم خرج عدو الله حيى بن أخطب حتى أتى كعبا القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ مشؤم وانى عاهدت محمدا صلى الله عليه وسلم فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش أنزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى بعض المنافقين فانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية وقال رجال ممن معه يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأهلك بنى قريظة عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم أن فى كلام الناظم فى هذا البيت والذى قبله تلميحا من وجوه عديدة (وتعدوا) ظاهر سياقه أن الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم أى تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم (الى النبى) صلى الله عليه وسلم (حدودا) حدها الله لهم ومنعهم عن مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك (كان فيها) أى فى مجاوزتها (عليهم) أحد الظرفين حال والآخر خبر (العدواء) أى بعدهم عن النجاة ووقوعهم فى الهلاك الابدى وفى هذا تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدواء جناس شبه الاشتقاق وهو أو شبهه بين نهتهم وانتهت والبذى والبذاء والخيل والخيلاء وأكدى وكداء وعفا وعفوا وسواه وسواء وأجمت والجون وأحلم والحليم الآتيات (ونهتهم) أى أولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم انه لرسول الله حقا (وما انتهت عنه) أى عن مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه (قوم) بل استمروا على ما هم عليه من ايذائه والامر

غذوت الصبى باللبن من باب غدا أى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا ويقال غذيته مشددا اه مختار (قوله والحيرة) قال فى المختار والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة (قوله بيوم الاحزاب) لو قدم هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان أظهر فى أداء المراد المتقدم بيانه وكأن هذا الوضع من غلط الشارح (قوله زاغت الخ) أى مالت عن مستوى نظرها حيرة أى من شدة الحزن الذى حصل للمسلمين حين احتاط بهم العدو قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار الآيات ففى البيت اقتباس (قوله وضلت الآراء) كما حكاه سبحانه عن المنافقين بقوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا أى قولا باطلا (قوله مشؤم) قال فى المختار الشؤم ضد اليمن يقال رجل مشؤم ومشوم ويقال ما أشام فلانا والعامة تقول ما أشيمه وقد تشاءم به بالمد (قوله ظن المؤمنون كل ظن) أى كل ظن جميل لثبات قلوبهم حيث ظنوا أن الله منجز وعده فى اعلاء دينه أو أن الله ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال (قوله ونجم النفاق) يقال نجم الشئ ينجم نجوما وبابه دخل أى ظهر وطلع (قوله ممن معه) أى مع النبى من المنافقين وقوله لا مقام لا موضع قيام لكم ههنا وقوله فارجعوا أى الى منازلكم هاربين وقيل لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (قوله العدواء) بفتح العين (قوله عن مخالفة النبى) أى فالضمير للنبى على تقدير مضاف أى مخالفته (قوله قوم) فاعل نهت وفاعل انتهت ضمير مستتر عائد عليه لتقدمه رتبة وأشار لذلك الشارح بقوله قوم منهم وفى بعض الشروح أن فاعل نهت الحدود أى نهتهم عن تعديها وقوم فاعل انتهت

به (ف) بسبب ذلك (أبيد) أى أهلك (الامّار) منهم بايذائه صلى الله عليه وسلم (والنهاء) عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلاله وهم أن عتبة بن ربيعة لما اشتد أذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القرآن وأمرهم أن يخلوا بينه وبين ماهو فيه وبين لهم أن القرآن ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وأنه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا مابدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهيتم وما انتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات (وتعاطوا فى أحمد) نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به أحد قبله كما رواه مسلم وأما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلانى (منكر القول) أى القول المنكر الذى ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وأن الحامل له عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا فى بيان اعجاز القرآن وطاف صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر وعثمان رضى الله تعالى عنهما فلما مر بابى جهل وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف أسمعوه بعض مايكره ثم أراد أبو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان رضى الله عنه فوقع على استه ودفع أبو بكر رضى الله عنه أمية والنبى صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فمامنهم الا من أخذته رعدة شديدة وجعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم أنتم لنبيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله تعالى عنهم أبشروا فان الله تعالى مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان رضى الله عنه فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بأيدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم الخندق محمد يعد أصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسرى وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله تعالى ماقاله نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر فى زمن عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ماقبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه المأتى به لمجرد المبالغة والتأكيد ولا تكميلا لانه المأتى به لرفع الايهام نعم فى ذلك اضطراب بين أهل البديع فقال (ونطق) أى منطوق (الاراذل) أى الاسافل الاخساء الذين لا مروأة لهم ولا عقل الكلمة (العوراء) أى القبيحة الساقطة أى شأنهم النطق بالفحش وهؤلاء كذلك كيف و(كل رجس) أى قذر وحنق وغضب قائم بهم (يزيده) ماجبلوا عليه وهو (الخلق السوء) بفتح السين وضمها أى القبيح (سفاها) بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه (و) يزيده سفاهة أيضا وبعدا عن الخير (الملة) أى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب (العوجاء) أى الباطل شبهها بطريق عوجاء لا يهتدى سالكها الى مطلوبه بل يتوه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم أثبت لها العوج تخييلا وأولئك الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم (ف) بسبب ازديادهم فى السفاهة والجهل (انظروا) أيها العقلاء (كيف) هى ومابعدها سدت مسد مفعولى انظروا وأما قول الشارح كيف فى موضع المفعول الثانى وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك كما عرف مما قررته (كان) تامة (عاقبة) أى مآل ومصير (القوم) المعروفين بماذكر وهى خزى الدنيا وعذاب الآخرة ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الآية ففيه اقتباس (و) انظروا (ما) هو بصلته سد مسد المفعولين أيضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال وجه آخر فيه

(قوله فأبيد الامار والنهاء) أى كما أبيد المعتدون بايذائه وقد أبيد أيضا من نهاهم عن مخالفته بسبب عناده وكفره وهو عتبة بن ربيعة وقد يقال هو داخل فيمن آذاه بقتاله فى وقعة أحد التى هلك فيها (قوله وتعاطوا) أى خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا أى يخوض فيه اهـ مالكى وعبارة الهروى يقال تعاطيت الشئ اذا تناولته وعطوت أيضا مثله (قوله وطاف صلى الله عليه وسلم) أى بالبيت الشريف (قوله ثم أراد أبو جهل) أى فى الطوفة الرابعة من طوافه (قوله وحنق) أى غيظ والجمع حناق مثل جبل وجبال وقد حنق عليه بالكسر أى اغتاظ فهو حنق وأحنقه غيره فهو محنق انتهى صحاح (قوله مفعولى انظروا) أى لان انظروا بمعنى اعلموا (قوله فهو انما يصح الخ) بل على هذا الفرض لا يصح أيضا لان كيف الاستفهامية واجبة التصدير لا يعمل ماقبلها فيها فتأمل (قوله هو بصلته سد مسد الخ) حيث جعل ما موصولا اسميا كان من قبيل المفرد فلا يظهر قوله سد الخ وانما يظهر لو كانت استفهامية فتدبر (قوله لم يبين اعرابه) سكت عنه لعلمه من اعراب الجملة قبله والخطب فى ذلك سهل والتعجب فى مثل ذلك ليس فى محله ألا ترى الى سكوت الشارح أى ابن حجر عن الاعراب فى مواضع كثيرة * ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * فينبغى اقامة العذر للجوهرى لانه أول خاطب غير

غير ماذكر لكن ماذكرته أولى كما هو واضح (ساق للبذى) اللسان كهؤلاء (البذاء) بالمعجمة أى بذاؤهم أى فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء بسائقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذى على جهة كونه واقعا عليه تخييل (وجد) البذى (السب) أى الشتم (فيه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (سما) مهلكا أى مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع (ولم يدر) ذلك البذى ان سبه عين السم القاتل لوقته لفظا (اذ الميم فى مواضع) حال من الخبر وهو (باء) كقولهم فى بيد ميد وهى لغة مازن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى ممن الرجل قلت من بنى مازن قال أى الموازن امازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسبك يريد ما اسمك وهى لغة قومى لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال فكرهت ان أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدت وأعجب به أى وفيه أيضا سب لنفسه ثم قال لى اجلس فاطبئن يريد فاطمئن وقال ابن جنى فى سر الصناعة أخبرنا أبو على باسناده الى الاصمعى قال كان أبو سوار الغنوى يقول باسبك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى والمعنى لانه أهلكهم كما يهلك السم بل هو أبلغ من السم لان اهلاك السم فى الدنيا وله أدوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له (كان من) أجل ما صدر من (فيه) أى فم البذى حال من الضمير المستتر فى الخبر وهو بيديه (قتله) لنفسه (بيديه) وقتل الانسان لنفسه أشد من قتل غيره له (ف) بسبب ذلك (هو) أى البذى القاتل لنفسه المذكور (فى) الاتصاف بما وقع من (سوء فعله) بنفسه المرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى هى (الزباء) بفتح الزاى وتشديد الموحدة أى شبيهها فانها تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو ابن أخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة بن مالك التنوخى وقيل الازدى وهو أول من ساس العرب وأول من اتخذت له الشموع وأوقدت بين يديه وأول من اجتمع له الملك بارض العراق من قبل اردشير وكان أبرص فكنوا عن ذلك بالابرش الوضاح وقيل كان لا يأنف من الابرص لان فى العرب من يفتخر بذلك وكان له أخت أحبها نديمه عدى بن نصر الايادى فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر عليه فسأله حينئذ فى ذلك فانكحه اياها وأشهد عليه ودخل بها فلما أصبح وعلم بذلك تغيب عدى فلم يعرف له أثر فولدت له ولدا سمى عمرا فاحبه جذيمة واختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا عند خاله وكان أبو الزباء وسميت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها ويسحب من ورائها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها وابتنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر وأجمل أهل عصرها وطمع فى ملكها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح والسرور وأرسلت له بهدية سنية فاستشار فى المسير اليها فبالغ قصير بن سعد فى منعه وفى ان ذلك مكيدة منها

لها كما قال لم أظفر له بشرح ارجع فى المهمات اليه ولا بكلام من أحد ولو فى حاشية اعتمد عليه فيزيل ما يعرض من الاشكال بل انما هو أبو عذره ومقتضب حلوه ومره والكاشف عن حقيقة أمره والمستغنى عن خبره بخبره (قوله وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة) لا يخفى ان هناك ضميرا عائدا على الموصول ساقه أى للبذى أى جلبه له من خسارة الدين وحينئذ فالبذى مساق له لا مساق فتأمل (قوله سما) بفتح السين لغة من ثلاث فيه (قوله فى الاتصاف بما وقع منه) كذا بخط الشارح كما قاله بعضهم ولا يستقيم الا بحذف الهاء من منه وقد رأيته فى نسخة بدون هاء (قوله وتشديد الموحدة) أى والمد وهى ملكة الجزيرة (قوله وأول من اتخذت له الشموع) قال السيوطى الشمع كان موجودا قبل البعثة كما ذكره العسكرى فى الاوائل ان أول من أوقد له الشموع جذيمة بن مالك الابرش بل ورد فى حديث انه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا النجادين (قوله وكان له أخت أحبها الخ) اسمها رقاش فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبنى اليه فسقى عدى جذيمة وألطف له فلما سكر قال له سلنى ما أحببت قال له زوجنى أختك رقاش قال قد فعلت فعلمت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت للغلام ادخل على أهلك ففعل وأصبح فى ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال ما هذا قال أنكحتنى أختك البارحة قال ما فعلت وجعل يضرب رأسه ووجهه وأقبل على رقاش وقال

حدثينى وأنت غير كذوب * أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد * أم بدون وأنت أهل لدون

قالت زوجتنى كفؤا كريما من أبناء الملوك فاطرق جذيمة فلما علم عدى بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش وأتت بابن سماه جذيمة عمرا وتبناه وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له انتهى من القاموس (قوله ولم يعرف له أثر) قد علمت من عبارة القاموس علم موضعه

فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها أعاد الاستشارة فاعاد قصير رأيه فلم يصغ اليه وسار وكانت أمرت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوا من معه ففعلوا وقصير معه فلما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التى تسبق الريح بجريها وفر بها ثم أدخل جذيمة عليها وليس معها الا الجوارى وكانت ربت شعر عانتها حولا كاملا فكشفتها له وقالت امتاع عروس ترى فقال بل متاع أمة بظراء ثم قالت خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن فاجلسنه على النطع ففعلن ثم أمرتهن بفصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فنزف دمه فيه الى ان قضى عليه فامرت به فدفن ثم أقبل قصير على عمرو وأخبره الخبر وأمره ان يأخذ بثاره منها ففهم انه لا قدرة له عليها فقال له اجدع أنفى وأذنى واضرب ظهرى حتى يؤثر فى الضرب ففعل به ذلك وقيل ان قصيرا فعل بنفسه ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته وأكرمت منزله ثم قال لها ان لى بالعراق مالا كثيرا وذخائر فسرينى لآتى بها ففعلت فرجع اليها باموال هائلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها ولم يزل يتلاطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصعد منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته عندها وعولت عليه فى أمورها فاظهرت له انها تريد غزوا وانه يذهب ويأتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لى فى بلاد عمرو ألف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما أراد من المال وقالت له الملك لا يحسن الا بمثلك فعاد الى عمرو وقال أصبت الفرصة منها فقال له عمرو مر بما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى ألفى رجل من فتاك قومه فحملهم على ألف بعير على كل بعير اثنان فى غرارتين سوداوين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن النهار ويسير الليل ثم دخل عليها فقال انظرى الى العير فنظرت فقالت

مالِلجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

أم الرجال جثما قعودا * أم الرجال فى الغرار السودا

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب قصرها جوالقا بمخصرة بيده فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجواليق فخرجت الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزباء فلما رأته مصت خاتما فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها (أوهو) فى سوء فعله (النحل) أى شبهه ثم بين وجه الشبه فقال (فرصها) أى لسعها لغيرها (يجلب الحتف) أى الموت (اليها) عقب لسعها (و) الحال ان لسعها (ما) نافية (له انكاء) أى قتل ولا جرح ولا دم ولا تأثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سببا لهلاكهما (صرعت قومه) صلى الله عليه وسلم الذين أرسله الله اليهم فلم يؤمنوا به أى ألقتهم قتلى بين يديه (حبائل) جمع حبالة وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل (بغى) عليه صلى الله عليه وسلم (مدها) أى تلك الحبائل اليه (المكر) حال كونه (منهم) وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه (والدهاء) هو بالكسر والمد كالدهى

(قوله ثم ردوه الخ) فعرفه وقبله وبعثه الى أمه فادخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب فلما رآه جذيمة قال شب عمرو عن الطوق فصار مثلا يضرب للابس ما هو دون قدره انتهى من القاموس (قوله بظراء) قال فى القاموس البظر ما بين اسكتى المرأة ثم قال وامرأة بظراء طويلته (قوله أجدع) بالدال المهملة أى اقطع (قوله فى غرارتين) والغرارة واحدة الغرائر التى للتبن وأظنه معربا انتهى صحاح (قوله أم الرجال الخ) (١٨٨) ذكر بعضهم بدل هذا البيت أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا وقوله وئيدا هو حال من الجمال أى أى شئ ثبت للجمال حال كونها وئيدا مشيها أى بتؤدة وشدة وطء على الارض ومشيها مبتدأ خبره محذوف أى يكون أو يوجد وئيدا وهذا الاعراب ينافى جعله وئيدا حالا من الجمال فلو قال حال من الضمير المستتر فى خبر مشيها الذى هو مبتدأ وهو يكون المقدر من كان التامة لاستقام الاعراب أو منصوب على المصدرية أى تمشى مشيا ويصح خفضه على انه بدل اشتمال من الجمال والصرفان الرصاص وقيل جنس من التمر لم يكن يهدى للزباء شئ أحب اليها منه والجثم بضم الجيم وتشديد المثلثة جمع جاثم وهو الذى يلبد بالارض والقعود جمع قاعد والجندل الحجارة (قوله بواب قصرها جوالقا) قال فى القاموس الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وعاء معروف والجمع جوالق كصحائف وجواليق وجوالقات ثم قال والجولق شوك وهذا يقتضى ان الجولق بدون ألف بعد الواو ولا يقال للوعاء فلا يناسب هنا وعليه فلعل الالف ساقطة من عبارة الشارح فحرر جودة (قوله بمخصرة بيده) كمكنسة ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها انتهى قاموس فالمخصرة بكسر الميم وصرح بذلك الضبط فى المختار ورأيت فى كلام بعضهم شفرة بدل مخصرة (قوله بما خرج من فيه) فيه ان النحل موته بما خرج من زبانه تدبر فكان الظاهر ان يقول بما خرج منه أعم من ان يكون من فيه أو من زبانه (قوله صرعت قومه الخ) ولما فرغ من بيان عاقبة اليهود شرع فى بيان عاقبة ما يعمهم وغيرهم من أعدائه بقوله صرعت الخ (قوله هو بالكسر والمد) وبالفتح أيضا انتهى ابن عبد الحق وهمزته منقلبة عن واو ويقال ما دهاك

أى ما أصابك (قوله جودة الرأى) يقال رجل داهية بين الدهى أى بين الفكر وجودة الرأى (قوله ومن حيث تشبيه البغى) سيأتى ان ماذكر ليس من المكنية بل من اضافة المشبه به للمشبه (قوله وترشيحه) لعله وتجريديه بقرينة قوله وجرد لها الخ (قوله ثلاث استعارات) صوابه ثنتان لما علمت (قوله تشبيه البغى) فيه انه من اضافة المشبه به للمشبه فليس استعارة مكنية كما زعم الشارح فحرر (قوله الشجعان) أى فالمراد بالخيل ركابها أو المجموع أى الخيل وراكبوها كما يدل لذلك (١٨٩) شرح قوله وللخيل الخ (قوله فى الوغى يكتب

جودة الرأى وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدى الصياد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصياد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما تقتضيه نسبة المد اليهما أو بحبال الشبكة التى يمدها بها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبما تقرر علم ان فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح أو خيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على مامر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا أيضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين أو أكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا أو ترشيحا أو تجريدا للكل اعتبار الكل على حدتها بما يناسبها (ف) بسبب مكرهم ودهائهم (أتتهم) من قبله صلى الله عليه وسلم ما أوجب عود تلك الحبائل اليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا الحرب به صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره صلى الله عليه وسلم بدد الله جمعهم وقتل سادتهم وأظهر أمره عليهم هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين فمن ذلك انهم أتتهم (خيل الى الحرب تختال) أى تتبختر بهارا كبوها تيها وعجبا (وللخيل) النفائس وعليها الشجعان (فى الوغى) أى الحرب متعلق بقوله (خيلاء) أى كبر وترفع عن الوقوع فى وهدة أو الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل (قصدت فيهم) أى فى أبدانهم (القنا) أى الرماح جمع قناة وفى هذه الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض فاقامه ولا ينافى ذلك عد كثيرين له من أنواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هى مجاز لغوى أو عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد فى رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرىء (ف) بسبب قصدها اهم كانت (قوافى الطعن) أى الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون ذلك الطعن (منها) أى تلك الرماح (ماشانها) أى عابها وفى نسخ شانه أى الطعن (الايطاء) لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى قيل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيئا لم تؤثره المتلوة وهو معيب فى المشبه به لانه يدل على عى الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا الحل أولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتأمله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم فى أجساد عدوهم تأتى الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كأنهما واحدة لسرعة الطعن بقرب حله (وأثارت) أى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب (بأرض) العدو فى الاقطار الحجازية وغيرها حتى فى (مكة) فى غزوة

بالياء لا بالالف لان الالف تؤذن بانه مقلوب عن الواو وليس فى الاسماء اسم أوله واو وآخره واو الا الواو اسم لوه كميم اسم لمه (قوله قصدت) أى أرادت الطعن فيهم الخ ضمن قصدت معنى دخلت فعداه بفى والا فهو يتعدى بنفسه (قوله جمع قناة) وتجمع على قنوات وقنى على فعول وقناء كجبال وكذا القناة التى تحفر انتهى صحاح (قوله القافية) وهى الكلمة الاخيرة من البيت والراجح انها من المحرك قبل الساكنين الى آخر البيت فعلى القول الاول كلمة الايطاء هى القافية وعلى الثانى هى من الهمزة التى بعد اللام الى آخر الكلمة وخرج بتكرير القافية تكرير غيرها كتكرير آخر النصف الاول من البيت فى آخر بيت آخر فليس بايطاء (قوله قيل عدد مختلف فيه عندهم) أى العروضيين المعلومين من السياق والراجح كما فى شرح الخزرجية لشيخ الاسلام انه تكريرها فيما دون سبعة أبيات (قوله وهذا الحل أولى مما سلكه الشارح) عبارته وزاد الله تعالى فى اظهاره عليهم بخيله ورجله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين فجعل سيوف رجاله عاملة فى رقابهم ورماحهم فى نحورهم وصدورهم ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور ولكثرة ذلك منهم تأتى الطعنة الثانية فى موضع الاولى حتى كأنها طعنة واحدة لفرط السرعة فى الطعن انتهى وما قاله الشارح أولى كما قال اذ هو أوفى بسياق المقام وأظهر فى تأدية المرام (قوله فى مهامه الحرب) جمع مهمه وهى المفازة البعيدة انتهى مختار

الفتح لما ازدحمت قرب دخولها (نقعا) أى غبارا أظلم الجو حتى (ظن ان الغدو) أى وقته وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (منها) أى من أجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع أو من أجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التى أثارتها تلك الخيول (عشاء) أى وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشاء بفتح العين وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته أولى وأسلم مما تكلفه وفى قوله واثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى فى سورة العاديات فأثرن به نقعا وخلاصة شئ من هذه الغزوة التى حصل بها ذلك الفتح الذى هو أعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى أعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس فى دين الله أفواجا واشرق وجه الارض ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل فى عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل فى عقده وكان ممن دخل فى عقده خزاعة وفى عقدهم بنو بكر وكانا متعادبين فخرج بعض بنى بكر وبنى خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بنى بكر فخرج أربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجرر داءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسى ولما أحس أبو سفيان بمجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف ثم لحقه ألفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران أمرهم ان يوقدوا عشرة آلاف نار فوافاهم أبو سفيان أرسله قريش ليأخذ لهم أمانا لعلمهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأى تلك النيران أبهره أمرها فأدركه الحرس فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسأل العباس النبى صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا فى قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقال للعباس احبسه عند حطيم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفى رواية احبسه عند مضيق الوادى حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها فحبسه فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل قبيلة فيبينها له العباس فيقول ومالى ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أى الحرب اليوم تستحل الحرمة أو الكعبة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فامره على لسان على كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان انه لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله تعالى يعز قريشا وخشى سعد أن ابنه يقع منه شئ أيضا فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فدفعها النبى صلى الله عليه وسلم للزبير وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم فى كتيبة المهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره ان يدخل من أعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم أمر الزبير ان يدخل من كدا بالضم تحيف وصوابه من كداء بالفتح والمد وقوله وأمر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كداء بالفتح لم أره فى الروايات المعتمدة ما يشهد له وانما الذى صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من أعلاها وخالد من أسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح أخذ ذلك من الرواية الآتية عن مسلم وأنت خبير بانه ليس فيها نص بكدا ولا بكداء وبعث خالد بن الوليد فى قبائل ليدخل من أسفل مكة ويغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم ان يكفوا أيديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من أسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له النبى صلى الله عليه وسلم لم

وعبارته رحمه الله تعالى والعشى والعشية والعشاء من غروب الشمس الى العتمة والغدو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ثم قال فى المعنى ولم تزل خيله تثير الغبار باراضيهم ومواضعهم حتى بارض مكة فى غزوة الفتح حتى صار يظن لكثرة كر الخيل عليهم وفرها وما أثاره ذلك من الغبار ان وقت الغداة وقت العشاء من اظلام الغبار انتهى فتأمله فانه ظاهر لا تكلف فيه (قوله وبنى خزاعة) وفى نسخة الشارح بدله بيت خزاعة (قوله من دخل دار أبى سفيان) قال ابن مالك فى شرح المشارق قيل انما أكرمه صلى الله عليه وسلم بهذا القول لانه كان اذا أوذى بمكة فدخل دار أبى سفيان كان آمنا فجزاه بمثل ذلك (قوله كتيبة) بالمثناة الفوقية أى الجيش والجمع الكتائب (قوله فيقول ومالى ولها) انظر ما المراد بذلك مع سؤاله عنها فان سؤاله يقتضى تعلق غرضه بالبيان وهذه العبارة تقتضى خلاف ذلك فتدبر (قوله بالحجون) بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد فهذه أسماء مسماها واحد

(قوله من باب الحزورة) الحزاور والروابى الصغار الواحدة حزورة انتهى صحاح

فاتلت وقد نهيتك قال كففت يدى ما استطعت فقال قضاء الله خير وصح فى مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث أبا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا أبا هريرة اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم أترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل واحدا منهم الا قتلناه فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن ومن هذا أخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الا على أوباشهم الذين من شأنهم الجهل والمبادرة بالقتال فى غير محله وهذا كقوله من أغلق بابه فهو آمن ظاهر فى ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا يقوى ماذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التأمين الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار أبى سفيان أو أغلق بابه أو دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة أعلى مكة التى دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذى وقع فى غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما هو علم مما تقرر فى القصة انه صلى الله عليه وسلم أمر أكثر أصحابه بان يدخلوا من الجون وهو كداء بالفتح والمد وكان معهم فى كتيبتهم الخضراء لكثرة ما معهم من السلاح راكبا على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فرأى أبو سفيان مالا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وأمر بقية أصحابه ان يدخلوا من أسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال (اجمت) أى كفت وأمسكت (عنده) أى عند ذلك النقع الذى حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ماهم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من أعلاها ومن أسفلها (الجون) بفتح الحاء هو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد أى ان الفرقة التى كانت بالجون وان أثارت فيه من النقع شيأ كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما فى مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة (واكدى) أصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب (عند) حال من كداء (اعطائه) أى كداء لتقدمه رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء النبى صلى الله عليه وسلم (القليل) من الناس مفعول المصدر الثانى (كداء) بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه أى وأقل غبار مكة كداء الذى هو أسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم له كانوا قليلين وعجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى ملائما مع كونه أوهم ضبط كداء هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الجون السابق فى الشطر الاول أو قريب منه كما يصرح به كلام أئمتنا فى المناسك وغيرهم فان قلت هذا

(قوله المجنبتين) أى بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون وهما الميمنة والميسرة ويكون القلب بينهما اهـ شرح مسلم للنووى (قوله اهتف لى بالانصار) أى ادعهم لى وخص الانصار لثقته بهم ورفعا لمراتبهم (قوله فاطافوا به) قال فى الصحاح أطاف به أى ألم به وقارب انتهى (قوله أوباش قريش) أى جماعتهم الاسافل (قوله أبيحت خضراء قريش) أى استؤصلت قريش بالقتل وافنيت وخضراؤهم بمعنى جماعتهم ويعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخضرة ومنه السواد الاعظم انتهى شرح مسلم للنووى (قوله القصواء) هى التى قطع من آذانها شئ قليل (قوله بالضم والقصر) ويجوز المد على لغة (١٩١) قليلة كما يأتى (قوله الذى حصل بمكة) الموافق لما سبق ان يقول قرب دخوله مكة تأمل فيقدر مضاف ليوافق ما سبق له أى بقرب مكة وكذا يقال فى نظيره الآتى ويحتمل أنه أشار الى كثرة التراب بنفس مكة عند اجتماع الخيالين بها وكثرة كرها وفرها كما كان كثيرا عند اجتماعها قريبا منها الذى ذكره سابقا (قوله ان الفرقة التى كانت بالجون) وكتب ابن عبد الحق فى حل البيت أى كفت عند ذلك النقع أهل الجون عن القتال وامتنع أهل كداء عن القتال بعد قتالهم قليلا قال تعالى وأعطى قليلا وأكدى أى أعطى قليلا من المال ثم امتنع من الباقى مأخوذ من الكدية أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر (قوله عجيب من الشارح) عبارة الشارح فى بحث اللغة ويقال أكدى الرجل عن الشئ اذا قل خيره وقوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى أى قطع القليل ويقال أكديت الرجل عن الشئ اذا رددته عنه وكداء بالفتح والمد موضع بأعلى مكة ينزل منه على الابطح ومقابر مكة يدخل منه الحاج وكدا بالضم والقصر موضع بأسفلها يخرج منه الحاج قريب من قعيقعان ثم قال فى المعنى فكان ما حصل من النقع المتولد عن كثرة الخيل وكثرة كرها وفرها فيها فوق ما حصل بكداء وكدا بحيث لا يقاوم ما بالجون ولا ما بكدا من النقع ما بمكة منه فلقلة ذلك فيهما بالنسبة الى ما فى مكة كان ما فى الجون أحجم عن مقاومة ما بمكة وكان كدا أتى بشئ قليل أو لم يوجد فيه شئ من ذلك يصلح للمقاومة انتهى فتأمله فانه لا ايهام فيه مع ما تقدم

(قوله لما فيه من الجناس) أى جناس شبه الاشتقاق بين اكدى وكداء والجناس المعنوى بين الجون وكداء فالمراد بالجناس جنسه (قوله والمجاز من حيث الخ) لانه عبر بكداء واراد الحال فيه وهو الغبار (قوله وان ما الخ) أى وان التراب الذى من مجموعهما أكثر من التراب الذى من كل منهما (قوله والتقدير ان الجون وكدا امنعاهم الخ) استفادة المنع من الجون ظاهر لان اجمت بمعنى منعت وأما استفادته من كدا ففيه نظر لان اكدى معناه قل و يدفع النظر بما قد سبق عن ابن عبد الحق من ان اكدى يستعمل أيضا بمعنى امتنع (قوله و بين الجون وكدا جناس معنوى) قال الحافظ السيوطى فى شرح بديعيته الجناس المعنوى كون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع ان يقصد الشاعر المجانسة لفظا فلا يوافقه الوزن على الاتيان باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه ومثل له بامثلة منها قول دعبل فى امرأته سلمى انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذل الشاهق الراسى أراد ان يجانس بين سلمى امرأته وسلمى الجبل فلم يساعده الوزن فعدل الى سميك انتهى وهنا أراد ان يقول أجمت عنده كداء بفتح الكاف والمد ليجانس كداء بضمها والمد آخر البيت الجناس المحرف وهو ما تماثل ركناه فى الحروف وتخالفا فى الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فلم يساعده الوزن فعدل الى الجون المرادف له وماذكر أحد قسمى الجناس المعنوى المسمى بتجنيس الاشارة وهو ان يذكر أحد المتجانسين و يشار الى الآخر بلفظ يدل عليه كقول الشيخ عبد الغنى النابلسى (١٩٢) يا حمزة اسمح بوصل * وامنن علينا بقرب في ثغرك اسمك أضحى * مصحفا وبقلبي فقد ذكر أحد المتجانسين وهو لفظ حمزة وأشار الى الجناس فيه بانه مصحف فى ثغره أى خمرة بالخاء المعجمة والراء وفى قلبه أى جمرة بالجيم والراء وأما القسم الثانى المسمى بتجنيس الاضمار وهو مقصود أهل البديع فهو ان يضمر المتكلم ركنى التجنيس ويذكر ألفاظا مرادفة لاحدهما فيدل المظهر على المضمر كقول أبى بكر ابن عبدون وقد اصطبح بخمر وترك بعضها الى الليل فاستحالت خلا

ألا فى سبيل اللهو بنت مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

والحبالة وبنت بسطام بن قيس اسمها الصهباء وقوله كجسم الشنفرى بعد ثابت أشار به الى قول الشنفرى يرثى خاله تأبط شرا واسمه ثابت بن خولة الفهمى وهو فاسقنيها أباسواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل والخل النحيف المهزول فصح لابن عبدون فى بيته جناسان مضمران أحدهما فى صدر البيت وهو صهباء وصهباء والثانى وهو خل وخل والشنفرى بفتح الفاء والراء برنة كربلا ومن هذا القسم للخوارزمى فى غلام يعرف بابن برغوث بليت ولا أقول بمن لانى * اذا ما قلت من هو يعشقوه حبيب قد نفى عنى رقادى * فان غمضت أيقظنى أبوه فقد أضمر ركنى الجناس وأظهر مارادف أحدهما وذلك لفظ أبوه وحصل الجناس المعنوى بين برغوث الذى هو الغلام و برغوث اسم الحيوان المعروف ويحكى ان السلطان أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية عرض مرة جنده وكان فيهم أمرد وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان وأعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه فازداد حسنا فقال السلطان * كلمته فكلمت صفحة خده * وسأل من الحاضرين الاجازة أى تكميل البيت فلم يأتوا بشئ فقال السلطان مجيزا الشطره * فتفتحت فيه شقائق جده * وهذا من ألطف الاتفاقيات فى هذا الباب ومن أراد زيادة على ذلك فعليه بمطالعة ماذكره الفهامة الاديب على أفندى القلعى المكى فى شرحه لبديعيته ثم قال فى شرحه المذكور هذا كلام أرباب الفن فى هذا النوع وأتى الصفى فى بديعيته وشرحها بتمثيل غير مطابق لهذا التقدير قال النواسى لم أر احدا من البديعيين سبق الصفى الى

البيت وان كان فصيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاحجام والمنع اللذين هما من صفات الآدمى الى غيره على حد جدارا يريد أن ينقض كما مر بيانه آنفا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لانه من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من أعلى وأسفل وان ما من مجموعهما أكثر مما من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفائه وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه كان من الجون والبقية من كدا ووجه أخذه من النظم واضح فانه خص اعطاء القليل بكدا فدل على انه هو والكثير بن دخلوا من الجون و يصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون اجمت معطوفا على أثارت بحذف حرف العطف ففيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان أكدى مبنى للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى أمالتهم فكفت الجون ومنعت كدا او الجون عن ان ينتصر الاهلهما لو تصور منهما ذلك لاسيما وخيل كدا كانت قليلة و يصح بقاء النظم على اعرابه الاول وهو ان الجون فاعل وان أكدى مبنى للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير ان الجون وكدا امنعاهم عن ان يمدوا أعينهم اليه صلى الله عليه وسلم أو الى أحد من عسكره وفى هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه عند الفصحاء و بين الجون وكدا جناس معنوى (ودهت) أى أهلكت تلك الخيل

والخيالة (أوجها) من الناس (بها) أى بمكة قاتلت كما فى الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجره فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال وأربع نسوة (و) أهلكت (بيوتا) كان أهل مكة يرجعون الى أهلها (مل) أى سئم (منها الاكفاء) وهو فى الشعر المخالفة بين هجاء أواخره كأن يكون بعضها ميما والآخر باء وهنا انكفاء تلك الوجوه على الناس لعلها تحميها أو تجيرها (والاقواء) أصله من قولهم منزل قواء أى لا أنيس به وأقوت الدار وقوت أى خلت ثم استعمل فى الشعر مرادا به ان تختلف حركات اعراب الروى وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصدت فيهم القنا الخ يعلم ان الناظم استعار القوافى للطعن المتتابع ورشح بذكر الابطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحا للبيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يختص بها من الاقواء والاكفاء الى الاستعارة الاولى وفيهما تورية ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقواء للبيوت باعتبار لمح بيوت الشعر والاكفاء للوجوه لان الرأس اذا قطع انكفأت الوجوه وتحولت واستعمل الاقواء فى الخلو من حيث بيت السكن وفى تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغيير حركة الروى (ف) بسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا انه مهلك لهم عن آخرهم (دعوا) محمدا صلى الله عليه وسلم (أحلم البرية) بالهمز فى الاصل أى الخلق أى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا أوصلوه اليه من الايذاء الذى لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فأجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما يأتى (والعفو) عمن سأله (جواب الحليم) من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام بحق (والاغضاء) أى ارخاء الجفون من الحياء وفى ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير (ناشدوه) بدل من دعوا (القربى) أى حلفوه على ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم أو بالقربى على حذف الجار أى حلفوه بالقربى التى بينهم وبينه ان يعفو عنهم (التى) وصلت اليه (من) سائر بطون (قريش) وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى (قطعتها الترات) بفوقيتين جمع ترة وهى مصدر وتر أى قتل له قتيل ولم يترك دمه (والشحناء) أى التباغض والتحاسد الذى كان بينهم (ف) بسبب تلك المناشدة (عفا) صلى الله عليه وسلم (عفو قادر) لانه صلى الله عليه وسلم كان يسهل عليه ابادتهم عن آخرهم (لم ينغصه) أى لم يكدر ذلك العفو (عليهم) بسبب (ما مضى) منهم صفة اغراء تقدمت عليه فصارت حالا (اغراء) من أغريت الكلب بالصيد أى حملته على اصطياده وهو فاعل ينغص أى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا فى ايذائه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما أشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهى حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أحلت لى ساعة من نهار أى من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء أى من الاسر والاسترقاق وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره (واذا كان القطع والوصل لله) كما هو حال النبى صلى الله عليه وسلم (تساوى) عند فاعل ذلك (التقريب) للاقارب والبعداء (والاقصاء) أى الابعاد للاقارب

ما ذكره والله اعلم من أين أخذه انتهى (قوله انكفاء تلك الوجوه) من اكفأه أى أماله وقلبه فانكفأ كما يؤخذ من القاموس وسيأتى للشارح قريبا معنى آخر حيث قال لان الرأس اذا انقطع انكفأت الوجوه وتحولت (قوله استعار) كان الظاهر شبه الطعن المتتابع بالقوافى لما علمت من أنه من اضافة المشبه به للمشبه (قوله مشوش) انما يظهر ذلك على غير النسخة التى شرح عليها من تقدم الاقواء على الاكفاء وأما عليها حيث قدم الاكفاء على الاقواء فهو من اللف والنشر المرتب فتامل (قوله من حلم بالكسر) الذى فى القاموس بالضم ومثله فى المختار ثم ذكر ان حلم بالكسر بمعنى آخر حيث قال وحلم البعير كفرح كثر حلمه وحلم الجلد كفرح وقع فيه الحلم (قوله وهى مصدر وتر) فهو كوعد مصدره عدة والجمع عدات اه (قوله بسبب ما مضى) جعل الباء سببية فيه خفاء للمعنى وجعلها بمعنى فى الظرفية واضح المعنى ألا ترى الشارح فى حل المعنى صرح بفى حيث قال حال كونه منهم فيما مضى تأمل

والبعداء ولم يميز باحدهما قريب ولا أجنبي لان النظر لرضا الله وامتثال أمره لا غير وهذا من القول البديع الجامع (وسواء) بفتح السين والمد يجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستوو يستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء للسائلين الى سواء الصراط وبمعنى الوسط ومنه فى سواء الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه فقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هى بمعنى وسطه (عليه) أى الذى تقريبه واقصاؤه لله لا غير وأجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدأ (فيما أتاه من سواه) كلاهما حال من المبتدا أو الخبر وهو (الملام) بالسب والتنقيص (والاطراء) أى المبالغة فى المدح حتى بغير الواقع أى سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما أتاه من غيره من خير أو شر أى استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق فى خلقه بما أراده منهم *(تنبيه)* ماوقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو وهو مادرج عليه الفقهاء فى كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الأشهر الشائع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح فى الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سواء على قمت أو قعدت وكذلك فى القاموس قال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو أى ذوا استواء من استويا وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه بالمسئلة أتم تصريح وأوضحها أكمل ايضاح فقال كما فى البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلابد من أم اسمين كانا أو فعلين وان كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثانى باو تقول سواء على قعدت أو قمت وان كانا اسمين بلا ألف عطف الثانى بالواو تقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدران كان الثانى بالواو أو أو حملا عليها اﻫ فعلم صحة ماعليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان مافى الصحاح سهو وان قراءة أولم تنذرهم من الشذوذ بمكان اﻫ فاستحضر ذلك فانه مهم (و) من ثم (لو) مر فيما فى بحث أوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم ماينبغى مراجعته لعزته ونفاسته (ان انتقامه) صلى الله عليه وسلم أى غضبه واستيفاؤه الذى صدر منه كان (لهوى النفس) الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله له (لدامت قطيعة) للرحم (وجفاء) أى ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله تعالى فقطعهم حيث قطعوا ما أمر الله به ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل أصحابه لاسيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وكيف لا وقد (قام) صلى الله عليه وسلم (لله) وحده لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم أو صديق وفى نسخة بالله أى مستعينا به (فى الامور) جميعها (ف) بسبب قيامه لله تعالى أو به (أرضى الله) تعالى (منه) صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بأرضى أو حال من فاعله وهو (تباين) لاعداء الله (ووفاء) لاولياء الله تعالى من غير تعويل على حظ سوى رضا ربه ولهذا كان (فعله) صلى الله عليه وسلم (كله جميل) لصدوره على امتن قوانين الاعتدال وأحق موازين الكمال (و) لا بدع فى ذلك اذ (هل) أى ما (ينضح) أى يسيل مما فيه على ظاهره (الا بما حواه) عائد على متقدم الرتبة وهو (الاناء) أى لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلا اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس أحد متحليا بمعالى هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح الى المثل السائر وهو وكل اناء بما فيه ينضح (أطرب السامعين) أى أسرهم وأفرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال جميع مابرز من حضرته صلى الله عليه وسلم (ذكر علاه) لانهم يجدون لذلك روحة تفوق روحة الراح (يا) حرف استغاثة (لراح) أى خمر مستغاث ولذا فتحت لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا مادام سكرانا بها (مالت) أى سكرت وتواجدت (به) أى

(قوله بفتح السين والمد الخ) وهو متعين فى النظم (قوله عائد أى الضمير المستتر لان الاناء فاعل ينضح فهو وان تأخر لفظا متقدم رتبة وأما البارز فهو عائد على ماوهى متقدمة لفظا ورتبة (قوله من التذييل) وهو كالتتميم من المحسنات البديعية وحقيقته ان يأتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجرى مجرى المثل لتوكيد الكلام المتقدم كالآية وكقول النابغة الذبيانى

ولست بمستبق اخا لا تلمه
على شعث أى الرجال المهذب

فالجملة الاخيرة من كل هى التذييل (قوله ويصح ان يكون من التتميم) وهو الاتيان بما اذا زيد فى الكلام التام أفاده حسنا وقد مثل له الصفى الحلى فى بديعيته بقوله

وكم بذلت تليدى والطريف لكم
طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فقوله طوعا أفاد انه لم يبذل كرها (قوله روحة الراح) قال فى المختار الروحة التمايل من السكر وغيره والمراد هنا اللذة التى هى ملزوم ماذكر أو حقيقتها بان يتمايلوا من شدة مايحصل لهم من الطرب (قوله مستغاث) نزله منزلة العاقل فناداه ليغيثه من هموم الدنيا بسلبه ادراكه

الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ (الندماء) أى شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون أى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها وفى هذا استعارة تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعيه بالراح فى اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالى الذى أطرب السامعين ذكر علاه هو (النبى الامى) نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كأنه على أصل ولادة أمه أو مثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى أى مكة وقيل غير ذلك ومع كونه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب أطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وسائر أوصاف الكمال وأراه من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرائع وعوارف المعارف ما لم يصل لشأوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الآيات (أعلم) الخلق جميعا حتى (من) اى الانبياء والمرسلين الذين (أسند) أى روى (عنه الرواة والحكماء) أى العلماء الذين يضعون كل شئ فى محله فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من أوصافه صلى الله عليه وسلم وأحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته ودار مهاجره لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتأكيدها والاشارة الى انها من أفضل القربات وأنجح المساعى وقد ألفت فيها كتابا حافلا لم أسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم وفيه أبلغ الرد والتضليل لمن نازع فى ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه فى الدنيا والآخرة فقال كانيا عن منة الله تعالى عليه باشارته انه الى هيأله أسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى كأنها مخاطبة له تقول اركب على ظهرى فانى أحملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعثر والراحة من السير المتعب (وعدتنى) ذكر الموعود فى حيزها كما هنا يوجب اشتراكها بين الخير والشر وانما يقع التمييز بالقرائن وحذفه يعينها للخير ويعين للشر أوعد (ازدياره) أى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء فى نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض أى بزيارته هذا (العام وجناء) أى ناقة قوية من الوجن وهى الارض الصلبة (ومنت) أى أنعمت (بوعدها) أى بموعودها (الوجناء) المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به أولا كناية منه عن نيته للزيارة فى تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما تقرر من ان أل فى الوجناء للعهد الذكرى اندفع قول الشارح بين وجناء والوجناء جناس والعجب منه انه صرح مع ذلك بان أل للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثانى (أ) يليق بى ان أترك الزيارة أو أتباطأ عنها (فلا أنطوى) أى أحسن ان أضم نفسى على تلك الوجناء التى منت على بما ذكر (لها) أى لاجلها ليسهل سيرها بى فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه (فى) حصول (اقتضائيه) أى طلبى منها ذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو الياء والهاء مفعوله فان أريدت الاضافة اليها أيضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها آلتا تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لا يجوز اجتماع آلتى تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز فى اضافة الصفة من اسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة وأمثلة المبالغة اقتران المضاف دون سائر المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور اجتماع اداتى تعريف بخلاف بقية المضافات اه نعم جرى لنا قول ان اضافة المصدر الى مرفوعه أو منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداة تعريف فتأمله اما اذا لم ترد الاضافة للهاء وانما أريد بقاؤها على نصبها ففيه ارتكاب

(قوله وتبابه) أى خسرانه قال تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب (قوله يوجب اشتراكها الخ) قد يقال ماذكر بعدها تصريح بما علم من لفظها لوضعها للخير فلا يعين ذكره كونها مشتركة تأمل (قوله من الزيارة) وأصله ازتياره بالتاء (قوله من الوجن) بسكون الجيم لان فعله وجن من باب وعد (قوله الصلبة) بضم الصاد أى الشديدة (قوله فى حصول اقتضائيه) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى والاقتضاء مصدر اقتضى وهو مضاف الى الفاعل ناصبا للهاء ويقال اقتضانيه واقتضانى اياه (قوله نعم جرى لنا الخ) أقول يلزم منه جواز اضافة المضاف الى شئ الى آخر ولم يسمع مثله

(قوله وبه يندفع ماللشارح) عبارته والفلاء والفلوات جمع فلاة وهى المفازة ونطق به المصنف على أفعال جمعا للقلة كأجمال وكأنه اطلع على ذلك ويقال افلأ القوم اذا صاروا الى الفلاة فيجوز ان يكون الافلاء فى كلام المصنف بكسر الهمزة لا فتحها مصدر الافلاء بمعنى صار الى الفلاة أى ليطوى الافلاء الذى هو المسير الى فلاة بعد أخرى ما بيننا من بعد المسافة وهذا أحسن (قوله وجوز الشارح فيه الخ) ان روى يطوى بالياء المثناة تحت تأمل (١٩٦) (قوله يجفلها) بالجيم قال فى المختار جفل أسرع وبابه جلس والجافل المنزعج واجفل القوم هربوا مسرعين اه وأما الحفل بالحاء المهملة فالجمع من الناس وهو فى الاصل مصدر حفل من باب ضرب كما فى المختار فليس فيه أحفل بالهمز اه وظاهره ان اجفل لازم كجفل حيث قال واجفل القوم الخ ويخالف ما فى النظم من تعديته وفى القاموس ما يفيد انه يستعمل لازما ومتعديا (قوله الاظماء) مصدر أظمأه عطشه عطشا شديدا (قوله المصطفويه) هكذا فى عبارة غيره من المؤلفين وهو خلاف الصواب لان الالف المتجاوزة لاربعة أحرف تحذف عند النسب كما فى الخلاصة وشرحها قال فيها

* والالف الجائز اربعا ازل *
ولم أر قولا بقلبها واوا

فالصواب مصطفيه تامل (قوله مصدريه ظرفيه) أى مدة ظهور (قوله ولا ينافى هذا) انما تتوهم المنافاة اذا أريد بالبطحاء الامكنة المتسعة وقد ذكر سابقا ان المراد بها مكة فالفها مكة لا ينافى نفرتها من الفضاء ويجاب بان الفها المكة يقتضى ان تألف الفضاء الموجب الفه قطعه للوصول اليها حتى وحاصل دفع التنافى الذى أشار اليه ان الفضاء الذى تنفر منه ليس هو الفضاء الذى فى مقصدها بل الذى قطعته مخافة ان تعاد اليه قبل نيل مرادها (قوله وفسر الشارح الخلاء الخ) ومده الناظم للضرورة وعبارة الشارح والخلا مقصورا الحشيش الرطب الواحدة خلاة وكأنها انما تنكر الخلاء المذكور حالة كونه مزروعا لكونها اعتادت أن لا تأكل الخلاء الا فى المخلاة لاجل دوام السير كما انها لالفها الفلاة تنكر البناء ويجوز ان يكون المراد بالخلاء ما بين الابنية مما لا بناء فيه من أرض مصر وهذا أقرب (قوله فأفضت) بالفاء

ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله (لتطوى) بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى (ما) أى المسافة البعيدة التى (بيننا) أى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحال به أفضل الصلاة والسلام (الافلاء) جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر أو المفازة لا ماء فيها ثم قال أو الصحراء الواسعة جمعه فلا وفلوات وفلى وفلى جمع جمعه افلاء اه وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا أى المسير الى فلاة بعد أخرى ولا يلزم على بنائه للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلاء الى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوى ولتطوى جناس الاشتقاق كهو وشبهه بين مباركها والبركة وحاورتها والحوراء وحنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلصاء الآتيات (با) وجناه (الوف) صيغة مبالغة من ألف كعلم متعلق بتطوى وكان القياس بها لكن أظهر لافادة وصفها بهذا الوصف الممدوح (البطحاء) المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها وأصل الابطح والبطحاء مسيل متسع فيه دقاق الحصى وهذا وما بعده لسان حاله أبرزه على لسان حالها مبالغة فى أن به من تلك الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده من حاله (يجفلها) أى يزعجها ويقلقها (النيل) أى أرض مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها لشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار والتمعغر بتراب تلك الآثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق (و) الحال انه (قد شف) أى شرب رطوبة جوفها أو أنحل (جوفها الاظماء) أى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك (انكرت مصر) لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما أملته فى تلك الحضرة الاحدية والساحة المصطفوية (ف) بسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل (هى تنفر) بكسر الفاء وضمها أى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرات العلية (ما) مصدرية ظرفية (لاح) أى ظهر من أرض مصر (بناء لعينها أو خلاء) أى فضاء ولا ينافى هذا قوله بالوف البطحاء لانها تألفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه تجد فى السير وتنفر الى جهة مقصدها سواء لاح لها فى غير تلك الحالة بناء أو فضاء وفسر الشارح الخلاء بالحشيش الرطب ويوجه بنظير ما ذكرته انها تجد فى السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها فى غيرها قوتها الذى هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولكن يبعده مقابلته بالبناء بخلاف ما ذكرته وقوله أو المراد به ما بين ابنية مصر وهو أقرب اه وهو فى غاية البعد كما لا يخفى (فأفضت) من الفيض وهو الماء العذب أو السائل (على مباركها بركتها) هو أول محل يلى طريق الحجاز تجتمع الحجاج فيه للتاهب لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى البرهان المتبولى من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم

حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يوما بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة أمه بالعجم وهو ثم فاستأذن الشيخ فى السفر لذلك فلم يأذن له ودخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم عليها وأقام عندها أربعة أشهر بعدها بالايام والليالى ثم اشتاق للشيخ فرأى نفسه فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض كرامات الاولياء ان الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمن ووقع لهم من نظائر ذلك مالا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما من حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنية وبساتين لا تزال تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة أى فافاضت البركة على مبارك تلك الناقة من الماء العذب ما أرواها وراكبها ومن معه (و) بعد البركة منازل للحجاج فى هذه الطريق أكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة بنا الى مزيد بيانها هى (البويب) وانما حملت النظم على هذا الايهام ان أفضت عام فى الكل وهو غير مراد ان أراد به ماذكرناه فان أراد به انه من الفضاء أى فاتسعت على مبارك الناقة بركتها المزيد سعتها صح عطف مابعده عليه من غير حاجة الى التأويل الذى ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف مابعده عليه الذى لا يصح الا برعاية ماذكرته لان تلك المنازل أكثرها قفر معطش لاماء فيه أصلا (فالخضراء) وهى قريبة من المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مر سهل وبجانبها بركة ماء تملأ من بيت المال يعم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من أصله حدث بعد الناظم وانما قلت من أصله لان بركته معلومة الحدوث فى أوائل هذا القرن (فالقباب التى تليها) أى المنازل السابقة أى الوادى المسمى بوادى القباب أى زبر الرمل المشبهة لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسية (فبئر النخل) وبجانبها بركة تملأ من بيت المال أيضا وماؤها أحسن من الذى قبله بكثير ولذا قال (والركب قائلون) عندها أى مستريحون وقت القيلولة (رواء) من الماء بكسر أوله جمع ريان أوريا (وغدت أيلة) أى عقبتها (وحقل) محل بعدها قريب منها تسميه العامة مدور حقل (وقر) ليس هذا الاسم مشهورا عند الناس اليوم (خلفها) أى الناقة لكونها جاوزته (فالمفازة) المنسوبة الى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم (الفيحاء) أى الواسعة (فعيون الاقصاب) سميت بذلك لكثرة مافيها من القصب الفارسى (يتبعها النبك) هذا أيضا ليس بمشهور وفى القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق (ويتلو) النبك (كفافة) وبها قبر ولى يسمى مرزوقا الكفافى مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد (العوجاء) أى المنحرفة عن جادة الطريق وجعل الشارح كفافة مفعول يتلو والعوجاء فاعله فعليه هما محلان متغايران وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجاء أصلا فالموافق للخارج ماذكرته (حاورتها) أى حاورت الناقة (الحوراء) فيما هى بصدده (شوقا) منها لما الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا تفقهون الخ أحد جبل يحبنا ونحبه (فينبوع) حاورتها شوقا أيضا وهى بلدة معروفة من جملة الحجاز الذى هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة (ف) بسبب محاورتها لهما (رق الينبوع والحوراء) المذكوران منها لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للزائرين (لاح) أى ظهر (بالدهنوين) أى فيهما تثنية دهنا اما لكونه غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل بدر على مجاورها أوان ثم محلين كل يسمى بالدهنا (بدر) وهى الآن قرية عامرة بها اعين كبيرة ونخيل ومحل الواقعة المشهورة به التى أعز الله بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهداء وغيرهم وفى بدر

(قوله ايلة) بفتح الهمزة وسكون الياء وفتح اللام قال أبو عبيد هى مدينة على شاطئ البحر فى منتصف مابين مصر ومكة وقال البكرى سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وروى ان أيلة هى القرية التى كانت حاضرة البحر

تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد و بقربه آية باقية من آياته صلى الله عليه وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجواشنة وعلى الالسنة ان هذا الاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد أنكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هى أصوات الريح تسمع فى ذلك الوادى عند قوة هبوبها الان فى أوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال آخرون من أئمة المتأخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل وأقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اه وأقول وقع لى أيضا سماعه مرات متعددة فى سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ثم ولقد كنت فى بعضها مرافقا لجمع جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم فى ذلك فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقى الى أعلى أحد الجبلين ليحاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا وأقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيأ وقد هدأ الريح ولا أحد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففى آخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من أصر على انكاره ولقد جاءنا فقيه ساكن يؤذن و يؤم فى مسجد البلد فسئل فحلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من أول الليل الى آخره وفى غيرهما لا يسمعونه الا أحيانا فالله أعلم بحقيقة ذلك (لها) أى للناقة (بعد) وفى نسخة قبل مالاح لها أرض (حنين) يقال انه جبل صغير قريب بدر فالظاهر ان الناظم اعتمد فى هذا على ما هو مشهور فى السنة العامة اذلم يذكر فى القاموس غير حنين المذكور فى الآية الذى هو عين بين مكة والطائف وظاهر قول الشارح ان نسخة قبل أوضح لان حنينا بعد بدر اى لما ذكره الناظم مستند الكن لا يكفى هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا كما مر (وحنت) لتلك الناقة وما هى فيه (الصفراء) قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة (ونضت) أى خلعت (بزوة) أى خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازى (فرابغ فالجحفة) محل بعد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها أحد حتى الطائر الا حم وكان ميقات الحجاج المتوجهين من تلك الطريق كما صح به الخبر (عنها) أى عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها لتلك الاماكن (ما) أى ثوب التعب الذى (حاكه) أى نسجه (الانضاء) أى الهزال شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بأثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه و يسترلونه كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهو استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية وترشيحية (وأرتها) أى أبصرت تلك الناقة (الخلاص) من التعب (بئر) فاعل (على) وهو آخر الخبت الذى بعد رابغ الى مكة (فعقاب السويق) بعدها بقليل (فالحلصاء) أى المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة (فهى) أى تلك الناقة (من ماء بئر عسفان) المشهورة (أو) من ماء عيون (بطن مرظما آنة) أى عطشانة (خمصاء) أى جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا الى نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى أن يدخلوا مكة قرب الزاهر المشهور قبيل ذى طوى (المساجد) المعروفة بمساجد عائشة و بالتنعيم (منها) أى الناقة أى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها الان المسافة بينهما نحو ميلين (بخطاها) أى بسبب شدة جريها لما أحست بالوصول (فالبطء) الحاصل (منها وحاء) بالمهملة قبلها واو مفتوحة أى سرعة وكان مراده أنها لما أحست بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى أن بطأها زال وخلفته سرعة شديدة (هذه) المذكورات (عدة) غالب (المنازل) بين مصر ومكة التى عليها المعول لان بها تعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط ببيانها القاصد (لاما) أى منازل القمر الثمانية والعشرون التى (عدفيه) ذكره

(قوله أى خبتها المشهور) الخبت المتسع من بطون الارض وخبت الجميش وخبت الجميش و يجوز أن يضاف صحراء بين الحرمين اه قاموس (قوله والثوب بأثر الهزال) الظاهر تشبيه ماغشى الناقة من أثر الهزال الذى هو التعب واسترخاء الاعضاء بالثوب على طريق الاستعارة المصرحة بجامع الشمول لان شمول الثوب للبدن حسى فالمناسبة كونه مشبها به على حد ما ذكروه فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فتدبر (قوله فالحلصاء) بسكون اللام (قوله الزاهر) مفعول مقدم والمساجد فاعل مؤخر (قوله غالب المنازل) الذى ذكره منها ثمانية وعشرون على عدد منازل القمر

تطر اللفظ ما (السماك) الاعزل الذى هو من منازل القمر ولهم سماك آخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل (والعواء) منزلة من منازل القمر وهى خمسة أنجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك (فكانى بها) أى على تلك الناقة أرحل من مكة الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به السائلون ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها الانها نسك واجب أو مندوب أو ركن كالوقوف أقوال أصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفى حديث فى سنده ضعف أنه صلى الله عليه وسلم دعا ربه فى عرفة أن يكفر عن أمته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التى حول مكة وبها (شمسا) أى حال كون تلك الناقة كالشمس فى ارتفاعها ورفعة ماهى قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيداء تجريد لملاءمتهما للمشبه الذى هو الناقة (سماؤها) أى تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر (البيداء) أى المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال (موضع البيت) أى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هى محذوف وعليه فمعنى كونها موضعه انه فى بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان أول بيت الآية (مهبط الوحى) نعت أو بدل بعد بدل أو معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده أى محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم المبعوث عن ربه على لسان الملك أو بالالهام أو فى النوم أو الالقاء فى الروع (مأوى) من أوى فلان الى منزله (الرسل) الكرام بل وسائر الانبياء ومر تعريف النبى والرسول أول الكتاب لانه ما من نبى الا حج البيت كما فى حديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم يصح (حيث) ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله (الانوار) الالهية متنزلة ثم وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد أى تنزلها دائما على قلوب الطائفين والعاكفين والركع السجود (حيث البهاء) أى الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف المفاضة على أهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه آمين وراعى النظير بذكر الوحى والرسل والانوار والبهاء وكذا الطواف وما بعده فيما يأتى (حيث فرض الطواف) فى حج أو عمرة وأما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة مؤكدة ورد فيه فضائل جمة تحمل من أحاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض أئمتنا انه للغرباء أفضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فى أيما أفضل أركان الحج هو أو الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه أمر عادى لا يشترط فيه شروط ولذا لم يقبل الصرف وقال آخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة أى معظمه ذلك لان من ادركها أدركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه

(قوله على تلك الناقة) فالباء فى بها بمعنى على (قوله ارحل) جعل الشارح شمسا حالا يقتضى بناءه للمفعول ويصح بناؤه للفاعل ان لم تثبت الرواية بالاول وفاعله ضمير المتكلم وشمسا مفعوله ويفهم كونه راحلا مثلها بكونه عليها (قوله ومن ثم سميت جمعا) وقال فى النهاية سميت جمعا لاجتماع آدم وحواء انتهى قال الشامى فى سيرته جمع بفتح أوله واسكان ثانيه اسم لمزدلفة سمى بذلك للجمع بين صلاتى المغرب والعشاء فيها قاله البكرى (قوله فلم يستجب له) أى لم يعجل باستجابته أو لم يخبر بها (قوله وقوة سيرها) فى القسطلانى على البخارى انه جاء فى حديث انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل هل زالت الشمس قال لا نعم فقال ما معنى لا نعم قال يا رسول الله قطعت الشمس من فلكها بين قولى لا نعم مسيرة خمسمائة عام أى بين قولى لا وبين قولى نعم (قوله استعارة بالكناية) الظاهر أنه تشبيه بليغ للجمع بين الطرفين فان ادعى انفصال الشمس عن ضمير الناقة فلا جمع نظر فى قوله بالكناية لان المذكور والمشبه به والاستعارة بالكناية أن يذكر المشبه وقوله واثبات الشمس الخ ظاهر الفساد لان التخييلية أن يثبت لازم المشبه به لا نفس المشبه به تأمل (قوله أى تلك الناقة) أو تلك الشمس المشبه بها الناقة تأمل (قوله بدل بعض من كل) غير ظاهر لان الموضع نفس مكة لا بعضها فكان الظاهر بدل كل من كل وكذا يقال فى مهبط الوحى ويجاب بأنه أراد بموضع البيت الجزء من أرض المسجد الذى فيه البيت بقرينة قوله فمعنى كونها الخ وبالمهبط الجزء من مكة الذى وقع فيه الايحاء وعليه فيصح كونه بدل بعض ويحتاج لتقدير ضمير عائد لمكة فيهما حينئذ أى منها الشرطه فى بدل البعض (قوله مهبط الوحى) أى غالبا والا فقد هبط عليه للوحى فى غيرها أيضا (قوله من أوى فلان) قال فى المختار أوى الى منزله بأوى كرمى يرمى أويا على فعول أى نزل به وآواه غيره ايواء أنزله به

يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا أصح كما حررناه في كتبنا الفقهية (و) حيث (السعى) أى فرضه فى أحدهما أيضا بناء على أنه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه (و) حيث (الحلق) أو التقصير فى أحدهما أيضا أى فرضه بناء على الاصح عندنا أنه ركن (و) حيث (رمى الجمار) أى ايجابه لا على جهة الركنية (و) حيث (الاهداء) أى سوق الهدى الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها المقيمين والغرباء والاولون أولى الا أن يكون الغرباء أحوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذى هو مذهب الناظم أن أصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها الا واجب وهذه السنة كانت فى زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس وأعرضوا عنها بالكلية و يصح أن يراد بالاهداء كل دم وجب فى النسك أو توابعه أثم بسببه كالحلق تعديا أم لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض فى الطواف فقط موهم أنه فرض دائما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع أن منه ما هو ركن ولا يتصور نذر به ولا وجوبه فى النسك وهو السعى والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمى وما هو واجب تارة وهو ما حصل لترفه أو جناية ومندوب أخرى وهو ما فعل تطوعا أى من غير سبب وكأن الناظم وكل أمر هذا التفصيل للشهرة أو انه ليس بصدد بيان ذلك (حبذا حبذا) تأكيد لفظى وهو سائغ هنا ومر أول الكتاب الكلام على حبذا بما ينبغى مراجعته (معاهد) جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة وبالعزم أخرى (منها) أى مكة وامتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها وبالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة (لم يغير آياتهن) أى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن (البلاء) بفتح الباء أى طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء عما هى عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر (حرم) محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد به أنه أظهر حرمتها التى كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى قوم قالوا به ولم ينظروا الانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالآية نظرا الى أن أل فى الجنة للجنس فيصدق بالجمع أيضا فلا بعض محقق يبدل منه الكل أو للعهد الخارجى لانه لا خارج حتى يكون معهودا أو الذهنى لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة وهى موضوعة لفرد وكأن وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع أنه نظر الى أن جنات عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الآن والجنة حيث أطلقت انما يتبادر منها واحدة من تلك الثمانية فصح ادعاء أنه بدل كل من بعض بهذا الاعتبار وأما تجويز أنه بدل كل من كل فقد نظر الى

(قوله وهذا أصح) وفى شرح م ر على المنهاج نقلا عن ابن عبد السلام فى فصل فيما يختم به الطواف خلافه وعبارته والطواف أفضل أركان الحج حتى الوقوف وهو المعتمد وان نظر فيه الزركشى بأن أفضلها الوقوف لخبر الحج عرفة ولهذا لا يفوت الحج الا بفواته ولم يرد غفران فى شئ كما ورد فى الوقوف فالصواب القطع بأنه أفضل الاركان فقد صرح الاصحاب بان الطواف قربة فى نفسه وجعله الشارع بمنزلة الصلاة التى هى أعظم (٢٠٠) عبادات البدن بعد الايمان بخلاف الوقوف وقد يقال ان الطواف أفضل من حيث ذاته لانه مشبه بالصلاة وقربة مستقلة والوقوف أفضل من حيث كونه ركنا للحج لفواته به وتوقف صحته عليه واختصاصه به ويحمل كلام ابن عبد السلام على الاول والزركشى على الثانى انتهت عبارته (قوله وهذا محله الخ) انما يظهر لو ذكر وجوبه قبل بقوله مثلا وحيث الاهداء أى فرضه كما قدر فى الذى قبله تأمل (قوله بفتح الباء) ويجوز كسرها وعليه فالمد للضرورة (قوله أى طول المدة) كان الظاهر فى الحل أن يقول أى بسبب طول الخ لان البلاء يتسبب غالبا عن طول المدة لا أنه نفسه فتأمل (قوله أظهر حرمتها) وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أنشأ تحريم المدينة قال سم قد يشكل هذا المقام بان الاحكام كالحرمة اما أن تكون عبارة عن مجرد الخطاب أى الكلام النفسى أو مع قيد التعلق التنجيزى فان كان الاول لزم أن يكون كل من حرمة مكة وحرمة المدينة يوم خلق السموات والارض بل قبل ذلك لان الخطاب المذكور قائم قديم وان كان الثانى لزم أن لا تتحقق منهما الا عند وجود المكلفين بشروط التكليف اذ التعلق التنجيزى لا يتحقق الا حينئذ فتأمل (قوله ان بدل كل من بعض) واختار السيوطى فى الاتقان وفى الهمع ثبوت هذا القسم مخالفا للجمهور فان أريد بموضع البيت جميع الحرم كان بدل كل من كل (قوله على حد جنات عدن) وعلى حد قول الشاعر

رحم الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

حيث أبدل من اعظما طلحة وهى بعضه (قوله فصح ادعاء أنه بدل الخ) هكذا بخطه رحمه الله تعالى وهى عبارة مقلوبة وصوابه كل من

أن جنات عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصى فيكون ابدال علم من نكرة وذلك أقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصى أكثر فى الخارج من مدلول النكرة الذى هو الفرد المنتشر وذلك أقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذى قررته مما يكفى مثله فى اثبات ذكر الرأى المخالف لرأى الجمهور يندفع ما أطال به السيد من التشنيع على من أثبته كيف وقائله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب مأخذه بل أو احتمل لا تشنيع به على قائله ويجوز فيه العطف نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة فى كتب الائمة وعند أهل تلك الاماكن من أكثر نواحيه (آمن) أى يؤمن فيه من شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شئ حتى خرج منه هذا فى الجاهلية وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد آمن صيوده وشجره ونباته وكذا لقطته وترابه من أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قلع أو قطع أو تملك أو نقل الا ما استثنى وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما آمنا وفيه كبيت حرام الآتى نوع تلميح (و بيت حرام) أى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس (ومقام) بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذى نزل لابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر فى محله ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله عليه وسلم وفيه أثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة أيها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فأجابوه بلبيك وفى رواية أنه نادى بذلك على الحجون ولا تنافى لاحتمال أنه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير أن يتعرض له أحد فى الجاهلية ومع كثرة السيول التى كانت تدخل الحرم وتزحزح ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة من آيات الله تعالى الباهرة واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضى الله تعالى عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان أصحهما الاول ومن الغرائب ما قيل المراد الحجر الذى وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فرآه غائبا فسأل عن حاله زوجته فشكت فقال مرى زوجك أن يغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسألها عن حالهم فأثنت ثم أمرته بالنزول لتطعمه فأبى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدميه عليه وأمالها رأسه فغاصت قدمه فيه ثم حولته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مرى زوجك فليلزم عتبة بابه (فيه) أى البيت أو الحرم ولا يصح عوده للمقام نظير ومن دخله كان آمنا (المقام) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها أى الاقامة (تلاء) بفتح الفوقية أى جوار لمحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكأنه أخذ هذا من أن أهل مكة يسمون جيران الله أى بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما فى القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كهو أو شبهه بين مقام والمقام وما يأتى من قضينا والقضاء ورمينا ورمى وتنشر ونشر وشممت وشممت وقباب وقباء ورحضتها والرحضاء وحططناو يحط وقرأنا والاقراء وسمعنا ويسمع وذهلنا وأذهل (فقضينا) أى أدينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة كما فى قضيت الدين (بها) أى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى (مناسك) جمع منسك من النسك وهو العبادة أى أركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما (لا يحمد الا فى فعلهن القضاء) أى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميزت ببر الحج المتكفل بالجنة من غير عمل

بعض لانه المدعى (قوله لا تشنيع به) انظر هذا مع ما يعرض لك فى كلامه من التشنيع على الجوهرى فيما هو ظاهر الصحة فضلا عن الاحتمال (قوله من شن الغارات) يقال شن الغارة عليه وأشنها أى فرقها عليهم من كل وجه (قوله وفيه أثر قدميه) أى الخليل الكريمتين تقدم عن الحافظ السيوطى أنه لم يثبت تأثير قدمى نبينا فى الحجر وهو لا ينافى ثبوت ذلك للخليل فحرر (قوله أنه نادى مرتين) لم يعلم من كلام الشارح الا كون احدى المرتين على الحجون ولم يعلم منه أن الاخرى فى أى محل وانما يظهر لو قال الشارح عليه بعد قوله وهو الذى نادى ويكون عنده ثبوت رواية نداء ابراهيم المذكور على الحجر فتأمل ثم رأيت فى نسخة ذكر عليه كما ذكر ولله الحمد وفى البيضاوى أنه صعد أبا قبيس وقال يا أيها الناس الخ وقال القرطبى فى المفهم انه نادى بذلك فى عرفة وعليه فيقال فى دفع التنافى يحتمل أنه نادى مرات (قوله فشكت) أى ولم تعرف قدر الخليل (قوله فأخبرته) يقال لها أنت العتبة وشبهها بها بجامع حفظ الباب وصونه وكون كل محلا للوطء العتبة بالقدم والزوجة بالجماع (قوله ثم أمرته) أى قالت له يا صبيح الوجه انزل لتطعم فأبى

آخر بخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبكونه أشعث أغبر وبمنعه من مألوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لأهله ووطنه وبتكفير تبعاته على مافيه من الخلاف المذكور وبكونه لا يضع قدما أو يرفعها الا كتب الله له من الثواب مالا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع مايورد على النظم أن غير الحج الافضل منه والمساوى له والمفضول عنه يحمد فاعله أيضا *(تنبيه)* ماقررت به قوله فقضينا والقضاء يندفع به ماللشارح هنا ومن جملته قوله لا يفسر القضاء آخر البيت بالفعل ويتعين أنه الفراغ أوضد الاداء ففسر القضاء بماليس معناه لغة ولا شرعا وبما لا يتصور فى الحج وهو قوله أوضد الاداء على أن استعمال القضاء بمعنى الاداء أشهر من الشمس لغة وشرعا وقد حقق بعض المتأخرين أن القضاء لا يتصور فى الحج لانه مافعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضيقه بخوف نحو عضب أو موت لا يقتضى أنه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف فى نظيره فى صلاة تضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ماظنه أنها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا للكثيرين أنها أداء كما اتفق عليه الاصوليون أن القضاء مايفعل خارج الوقت المقدر له شرعا *(تنبيه)* ثان لا يتوهم أن ماوقع فى النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل ماقاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان أول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذى عليه الاخفش وصححه أبو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو

* ألا كل شئ ماخلا الله باطل *

فالاستثناء من ضمير باطل العامل فى ذلك الضمير وماهنا لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حد

* اذا لم يكن الا النبيون شافع *

وحكى سيبويه مالى الا أبوك أحد قال فيجعلون أحدا بدلا وأبوك مبدل منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن (ورمينا بها) أى الناقة (الفجاج) جمع فج وهو الطريق أى ألقيناها فيها لتسير بنا (الى طيبة) هى المدينة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها أسماء كثيرة جدا (والسير بالمطايا) جمع مطية وهى الدابة تمطو أى تجد فى سيرها (رماء) مصدر راميته أى يشبه سير السهم اذا رمى به (ف) بسبب أن سيرها يشبه سير السهم أشبهت القوس وحينئذ (أصبنا عن قوسها غرض القرب) أى المدينة المشبهة بالغرض فى كونه المقصود بالرمى أو السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمى استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح ويصح كونها شبهت بالقوس فهى استعارة بالكناية أيضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم والاصابة

والغرض

(قوله وبتكفير تبعاته على مافيه من الخلاف) والمعتمد تكفيرها ان مات فى حجه أو بعده وقبل تمكنه من أدائها (قوله وبقولى مخصوصا يندفع الخ) وعبارة ابن عبد الحق أى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالحصر اضافى اهـ انظره فان المعنى عليه ان الاداء لا يحمد فى تركهن فما معنى كون الاداء فى الترك وانما يظهر لو كان التعبير لا يحمد الا فعلهن أى لا تركهن تأمل (قوله يندفع ماللشارح هنا) عبارته فقضينا أى فعلنا فان القضاء يطلق على الفعل وعلى الفراغ من الشئ ويصح هنا أى فرغنا تلك المناسك وهى جمع منسك والنسك العبادة والمراد الافعال المتقدمة ومايعتبر معها من وقوف عرفة ومزدلفة ومبيت منى والقضاء آخر البيت بمعنى الفراغ ولا يصح أن يكون بمعنى الفعل ويصح فيه أن يراد به القضاء الشرعى الذى هو ضد الاداء فان الاداء الشرعى مافعل خارج وقته والحصر على الاول والثانى قد يشكل وقد يقال فى جوابه دفعا للاشكال على المعنى الاول انه لا يحمد فراغ العبادة مع بقاء وقتها الا فى الحج فان تأخر الطواف والسعى الى بعد أيام التشريق وان صح مفضول بالنسبة الى فعله قبل وان كان الوقت باقيا بخلاف الصلاة مثلا فانه مادام وقتها الاستمرار فيها أفضل من فراغها ويكفى فى دفع الاشكال أن يصح الحصر ولو فى صورة اهـ وما بين به الشارح ابن حجر كلام الناظم هو الظاهر واعتراضه على الجوجرى فى تفسير القضاء بضد الاداء فى محله نعم اعتراضه تفسيره بمعنى الفراغ يمكن دفعه باستعماله القضاء لغة بمعنى الفراغ ومنه قضى الامر (قوله الفجاج) بكسر الفاء وضمها (قوله طيبها لرسوله) أى وطيبها بنوافح أسراره (قوله رماء) هو بكسر الراء ويقال فى مصدره مراماة أيضا كقاتل قتالا ومقاتلة والمراد هنا أصل الفعل أى الرمى (قوله أى يشبه الخ) أشار الى استعارة بالكناية بتشبيه سير الناقة بسير السهم بجامع قطع المسافة باصابة الغرض واثبات الرماء استعارة تخييلية (قوله أشبهت القوس) أى لتقوسها وتعوجها عند اتعاب نفسها فى السير لتفوز بمقصدها الاسنى وسيأتى فى الشرح تشبيهها بالسهم أى بجامع قطع المسافة لاصابة الغرض فللتشبيه جهتان فمن جهة تقوسها لشدة سيرها تشبه بالقوس ولقطعها المسافة لذلك تشبه بالسهم (قوله فهى استعارة الخ) فيه نظر لان الضمير هو المعبر به عن الناقة فالطرفان مذكوران فلا استعارة وانما اضافة القوس

والغرض ترشيح (ونعم الخبيئة) أى الذخيرة الناقة (الكوماء) هى المخصوص بالمدح وهو خبر لمبتدا محذوف أو عكسه فقول الشارح انه صفة الخبيئة ليس فى محله وهى أعنى الكوماء العظيمة السنام (فرأينا) أى أبصرنا المدينة وماحولها التى شرفها الله تعالى بأن جعلها (أرض الحبيب) أى حبيب رب العالمين فتميز به صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذى هو أجل وأعلى من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة أى أرض المدينة وماحواليها (يغض) أى يخفض (الطرف) مفعول (منها) أى من أجل الجلالة التى حفتها (الضياء) المشرق عليها حسا ومعنى (واللألاء) أى البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفى الضياء واللألاء مراعاة النظير (فكان) بالتشديد وقد تخفف نحو كأن لم يدعنا الى ضر مسه للتشبيه المؤكد لان الاكثر أنه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة والاصل فى نحو كأن زيدا أسد انه كأسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول الجار عليها قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره ولذلك قالت بلقيس كأنه هو وقيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد (البيداء) من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور اليوم بابيار على (من) للتعليل أو ابتداء الغاية وكل منهما خفى فالاحسن أنها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة (حيثما) ما زائدة (فابات العين) الناظرة اليها (روضة غناء) أى كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار (وكأن البقاع) أى الاماكن التى حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم (زرت عليها) أى البقاع (طرفيها) عائد لقوله (ملاءة) بضم أوله وهى ثوب عريض أو ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرحى لشمائل الترمذى الملاءة بالضم والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاءتان لا ملاءة واحدة (حمراء) شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها فى عراها من سائر جوانبها (وكأن الارجاء) أى نواحى المدينة الغراء (تنشر) أى تذيع (نشر) أى ريح (المسك فيها) أى تلك الارجاء (الجنوب) وهى الريح التى تقابل الشمال (والجربياء) بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس الشمال أو بردها أو الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهى المرادة هنا (فاذا شمت) بكسر الشين المعجمة أى نظرت الى سحائب البرق أين تمطر فى تلك البقاع (أو شممت) فى القاموس شممته بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم (رباها) جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الارض (لاح) أى ظهر وهو راجع لشمت (منها) أى تلك البقاع (برق) راجع للاول (وفاح) راجع لشممت ففيه لف ونشر مرتب (كباء) بوزن كساء عود البخور أو ضرب منه أى ريحه من كبى بالتشديد ثوبه أى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع (أى نور) أى نور باهر (وأى نور) بفتح أوله أى زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى (شهدنا) هما أى رأيناهما بابصارنا وبصائرنا (يوم) ظرف لشهدنا (أبدت لنا القباب) التى هنالك (قباء) محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال (فرمنها دمعى) أى كثروا نهمل من أجل ما شاهدته حسرة على ما مضى لى من فراقه أو فرحا بوصولى اليه أو خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة (وفر) أى ذهب (اصطبارى) لا سيما بعد أن وصلت الى هذه الربا وأنخت رحلى بقباوبين فر وقرا الجناس المصحف (فدموعى سيل) عظيم (وصبرى جفاء) بضم الجيم أى زبد

الى ضمير الناقة من اضافة المشبه به للمشبه وانظر قوله واثبات القوس الخ كيف يجعله مشبها به ويجعل اثباته تخييلا اذ التخييل اثبات لازم المشبه به لا اثبات المشبه به للمشبه وقد سلف له نحو ذلك فى شرح قوله شمسا بخل (٢٠٣) من لا يسهو (قوله أو عكسه) أو مبتدا خبره الجملة قبله (قوله اذا كان خبرها غير جامد) انظر هل هذا القيد أغلبى أو دائمى فان كان الثانى أشكل لان الخبر فى كل من الآية والنظم جامد فحرر (قوله على التعريف الاول) هو قوله ثوب عريض أو ثوبان الخ والثانى ما نقله عن القاموس (قوله وبها) أى عبارة شرحه للشمائل تعلم أن الخ أى على ما نقل عن القاموس من قوله كل ثوب لم يضم الخ (قوله بالفتح) أى فتح عين المضارع فى الاصل لانه من باب علم فاصله أشممه نقلت فتحة العين الى الشين ثم أدغمت الميم فى مثلها (قوله بالضم) أى من باب نصر (قوله راجع للاول) الظاهر أنه يغنى عنه قوله راجع لشمت (قوله أى نور) مفعول شهد ومعطوف عليه (قوله قباء) فيه المسجد الذى أسس على التقوى (قوله أو فرحا بوصولى اليه أو خوفا) لا مانع من جعل أو مانعة خلو ففى وقت دمع حسرة وفى وقت دمع فرح وفى وقت دمع خوف بحسب اختلاف التجليات على قلبه رضى الله تعالى عنه (قوله وفر اصطبارى) أى على بعدى عن دخول طيبة والتملى بمشاهدة قبره الشريف (قوله الجناس المصحف) أى واللاحق الاول لاختلاف اللفظ مع كون صورة الحرفين واحدة والثانى باعتبار بعد مخرج أحد الحرفين من مخرج الآخر (قوله فدموعى سيل) أى كالسيل (قوله جفاء) أى مثل الجفاء (قوله أى زبد) قال فى البيضاوى الزبد وضر الغليان

ثم قال فى بيان قوله تعالى فاما الزبد فيذهب جفاء بجفائه أى يرمى به السيل وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد اه فتفسير الجفاء بالزبد فيه تساهل تامل وعبارة تفسير الجلالين فاما الزبد من السيل وما أوقد عليه من الجواهر فيذهب جفاء أى باطلا مرميا به اه ثم رأيت فى القاموس (٢٠٤) التصريح بتفسير الجفاء بالزبد وعليه فلا تساهل فى تفسير الشارح وعبارته وجفا الوادى والقدر رميا بالجفاء أى الزبد ثم قال والجفاء كغراب الباطل اه المراد منه (قوله رد ماقاله الشارح) وعبارته الضوضاء أصوات الناس وجلبتهم وكأنه أبدل من الهاء آخره الهمزة اذ أصلها ضوضاة انتهت اذا كانت هذه عبارته التى وقعت لشارحنا فما وجه ردها فانه اقتصر على اللغة الفصيحة التى فى النظم فلا ينافى وجود لغة أخرى تامل (قوله باغتراق النفس) قال فى القاموس اغترق النفس استوعب فى الزفير اه اذا علمت ذلك ظهر لك رد ماذكره المحقق من نسبة الشارح للقصور لان تفسيره باغتراق النفس المبين فى القاموس باستيعاب الزفير يفيد الصعود اذ لا استيعاب للزفير أى لمعناه الا به تامل نعم تفسيره بحبس النفس فيه قصور اذ ليس من مدلوله الصعود بخلاف تفسيره باغتراقه (قوله كأزيز المرجل) أى القدر من النحاس (قوله أى علو الصوت) فيه أن النحيب رفع الصوت فيصير معنى الكلام ورفع صوت يحثه رفع صوت وقد يقال ذكر الشدة والتتابع فى معنى الاستعلاء يقتضى كونه أخص من النحيب هو فيصير المعنى ورفع صوت يحثه شدة رفع صوت وتتابعه وقد يقال الظاهر حينئذ أن الذى يحث هو النحيب اذ رفع الصوت هو الذى تترتب الشدة والتتابع لرفعه لا العكس تدبر (قوله ففيه أربع استعارات) تامل وجهه فان استعارة السحابة للعين استعارة مصرحة وفى الوطف استعارة لان الترشيح يجوز جريانه فيه وأما جعل قوله وجرد بذكر الجفون استعارة فلم يظهر له وجه صحة وقوله وخيل

فكما أن السيل يذهب بذلك الزبد فى أسرع وقت فكذلك دموعى تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتى وكم أذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب (ف) بسبب ماذكر أن ماشوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر (ترى) أى أيها المخاطب (الركب طائرين) أى جادين فى السير حاثين لدوابهم ليستخرجوا منها أقصى ما يمكنها من الاسراع (من) أجل (الشوق الى طيبة) وكيف بمشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (لهم ضوضاء) أى أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة فى المهموزة انتهت وبها يعلم رد ماقاله الشارح (وكأن) عطف على فترى (الزوراء ما مست البأساء) أى شدة السفر ومشقته (منهم خلقا ولا الضراء) تأكيد لما قبله وكيف بهم شئ من ذلك و (كل نفس منهم يتكرر (منها ابتهال) أى تضرع الى الله تعالى فى أن يقيل عثارها ويقبل آثارها (وسول) أى توسل الى الله تعالى بأحب خلقه اليه (ودعاء) أى اطناب (ورغبة) فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب (وابتغاء) أى طلب لما عند الله تعالى (وزفير) أى تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعترى القلب من خشية المؤاخذة لما فرط منه وتفسير الشارح له تارة باغتراق النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تصاعده الذى لابد منه فى حده (تظن) أيها المخاطب (منه) أى من أجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت فى الصدور ومن ثم جاء أن صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ماعنده من الخوف كان يسمع له أزيز كأزيز المرجل (صدورا) مفعوله الاول طيورا (صادحات) أى مصوتات (يعتادهن زقاء) بالزاى والقاف أى صوت عال والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت (وبكاء يغريه بالعين) أى يحمله على ملازمته لها (مد) أى مسيل من الدموع نشأ عن حرقة القلب لفراق المحبوب أو خشية قطيعته أو عن فرحة بلقيا الحبيب والمثول فى حضرته (ونحيب) وهو رفع الصوت بالبكاء (يحثه) أى يحضه ويزيد فيه (استعلاء) أى علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكاء (وجسوم كأنما رحضتها) أى غسلتها ولذا سمى المغتسل مرحاضا (من عظيم المهابة) أى الجلالة التى استولت على قلوبهم لما أناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة (الرحضاء) أى العرق الكثير من أثر الحمى أى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا يتولد منه كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (ووجوه) تتلون بالالوان المختلفة لشدة ماعندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى (كأنما ألبستها من أجل حياء) بالمد ومر تفسيره وأنه غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله (ألوانها الحرباء) دويبة مشهورة ذات ألوان متعددة تستقبل الشمس برأسها (ودموع) من شدة البكاء والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (كأنما أرسلتها من جفون سحابة وطفاء) أى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ماعندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة للمشبه ففيه أربع استعارات وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى

هوسهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شأنه الانسجام والسيلان والرقة
والحلاوة مالا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغته ومرله كثيرمن هذا النوع (ف) بعد أن وصلنا الى
ذلك القبر المكرم على مابينا تمام شرحه بقوله كل نفس الى هنا (حططنا الرحال) بفناء كرمه صلى
الله عليه وسلم نستمطر سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والآثام ولوانهم اذظلموا
أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (حيث) أى فى مكان
(يحط الوزر) أى الاثم والثقل (عنا) فيه بشفاعة مشرفه عليه أفضل الصلاة والسلام (وترفع)
بلحظه واسعافه وامداده عنا (الحوجاء) أى الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس
حتى نصل الى العيان ونستغنى عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع طباق (وقرأنا السلام
أكرم) أى على أكرم (خلق الله) وأفضلهم كما مرت الاشارة اليه مستوفاة أول هذا الشرح واقتدى
الناظم فى هذا بالسلف فانه قد جاء افراد السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره عن ابن عمر وغيره
من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره أفضل من الصلاة عليه
عنده أى للاخبار الكثيرة الواردة فيه كخبر مامن أحد يسلم على عند قبرى الارد الله على روحى
حتى أرد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح ان الله تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على
فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله أفضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان
رده دعاء لايرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه الافضلية
للسلام بانه شعار اللقاء والتحية فحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة اما اذا سلم سلام
اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء
فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (من حيث)
أى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى (يسمع الاقراء) للسلام منه وفيه رد العجز على الصدر وما
اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا
ويرد عليه من غير واسطة وأن من صلى أوسلم عليه من بعد لايسمعه الابواسطة يدل عليه أحاديث
كثيرة وذكرتها فى كتابى الدر المنضود فى الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها
جملة فى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم منها ماجاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل
انه غريب من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على من بعيد أعلمته وصح وان نوزع فيه مامن
أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وصح من غير نزاع فيه يعتد به من أفضل
أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه
فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بوزن
ضربت أى بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء وفى رواية
زيادة فنبى الله حى يرزق وبقيت أحاديث أخر متعارضة جمعت بينها فى الكتاب السابق بانه صلى الله
عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع
سماعه لهما يبلغهما أيضا زيادة فى اكرام الزائر والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك سواء ليلة الجمعة
وغيرها وأمارده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم على قبر أخيه المؤمن سمعه ورد عليه
فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم تكن له خصوصية بذلك وكفى الزائر تمييزا أنه صلى الله
عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة ويكفى المصلى والمسلم من بعيد وقرب رده صلى الله عليه
وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام
فروحه لم تفارقه أبدا وصح الانبياء احياء فى قبورهم يصلون والاحاديث فى ذلك كثيرة جمعها الامام

الخ الذى جعله استعارة رابعة فيه نظر لان السحابة هو المستعار فكيف يجعل اثباته استعارة (٢٠٥) على أن الاستعارة مصرحة فكيف
وجود الاستعارة التخييلية
فخرور (قوله الرحال) جمع
رحل مركب البعير ويجمع
أيضا على أرحل ويطلق
على المسكن ومايستصحب
من الاثاث ذكر ذلك فى
القاموس والمراد بحط
الرحال انتهاء السفر والاقامة
(قوله الارد الله على روحى)
أى نطق والا فروحه لم
تفارقه أبدا وسيأتى ذلك
فى الشارح قريبا (قوله حتى
أرد عليه السلام) بعضهم
فرق بين تعديه رد بعلى
وتعديته بالى بان الاول فى
الاهانة والثانى فى الاكرام
قال فى الصحاح رد عليه
الشئ اذا لم يقبله وكذلك
اذا خطأه وتقول رده
الى منزله ورد اليه جوابا
أى رجع قال الراغب ومن
الاول قوله تعالى يردوكم
على اعقابكم ومن الثانى
قوله تعالى ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة انتهى
ولعل هذا فى غير رد السلام
اذ هو متعد بعلى مع انه
اكرام تامل (قوله وقد
أرمت) أصله أرممت أى
صرت رميما فحذفوا احدى
الميمين وهى لغة لبعض
العرب كما قالوا ظلت افعل
أى ظللت وقيل بضم الهمزة
وكسر الراء وقيل بفتح
الراء والميم المشددة
وسكون التاء أى أرمت
العظام انتهى من مسالك
الحنفاء للقسطلانى (قوله احياء فى قبورهم) فى فتاوى الرملى ان الانبياء والشهداء والعلماء لا يبلون والانبياء والشهداء يأكلون فى

البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام حياة مخصوصة أعلى وأتم من حياة الشهداء المنصوص عليها فى القرآن (وذهلنا) أى غبنا عن احساسنا أو عما عدا ما نحن بصدده (عند اللقاء) لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال (و) لا بدع فى هذا الذهول اذ (كم أذهل صبا) أى شديد الصبابة التى هى رقة الشوق عليه وغلبة استيلائه (من الحبيب) أى المحبوب وهو متعلق بقوله (لقاء) لان من شأنه ان يدهش الصب ويخرس المحب ويفنيهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه (ووجمنا) بفتح الجيم أى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده ما دمنا فى تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له (من) أجل (المهابة) أى الجلالة والمخافة (حتى) اجتمع علينا أمران لا يوجد اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما (لا كلام منا) عما نريده (ولا ايماء) منا بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال كما قال القائل

وكم رمت بث الشوق عند لقائه * فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

(ورجعنا) الى بلادنا (وللقلوب التفاتات) كثيرة جدا برعاية المقام (اليه) أى نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم (وللجسوم) جمع جسم وجسم الشئ جرمه الثابت من الارض (انثناء) أى انعطاف الى البقاء فى حضرته صلى الله عليه وسلم أبدا ان تيسر والا فالى تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم (وسمعنا) أى جدنا (بما) أى بنفيس لا يجود أحد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى (نحب) دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لدارنا لاجل القيام بمن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وأيضا فاننا وان كنا بخلاء بهذا الفراق لنا اسوة بالبخلاء فى ذلك (وقد) وقع بقينا انه (يسمح عند الضرورة) التى لا يستطاع معها الترك (البخلاء) بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل الطباق * ولما تم مقصد زيارته صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه من تلك القسمة التى ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة أو ظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتى الامان الامان الخ فقال (يا أبا القاسم) هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا سواء فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى والعبرة كما تقرر فى الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهى أن اليهود كانوا ينادونه بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم فيقولون له لا نعنيك فنهى الناس عن التكنى بذلك ومن ثم أخذ بعض أئمتنا ان المنع خاص بزمن حياته صلى الله عليه وسلم وبعضهم أنه خاص بمن اسمه محمد وتكنية على كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضى الله عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى فى جميع شؤنه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أيضا انما أنا قاسم والله يعطى ولاجل هذا عد وامن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلى فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم

قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم أم لا فقيل نعم وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم انتهى وجزم أبو المواهب الشاذلى فى كتابه عنوان أهل السر المصون ان الشهداء ينكحون لكن لم يقل نساءهم انتهى وعبارة الفتاوى فيها التقييد بذلك وعليه فمن مات منهم قبل موت أزواجه أو مات ولم يتزوج لا ينكح وهذا أمر يحتاج للتوقيف كذا قال بعضهم (قوله وذهلنا) ذهلت عن الشئ أذهل ذهلا نسيت وغفلت عنه وأذهلنى عنه كذا وذهلت بالكسر ذهولا لغة فيه (قوله برعاية المقام) يعنى ان جمع المؤنث السالم كجمع المذكر كذلك من جموع القلة استعمل هنا مرادا به الكثرة بقرينة المقام (قوله هذه كنيته) ويكنى أيضا بابى ابراهيم وأبى الارامل وأبى المؤمنين

باعطائه مفاتيح الخزائن الالهيـة فلا يخرج منها شئ الا على يديه صلى الله عليه وسلم وقيل انما كنى بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضى الله تعالى عنها يسمى القاسم (الذى ضمن) من تضمن كذا اشتمل عليه (اقسامى عليه) بكسر الهمزة بالأقسام الكثيرة الآتية فى نيل مطلوبى منه صلى الله عليه وسلم (مدح) فرقوا بينه وبين الحمد بامور أحدها ان الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى والمدح على مالا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم و بصفة كمال والمدح يكون عن ظن و بصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما رابعها ان فى الحمد من التعظيم والفخامة ماليس فى المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان أى متشابهان لا مترادفان قاله الطيبى وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه وأكثر العلماء على ان الحمد يختص بالاختيارى والمدح أعم (له وثناء) هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا فى الخير الاختيارى وغيره والمدح على ذلك القول كذلك و به لما تقرر ان عليه أكثر العلماء يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى ماقبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير فى الجملة وعليه يحمل كلام الشارح اما المدح والحمد ففيهما تقابل أو مراعاة النظير أو ترادف (بالعلوم) أى أقسم عليك بها التشفع لى بما يؤمننى من كل مكروه بان يعطينى الله الامان منه وكذا يقال فى الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال بعض أصحابنا فى أقسم أو أقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله أول الاقسام لان مرتبة العلم لا أعلى منها بل ولا مساوى لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال للزيادة مما هو عليه الا للعلم وقل ربى زدنى علما وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال النقيض (التى) تنزلت (عليك من الله) حال كونها (بلا كاتب) من الكتب وهو الجمع وانما المحصل (لها) اليك (املاء) أى اقراء من جبريل وهذا الذى قررته فى اعراب هذا البيت أولى مما سلكه الشارح فتأمله و بين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة والاملاء طباق (و) أقسم عليك بما أوتيته أيضا من (مسير الصبا) وهى الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهى مراد الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا تقابلك وهى مستقبل باب الكعبة وقول اسرائيل بن يونس الصبا ماجاء من قبل وجه الكعبة ويطلق على مايهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل و يساره الى قريب القطب الشمالى وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان مابين مطلع الشمس والجدى يسمى صبا و يسمى شمالا و بتسميته صبا صرح عثمان الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس الى كرسى بنات نعش وفى القاموس الشمال الريح التى تهب من قبل الحجر أى بكسر الحاء ثم قال والصحيح انه مامهبه بين مطلع الشمس و بنات نعش أو من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ولهذه الريح أثر بين فى نصرته صلى الله عليه وسلم فى وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر (بنصرك) أى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب أعدائه وأخمد شوكتهم و بدد جموعهم (شهرا) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور مع

(قوله ان الحمد) أى لغة وقوله والمدح على مالا اختيار كان الظاهر ان يقول على ماهو أعم من الاختيارى وغيره ويجاب بان ماذكره الشارح هنا مما يقتضى تباينهما مذهب لبعض العلماء وماذكرناه من الظاهر مذهب أكثر العلماء كما يفيده قوله الآتى قريبا وأكثر العلماء الخ (قوله هو على القول الاخير الخ) تامل هذه العبارة وحررها فان الثناء الذى هو الذكر باللسان جنس فى تعريفى الحمد والمدح اللغويين وأحد ماصدق الجنس فى تعريفيهما العرفيين كما لا يخفى على من عرف تعاريفها لغة وعرفا وهو أشهر من أن يذكر فان أراد بالثناء الحمد بدليل ذكر المدح استقام ماذكره و يؤيده قوله على القول الاخير لان الاقوال السابقة متعلقة بالحمد والمدح لا بالثناء والمدح تامل قوله أولى مما سلكه الشارح عبارته فى اعراب البيت بالعلوم الباء للقسم والعلوم مجرورها وهو المقسم به وكذا ماعطف عليه باعادة العامل ودونه التى صفة للعلوم وصلتها جملة عليك املاء فاملاء مبتدا وعليك خبره والمجرورات متعلقات بالمبتدا ثم قال فى المعنى أقسم أولا بالعلوم التى أوحاها الله اليه وأنزلها عليه من غير واسطة كتابة ولا كاتب لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب وأوتى علم الاولين والآخرين زيادة فى المعجزة وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (قوله وهو) أى سبب النصر فليس المراد بقوله سبب بيان معنى الباء بل هى صلة مسير نحو مررت بزيد وانما مراده بيان مضاف محذوف تأمل

قوله أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصرته صلى الله عليه وسلم وهو الرعب أى الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحى المدينة فلم يرفع أحد منهم رأسه الا اختطفته لوامع سيوف نصره صلى الله عليه وسلم وقواصف أسنة قهره عليه الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا تزيد مسافته فى حياته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافى ذلك ان ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحترازعن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان رعبهم وان وجد لا يصل لهذه المسافة وفى رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى و بينهم مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم و بين أحد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات أظهرها كما تقضى به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا (فكانت الصبا لديك رخاء) هى الريح اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهى هيبته عليه الصلاة والسلام وأيضا فتلك انما كانت تسير بعد أمر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط أمر من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير كما صليت على ابراهيم فى صلاة التشهد على أحد الاجوبة فيه وفى ذكر الرخاء بعد الصبا مراعاة النظير *(تنبيه)* اصول الرياح أربعة الصبا وهى التى تهب من جهة باب الكعبة وهى حارة يابسة والدبور من ورائها باردة رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة رطبة والشمال من جهة شمالها باردة يابسة واشرت بقولى اصول الى ان لهم فروعا كالنكباء وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا والجنوب وأطال فى القاموس الكلام فيها وحاصله والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال أو نكب الرياح أربع الازيب نكباء الصبا والجنوب والصبابية وتسمى النكيباء أيضا نكباء الصبا والشمال والجربياء نكباء الشمال والدبور وهى نيحة الازيب والهيف نكباء الجنوب والدبور وهى نيحة النكيباء وتفسير كل بما ذكر فيه هو الاصل فلا ينافى ما مر آنفا من اطلاق بعضها على خلاف ما فسرت به هنا وفى القاموس الجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا *(تنبيه ثان)* روى مسلم ان الشمال ريح الجنة التى تهب عليهم وينافيه الحديث الذى أخرجه ابن جرير وابن مردويه وابن أبى الدنيا وأبو الشيخ ريح الجنوب من الجنة وهى من اللواقح وفيها منافع للناس والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر فى الحديث الاخير هو حال الشمال فى الدنيا لخروجها أولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج والثانية ملاءمة النفس وازالة اكدارها فهذا حالها فى الدنيا وما فى الحديث الاول هو حالها فى الآخرة فاهل الجنة لا يرون سواها كما صرح به قوله وهى ريح الجنة الخ وبهذا يعلم ان الشمال أفضل الرياح لان حديث الجنوب من ريح الجنة وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية أمرهما انهما يدلان على ان ريح الجنوب من بعض رياح الجنة وما دل عليه حديث الشمال من ذكر حالها وما اختصت به فى الدنيا والآخرة أعلى مما دل عليه حديث الجنوب فتأمله فان قلت جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجنوب سيد الارواح واسمها عند الله الازيب قلت هو معارض بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضى الله تعالى عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال لانتنت الارض فهذه فائدة جليلة دنيوية نشأت عن خروجها أولا من النار خلت عنها الجنوب فلتكن الشمال أفضل أو يقال

(قوله أصول الرياح أربعة) فى الغريبين للهروى روى عن ابن عمرو أن الرياح ثمانية أربع عذاب وهى العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر والعقيم وهما بالبر وأربع رحمة وهى الناشرات والذاريات والمرسلات والمبشرات (قوله والهيف) وهى ريح حارة تأتى من قبل اليمن (قوله سيد الارواح) الارواح لغة فى الارياح ومنه قول أم يزيد *وبيت تخفق الارواح فيه* (قوله هو معارض) فى المعارضة نظر فتأمله

كل منهما أفضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج أولا من الجنة والشمال لكونها هى التى تهب على أهل الجنة فيها هذا كله بفرض تكافؤ سندا الحديثين وليس الامر كذلك أصلا اذ سند حديث مسلم لا يوازيه شئ وحينئذ لا يعارض حديثه شئ من الاحاديث الاخر لانها ليست فى رتبته بل ولا قريب منها لانها من حيز الضعيف وهو لا يعارض الصحيح أصلا وفى أثر عثمان الاعرج انه ذكر الارياح الاربعة وحد كل فقط الا الشمال فزاد انها تمر بجنة عدن فتأخذ من طيب عرفها وفيه ان الاربع مساكنها تحت أجنحة الكرو بين حملة العرش وانها تهيج فتقع بعجلة الشمس فتعين الملائكة على جرها ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع فى البحر ثم تهيج من البحر فتقع رؤس الجبال ثم تهيج من رؤس الجبال فتقع فى البر ثم ذكر ان حد الشمال من كرسى بنات نعش الى مغرب الشمس وحد الدبور منه الى مطلع سهيل والجنوب منه الى مطلع الشمس والصبا منه الى كرسى بنات نعش فان قلت علم مما تقرر ان كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع انها التى خدمته صلى الله عليه وسلم وكان القياس أن تكون نصرته صلى الله عليه وسلم باحد ذينك ليكون الافضل ولو من وجه بل كان القياس اختصاص ذلك بالشمال لما تقرر انها الافضل مطلقا قلت ان أخذنا بما عرف مما مر ان الشمال تطلق على ما يعم الصبا فالامر واضح وان قلنا بتغايرهما كما هو الاصل فحكمة ذلك والله أعلم ان وقت مهب الصبا هو المعين على قتاله العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل فتأمل ذلك كله فانه مهم أى مهم مع انى لم أر أحدا أشار لشئ من ذلك قال بعض المفسرين والريح مسكنها تحت الارض الثانية كما ورد فى الحديث الصحيح وفيه لما أراد الله سبحانه ان يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا يهلكهم فقال يارب ارسل عليهم بقدر منخر الثور فقال له الجبار سبحانه كنت تكفئ الارض ومن عليها لكن ارسل عليهم بقدر الخاتم قال فى الحديث والارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد قال فيه فاذا أراد الله ان يطلقه لمن شاء من عباده أطلقه رواه الحاكم وقال الحافظ المنذرى انه صحيح ولم يخرجه الشيخان ولا ينافى هذا قول الشارح السابق وفيه ان الاربع مسكنها تحت أجنحة الكرو بين حملة العرش لجواز ان تكون أجنحة الكرو بين تحت الارض الثانية لما ورد ان أقدامهم تحت الارض السابعة انتهى (و) اقسم عليك أيضا بمعجزاتك العظمى مع (على) كرم الله وجهه فى غزوة خيبر (لما) سرت اليها ودفعت الراية وكانت سوداء لعلى رضى الله تعالى عنه ففتح بعض حصونها وأرسلت أبا بكر لحصن آخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر رضى الله تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقال صلى الله عليه وسلم وفى نسخة فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف كل أحد لذلك فأتت عن على رضى الله عنه فقيل به رمد فدعوت عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد فحينئذ (تفلت بعينيه وكلتاهما معا) حال مؤكدة (رمداء) ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله بها على يديك فبرأ تا لما خالطهما ريقك الذى هو الشفاء الاكبر (فغدا) أى ذهب بتلك الراية تضرب بعينيه المثل فى حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور كما فى الكامل ومن ثم قال (ناظرا بعينى عقاب) ومن أمثال العرب أبصر من عقاب ولما غدا وهو كاذ كر هرول هرولة حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من أنت قال على بن أبى طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما أنزل على موسى ابن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية أرادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وجعل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها لجروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون

(قوله فى رضم) والرضم والرضام صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض فى الابنية الواحدة رضمة انتهى صحاح

رجلا هذا كله (فى غزاة) معهودة من أعظم الغزوات وأجل الفتوحات وهى غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع (لها العقاب لواء) أراد باللواء الراية وهى العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لا لواء بل ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال عياض فى مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب أسود وكانت من برد عائشة رضى الله تعالى عنها ذكر ذلك كله أهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام وأما قول شارحه ان التى تسمى العقاب بيضاء وانها التى أعطاها العلى رضى الله تعالى عنه فهو مخالف لما رأيته من كلام أهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقاب كانت تحوم على لحوم القتلى كأنها رايات مرتفعات وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رأيته صلى الله عليه وسلم يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هى التى أعطاها العلى ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما أعطى اثنين رايتين غير راية على كرم الله وجهه ونقل بعض أهل السير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عليا رضى الله تعالى عنه هو الذى كان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم فى كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفى هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر وأما تسمية راية الانصار يوم أحد بالعقاب فهو جرى على ما عليه أهل اللغة أن كل راية تسمى العقاب كما أن راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه (و) اقسم عليك أيضا (بريحانتين) وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما ورضى الله عن أمهما وأبيهما وفى تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا (طيبهما) حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل (منك) لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت أم أنس تأخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم ليتطيبوا به لباهر ريحه (الذى) نعت لطيبهما (أودعتهما) بالبناء للمفعول فاطمة (الزهراء) مبتدا خبره ما قبله وهما الموصول والصلة كذا ذكره الشارح ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عائد للموصول وجوز البناء للفاعل وان المفعول الثانى محذوف أى الذى الزهراء أودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذى نعت للريحانتين لتأويلهما بالمذكور أو نحوه ونظير ما ذكرته فى الذى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه أبو داود وهذا منى يعنى الحسن والحسين ونظيره أيضا قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا قال أبو حيان يجوز استعمال الذى بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذى نختاره أى فى قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا انه أفرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذى استوقد وقيل فى الآية الذى بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفة لفظ مفرد وكل من ذلك يأتى فيما نحن فيه فاستفده وأشار بقوله أودعتهما الى ما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان أولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذى أودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه الغسانى وروى الخطابى ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لان الله تعالى فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما ويأتى ذكر شئ من فضائلهم لا أسانيد وقد استوعبتها بذكر أسانيدها وبيان

احكامها

(قوله بريحانتين) الريحانة فى اللغة كناية عن الولد لان القلب يستروح به والريحان الولد الصالح والريحان الحسن الحديث والريحان المشموم والريحان الرزق يقال خرجنا نطلب الريحان أى الرزق والريحان السحر يقال سرنا بريحان من الليل انتهى ابن دحية (قوله وهما الموصول والصلة) أى المبتدا والخبر (قوله فالصواب الخ) فيه ان ريحانتين نكرة وهى لا تنعت بالمعرفة فالظاهر جعله خبر محذوف أو مفعوله أى هما أو أعنى الذى تأمل وقال الطبلاوى ان الاولى ان يكون اللذى بصيغة المثنى صفة مطابقة للريحانتين باعتبار وقوعهما على الحسنين المذكورين على لغة حذف نون المثنى كقوله

أبنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

ولم يحفظ عن الناظم ضبطه بصيغة المفرد حتى يحتاج الى ما فى كلام الشارحين من التكلف فاستفده وقد يرد هذا بان رسم المتن لا يساعده لكونه بلام واحدة وصيغة المثنى انما ترسم بلامين وقد علمت ما فى قوله صفة تأمل (قوله تطمث) طمثت المرأة حاضت من باب نصر وضرب

أحكامها وما يتعلق بها فى كتابى الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذى لم يؤلف فى هذا الباب أجمع منه أخرج الطبرانى والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب وفى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطائف فما قال أوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أولأبعثن عليكم رجلا منى أو كنفسى يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد على وقال هو هذا توفى كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم الليلة فشكا اليه مالقى فقال له ادع عليهم فدعا أنه يبدل خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه وأكثر فى تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه أخفى خوفا من أن ينبشه الخوارج وفى رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فندّ الجمل الذى يحمله فلم يدر أين ذهب فلذلك قال أهل العراق انه فى السحاب (كنت) على الدوام (تأويهما) أى تضمهما (اليك) لازيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما وأخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما والترمذى أحب أهل بيتى الى الحسن والحسين وأحمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وجاء من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وفى قوله وأبوهما خير منهما حجة لما عليه أهل السنة ان الائمة الاربعة أفضل من أهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما أى من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر أفضل منهما علما وعملا ومعرفة فتأمله ﴿تنبيه﴾ قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب أهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شباب لان الوارد ان جميع الناس من أهل الجنة يكونون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين سنة ثم يدخلونها وهم كلهم مستوون فى هذا السن الذى هو سن الكهولة وأعدل الاسنان وأشرفها فاهذا الخبر كونهم عليها وحينئذ فليس فى الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ فأى شباب هما سيداهم ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسودانهم وهم الاكثر وقد لا كأبيهما والائمة الثلاثة قبله ونحوهم والحاصل انهما سيدا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابا بها فرضا وخصوا لان النفس انما تتشوف غالبا لمن هو على سنها الذى فضلت فيه على غيرها من أهل ذلك العصر ثم رأيت بعضهم قرر الاشكال بنحو ما ذكرته لكن ما ذكرته أظهر فى الاشكال ورأيت عنه أجوبة لثلاثة من الائمة فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة على ما ذكرته وسأشير لذلك منها أجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها ما استظهره انه سماهم باعتبار ما كانوا عليه عند مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال لصغير يموت من صغار أهل الجنة والشيخ المحكوم بصلاحه من شيوخ أهل الجنة فهما سيدا شباب أهل الجنة بهذا الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا لم ينتقلا عن الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى وهذا يرجع عند التأمل الصادق الى قولى ويحتمل ان المراد شبابا بها فرضا الخ بل ان زاد صدق تأمله رأى ان التعبير بما ذكرته أوضح وجوابه الثانى ان يراد بهما سيدا شباب أهل الجنة باعتبار ذلك الوقت الذى كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين الزام

(قوله توفى الى قول الناظم كنت تأويهما) المناسب ذكره عند اقسام الناظم بعلى رضى الله تعالى عنه لتعلق ذلك به لا بالمرجحانتين اللذين فيهما الكلام تأمل (قوله ابن ملجم) بكسر الجيم وضمها (قوله قال أهل العراق الخ) وفى طبقات الشعرانى فى ترجمة سيدى على وفا وكان يقول أى سيدى على وفا ان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه رفع كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى انتهى وبذلك قال سيدى على الخواص فسمعته يقول ان نوحا عليه الصلاة والسلام أبقى من السفينة لوحا على اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا بضنائن القدرة حتى رفع اليه والله أعلم بذلك (قوله ويعثران) يقال عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر انتهى مختار (قوله على خلقة أبناء ثلاث الخ) أشار بذلك الى دفع ما عساه يقال ما معنى كونهم فى الجنة أبناء ثلاث وثلاثين اذ من مات وهو ابن سنة مثلا أو ابن مائة مثلا ما معنى زيادة السنين أو نقصها فى حقه فأشار بقوله خلقة يعنى من جهة القوة كما هو الغالب فى أهل ذلك السن الى تأويل ما وقع فى العبارة من أن أهل الجنة أبناء ما ذكر فتدبر (قوله مستوون فى هذا السن) أى فى قوة هذا السن (قوله ولا كهول) الظاهر حذفه (قوله مفارقة الدنيا) أى مفارقة الشباب المفضولين

انهما سيدا المرسلين لانهما شباب فى الجنة لانهم غير داخلين فى شباب أهل الجنة على المعنيين جميعا انتهى وقوله لانهما شباب فى الجنة الذى بنى عليه أيضا بعض ماسبق عنه مم وع وانما الذى دل عليه حديث كونهم يدخلونها على سن أبناء ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة اذ الشباب الى الثلاثين والكهولة الى الاربعين ثم منها شيخوخة وحينئذ صح ما أجبت به دون بعض ما أجاب به وله جواب ثالث مبنى على ان أهل الجنة شباب وقد علمت ان الواقع خلافه فلا حاجة لذكره على انه فى ذاته فيه غموض وعدم وفاء بالمقصود وان سلم ما بناه عليه كما يعلم بتأمله لمن وقف عليه وأجاب غيره بأن معناه انهما أفضل من مات شابا فى سبيل الله من أهل الجنة ولم يرد انهما من الشباب لانهما ماتا وقد كمل لهما كل ما يفعله الشباب من المروأة كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروأته وفتوته أو انهما سيدا أهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك لان أهل الجنة كلهم فى سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل انتهى وقوله وهو الشباب مردود وأجيب أيضا بانه يمكن أن يراد بهما الآن سيدا شبابهم من أهل الجنة من شباب هذا الزمان انتهى وليس فيه كبير تمدح فينافى الغرض من ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحا لهما والحاصل ان الذى يتجه فى هذا المقام وبه يحصل الجواب الواضح ان الذى كتبت له السعادة المعبر عنهم بكونهم أهل الجنة شباب وكهول وشيوخ وان الحسنين تميزا فى حال شبابهما بل فى صغرهما بفضائل على من هو فى سنهما حينئذ لا تحصى ولا يستثنى منهم أحد بل فى حال شبابهما افضلا جميع الشباب الموجودين حينئذ من غير استثناء بل الشباب مطلقا من غير استثناء أيضا اذ لا نعلم وهما فى شبابهما ان شابا قبلهما ولا بعدهما ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذا تقرر هذا فلاجل كونهما افضلا الشباب من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما لم يفضلاهما على الاطلاق فى حالة من الحالات خص الشباب بالذكر وأضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو فى حال شبابه وقد كتب شهيدا هذا من شباب الجنة أى من الموصوفين الآن بكونه من الشباب وكونه من اهل الجنة وحينئذ اتضحت حكمة الشبات واتضحت اضافتهما الى الجنة واتضح انه لا يحتاج الى استثناء الخلفاء الاربعة فضلا عن الانبياء واتضح ان فى هذا من التمدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما ما لا يخفى عظيم وقعه فتأمله لتستريح من تلك الاجوبة المطولة مع ما فيها مما سبق ومما فى هذا الجواب الذى هو أصوبها وأوضحها (كما آوت) بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر فى أصل الكلمة (من الخط) حال من الفاعل (نقطتيها الياء) أى أوت الياء نقطتيها حال كونها من جملة حروف الخط وكأنه أخذ هذا التشبيه من حديث البخارى عن الحسن كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول رب انى أرحمهما فارحمهما ومما صح عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال طرقت على النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شئ فقلت ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء أنها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان الالف أفضل الحروف لانها مادة كل حرف فهى الآخر فى الحقيقة كما انها الاول كذلك وهكذا شأن نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أولهم خلقا ورتبة وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث فى جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن فى عمود نسبه وبالقوة أخرى بالنسبة لمن ليس فى عموده (من) بيان للريحانتين وحينئذ فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه الشارح (شهيدين) أما شهادة الحسن وكانت ولادته فى نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية أرسل

(قوله وليس فيه كبير تمدح) لك منعه بل فيه من التمدح ما لا يخفى وذلك لانه اذا ثبت انهما سيدا شباب ذلك الزمان ثبت انهما سيدا شباب ما قبله وما بعده اما الاول فلقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ولا شك انهما خيار الخيار من الشباب مطلقا وأما الثانى فلقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى الحديث وأما النص على الشباب وان فضلا غيرهم الا ما استثنى فلما سيأتى فى كلام الشارح وهذا القدر لا يختص بهذا الجواب كما فهم واذا تأملت رأيت قول الشارح والحاصل الخ شرحا لهذا الجواب لكن فيه زيادة التعميم فى التفصيل هذا وقد يرد على ما قررنا شباب الزمن الذى قبل زمنهما فى عصره صلى الله عليه وسلم فالاظهر ما قاله الشارح (قوله انها خاتمة الحروف) وانها لا يشبهها حرف فى كون نقطتيه تحته والنبى كان يضع الحسنين على وركيه فهما تحت معظم جسمه فتتم المشابهة فى الجملة فتدبر

(قوله الكندية) ان كانت نسبة الى كندة قرية بسمرقند فالكاف مضمومة وان كانت نسبة الى ناحية بخجند توصف نساؤها بالحسن فالكاف مفتوحة كما يؤخذ من القاموس (قوله سنة خمسين) وحينئذ فعمره قريب من سبع وأربعين سنة (قوله دهيت) أى أصيبت بداهية (قوله محجمة) المحجم والمحجمة قارورة الحجام (قوله فنعهم الخ) عبارة الشارح البرلسى ولما قرب موته أشاعوا ان يدفنوه فى الحجرة النبوية فاشتد بنو أمية ولبسوا السلاح وقالوا لا يدفن عثمان فى حش كوكب والحسن فى الحجرة فحمل السلاح بنو هاشم على بنى أمية فبلغ الحسن فقال للحسين ولبنى عمه لا أحب التشويش على الناس فأمر ان يدفن عند أمه الزهراء فدفن فى البقيع وقبره معروف انتهى قال ابن الجوزى والحش البستان وكوكب رجل من الانصار وقوله فبلغ الحسن يقتضى ان مخاصمة الفريقين حال حياة الحسن وهو مخالف لما فى الشرح تأمل فان كان مراد البرلسى بالحسن الحسن البصرى فلا منافاة لكن يبعد هذا قوله فى صدر عبارته ولما قرب موته فانه ظاهر فى انه كان حيا (قوله رحمة له) قال النووى فى شرح مسلم انما يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من دعا عليه رحمة وكفارة وزكاة اذا لم يكن أهلا للدعاء عليه والسب واللعن وكان مسلما والا فقد دعا صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة فان قيل كيف يدعو على من ليس بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه أو نحو ذلك فالجواب من وجهين أحدهما أن المراد ليس بأهل عند الله فى باطن الامر لكن فى الظاهر مستوجب فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون فى باطن الامر ليس أهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثانى أن ما وقع من سبه ودعائه ونحو ذلك ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب (قوله الا مارغم أنفه) قال فى القاموس رغم انفى لله تعالى مثلث ذل عن كره

الى زوجته جعدة الكندية انها سمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها به فأبى وفى سنة موته أقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فأبى وقال الله أشد نقمة وأجد كبدى تقطع وانى لعارف من أين دهيت فبحق عليك لا تكلمت فى ذلك بشئ ثم قال وأقسم عليك ان لا تريق فى أمرى محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا أخى ان أباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما استخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة ان أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت نعم حبا وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والى المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جانب أمه رضى الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من أذيته فلما مات بكى فى جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه بالامس ما تجرعه فقال انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا أشد الناس بغضا لاهل البيت وكأن هذا هو سر الحديث الذى صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به للنبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون وروى أيضا احاديثا من جملته قول عائشة رضى الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا مروان ومروان فى صلبه نعم فى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان من شتمه أو لعنه أو دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول اللهم انى أحبه فأحبه وصح من أحبنى فليحبه وليعلم الشاهد الغائب اللهم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات وفى رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول ذلك وفى أخرى من أحبنى وأحب هذين وأباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنائب لتقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكاياته فيه أبهر ولم تسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصمة ليس له عندنا الا مارغم أنفه وجاء من طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابنى هذا أى الحسن سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله له ذلك فان أباه كرم الله وجههما لما توفى تولى الخلافة بمبايعة أهل الكوفة فكان آخر الخلفاء الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح الخلافة بعدى ثلاثون سنة فمدة خلافته هى الستة الاشهر الباقية منها وعند مضيها سار الى معاوية فى أربعين ألفا فلما تراءى الجمعان علم الحسن انه لن تغلب احدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الاخرى فرضى بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وحينئذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن

آثما بل مأجورا وأما شهادة الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة أربع ومن فضائله رضى الله تعالى عنه حديث حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط وفى رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفى رواية ملك القطر ولعلهما واقعتان جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول وأراه من تربة الارض التى يقتل فيها فأعطاه لام سلمة وأخبرها ان يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء وفى رواية فاشار جبريل بيده الى الطف أرض بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلاء وبالطف كذلك قال بعضهم وقال غيره كربلاء قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبرانى أما حسن فله هيبتى وسوددى وأما حسين فله جراءتى وجودى وروى البغوى وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا وانى سميت ابنى الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما فى الجاهلية فيها ان يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه أهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمحى ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وأمره ان لا يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضى الله عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا فأرسل اليه يزيد بن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقى الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء ولما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع فهم بالرجوع فقال أخو مسلم المقتول لا حتى نأخذ بثارنا أو نقتل ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه وكان أكثر مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى عدوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من أهله نيف وثمانون فثبت فى ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه ولما استحر القتل فى أهله حتى بلغ خمسين صاح اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحرث رجاء شفاعة جده فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فنى أصحابه وبقى بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح رضى الله تعالى عنه كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال فكفوا فلم يزل يقاتلهم الى أن أثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب أربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى أن سقط الى الارض فحزوا رأسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين ووضعه قاتله بين يدى عبيد الله بن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فأمر بضرب عنقه وقال اذا علمت أنه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصرى ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الرأس فى طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى أنس رضى الله تعالى عنه وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى فأغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على يافوخهما ثم قال اللهم انى أستودعك اياهما وصالحى المؤمنين فكيف كانت وديعة النبى صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد اه ولما دخل

(قوله وخذلانهم) انظره مع ما علمت من أنه هو الذى ترك القتال ولم يسبق فى ذكر الشارح واقعته مع معاوية أن قومه خذلوه (قوله من القادسية) بينها وبين الكوفة مرحلتان (قوله عام احدى وستين) فعمره قريب من سبع وخمسين سنة فهو أكبر من الحسن بقريب من عشر سنين كما علمت من سنة مولد كل ووفاته السابق علمهما فى الشرح

قصر الامارة بالكوفة أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم أنزله وجهزه مع رؤس أصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور أنه جعل ينكث الرأس بالخيزران وجمع بانه أظهر الاول واخفى الثانى قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال أحمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بأنه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه أطال فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح أنه قتله ولا أمر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه ولعنه وكابن العربى المالكى فانه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد أنه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده أى بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفى فيها بعض أهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين أقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف أبيه له أما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة أحد من أهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام الجائر أما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضى الله تعالى عنه اقتضى جواز أو وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التى تصم عنها الآذان فهو أعنى الحسين رضى الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لاسيما ان رأى ما رأى الامام أحمد من كفره وبه يرد أيضا ما قيل نظير ذلك حال معاوية مع الحسن قبل نزوله له عن الخلافة ومع على كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك انتهى فتأمل ذلك فان كلام الائمة فيه كالمتنافى ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ومما يبطل توجيه تلك الكلمة ما ذكرته فى مختصرى تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطى أن رجلا سمى يزيد أمير المؤمنين فأمر عمر بن عبد العزيز خامس أو سادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة أشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكأنه اندرج فى خلافة أبيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ تعين أن خامسهم عمر رضى الله تعالى عنه بضربه عشرين سوطا فهذا صريح فى أنه كان متغلبا بالشوكة لا اماما لان الذين هم أهل الحل والعقد حقيقة أكره أكثرهم على بيعته كما صرحت به فى المختصر المذكور تبعا لاصله وأقلهم من أجلاء الصحابة هربوا الى مكة ويأتى قريبا بعض ذلك مع زيادة عليه ولما وصلوا لدمشق أقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى وقيل ان يزيد أرسل برأس الحسين ونقله ومن بقى من أهله الى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر أمه بقبة الحسن وقيل أعيد الى جثته بكربلاء بعد أربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتله ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس أول منزل جعلوا يشربون بالرأس فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ثم عادوا وأخذوه أو أخذه غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر يوم قتله من الآيات ان السماء أمطرت دما وان أوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت وأن الكواكب قد

(قوله سماطان) أى جانبان اه صحاح (قوله عمر بن عبد العزيز) ٢ هو خامس () أو سادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة أشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له من دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكأنه اندرج فى خلافة أبيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ يتعين أن خامسهم عمر (قوله وقيل أعيد الى جثته) وهذا هو المشهور ثم نقل الى مصر فى دولة الفاطمية وجعل له مدفن عظيم بالقرب من الجامع الازهر يسمى المشهد الحسينى واستمر فيه الى يومنا هذا خلافا لمن ادعى عوده الى الجثة وقد وقع للاستاذ الشيخ كريم الدين الخلوتى واقعة منامية تدل على وجوده فيه وفيها الامر من الحضرة الالهية بزيارة ذلك المشهد الحسينى فواظب على زيارته يوم الثلاثاء من كل أسبوع وصار يوما مشهورا يجتمع فيه خلق كثير من المقربين والمنشدين والزوار يعرفون بركته اه من ابن عبد الحق

٢ قول المحشى هو خامس أو سادس الخ هذه العبارة بعينها موجودة فى الشراح التى بايدينا ولعل المحشى رحمه الله كتب على نسخة ليست هذه العبارة فيها أو هى هامشة أدخلت فى الشراح اه

ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا روئى تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين أخبرنا أن الحمرة التى مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزى وحكمة ذلك أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وكما أظهر الله تعالى عظيم الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر أظهره على ولد ولد الحسين زيد صاحب المذهب المشهور رضى الله تعالى عنه فان بنى أمية استخفوا به وقتلوه وحرقوه فانتقم الحق تعالى ممن فعل به حتى سلط عليه من فعل به مثل مافعل بزيد وأقبح بكثير كما هو مبسوط فى قصته مع هشام المشهورة وفيها من الكرامات الباهرة لاهل البيت ما أوجب ذكر حاصلها ليطلع من يحبهم فيزداد محبة لهم أو المبغض فيتوب ويرجع الى الله تعالى * اعلم أنى ذكرت فى كتابى اسنى المطالب فى صلة الاقارب مالفظه تنبيه آخر يؤيد ماذكرته فى التنبيه الذى قبل هذا ماوقع لهشام بن عبد الملك حيث قطع رحم زيد بن على فقتله قومه الذين أرسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط الله عليه من أخرجه من قبره وحرقه بالنار جزاء وفاقا وشرح ذلك أن زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من جبابرة بنى أمية وظلمتهم فكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يخجله بين يدى جنده وفى عز مملكته ومن ذلك أنه قال أنت زيد المؤمل للخلافة وما أنت وذاك وأنت ابن أمة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله تعالى نبيا هو ابن أمة وجعله أبا العرب وأبا خير النبيين وهو اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم فكانت أمه مع أم اسحق كأمى مع أمك وما تقصير بك برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده على بن أبى طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه ألستم زعمتم أن أهل هذا البيت قد انقرضوا لا لعمر والله ما انقرض قوم هذا خلفهم ودخل عليه مرة أخرى فرأى عنده يهوديا يسب قيل كان يسب النبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان يسب آل البيت فانتهره زيد وقال يا كافر أما والله لئن تمكنت منك لاختطفن روحك فقال هشام مه يا زيد لا تؤذ جليسنا فخرج قائلا من استشعر حب البقاء استدثر الذل الى الفناء وهاج حينئذ على الخروج على هشام فأطاعه من أهل الكوفة خمسة عشر ألف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة من الائمة قيل منهم أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وأمده بمال عظيم فخرج أوائل المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج معه من القراء والفقهاء وأهل البصائر خمسة آلاف فى زى لم تر الناس مثلهم ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه فقال أين الناس فقيل له احتبسوا فى المسجد فقال لا يسعهم عند الله تعالى خذلانهم لنا فعاد اليهم وأمرهم بالخروج فأبوا فقال يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خيرى الدنيا والآخرة فأبوا فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضى الله تعالى عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم يغن ذلك فيهم شيأ ودخلوا الكوفة فتفرقت أصحابه عنه فلم يتأثر بذلك وحاربهم يوم الاربعاء والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فأصيب آخر يوم الجمعة بنشابة فى جبينه فجىء له بطبيب فنزعها فمات من وقته ودفن فى قناة وأجرى عليه الماء حتى لا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها أحد فكان ذلك من كراماته الباهرة ثم أنزلوه وحرقوه بالنار حتى صار رمادا فذروه فى الهواء فلما كان زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم أمر بامرأة هشام المذكور فشدخ رأسها بالعمد وأمر بقطع يديها وقتلها اقتصاصا فى أم ولد أو زوجة كانت لزيد رضى الله تعالى عنه قتلوها ثم أمر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالصبر لئلا يتغير فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد رضى تعالى عنه جزاء وفاقا فتأمل نصر الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب بنى العباس كانوا يكرهون ذرية

الحسين

(قوله دم عبيط) قال فى الصحاح فى فصل العين المهملة فى باب الطاء والعبيط من الدم الخالص الطرى (قوله وان الورس) أى الذى كان فى عسكرهم وقد كان فى قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله كذا فى الصواعق والورس نبت كالسمسم ليس الا باليمن يزرع فيبقى عشرين سنة اه قاموس (قوله ان الحمرة التى مع الشفق) فهى غير الشفق لانه كان موجودا قبل قتل الحسين فقد بين رسول الله بغيبه أول وقت العشاء

الحسين لانهم كانوا ينازعونهم فى الملك ويخرجون عليهم كثيرا ومع ذلك أظهر الله الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بنى زيد وبنى عمه اهـ (ليس ينسينى) كل مسلم كامل الايمان (الطف) أى تذكر ما وقع فيه ومر أنه أرض بالعراق وانه يسمى كربلاء أو قريب منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به (مصابيهما) أى مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط أى مصاب الحسين لان قتله به وأما قتل الحسن فمر أنه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما علم به نزر من الناس (ولا كربلاء) بل كل منهما يذكرنى بذلك المصاب حتى انى أتصور فى كل أرض أنها هى فظاهره أنه مغاير لالطف ومر أنه قول وكأن الناظم لمح بهذا الى مارواه ابن سعد عن الشعبى أن عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وقف وسأل عنها فقيل كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى القصة الآتية قريبا فى شرح قوله فابكهم (مارعى فيهما ذمامك) بالمعجمة أى حرمتك أيها النبى الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع مالها من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانيها واعتقاد أنه على غاية من الحماقة والضلالة والجراءة والتهور (مرؤس) أى تابع كجعدة الكندية فى الحسن وابن زياد واتباعه فى الحسين رضى الله تعالى عنهما (و) الحال أنه (قدخان عهدك الرؤساء) أى المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد فيهما التسبيه فى قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وباء بخزى الدنيا والاخرى وقول بعضهم لاملام على قتلة الحسين لانهم انما قتلوه بسيف جده الآمر بسله على البغاة وقتالهم لايعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف وغايه أمر يزيد انه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الامام الجائر التى جرى عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار وأما تلك الاعصار فكان أهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت حيطة رأى غيرهم ولذلك خرج على يزيد أيضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها كجماعة آخرين امتنعوا منها وهو بواوهر آنفا ماله تعلق بذلك مع زيادة وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد أشار الى الحسين ان ابنى هذا يقتل بارض العراق فمن أدركه منكم فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما يرده أيضا ماترتب على قتل الحسين مما مر بعضه وبين رعى وخان والمرؤس والرؤساء جناس الطباق (أبدلوا) أى هؤلاء المذكورون (الود) بتثليث الواو أى المودة التى حرضهم الله تعالى عليها فى الآية الآتية ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق أمكن حتى ان القرمطى سباهم فأبيعت الشريفة فى عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباه منهم (و) أبدلوا أيضا (الحفيظة) أى الحمية (فى) نصر (القربى) ومحبتهم أى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم وهم أهل البيت النبوى يعنى تركوا هذين وأخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى فى حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى الآية وقد اختلف المفسرون فى القربى من هم والذى جاء عن الحسن بن على كرم الله وجههما باسند حسن انهم أهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها أنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد فى رواية على كل مسلم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وفى رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند فيه شيعى غال لكنه صدوق أنها لما نزلت قالوا يارسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم قال على وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن على رضى الله تعالى عنه وأخرج الطبرانى عن زين العابدين انه لما جىء به أسيرا عقب

(قوله تحت حيطة) قال فى الصحاح الحيطة بالكسر الحياطة وهما من الواوى (قوله حتى ان القرمطى سباهم) قدم أبو طاهر سليمان بن أبى ربيعة القرمطى بكسر القاف مكة يوم التروية سنة عشر وثلثمائة ونهب دورها وأموال الحج وقتلهم فى المسجد وفى البيت وقلع الحجر الاسود من محله وأرسله الى الجناء والقطيف وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على أصحابه وطرح طائفة من القتلى فى بئر زمزم ودفن البقية فى المسجد بلا غسل ولا صلاة ثم من الله تعالى برد الحجر الاسود الى مكة سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة اهـ من افشاء السر المصون لابن الموقع كمال الدين (قوله فابيعت) أى عرضت للبيع قال فى المختار واباع الشئ عرضه للبيع (قوله أى الحميه) أى المنع عما يضر

قتل أبيه الحسين رضى الله تعالى عنهما وأقيم على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له أما قرأت قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال وأنتم هم قال نعم ولا ينافى ذلك ماهو المشهور عن ابن عباس واتباعه من حملها على غير ذلك كما فى البخارى وغيره عنه ان المراد أن لا تؤذونى يامعشر قريش بقرابتى فيكم وفى رواية عنه انهم لما أبوا ان يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ياقوم اذا أبيتم ان تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى ويؤيده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان أمكن نزولها مرتين كما قيل به فى الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر أهل البيت وعمم فى كل مسلم ذكر ماهو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو أجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا ان توادوا الله ولا منافاة أيضا لان من جملة موادته تعالى موادة رسوله وأهل بيته وادعاء نسخ الآية قول مردود لا يلتفت اليه ولا يجوز اعتقاده كما قاله البغوى وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزى حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله عز وجل وأحبوا أهل البيت لحبى وصح أيضا مابال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم منى وفى خبر أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد آذيتنى ثم قال من آذى عليا فقد آذانى وروى أحمد والترمذى حديث من أحبنى وأحب حسنا وحسينا واباهما وأمهما كان معى فى الجنة زاد أبو داود ومات متبعا لسنتى وبها يعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة (وابدت) أى أظهرت (ضبابها) عائد لفاعل أبدت وأراد بالضباب اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها (النافقاء) هى احدى جحرتى اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق فى الدين كما فى الصحاح وفى النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما مافعلوا باليربوع فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه ماعند أولئك من النفاق بالنافقاء بالجامع الآتى فهى حينئذ استعارة مصرحة وفى ذكر النافقاء مصرحة رشحت بذكر الضباب أو تشبيه النافقاء بما عند أولئك من النفاق الذى حملهم على ان فعلوا بآل البيت مافعلوا فتشبيه النافقاء بنفاق أولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقاء يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذا نفاق أولئك أظهرهم حتى هربوا من الدين وفعلوا مافعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة بالكناية أيضا لتشبيه الضباب باولئك فى المكر واضافتهم الى ضمير النافقاء تخييلية (وقست) أى غلظت واشتدت (منهم) أى المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله (قلوب) فوصل اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى أرادلها الشقاوة والعذاب الاليم (على من) أى أولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى الذين قتلوا مع الحسين من أهله ليس لهم شبيه على وجه الارض (بكت الارض فقدهم والسماء) وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المؤمن تبكى عليه السماء والارض بمعنى انهما يتأسفان على مافاتهما من أعماله وثوابها اما الارض فمحال سجود المؤمن وعباداته واما السماء فمحال صعود الملائكة بتلك الاعمال اليها واذا كان هذا فى مطلق المؤمنين كما علم من الآية فما بالك بآل البيت النبوى والسر العلوى ويصح ان يكون المراد

بيكائهما

(قوله أو تشبيه النافقاء الخ) فيه ان الكلام فى بيان صفاتهم الذميمة لا فى بيان صفات جحرة اليربوع وكذا يقال فيما سيذكره من تشبيه الضباب بأولئك الفجرة (قوله فما بكت عليهم السماء الخ) قال الكواشى فى تفسيرها فما بكت عليهم السماء والارض لكفرهم لانه روى ان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا وهذا ممكن قدرة قال صلى الله عليه وسلم مامن عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن على ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء

ببكائهم ما بكاء أهلهم او هو واضح لكن الاول أبلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا بدليل (فابكهم) أيها السامع للخطاب (ما استطعت) أى مدة دوام استطاعتك تأسيا نبيك صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بعلى كرم الله وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال مر على كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب تلك الارض أشمنى اياها فلم أملك عينى ان فاضتا وأخرج الترمذى ان أم سلمة رأت النبى صلى الله عليه وسلم باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن ثم قال أئمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه وأهله ومن غاية الاستهانة بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال أنوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل أحد ان يحزن على ذلك ويتأسف عليه وان يأمر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة حينئذ وبهذا يتبين عدم الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان المنهى عنه البكاء الاختيارى والذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطرارى أو بيان للجواز أو أطلق منه البكاء على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا أى وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء فبين ان مجرد دمع العين لا محظور فيه ولا كراهة فتأمله ثم تمم ما أمر به من البكاء بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال (ان) جزاء (قليلا) أى قليل (فى) مقابلة (عظيم من المصاب) لا سيما مصاب الامة بالحسنين وأهل بيتهما رضى الله تعالى عنهم أجمعين وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق ورد العجز على الصدر (البكاء) وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع الدمع وأما المقصور فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على أعدائهم وغير ذلك (كل يوم وكل أرض لكربى) أى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس بحيث يخشى فوتها (منهم) أى بسبب ما حصل لهذين الامامين وأهل بيتهما من القتل والاسر والسب والايذاء (كربلا) راجع لكل أرض (وعاشوراء) راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش أى زاد بى ذلك الكرب حتى ان كل أرض حللت بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين وكل يوم أصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة ولا يفارقنى بالانتقال من أرض لاخرى ولا من زمن لآخر وبين كربى وكربلا جناس شبه الاشتقاق كهو أو جناس الاشتقاق فى نأوى وآوت وفوضت وتفويضى وطبتم وطاب وسدتم وسودته ووزر والزوراء والقاسم واقسامى وابكهم والبكاء يا (آل بيت النبى) وهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب وهم المذكورون فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان

(قوله ثم بجبريل) يقتضى انه وقع منه بكاء وان اقتصر الشارح على رواية بكاء نبينا وعلى (قوله فلم أملك عينى ان فاضتا) ظاهره انه لم يوجد صوته مع الدمع الذى هو البكاء الممد ودوانما وجد منه مجرد البكى المقصور الذى هو نزول الدمع (قوله رأت النبى) أى فى النوم

مولاه عكرمة ينادى به فى الاسواق ورد بتذ كير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ورجحه جمع بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ماصح عن أم سلمة قلت يارسول الله أنا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول آل البيت خبر مسلم انه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء تحت كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت فى الآية أهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن امهات المؤمنين وأهل بيت نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وصح هذا عن زيد بن أرقم والمشهور ان هؤلاء هم آله المذكورن فى قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقيل المراد بآل البيت هنا كل مؤمن واختير وخبر آلى كل مؤمن تقى ضعيف بالمرة وآل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم المرادون فى جميع ماجاء فى فضل أهل البيت أو الآل أو ذوى القربى وأولئك الاربعة هم المرادون فى آية المباهلة كما يصرح به ماصح عنه صلى الله عليه وسلم فيها (ان فؤادى) أى قلبى (ليس) فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع اه ويصح ارادة هذا المعنى الاخير فى النظم (يسليه عنكم التاساء) بفوقية أوله أى ماحصل لهم من الشدائد والمحن وفى القاموس تأساه آذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لاتزلزلها محنة ولا تنقصها شدة وفى الحديث والذى نفسى بيده لايؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وفى الحديث أيضا انا تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتى فتأمل كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقرآن فى ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال وأشار الى أن ماعنده ملازم له لا يفارقه بسلو ولا تسل ولا غيرهما من الوفاء بحقهما او التحزن والتحسر لمصابيهما اغاهو مع تفويضه الامور الى بارئها كما قال (غير) أى الا (انى) فهو استثناء منقطع (فوضت أمرى) فى ذلك كله (الى الله) تعالى الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (وتفويضى الامور) الى من هو مقدرها ومدبرها (براء) أى مبرئ للمفوض حيث لم يكن له اعتماد على شئ من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق وجملة وتفويضى الخ تذييل (رب) للتقليل (يوم بكربلاء مسىء) باعتبار ماوقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها (خففت بعض وزره) أى ثقل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم عن النفوس التى عندها غيرة لآل البيت النبوى (الزوراء) فيها مع وزره شبه الاشتقاق وهى ناحية ببغداد أى ماوقع فيها من خلفاء بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت من أخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره من آل البيت بالخروج على بنى أمية لانهم عاثوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين فى آل البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعالى الفاخرة ثم بنزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما قال (والاعادى) الذين هم أولئك الفسقة الفجرة (كأن كل طريح) أى مطروح (منهم) الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة الموجبة لتوالى الحتوف (الزق) المنتفخ الملقى على الارض الذى

(حل)

(قوله اشتمل على العباس وبنيه) وبين خبر مسلم السابق تعدد الاشتمال فتارة اشتمل على فاطمة وعلى وابنيهما وتارة على العباس وبنيه (قوله وأولئك الاربعة) أى على وفاطمة والحسنان المتقدم انهم الذين نزلت فيهم آية انما يريد الله عند أكثر المفسرين ولو ذكر هذا عقب ماذكره هناك لكان واضحا (قوله قال ابن مالك الخ) دليل لما قبله الذى قواه ابن الحاجب (قوله كلا التبرئة) أى التى للتبرئة (قوله يسليه) أى يصرفه عنكم يقال سلاه وعنه سلوا وسلوا وسلوانا وسليا كدعاه ورضيه ويقال اسلاه عنه (قوله عاثوا) أى افسدوا قال فى القاموس العيث الافساد وعاث يعيث (قوله والاعادى الخ) قال بعضهم تذاكرنا مع جماعة قتل الحسين رضى الله عنه فقال رجل من القوم ما أحد أعان على قتل الحسين الا أصابه بلاء قبل موته فقال شيخ كبير انا ممن أعان عليه وما أصابنى أمر أكرهه الى ساعتى هذه فجاء الى السراج ليصلحه فاخذته النار فخرج مبادرا الى الفرات أو لقى نفسه فاشتعل وصار رمادا وذكر بعضهم ان رجلين ممن أعان على قتله طال ذكر أحدهما حتى صار يلفه على عاتقه وبالهام فضيحة فى الدنيا قبل فضيحة الاخرى وثانيهما يشرب الراوية من الماء فلا يروى

(حل عنه الوكاء) وهو ما يشد به رأس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا ادبرهم عن آخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة فى التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم فى اختصارى له فعليك بطلبها من محلها ان شئت يا (آل) فهو منادى وأصله أهل أبدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة ألفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل آل فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف (بيت النبى) ومر آنفا بيانهم (طبتم) أصولا وفروعا ونفوسا وأفعالا وأقوالا وصفات وظاهر النظم أن المراد بالطيب فى وبريحانتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه فى الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم لهما وهنا للباقين وهو الوجه لان ذاك فى خصوصهما وهذا فى عموم أهل البيت كما دلت عليه الآية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الذى هى منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفى أحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء فى كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة فى وصولهم لاعلاه وفى رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم أكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله وقد جعل على على وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم هؤلاء أهل بيتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى رواية اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى أخرى اللهم أهلى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلى من بعدى وحديث سألت ربى ان لا أتزوج الى أحد من أمتى ولا يتزوج الى أحد من أمتى الا كان معى فى الجنة فأعطانى ذلك وحديث وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى وحديث أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلى وفاطمة وابنيهما وحديث ان لكل بنى أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحديث والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا كبه الله فى النار (فطاب المدح لى فيكم) وان لم أستوف واجب حقكم ومعالى شرفكم لان الله تعالى ورسوله أثنيا عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشئ من نهايته (وطاب) لى فيكم (الرثاء) وهو تعداد محاسن موتاكم وفى طبتم وطاب الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق (انا حسان مدحكم) أى انا المشبه فى الاعتناء بمدحكم على أقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان ينصب له منبرا فى مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس ومن بلاغته انه لما أراد ان يهجو قريشا أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بأنه ما من بطن من بطون قريش الا وله اليها قرابة فقال

(قوله عضوضا) ذكر فى القاموس جملة معان للعضوض والمناسب منها هنا قوله وملك فيه تعسف وظلم (قوله لا يكون الا منهم) وممن قال يكون من غيرهم أبو العباس المرسى كما نقله تلميذه التاج بن عطاء الله اه من الصواعق (قوله ان مثل أهل بيتى الخ) وما ألطف قول بعضهم يمدح أهل البيت

يا بحار الندى أأخشى وأنتم * سفن للنجاة يوم المعاد

لست أخشى يا آل أحمد ذنبا * مع حبى لكم وحسن اعتقادى

(قوله لان الله ورسوله اثنيا الخ) ولله در شيخنا العلامة الشبراوى من قصيدة يمدح بها آل البيت

قال لى قائل رأيتك تهوى * آل طه ودائما تجتبيهم

ان حقا عليك تستغرق العمـ * ـر مديحا فيهم وفيمن يليهم

قلت ماذا أقول والكون طرا * يستمد العطاء من ناديهم

أنا لا أستطيع أمدح قوما * كان جبريل خادما لابيهم

(قوله ينافح عليه) قال فى الصحاح نافحت عن فلان خاصمت عنه ونافحوهم مثل كافحوهم (قوله ويدعو له) أى لحسان (قوله بروح القدس) والروح بالضم ما به حياة الانفس ويؤنث والقرآن والوحى وجبريل وعيسى عليهما السلام والنفخ وأمر النبوة وحكم الله وأمره وملك وجهه كوجه الانسان وجسده كالملائكة اه قاموس ولا يخفاك المناسب من هذه المعانى هنا ثم رأيت فى البيضاوى فى تفسير قوله تعالى وأيدناه بروح القدس فى سورة البقرة ما نصه بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق ثم ذكر فى معنى روح القدس اسم الله الاعظم ومناسبة هذا المعنى هنا ظاهرة (قوله الا وله اليها قرابة) قال النقاش ليس فى العرب قبيلة الا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته الا بنى تغلب لنصرانيته

لا يسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ورآه عمر رضى الله عنهما ينشد شعرا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت أنشده فيه بين يدى من هو خير منك وهو يقول اللهم أيده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة على ذلك فشهدوا له به فاذا انحت أى رفعت صوتى بالبكاء (عليكم فانى الخنساء) بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم الموالين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه منهم يوم فتح مكة وحرب حنين ألف رجل ونظرت عائشة رضى الله تعالى عنها عليها ثوب الحزن فأخبرتها بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها لم تعلم بالنهى ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فأجابها بأنها تكفيه عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من أشعر الناس قال أنا لولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها

يفنى الزمان وما تفنى عجائبه * ابقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وارماس
ان الجديدين فى طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وأجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها أى فانى مشبهها فى نوحها على أخيها صخر ورثائها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومجامع الثناء وجوامع الرثاء ومنه قولها

ألا يا صخر ان أبكيت عينا * لقد أضحكتنى دهرا طويلا

الى أن قالت

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه أيضا

يؤرقنى التذكر حين أمسى * ويردعنى عن الاحزان نكسى
على صخر واى فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلسى

ثم قالت أيضا

وما يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

ومنه

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرى الجميدا * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد * وساد عشيرته امردا

ومنه

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

(قوله فنظر اليه شزرا) هو نظر الغضبان بمؤخر العين (قوله كنت أنشده) قال فى القاموس أنشد الشعر قرأه (قوله بنت عمرو) قال فى القاموس وخنساء بنت خذام وبنت عمرو بن الشريد صحابيتان وبنت عمرو أخت صخر شاعرة اه هذا يقتضى انها غير صحابية فيكون حال قدومها عليه صلى الله عليه وسلم مع قومها قبل اسلامها ولم تجتمع عليه مسلمة وتقدم نظير ذلك عند قوله فى حلاها وحليها الخنساء هذه العبارة تفيد ان بنت عمرو بن الشريد غير أخت صخر فكيف قول الشارح ابن الشريد (قوله من شعر صدارها) الصدار بكسر الصاد قميص صغير يلى الجسد اه صحاح وفى المثل كل ذات صدار خالة أى من حق الرجل أن يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه (قوله فهم هام) الهام جمع هامة وهى الرأس من كل شئ وطائر من طيور الليل وهو الصدى ورئيس القوم والرمس كتمان الخبر والدفن والقبر كالمرمس والراموس والجمع ارماس ورموس (قوله وأجمع علماء الشعر الخ) قيل ان النابغة الذبيانى كان اذا قدم الموسم عرض عليه الناس أشعارهم فجاءت الخنساء فعرضت عليه فيمن عرض فقال لها ما رأيت ذات هن أشعر منك فقالت لا والله ولا اثنين أيضا وجاءه حسان ابن ثابت وأنشده فقال أنت أشعر من أنشدنى فى هذا اليوم لولا امرأة من خثعم فقال ألى تقول هذا أنا والله أشعر منك ومن أبيك قال حين تقول ماذا قال حين أقول

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

قال قف فانك قد أخطأت فى هذا البيت فى ثلاث مواضع م قلت الغر والغرة انما هى لمعة بياض ولو قلت البيض كان أحسن وقلت يلمعن بالضحى وكل شئ فهو يلمع بالضحى ولو قلت بالدجى كان أحسن ولكن أخاف أن لا تحسن أن تقول مثل قولى فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع وهذا لعمرى من أحسن وسال كلام وأبلغه وأفصحه وان بيت حسان أيضا من جيد الكلام (قوله نكسى) النكس بالكسر السهم الذى ينكس أعلاه فيجعل فوقه أسفله وأيضا الرجل الضعيف وفى القاموس والنكس والنكاس بضمهما عود المرض بعد الشفاء (قوله حلسى) الحلس بكسر الحاء المهملة الشجاع وبالجيم المكسورة انفدم الغليظ الاحمق (قوله النجاد) بكسر النون أى حمائل السيف والمراد وصفه بطول القامة (قوله رفيع العماد) قال فى الصحاح الابنية المرتفعة يذكر ويؤنث الواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلوما لزائره اه وفى شرح مسلم للنووى ومعنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسنا الذكر وقيل رفيع العماد معناه بيته الذى يسكنه عال ليراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدونه وهكذا بيوت الاجواد (قوله علم)

م قول المحشى فى ثلاث مواضع سقط منه الثالث

وسأل الخليفة المهدي الفضل عن أفخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فأعطاه ثلاثين ألف درهم بعد ان شكا ان عليه دينا عشرة آلاف درهم ورآها عمر رضي الله عنه تطوف بالكعبة لاطمة خدها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرز أحد مثله فقال ان في الناس من هو أعظم رزية منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله واذا لا يحل لك اللطم وجهك ولا كشف رأسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها أربعة رجال فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارها على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة في دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها أرزاقهم لكل مائتان حتى قبض رضي الله عنه وعنهم (سدتم الناس) أيها الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء وأما بقية آل البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب وأما بالنظر الى السيادة (بالتقى) فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لانه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم ان السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تمييزهم عن أكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم ومر أن جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الا أن يقال سيادتهم الناس بالنسب أشهر من أن تذكر ودليل الاول أعني السيادة من حيث النسب الذي هو أشرف الانساب آية المباهلة قال بعض محققي المفسرين فيها لا دليل أقوى من هذا على فضل فاطمة وعلي وابنيهما رضي الله تعالى عنهم أي لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن وأخذ بيد الحسين ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والآخرة ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال أقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بل والله ان رحمي موصولة في الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبراني حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردود بأن كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما عدا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم وجاء في حديث آخر بسند رجاله من أكابر أهل البيت ان عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة أم كلثوم وانكار جماعة من متأخري أهل البيت أن عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله واقرار الصحابة لعمر على هذا الاستدلال صريح في رد ما عارضه من أقاويل شاذة في هذه المسئلة لا سيما لبعض بني أمية في ذلك ودليل الثاني أعني النظر الى أن السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا أغني عنكم من الله شيأ غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها أي سأصلها بصلتها ومعنى ذلك أنه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه نفع أقاربه بل وأمته بشفاعته الخاصة والعامة وأخرج الطبراني حديث ان أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك ان أوليائي منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني

أي جبل مرتفع (قوله وطيسها) الوطيس التنور يقال حمي الوطيس اذا اشتد الحرب (قوله رئيسها) الرئيس الشجاع والداهية (قوله كل سبب) أي نكاح ونسب أي قرابة معناه ان أمته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيامة بخلاف أمة غيره (قوله سأبلها ببلالها) أي أصلها وبلالها بكسر الموحدة وفتحها هو الماء أي سأصلها بالماء شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرده ومنه الحديث بلوا أرحامكم برد السلام

ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم وأخرج أحمد حديث والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة مابدأت الا بكم وجاء فى أحاديث ضعيفة أن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفى رواية ان عليا قال يارسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله فطمها وذريتها عن النار نعم أخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله غير معذبك ولا أحد من ولدك وورد يا عباس ان الله غير معذبك ولا أحد من ولدك ولا ينبغى لاحد من أهل البيت أن يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان أهل بيتى هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بى وليس كذلك ان أوليائى منكم المتقون الخ وحديث البخارى ومسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى بأولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين لان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من أهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفى عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم مايسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم فى القيامة يامحمد يريد أن يشفع له فيقول صلى الله عليه وسلم لا أملك لك من الله شيأ كما فى الحديث وتأمل قول الحسن بن الحسن السبط رضى الله تعالى عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا لله فان أطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فأبغضونا ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا أى كأبى طالب والله انى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا أجره مرتين وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن على بن الحسين بن على عن أبيه عن جده انما شيعتنا من أطاع الله وعمل أعمالنا وبه يعلم أن الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنه الله كما فى الحديث الذى رواه الدارقطنى وقال ان له عندى طرقا كثيرة يا أبا الحسن أنت وشيعتك فى الجنة وان قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفى رواية قالوا يارسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة و يطعنون فى السلف (وسوا كم) الذين يدعون سيادة و ينقمون عليكم كسفهاء بنى أمية أو المراد وسوا كم أى غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم فى الدين أصلا بل ولا فى الدنيا عند الكمل وانما (سودته) عند الجهلاء مثله وأفرد الضمير نظرا للفظ سوى (البيضاء) أى الفضة البيضاء (والصفراء) أى الذهب أى طمع الناس فى ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما أكثر من غيرهما وفى سدتم وسودته الاشتقاق والبيضاء والصفراء التدبيج (و) أقسم عليك (بأصحابك) جمع صاحب وهو من اجتمع ولو طفلا وأعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى رحمهما الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وايهام وان وقع فى صنيع أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه فى مسنده مايؤيد ذلك كما بينته فى محل آخر (الذين هم بعدك فينا الهداة) أى الدالون للامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد فى الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل ماذكروهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام أخص افراده بذلك فقال اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر (والاوصياء) أى الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لمعاليهم الرؤس وأبادوا أهل الزيغ عن آخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما جلت الاوصياء على من ذكر ردا على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابى بكر وعلى ووجه الرد أن الذى دلت عليه

صرائح

(قوله ضعفين) أى ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه أى لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بمالم يعاتب به غيرهم انتهى بيضاوى (قوله نبز) النبز بالتحريك اللقب انتهى صحاح (قوله جمع صاحب) فيه أن فاعلا لا يجمع قياسا على افعال فاجهال وانصار وامجاد واطهار فى جمع جاهل وناصر وماجد وطاهر جموع محفوظة لا يقاس عليها فكان الظاهر ان يقول اسم جمع وقد يقال هو من جملة ماحفظ كالجموع السابقة فيكون قوله جمع صاحب أى شذوذا فتأمل (قوله أصحابى الخ) نقل أبو حيان فى النهر فى تفسير قوله تعالى تبيانا لكل شئ الآية فى سورة النحل ان هذا خبر مكذوب باطل لم يصح قط لكن عبارة الشارح فى الصواعق نصها روى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم الخ وبه تعلم ردما أطال به أبو حيان

صرائح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به أنه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى أمر الخلافة بشئ صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على أمته أن لا ينص عليها صريحا وانما أشار صلى الله عليه وسلم أنها لابى بكر باشارات تقرب من الصريح كما بينتها فى الكتاب السابق ذكره ولعل تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح هى التى ظهرت له صلى الله عليه وسلم ولما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد للكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل على أنه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس أياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة على أحد لم يترك ذكره وان وقع أعظم مما وقع فسكوته صلى الله عليه وسلم أوضح دليل على ما تقرر (أحسنوا بعدك) أى بعد وفاتك (الخلافة) عنك (فى الدين) بالقيام بجميع ما يجب أو تحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث أجمعوا على استخلاف أبى بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف أصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة على ثم مبايعة ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية ثم على ولاية معاوية رضى الله تعالى عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ونشر العلوم الى أن تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا (وكل) منهم (لما تولا) ه فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة أو الامارة أو القضاء أو تجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك من أمور الدنيا والدين على أن جميع أمورهم انما كانت للدين لا غير (ازاء) بكسر الهمزة وفتح الزاى ككتاب أى قيم بما تولاه أهل له فى أى بقعة أو زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القرآن ومن وقعت له منهم هفوة فقد كفرت عنه بحد أو توبة هم (أغنياء نزاهة) أى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض أى المال وانما الغنى غنى النفس أى بالله عما سواه سواء أكان بيدها مال أم لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك لا لفخر ولا لمباهاة ولا لمحبة جمع ذلك الحطام الفانى ولذلك جاء أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف رقيق وتصدق هو وعثمان فى غزوة تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير ألف عبد تؤدى اليه الخراج ومامات الا وعليه قدر كثير جدا من الديون وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون ألف دينار لا ينافى ما تقرر أنه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه أنه يخرج جميع ما بيده دفعة واحدة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه فى كل حال أو زمن وأما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل فى يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات أصحابه أو لان حاله فى الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسى به فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقراء فى دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع أو ليسئل سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح فى فضله رضى الله تعالى عنه هم (فقراء) أى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنى منهم كانوا خزانا لله تعالى كما مر فلا يعدون من الاغنياء الا باعتبار الصورة كما مر وأما باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى وانما يعدون أنفسهم خزنة لا غير وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر وهى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته لما علمت أن الغنى هو الذى ختم به أمره صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فى الكمالات فلولا أن الغنى

(قوله تؤدى اليه الخراج) أى فى كل يوم فيتصدق فى مجلسه به ولا يقوم بدرهم (قوله تخلف ابن عوف) ففى حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفى الترمذى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة رضى الله عنه عنى به النبى صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة ليكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة انتهى من شرح المنهاج للدميرى وهذا معارض لما ذكره الشارح من الحكم بتخلفه عنهم فحرر وقوله فى الخبر الا حبوا لجبر خاطر الفقراء لا لتقصير من ابن عوف فى حقوق الله تعالى يقتضى نزول رتبته رضى الله عنه

(قوله وهذا بالنسبة الخ) غير مسلم بل بالنسبة لكلهم وغاية ما يقال في نحو الحسن البصري رضي الله عنه ان السائل له من الصحابة قبل أن يعرف قوة اجتهاده وملكته (٢٢٦) بنفسه فاذا أفتاه نظر فيه وبذل وسعه في النظر في الدليل فيوافق افتاء الحسن اجتهاده فليس المراد أن الحسن ونحوه من التابعين أوسع نظرا من الصحابة وأما حديث رب مبلغ الخ فمحمول على ان السامع من الصحابة كالحسن مثلا ربما كان أحفظ للنص الذي بلغه عن النبي ممن بلغه بان حصل للصحابي سهو عنه ودام حفظ التابعي له واستحضاره أو يكون التابعي قد سمع نصا من صحابي لم يطلع عليه صحابي آخر فتدبر (قوله والا فقد جاء الخ) لا يخفى ان ما ذكره لا يدل بمجرده على عدم وصف الجميع بالعالمية وتأمل هذا مع ما سيأتي في شرح قول الناظم كلهم في أحكامه ذو اجتهاد الخ وعبارة الجوهري ووصفهم بان أحكامهم ليست صادرة عن هوى النفس بل هي ماشية على الاجتهاد التام المستوفي لشروط الاجتهاد المحصل للاجر أصابوا فيه أو أخطؤا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران أو أخطأ فله أجر وكلهم في ذلك متكافئون متساوون من حيث الاجتهاد وعدم صدور شئ من الاحكام عن شهوة أو غرض (قوله يفتي الصحابة في زمنه) أي فينظرون في فتواه فيوافق اجتهادهم والا فالمجتهد لا يقلد غيره (قوله عبرة) بالكسر اسم من الاعتبار لاعدائهم وبالفتح تحلب الدمع اه مختار (قوله على كل) أي على كل نوع من ذلك كاطلاقها على الجواهر فقط (قوله فأقل ماله الخ) أي اذا كان فيهما فتنة له بحيث يشتغل بذلك عن حبي وما يترتب عليه من الشغل بالله بدليل دعائه لاناس من أكابر الصحابة بكثرة المال كما سبق

مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه وسلم قبل موته قيل ومحل الخلاف في الفقر مع الصبر كما تقرر وأما الفقر مع الرضا فهو أفضل قطعا اه وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء أمره مع فقره على غاية من الرضا لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر و بفرض صحة هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون أغنياءهم لانهم راضون بفقرهم قطعا و بين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين أئمة وأمراء و بين الرخص والاغلاء الآتيات هم (علماء أئمة) لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جاء بعدهم وفي الحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان نحو الحسن البصري رحمه الله تعالى كان يفتي الصحابة في زمنه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ أي بفتح اللام أوعى من سامع هم (أمراء) أي كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المتهورين سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه لما كان أميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره و يعرضه للفتن فكان وهدب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في الاسواق و يقول شيخ سوء أصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله تعالى عنه ومما يدل على انهم أغنياء نزاهة لا غيرا انهم (زهدوا في الدنيا) بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو أي القرب لسبقها للاخرى وقيل لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكى ابن قتيبة تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بانها انخلعت عن الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضي الله عنهم في الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فأكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيأ الا وهو مشغول بشئ من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر أن زهدهم بقسميهم فيها حقيقي (فما عرف الميل اليها منهم) بنوع التفات ولا اقبال لحقارتها في أعينهم (ولا الرغباء) أي الزيادة في تحصيلها وهذا علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه صلى الله عليه وسلم به لاناس من الصحابة كابن عوف وأنس وغيرهما فكثرت أموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات و بالنظر اليها يثني عليه وجهة شر بصرفه في ضد ذلك و بالنظر اليها يذم و يقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من أحبني فأقل ماله وأمت ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين بما لا يستغني عن مراجعته (أرخصوا في الوغى) أي بسبب الحرب الواقع منهم

لاعدائهم فى الوقائع المشهورة ومر ان اطلاق الوغى على الحروب مجاز لا حقيقة (نفوس ملوك) كثيرين فكيف بغيرهم (حاربوها) بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك آخرين أخرى (أسلابها) بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذى هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه اما فى الافراد وهو التحقيق أو فى المجموع وعليه كثيرون (اغلاء) بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل أى غالية الاثمان وفى بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكأنه جمع غال كداء وادواء وبه يندفع قول الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه أظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع يحتاج لتأويل كما أشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع وأما قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس فالاسلاب أى أخذها اغلاء للاسلاب وقال قبله على المعنى الاول أيضا وكأنه أى الناظم يقول انهم كما أرخصوا نفوس محاربيهم بالقتل فقد أغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص الانفس واغلاء الاموال التى هى الاسلاب المأخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهى ففى كل من المعنيين بعد وخفاء والوجه ان المعنى عليه انهم كما أرخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد رجل عدل أى عادل ورجال عدل أى عادلون فكما ان المصدر هنا أول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول الاغلاء بالغالية وهذا هو المعنى على فتح الهمزة فيساوى المكسور المفتوح (كلهم فى أحكامه) جمع حكم والحكم الشرعى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء أو التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق أيضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية أخرى كما فى قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح (ذو اجتهاد) صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها فى جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن أحد منهم انه قلد غيره فى مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من رأوه منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض أحد منهم على أحد الا ان كان هناك نص صريح خولف فيذكر لهم فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله أو يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا انهم ذوو اجتهاد لهوى أنفس أو حظ أو بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم يحترهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم الا وهم على أكمل الاوصاف وأجلها (و) ذو (صواب) يعنى وذو ثواب ولو عبر به لكان أولى لان ابقاءه على حقيقته انما يتأتى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد أما على الاصح أن المصيب واحد وان له أجرين كما صح به الخبر أو عشرة أجور كما فى رواية وللمخطئ أجر واحد كما صح به الحديث أيضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتأمله فعلى الاول كل من على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما مصيب وعلى الثانى على رضى الله تعالى عنه مصيب له أجران أو عشرة أجور ومعاوية فى خروجه على على مخطئ له أجر واحد والاجتهاد بذل الوسع فى تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله فصواب والا فخطأ فان قلت يمكن تأويل النظم بان مراده وصواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا فى نفس الامر قلت هو تأويل بعيد على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم (وكلهم اكفاء) أى متكافئون فى أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر أبو بكر أعلمنا ولا سؤال عمر لعلى رضى الله عنهما فيجيبه فيقول لا قدس الله أمة لست فيهم يا أبا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على أكابر مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه فى الدين ويعلمه

(قوله أو عشرة أجور) قال سم فى شرح الورقات فان قلت العشرة يصح أى تجعل اجرا واحدا او اثنين فما فائدة جعلها عشرة قلت يجوز أن تكون أنواعا من الثواب مختلفة يبلغ عددها هذا المقدار فنبه بذكر هذا على ذلك (قوله مشيخة الخ) أى شيوخ فهو أحد جموع شيخ لانه يجمع على شيوخ وأشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة ومشايخ ومشيوخاء وهذه الجموع السبعة كلها شاذة اذ لم نر لفعل وصفا معتل العين جمعا قياسيا فراجع الخلاصة وشراحها يظهر لك ذلك وشيخة بكسر أوله وفتح ثانيه وشيخان بكسر أوله وسكون ثانيه ومشيخة بفتح أوله وسكون ثانيه

التأويل ماليس عندهم ولا سؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه ولقد قال له أحد بنيه لم تجيب عدونا فقال أما يكفينا انه احتاج الينا وسألنا وأجمعوا على ان فضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم على والاصح عثمان ثم على ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى أن قال رضى الله عنهم ورضوا عنه ورضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله تعالى دار كرامته ورضا العبد عنه أن لا يختلج فى سره أدنى حزازة من وقوع قضاء من أقضية الحق به بل يجد لذلك فى قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المحبة العظمى وزيادة الطمأنينة وبين رضى ورضوا اشتقاق كيخطوا وخطا الآتيين (ف) بسبب ماذكر من أوصافهم وختمها بما فى الآية فى حقهم (انى) استفهام انكارى تعجبى أى كيف (يخطوا اليهم) أى يصل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين (خطاء) وهو بالمد للوزن لغة فى الخطا بالقصر نقيض الصواب يعنى لا يخطئ أحد منهم خطأ يأثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا أخطأ له أجر وهذا كالذى قبله مأخوذ من عدة أحاديث ذكرتها فى الصواعق المحرقة مع ذكر مخرجيها وهنا أذكر منها جملة عرية عن ذلك اتكالا على أسانيدها ثم منها ان الله تعالى اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا أى لا فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه واذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه ما شأنكم وشأن أصحابى ذروا الى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل أحدهم يوما واحدا وفى رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى خير الناس قرنى الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقى أراذل أى غالبهم وفى رواية متفق عليها خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث وهو أول داخل فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته (جاء) الى النبى صلى الله عليه وسلم (قوم) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (من بعد قوم) وهكذا السابقون الاولون ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكأن الناظم أشار بهذا الى ما فى أول صحيح البخارى عن هرقل انه سأل أبا سفيان رضى الله تعالى عنه عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيزيدون أم ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شأن الرسل ان أصحابهم كذلك فعلم ان مجىء الصحابة قوما من بعد قوم من

(قوله لم تجيب عدونا) أى من يفعل معك فعل الاعداء والا فمعاوية رضى الله عنه حاشاه أن يكون عدوا حقيقة (قوله رضى الله عنهم الخ) قال السنوسى فى شرح عقيدته الوسطى ورضا الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين هنا الاول لان الدعاء انما يكون بمستقبل لم يوجد فى الحال وارادة الله تعالى أزلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء اه قال الغنيمى وهل لك أن تقول ولو على بعد يجوز الثانى نظر المتعلق الارادة الحادث وذلك لا يستحيل تجدده اه (قوله وبين رضى ورضوا اشتقاق) أى جناس اشتقاق (قوله اذ الخطوة) أى بضم الخاء وأما بفتحها فنقل القدم (قوله خطاء) مده كما هنا لغة قليلة واللغة الكثيرة قصره وقد قرئ بهما قوله تعالى الا خطأ اه من المختار (قوله لا تسبوا أصحابى) سيأتى فى الشرح عند ذكر ابن عوف رضى الله عنه ما نصه وصح انه يعنى ابن عوف كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا الخ وقد كتب عليه هناك ان الخطاب للصحابة السابقين نزلهم لسبهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره ويؤيده ما ذكره بعد هذا الحديث هناك من قوله يا خالد ذروا لى أصحابى متى ينك الى آخر ما ذكره من الرواية (قوله ولا نصيفه) بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر (قوله خير الناس قرنى) القرن هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمان وهذا أعدل الاقوال فى معنى القرن والمراد بقرن النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه اه من المواهب ثم قال وأما قوله الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين (قوله سخطة لدينه) بضم السين وفتحها وأخرج بهذا من ارتد مكرها أو لا سخطا لدين الاسلام بل لرغبة فى غيره لحظ نفسانى كما وقع لعبيد بن جحش

علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع ماقد يقال أى فائدة فى هذه الجملة من كلام الناظم وهل هى الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة أو دفعات وكلهم متلبسون (بحق) فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة ونحوهم عليهم فلم يصح منه شئ أصلا وانما هو من مقالات الجاهلين ووضع المفترين (وعلى المنهج) أى الطريق الواضح (الحنيفى) أى المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج (جاؤا) كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك (مالموسى) كليم الله تعالى (ولا لعيسى) روح الله صلى الله عليه وسلم (حواريون) جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب أى يقصرونها أو من الحوارى وهو الدقيق الابيض لبياض ألوانهم (فى فضلهم) بشهادة نص آية كنتم خير أمة أخرجت للناس وحديث خير القرون قرنى وفى رواية خير الناس قرنى وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه الامة فى اللوح المحفوظ أوصافا بهرته فقال يارب اجعلنى منهم (ولا نقباء) فى فضلهم أيضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى ولما أقسم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك (بابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه فهو عطف على بالعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده أبدال تفصيلية من باصحابك (الذى) تميز عن سائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما كان كالصريح فى انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أفضلهم بل أفضل ما عدا الانبياء والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعرى فلذا لم يسع أحدا من المبتدعة انكاره (صح للناس به فى حياتك الاقتداء) فاعل صح والظروف متعلقة به فمن تلك الطرق ما أخرجه الشيخان اشتد مرض النبى صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها يارسول الله انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس فقال صلى الله عليه وسلم مرى أبا بكر فليصل بالناس فعادت لقولها فقال مرى أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولى له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا أبا بكر وفى أخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها بتشاؤم الناس به لقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه وفى أخرى انه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان أخرج رأسه مغضبا الا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وفى أخرى انه خرج فجر الاثنين يوم موته فكشف سجف حجرته فرآهم فى صلاة الصبح وأبو بكر يصلى بهم فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا فى صلاتهم فرحا به صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفى صلى الله عليه وسلم ضحى وفى البيت التلميح بهذه القصة قال العلماء فيه أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم أجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى أى اعلمهم بالقرآن صريح فى انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم حتى على قال لقد أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وانى لشاهد وما أنا بغائب ومابى مرض فرضينا للدنيانا من رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحى ينزل فسكت

(قوله جمع حوارى) عبارة البيضاوى حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به أصحاب عيسى لخلوص نيتهم وصفاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب أى يبيضونها (قوله أو من الحوارى) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء (قوله يأبى الله) أى لا يريد الله والمسلمون للخلافة بعدى الا أبا بكر (قوله سجف) قال فى القاموس السجف ويكسر وككتاب الستر والجمع سجوف واسجاف

الله وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المؤمنون ومن الظواهر أو الصرائح على خلافته أيضا ما أخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة فى مرض موته ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا فانى أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل انا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وفى رواية اكتب لابى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر وصح ان قوما سألوا انسا أن يسأل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون اليه زكاتهم بعده فسأله فقال الى أبى بكر وأخرج الشيخان ان امرأة أتته فأمرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئتك ولم أجدك كأنها تقول بعد الموت فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجدينى فأتى أبا بكر ومنها ما أخرجه الشيخان من عدة طرق رأى انه على بئر لم تطو ينزع منها بدلو فأخذ الدلو من يده أبو بكر فنزع منها دلوا أو دلوين ثم أخذها عمر من أبى بكر فاستحالت فى يده غربا أى دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن أى حتى رووا قال العلماء هذا اشارة الى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضى الله تعالى عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمنه وبقيت أدلة أخرى سمعية آيات وأحاديث كثيرة تدل على حقية خلافته وانه أعلمهم وأفضلهم بينتها أتم بيان فى كتاب الصواعق السابق ذكره (والمهدى) أى المسكن للفتنة والاضطراب فى أمر الخلافة (يوم السقيفة) التى لبنى ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه (لما) أى حين (أرجف الناس) أى اضطربوا فى أمر الخلافة وبين المهدى أى المسكن وأرجف والقرباء والاباعد وتقرب وتبعد الطباق (انه) تعليل للمهدى ولا ينافيه كسران لانها مع كونها للاستئناف قد تفيد التعليل أيضا كما صرحوا به فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية (الدأداء) أى المسكن للاضطراب لاغيره وكأن مراده أنه المشهور قديما وحديثا بانه يسكن الفتن ويجلى كربها وفى الصحيحين عن عمر رضى الله تعالى عنه لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى أبى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا اقام خطيبهم فخطب وأثنى على الله تعالى ثم مدح الانصار وأطنب بحيث لم يترك آية أو خبرا جاء فيهم الاذكره ثم ذكر ان قوما يريدون ان يستبدوا بالامرة عليهم ثم سكت فاراد عمر أن يخطب بما زوره أى جمعه فى قلبه فأشار اليه أبو بكر بالسكوت ثم خطب وأثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما أبا عبيدة فأخذ بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال منا أمير ومنكم أمير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائلهم قتلتم سعد بن عبادة أى لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله أى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يؤدبه بما يراه ان يقول فى حقه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة أبى بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم أبا بكر ولما بايعوه صعد الغد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم أثنى على أبى بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ثم نظر فلم ير عليا فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل كل منهما حينئذ على أحقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة أجمعوا على خلافة أبى بكر لم يتخلف عنها أحد منهم ثم تبعهم من بعدهم

من

(قوله فاستحالت) أى تحولت من الصغر الى الكبر ومعنى ضرب الناس بعطن أى حتى أرووا ابلهم ثم آووها الى عطنها وهو الموضع الذى تساق اليه بعد السقى لتستريح اه شرح مسلم للنووى (قوله الحباب) بمهملة مضمومة فموحدة (قوله وتحمس) أى تشدد وتعاصى اه صحاح (قوله قتلتم سعدا) وتوجه للشام فمات بحوران فى خلافة عمر

من أهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا أكثر الفرق وأقسم عليك بابى بكر الفاعل لذلك حال
كونه كرم الله وجهه (أنقذ) بالقاف والذال المعجمة (الدين) وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم أى
نجاه بازالة كل شبهة عنه وأهله بازالة أسباب الفساد بينهم (بعدما) مصدرية (كان) أى وجد
(للدين) متعلق هو وما بعده باسمها رهو اشفاء (على كل كربة) أى غم يأخذ النفس ويصح كونها
ناقصة وللدين خبرها (اشفاء) أى اشراف وقرب يخشى منه أن لا يجتمع للاسلام بعده شمل أبدا ومن
ثم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه والله لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم أبدا
وأيضا فكلهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا أبا بكر
فانه كان غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع الله
عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما
سمعوها ردت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه أنكر موت النبى صلى الله عليه وسلم وقال ذهب
الى ربه فاسكته أبو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا عمر فقال أيها الناس من كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كاننا لم نسمعها
الا حينئذ فكان هو المثبت لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل وأيضا اختلفوا فى محل دفنه اختلافا شديدا
كاد ان يفضى الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه فرجعوا اليه وزال
ما كان بينهم أيضا وأيضا اختلفوا فى ارثه اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه رضى الله تعالى عنه كان أحفظهم للسنة
وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعى الزكاة ومسيلمة
الكذاب وحال كونه (أنفق المال) الكثير الذى كان يملكه أى صرفه فى مصارف الخير حتى نفد
جميعه (فى) أى بسبب أو من أجل (رضاك) يا رسول الله كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى
الذى يؤتى ماله يتزكى الى آخر السورة قال ابن الجوزى أجمعوا انها نزلت فى أبى بكر ففيها التصريح
بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل كما
صرح به الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أى المذكور فى سورة يس
أى حبيب النجار أفضل من أبى بكر وصح حديث انه ليس من الناس أحد أمن على فى نفسه وماله من
أبى بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عنى
كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة أبى بكر أى لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد وأخرج
الترمذى حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم
القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر والطبرانى ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر
واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته والترمذى رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة
وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر ولا ينافيه حديث البخارى انه صلى
الله عليه وسلم لم يأخذ منه الراحلة الى دار الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه أبرأه منه وصح انه كان بينه
وبين عمر شئ فسأله ان يغفر له فأبى فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فندم عمر فأتى منزل أبى بكر فلم
يجده فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال
يا رسول الله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال
أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى فما أوذى أبو بكر بعدها وفى رواية فى
قصة نظير هذه ألا تدعون لى صاحبى ما شأنكم وشأنه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب
أبى بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الاموال وجاد لى بماله
وواسانى واتبعنى وأخرج أحمد وآخرون عن الجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعنى

(قوله متعلق هو وما بعده باسمها) صوابه بفاعلها لانه جعلها فى حله تامة حيث قال أى وجد واما احتمال نقصها فقد ذكره بقوله ويصح كونها ناقصة (قوله نحن معاشر الانبياء الخ) رواية النسائى فى السنن منفردا عن سائر الكتب الستة انا وكذا رواية الحميدى والهيثم وآخرين فقد رواه الشارح بالمعنى (قوله الا خوخة أبى بكر) ورواية الاخوخة على وهم من الراوى كما قاله السيوطى (قوله يتمعر) أى يتغير

مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب رضي الله عنه مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساكر انه أسلم وله أربعون ألف دينار وفي رواية أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل أنفق ماله على قبل الفتح قال جبريل فان الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أأسخط على ربي أنا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة وأخبر ان الله أمر ملائكته ان يتخللوا بها كأبي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما أولى وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر مع اني ما سبقته يوما قط فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك يا عمر قلت النصف ثم جاء أبو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك يا أبا بكر فقال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه الى شيء أبدا (و) الحال انه (لا من) منه عليك بما انفقه وان كثر وان غلا المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما أعطاه له أو يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (وأعطى) لله تعالى عطاء (جما) أي كثيرا في وجوه الخير العامة والمصالح الدائمة منها اعطاؤه ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء واقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى ان يأخذ أحد بزمامها وقال دعوها فانها مأمورة فاستمرت الى ان بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت على باب دار أبي أيوب الانصاري من بني النجار أحد أخوال جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وكانت دارهم أوسط دور الانصار وأفضلها ثم قامت وبركت في مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى ثم ساوم بني النجار في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها من مال أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكان قد خرج بماله كله وكان له من السبب في المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره الا الله تعالى واشترى أيضا جماعة اسلموا كان يعذبهم أهل مكة العذاب الاليم منهم بلال وغيره وأعتقهم (ولا كداء) أي ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى (وأبي) أي واقسم عليك بأبي (حفص الذي أظهر الله به الدين) كما جاء في سبب تسميته بالفاروق أخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس انه سئل عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة أسلم قبله بثلاثة أيام وانه خرج الى المسجد فسب أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء فضرب بها أحد أخدعي أبي جهل فقطعه فسالت الدماء فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم وبعده بثلاثة أيام انكر عمر على من أسلم فقال له ان اختك وختنك أي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاء فضرب رأس أخته فادماه فقالت له كان ذلك على رغم انفك فاستحيا حين رأى الدماء وجلس وسألها ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فأخرجوا اليه صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الآيات فعظمت في صدره فقال له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله

(قوله بطنفسة) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء واحدة الطنافس للبسط والثياب ولحصير من سعف عرضه ذراع والطنفس بالكسر الردئ السمج القبيح اه قاموس (قوله وصل قباء) بالمد والقصر (قوله أحد اخدعي أبي جهل) الاخدع عرق في موضع المحجمتين وهي شعبة من الوريد وهما اخدعان وربما وقعت الشرطة على أحدهما فينزف صاحبه وفلان شديد الاخدع أي شديد موضع الاخدع (قوله فاخرجوا اليه صحيفة) لعل ذلك قبل علمهم بان شرط صحة الطهر الاسلام

لتعليم أخته وزوجها انى لارجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمرو بن هشام أى أبى جهل أو بعمر بن الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة مالكم قالوا عمر قال افتحوا الباب فان أقبل قبلناه وان أدبر قتلناه فسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يارسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء فخرجنا صفين انا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله بى بين الحق والباطل وفى رواية انه لما أظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى أجاره خاله قال فمازلت أضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام وصح أنه لما أسلم نزل جبريل فقال يامحمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأن المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال مازلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر رضى الله تعالى عنه فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لايزداد الاقوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لايزداد الاضعفا (ف) بسبب قوته فى الله تعالى وشدة شكيمته كما يعلم مما تقرر (ارعوى) أى رجع وأقلع وانكف (الرقباء) أى الاعداء عما كانوا عليه من الافساد فى الدين وعدم النصح له وايذاء النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالامور العظيمة التى كانوا يفعلونها معهم (و) هو أيضا الامام العدل القوى فى الله تعالى (الذى) ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك (تقرب الاباعد) عنه فى النسب (فى) أى بسبب أو لاجل (رضا الله اليه) متعلق بتقرب فيكونون بذلك أولى عنده من أقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال آنفا وفى هذا البيت من أنواع البديع العكس نحو لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن الآية والاكتفاء وهو حذف شئ دل عليه ماقبله كما قررته ورد العجز على الصدر والارصاد وهو ان يتقدم على الروى مايشعر به نحو وما ظلمناهم الآية (وتبعد) عنه (القرباء) أى اقرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لايحابى قريبا ولا صديقا وانه لارياء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محض نظره انما هو الله لاغير وطاعة ربه هى المقربة منه وضدها هو المبعد عنه (عمر بن الخطاب من) موصولة (قوله الفصل) أى الفاصل بين الحق والباطل (ومن حكمه السوى) أى الذى لااعوجاج فيه (السواء) تأكيد أى المعتدل وهذا أولى من جعل الشارح السوى صفة حكم والسواء خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك (فر) أى هرب (منه الشيطان) أى ابليس وكل عات متمرد جنى أو انسى (اذ) أى لاجل انه (كان فاروقا) ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مراد الناظم ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث (ف) بسبب مامنحه الله من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان منه (للنار) التى هى أصل للشيطان (من سناه) بالقصر أى ضوئه (انبراء) أى انمحاء والاصل فى ذلك الاحاديث الصحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه مانزل بالناس أمر قط فقالوا وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ماقال وحديث لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفر منك ياعمر وفى رواية انى لانظر الى شياطين الجن والانس قد

(قوله فاستجمع القوم) فى المختار تجمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا والمراد هنا اجتمع بعضهم ببعض من الخوف من عمر رضى الله تعالى عنهم (قوله وشدة شكيمته) الشكيمة بالفتح الانفة والانتصار من الظلم وقال فى الصحاح فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس أبيا الانقياد (قوله العكس) وهو ان يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر ويقع على وجوه منها بين أحد طرفى جملة نحو عادات السادات سادات العادات ومنها ان يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين نحو يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومنها ان يقع بين لفظين فى طرفى جملتين نحو لاهن حل الآية وقول الحسن بن سهل وقد قيل له لاخير فى السرف لاسرف فى الخير اهـ من بعض شراح بديعية الصفى الحلى (قوله لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) قال فى الاتقان وقد سئل عن الحكمة فى عكس هذا اللفظ فأجاب ابن المنير بان فائدته الاشارة الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة (قوله دل عليه ماقبله) وهو قوله وارعوى الرقباء فان اخباره بانكفاف الاعداء وزجرهم من غير تقييد باجانب ولا أقارب يقتضى ان غير أعداء الله هم الذين يقربون منه سواء كانوا أجانب أو أقارب (قوله والانس) المراد بشياطين الانس المرتكبون خلاف المطلوب شرعا فقد ورد ان الحبشة كانت تلعب بالحراب فى المسجد ففر عمر فتفرقوا فقال صلى الله عليه وسلم انى لانظر الخ ومن ذلك حديث المرأة التى قالت يارسول الله انى نذرت ان ردك الله سليما من غزوة كذا ان أضرب بين يديك بالدف واتغنى فجاء أبو بكر وغيره فلم تلق الدف فحين دخل عمر

الفت الدف تحت استها فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفر من عمر اه وجعل مافى الحديث الاول من فعل الشيطان اما لكونه فى المسجد أو لكون اللعب كان بالمراماة أى رمى الحراب جهة كل من المرماة والا فالمسابقة بالحراب مطلوبة وفى الحديث الثانى لكونه غير مطلوب وان كان جائزا الان كلا من الضرب بالدف وسماع صوت المرأة غير محرم والا لما أقر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأمل (قوله يا أوخى) بالتصغير ولذا يكتب بواو بعد الهمزة فرقا بينه و بين أخى المكبر (قوله وعليه قميص) قال أهل التعبير القميص فى النوم معناه (٢٣٤) الدين وجره يدل على ابقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة بالمسلمين بعد وفاته ليقتدوا به (قوله جمع يد) وأصل اليد الجارحة وتطلق مجازا على النعمة والاحسان وهو المراد هنا اه شرح المالكى لكن قوله بها يقتضى ظاهره ان المراد بها الجارحة والا لقال اسداؤها وقد يقال فيه استخدام حيث ذكرها أولا بمعنى النعم وثانيا بمعنى الجوارح تأمل قال بعض محشى المطول وفيه ايراد جمع الجمع مبالغة فى كثرة النعمة (قوله بئر رومة) بضم الراء وسكون الواو وفتح الميم اسم صاحب البئر الذى كان يسقى منها (قوله اشترى نصفها الخ) يمكن الجمع بين ذلك وما سبق بان المائة والشئ اليسير قدر عشرين ألف درهم (قوله فاشتراها بخمسة الخ) تقدم انه اشتراها بعشرين ألف درهم فانظر المعمول به من الروايتين أو ما يفيد الجمع بينهما و يمكن ان يجمع بان الثمن عشرون ألفا والمصروف فى حفرها خمسة عشر فتجوز وأطلق الاشتراء على الجميع (قوله العسرة) بالسين المهملة واما العشيرة بالمعجمة مصغرا فغزوة أخرى غير غزوة تبوك كذا فى ماعلى المواهب قال فى القاموس وجيش العسرة بالضم جيش تبوك لانهم ندبوا اليها فى حمارة القيظ فعسر عليهم اه وقال فيه أيضا تبوك أرض بين الشام والمدينة وقال الكواشى فى تفسير قوله تعالى والذين اتبعوه فى ساعة العسرة ولم يرد ساعة بعينها والمراد الذين اتبعوه فى غزوة تبوك و يسمى جيش العسرة لقلة الظهر كان العشرة يتعقبون على البعير الواحد والزاد والماء وشدة الحر حتى كادت أعناقهم تنقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره واعتصر ماء فرثه فشربه وجعل فرثه على صدره (قوله باحلاسها) الحلس بالكسر كساء رقيق تحت الرحل و يقال حلس مثل شبه وشبه والاقتاب جمع قتب وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير اه قاموس

فروا من عمر وفى أخرى أتانى جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وغضبه عز وفى أخرى الحق بعدى مع عمر حيث كان وفى أخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم الا خر لوجهه وفى أخرى الصدق بعدى مع عمر حيث كان وفى أخرى عمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وصح حديث ماطلعت الشمس على خير من عمر و روى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أوخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا حتى كأنى أنظر الى الرى يجرى فى اظفارى فناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قال فما أولت يارسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على لسانهم (وابن) أى واقسم عليك بذى النورين أبى عمرو عثمان بن (عفان ذى) أى صاحب (الايادى) أى النعم وهذا فى اليد بمعنى الجارحة جمع أيد جمع يد فاتى الناظم به فى البيت بمعنى النعمة أيضا (التى طال) أى عظم وامتد (الى المصطفى) على الخلق كلهم أى المختار فهو من الاصطفاء وقيل المصطفى المنتقى من كل شين وكدر فهو من التصفية (بها) متعلق بقوله (الاسداء) أى الاعطاء (حفر البئر) أى بئر رومة وذلك انها كانت ليهودى فى الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها وهى موجودة الى الآن فثوابها مستمر له الى قيام الساعة وفى رواية ان عثمان رضى الله تعالى عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البئر اشترى نصفها بمائة بكرة وتصدق بها وافتسماها يوما لهذا و يوما لهذا فجعل الناس ينتفعون و يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما رأى صاحبها ان قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه للناس منها باع عثمان النصف الثانى بشئ يسير فتصدق عثمان بها كلها * (تنبيه) * تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها و يجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير مائها لشدة احتياج الناس اليها ثم رأيت بعض المتأخرين صرح بنحو ذلك وفى رواية ان اقربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم (جهز الجيش) أى جيش العسرة فى غزوة تبوك أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يارسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش فقال عثمان رضى الله عنه يارسول الله على مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول

ماعلى عثمان مافعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وصح
انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها
بيده وهو يقول ماضر عثمان مافعله بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه
صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها و يقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى
يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله تعالى ولا أنشد
الا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز
جيش العسرة فله الجنة فجهزته ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة
فله الجنة فصدقوه فيما قال وصح عن أبى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين
حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد و يزيده فى مسجد نا وله الجنة وأجره فى الدنيا ما بقى
درجات له فاشتريته بعشرين ألفا وزدته فى المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك
غيرت ثم ذكر تجهيز جيش العسرة وحفر البئر فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت
فقال رضى الله تعالى عنه و يلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكر انهم سيقولون ذلك فى غيره
فكان كذلك فى على حين خرجوا عليه واستشهد الصحابة على خصوصياته فشهدوا له فقالوا صدقوا
ولكنك غيرت وفى رواية أن محمد بن أبى بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده
أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كان عندنا شئ زوجناه وانه بايع عنه فى بيعة
الرضوان وانه قال من يشترى هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله فى الجنة فاشتراه عثمان رضى الله
تعالى عنه وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم على أنطاع الحوارى بالسمن والعسل فكان أول
خبيص الحلوى فى الاسلام وانهم ظمؤا ظمأ فحفر لهم بئر رومة فأعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على
المسلمين الضعيف فيهم والقوى سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة
عشر راحلة طعاما فأخذ ثلاثا وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة فدعا له بالبركة فيما أعطى
وفيما أمسك وانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالف اصفر فصبها فى حجره فقال ماضر عثمان مافعل بعد
اليوم وانه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير بحراء فرجف بهم
فضربه النبى صلى الله عليه وسلم بقدمه وقال اثبت حرا فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد كل ذلك
ومحمد يقول نعم * (تنبيه) * قال ابن مالك من أحسن شواهد قول الكوفيين وآخرين ان أو ترد بمعنى
الواو هذا الحديث الاخير (أهدى الهدى) الى مكة وأرسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله
عليه وسلم اليها ومعه ألف وأربعمائة فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعه قريش من دخول
الحرم (لما) أى حين (ان صده) عن الدخول اليها (الاعداء) أى المشركون وكان وجه تخصيصه
بذلك أن هديه وصل الى مكة بخلاف هدى غيره لكن انما ذلك لعزة قومه دون غيره ففى الخصوصية
حينئذ تأمل بل قضية أدبه الآتى من تركه الطواف ترك ارساله الهدى حيث لم يرسله صلى الله عليه
وسلم و يجاب باحتمال أنه أخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم فحينئذ هو لم يرسله
الا وقد أيسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتفسيرى للما هذه بحين هو ما ذهب اليه
جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ لانها مختصة بالماضى و بالاضافة الى الجملة وهى تقتضى جملتين
وحذف الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض أو جملة
اسمية مقرونة بالفاء أو باذا الفجائية و يجادلنا فى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته الآية مؤول
بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها حافظ فى قراءة من شدد الميم
وفى هذا كالسوى والسواء و يبعد والاباعد و يقرب والقرباء وأدب والادباء جناس الاشتقاق أو شبهه

(قوله على ألف بعير الخ) لا مانع من انه بعد ما التزم بثلثمائة واثنى عليه رسول الله بذلك زاد حتى بلغ ما ذكر من الابل والخيل والدنانير تارة بالف وتارة بعشرة آلاف فيحصل الجمع بين الروايات (قوله اشترى عثمان الجنة من النبى مرتين) واذا نظرت الى شرائه المربد وشرائه النخل الآتيين وقد وعد فيهما النبى صلى الله عليه وسلم من اشتراهما بالجنة صح ان تقول قد اشترى عثمان الجنة من النبى أربع مرات (قوله المربد) كمقود الموضع الذى تحبس فيه الابل وغيرها وأهل المدينة يسمون الموضع الذى يجفف فيه التمر مربدا وهو المسطح والجرين فى لغة أهل نجد اهـ صحاح (قوله مؤول بجادلنا) أو ان الجواب محذوف أى أقبل يجادلنا كما فى المغنى أى فالواجب أحد أمرين اما تأويل المضارع بالماضى واما تقدير ماض قبل المضارع وهو أولى الوجهين

(وأبى) رضى الله تعالى عنه لما أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة ومعه الكتاب الذى وقع فيه ماوقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من أهل مكة ليقع الصلح بينهم على ان يرجع فى هذه السنة ولا يدخلها لئلا يقول الناس انه دخلها كرها على أهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة فى غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة فى السنة الثانية ولما أرسله أمسك سهيل بن عمرو وعثمان بدله وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستأذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يارسول الله ليس هنالك أحد من بنى عمى يمنعنى ولكن أرسل عثمان فان بنى عمه يمنعونه فأرسله ليكلم أشراف قريش فى ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها لاداء ماجاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدى دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أى امتنع حينئذ (أن يطوف بالبيت اذ) تعليلية (لم يدن) أى يقرب (منه) أى البيت (الى النبى) متعلق بيدن (فناء) وهو ماامتد من جوانبه ولما احتبس بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على أن لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاى ولما بايعه الناس على ذلك بمكة وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفى البخارى فقال النبى صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفى رواية للترمذى أن عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفى هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (ف) بسبب ماوقع من عثمان من امتثاله أمر النبى صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لاسيما الاكابرهم كعثمان ومن تأدبه مع النبى صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم له فيه (جزته عنها) أى تلك الفعلة التى فعلها من الذهاب اليهم والامتناع من الطواف (ببيعة) أى فى بيعة (رضوان) وسميت بذلك لما فى الآية الثانية من رضا الله عنهم بسببها (يد من نبيه) صلى الله عليه وسلم أى عثمان (بيضاء) أى بالغة فى الكرم الذى عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد البيضاء بذلك والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبى صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول (أدب) عظيم جدا (عنده) رضى الله تعالى عنه ومن عجيب هذا الادب أنه حصل فيه أمر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك أنه مع كونه تركا لفعل العبادة (تضاعفت الاعمال) التى فى ذلك الفعل وهو الطواف أى ثوابها (ب) سبب (الترك) لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان من السبق مالم يبلغه غيره فلذا حق أن يقال فيه وفى أمثاله على سبيل المدح (حبذا الادباء) فهو تتميم بديع وعثمان رضى الله تعالى عنه من أجل الادباء لانه كان عنده من الحياء الذى هو منشأ الادب مالم يكن عند غيره وهو من أجلهم كيف وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حقه وقد استحى منه صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه فى بئر أريس فجمع ثيابه ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة وروى من غير طريق أشد أمتى حياء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عثمان أحيى أمتى وأكرمها عثمان حى ستير تستحى منه الملائكة اذ الملائكة تستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله انما يشبه عثمان بأبينا ابراهيم عثمان ولبى فى الدنيا وولبى فى الآخرة لو أن لى أربعين ابنة زوجتك

واحدة

(قوله بلغ النبى الخ) عبارة المالكى أشاع أن عثمان قتل (قوله وقال هذه عن عثمان) أى لانه لم يصدق بموته والا لما احتاج للمبايعة عنه

واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة ومازوجتكها الا بالوحى من الله تعالى وصح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرفها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وانه صلى الله عليه وسلم قال له ان الله مقمصك قيصا أى موليك الخلافة فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم الدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر عليه وفى البخارى أن بعض أعدائه جاء الى ابن عمر ورماه بأنه فر يوم أحد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بأن الله غفر له وعفا عنه ماوقع منه يوم أحد وان تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض بنته رقية وقال له ان لك أجر من شهد بدرا وسهمه وان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان أعز أهل مكة فأرسله فى حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور يراد قتله انه اختبأ عند ربه عشرا وانه رابع أربعة فى الاسلام وأنكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا وأعتق فيها رقبة أى فجملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعلى) أى وأقسم عليك بعلى وسبق منه الاقسام به أيضا وانما لم يكتف به لان ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهى برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب أهل السنة وأكثر الفرق من أن الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فأحق الصحابة بالخلافة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الامام الشافعى رضى الله عنه قطعى لا نزاع فيه يعتد به ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بأفضلية على وان كان عثمان أحق منه بالخلافة لاجماع أهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها من النبى صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بأفضلية عثمان على على ماصح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كنا معاشر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد نبينا أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل تجب محبتهم برعاية أفضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وجب ترتيبهم كترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة أو احسان لم تجب رعايتها كذلك (صنو النبى) صلى الله عليه وسلم أى مثله لاجتماعهما فى أصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين أصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو أبيه وهو من هذا القبيل (ومن) أى الذى (دين) أى اعتقاد (فؤادى) أى قلبى (وداده) أى حبه (والولاء) له أى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو برىء منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى ولتأكد الذب عنه لكثرة أعدائه من بنى أمية والخوارج الذين بالغوا فى سبه وتنقيصه مدة ألف شهر حتى على المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله رضى الله عنه نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال أحمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلى وقال اسمعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالاسانيد الصحاح الحسان أكثر مما ورد فى حق على فمن ذلك ماصح أن الله تعالى يحبه وان رسوله صلى الله عليه وسلم يحبه بل روى الترمذى انه كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن المراد بالناس بنو هاشم حتى لا ينافى

(قوله وجمع القرآن) أى فى المصحف على ترتيبه المعروف اليوم والا فمن جمعه الصديق (قوله وعلى) قال ابن الجوزى لا يعرف خليفة هاشمى الا ابو بن الاثنان على بن أبى طالب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ومحمد الامين بن الرشيد وأمه أم جعفر بنت جعفر بن المنصور (قوله متوافرون) أى كثيرون

مامر ان أبا بكر كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آية المباهلة لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء أهلى وانه قال أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وان الله تعالى أمره أن يحب أربعة وأخبره بأنه يحبهم منهم على وانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبى صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وأنه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت وان قاتله اللعين ابن ملجم أشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة أشقى الاولين (ووزير ابن عمه) النبى صلى الله عليه وسلم أى ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم ونائب عنه (فى المعالى) الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة والشرف وأصل هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة فى غزوة تبوك قال يارسول الله خلفتنى مع النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى ومر الكلام عليه فى شرح قوله أودعتهما الزهراء قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه على منى وأنا منه ولا يؤدى عنى الا على والترمذى أنت أخى فى الدنيا والآخرة والخطيب على منى بمنزلة رأسى من بدنى وابن عدى على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين والبزار على يقضى دينى والنسائى والحاكم ان كل نبى أعطى سبعة نجباء وأعطيت أنا أربعة عشر على والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث وأحمد أنت أخى وأبو ولدى تقاتل على سنتى الحديث قال ابن عباس نزلت فى على ثلثمائة آية وليست الوزارة خاصة به رضى الله تعالى عنه فقد أخرج الترمذى حديث ما من نبى الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الارض فأبو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفى رواية هما منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس وأخرج الطبرانى وأبو نعيم ان الله أمدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبو بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبى وزيرين ووزيراى صاحباى أبو بكر وعمر وقيل قد يستشكل ذكره الوزارة فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه أبلغ من لفظها وهو قوله أنت منى بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التى هى كوزارة هرون أخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم أخذ منها الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما يأتى قريبا من المبطل لذلك الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وأرسله مؤذنا على الناس ببراءة فى الموسم مع أن الخليفة على الحج أبو بكر لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من أهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه باهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد فى غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفه بما هو أعظم منها وأجل (ومن الاهل أسعد الوزراء) تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما أمده صلى الله عليه وسلم به من المؤاخاة فقد أخرج الترمذى آخى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة ومنها العلوم التى أشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها وفى رواية فمن أراد العلم فليأت الباب وفى أخرى عند الترمذى أنا دار الحكمة وعلى بابها وفى أخرى عند ابن عدى على باب علمى واختلفوا فى حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووى رحمه الله تعالى على انه موضوع والحاكم صححه وصرح بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم أرسله الى اليمن ليقضى بينهم

فقال

(قوله من كنت مولاه الخ) أى من أحبنى وتولانى فليتوله اه هروى (قوله ومبغض مبهت) قال الجوهرى بهته بهتا وبهتانا فهو بهات أى قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت (قوله ومر الكلام عليه) وسيأتى قريبا أيضا فى شرح قوله

* لم يرده كشف الغطاء يقينا * زيادة بسط له فى الشرح وما كتبناه عليه

فقال لا أدرى ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال على فو الذى فلق الحب ما شككت فى قضاء بين اثنين وقيل له مالك أكثر الصحابة حديثا فقال انى كنت اذا سألته أنبأنى واذا سكت ابتدأنى وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن يعنى عليا ولم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى الا على رضى الله تعالى عنه وذكر عند عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت انه أعلم من بقى بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلى وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلونى عن كتاب الله تعالى فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التى أفيضت عليه من تلك الحضرة النبوية (لم يزده كشف الغطاء يقينا) كما أخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عيانا واحترز بنفى زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك أن عين اليقين أقوى من علم اليقين وان حق اليقين أقوى من عين اليقين ودليله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فأثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافاة فيه لما قاله على كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه (بل) للانتقال (هو) أى على فى فضله وعلمه وزهده وتقدمه على من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقية خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة (الشمس) أى مثلها فى الظهور والاضاءة التى لا يلتفت فيها الى تقول متقول ولا عناد معاند كيف وهو مع ذلك (ما عليه غطاء) أى ساتر بل هو ظاهر لكل أحد وقد أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال كانت لعلى رضى الله عنه ثمانى عشرة منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وأبو يعلى عن عمر قال أعطى على ثلاث خصال لان تكون لى خصلة منها أحب الى من أن أعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك وأخرج الطبرانى والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب ابن أبى طالب وما أحسن قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهى أحوج اليك منك اليها وقول أحمد وقد سأله ولده عن على ومعاوية اعلم أن عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيأ فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم نام فى حجره وهو يوحى اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم وعلم أنه لم يصل دعا الله تعالى أن يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان فصلى ثم غابت وفى هذا كرامة له باهرة ولعل الناظم أشار اليها بتشبيهه بالشمس ﴿تنبيه﴾ مما يدل على ان الله سبحانه وتعالى اختص عليا من العلوم بما تقصر عنه العبارات قوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم على وهو حديث صحيح لا نزاع فيه وقوله أنا دار الحكمة ورواية أنا مدينة العلم وعلى بابها وقد كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه بما يطول بسطه وملخصه أن لهم فيه أربعة آراء صحيح وهو ما ذهب اليه الحاكم ويوافقه قول الحافظ العلائى وقد ذكر له طرقا وبين عدالة رجالها ولم يأت أحد ممن تكلم فى هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن يحيى بن معين وبين رد ما طعن فيه فى بعض رواته كشريك القاضى بان مسلما احتج به وكفاه بذلك فخرا له واعتمادا عليه وقد قال النووى فى حديث رواه فى البسملة ردا على من طعن فيه يكفينا أن نحتج بمن احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه ما رأيت أحدا قط أورع منه فى علمه حسن وهو التحقيق ويوافقه قول شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد السلام الهروى فانه ضعيف عندهم انتهى وسبقه الى آخر كلامه الحافظ العلائى فقال عن الهروى هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى ويعارض ذلك تصويب أبى زرعة على حديثه

(قوله يقينا) فى الفتوحات الالهية فى نفع أرواح الذوات الانسانية لشيخ الاسلام زكريا الانصارى ما يوضح المقام ونص عبارته اليقين ظهور نور الحقيقة فى قلب المؤمن عند كشف الاستار البشرية بشهادة الوجدان والذوق لا بدلالة العقل والنقل وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع ويطلق اليقين مجازا على نتيجة ذلك وهى اطمئنان القلب ووثوقه بموعود الله تعالى ليستريح العبد من تعب الشقاء فى تحصيل المرافق الدنيوية فيكون حقيقة فيما هو من قبيل الاحوال والمقامات مجازا فى ثمراتها وقيل مشترك بينهما وعلم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان وحق اليقين ما حصل عن عيان ومباشرة فالاول منها كمن علم بالدليل وجود الجنة والثانى كمن حضرها وشاهدها والثالث كمن شاهدها ودخلها (قوله من البراهين) هذا بيان لعلم اليقين المتصف به هذا الامام كرم الله وجهه كاتصافه باليقين نفسه قبل نظره فى الدليل فانه قد ظهر نور الحقيقة فى قلبه عند ازالة اشبال البشرية عنه فى حال تميزه ولذلك بادر بالاسلام قبل بلوغه فتأمل (قوله ولعل الناظم الخ) انظر ما وجه كون ذلك

ونقل الحاكم عن يحيى بن معين انه وثقه فثبت انه حسن مقارب الصحيح لما علمت من قول ابن حجران رواته كلهم رواة الصحيح الا الهروى وان الهروى وثقه جماعة وضعفه آخرون ضعيف أى بناء على رأى من ضعف الهروى موضوع وعليه كثيرون أئمة حفاظ كالقزوينى وابن الجوزى وجزم ببطلان جميع طرقه والذهبى فى ميزانه وغيره وهؤلاء وان كانوا أئمة أجلاء لكنهم تساهلوا تساهلا كثيرا كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرران رجاله كلهم رجال الصحيح الا واحدا فمختلف فيه ويجب تأويل كلام القائلين بالوضع بان ذلك لبعض طرقه لا كلها وما أحسن قول بعض الحفاظ فى أبى معاوية أحد رواته المتكلم فيهم بما لا يسمع هو ثقة مأمون من كبار المشايخ وحفاظهم وقد تفرد به عن الاعمش فكان شاذا واى استحالة فى انه صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا فى حق على وقول بعض المحققين تمسك الشيعة بهذا الحديث على أن أخذ العلم والحكمة مختص بعلى لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطته لان الدار انما يدخل اليها من بابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية أبواب اهـ وفى حديث عند الواحدى لكنه ضعيف وعلىّ بابها وأبو بكر محرابها الحديث واحتج بعض من لا تحقيق عنده على الشيعة بان على اسم فاعل من العلو أى عال بابها فلا ينال لكل أحد وهو بالسفساف أشبه لا سيما وفى رواية رواها ابن عبد البر فى استيعابه أنا مدينة العلم وعلىّ بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه اذ مع تحديق النظر فى هذه الرواية لا يبقى تردد فى بطلان ذلك الرأى فاستفد هذا وعلم مما قدمته أنه الحقيق بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم أنه لا اجماع على خلافته رضى الله تعالى عنه وهو أول من أسلم قال بعض الحفاظ اجماعا أى من الصبيان واعتد باسلامه حينئذ لان الاحكام اذذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه وألحق به الصديق فى ذلك رآخاه النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحى وهو أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم أمره أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدى عنه ودائعه ثم يلحقه باهله ففعل وأرسله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج أبا بكر رضى الله تعالى عنه فأذن فى الناس بالموسم بمنى بسورة براءة لان العرب لا يعتدون بما يجىء على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من أهله ومن ثم جاء فى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو حاصر عقب فتح مكة فكان مما قاله أوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أولأبعثن اليكم رجلا منى كنفسى يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد علىّ وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضاء الا تبوك فانه استخلفه فيها على المدينة وقال له لما قال له حينئذ أتخلفنى مع النساء والصبيان أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى وبكونه انما قال له حينئذ يبطل تمسك الشيعة به على أنه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات فى حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت أصلا وتوفى علىّ كرم الله تعالى وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم فى جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان

التشبيه مشير الما ذكر (قوله ومن ثم اختص) عبارة الشارح فى الفتاوى وجه اختصاص على بذلك عوضا عن الترضى انه لم يسجد لصنم قط فناسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من تكرمة الوجه والمراد به حقيقته أو الكناية عن الذات أى حفظه أن يتوجه لغير الله فى عبادته ويشاركه فى ذلك أبو بكر فانه لم يسجد لصنم أيضا كما حكى عنه فناسب أن يدعى له بذلك وانما كان استعمال ذلك فى حق علىّ أكثر لان عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه لانه أسلم وهو صبى مميز فان قلت كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعبادلة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم ومع ذلك لا تقول الناس فيهم ذلك بل الترضى كغيرهم قلت هؤلاء ونظراؤهم انما ولدوا بعد اضمحلال الشرك وخمود نار الضلالة والفتنة فلم يشابهوا ذينك الامامين فى تركهما أكبر فتن الشرك من السجود للصنم مع دعاية أهله للناس لذلك ومبالغتهم فى ايذاء من ترك ذلك وكان فى الترك حينئذ مخالفة الآباء والاقارب وتحمل المشاق التى لا تطاق من الدلالة على الصدق ما ليس فيه بعد ظهور الاسلام وزهوق الضلال فناسب حالهما أن يميزا عن بقية الصحابة بهذه الخصوصية العظمى رضى الله عنهما وكرم وجههما (قوله أن تكون منى بمنزلة الخ) الباء زائدة أى أنت نازل منى منزلة الخ وأفاد قوله الا أنه الخ أن الاتصال بينهما ليس فى النبوة بل مادونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما كان خليفة فى حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علىّ للنبى صلى الله عليه وسلم بحياته (قوله على ان هرون مات فى حياة موسى) أى قبل موته باربعين سنة خلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة

استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكا اليه مالقي وقال له ادع على فدعا له ان يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه وأكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج للصلاة صحن عليه فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما أما عمر فقتله أبو لؤلؤة مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له الى أن ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح وهو يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه أرسل ولده بعد ان طعن يستأذن عائشة رضي الله تعالى عنها في ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسي فالآن أوثره به فاشتد فرحه بذلك وأما عثمان فاجتمع على قتله أوباش أربعة آلاف مجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في أواسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل وتوهما منهم انه أراد قتل محمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم وهو برىء من ذلك وانما افتعله عليه بعض أهله وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا أنصار الله مرتين فقال رضي الله عنه لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صائر اليه ومن ثم كان عنده في الدار مما يليه الكثيرون فأرادوا ان يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل وأمره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستؤتى الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي كما مر في الاحاديث وصح ان عثمان رضي الله تعالى عنه أشرف من كوة فقال لعلي يا أبا الحسن ما هذا الذي ركب متني فقال اصبر يا أبا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال له اثبت أحد فانه ليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك أي بعدك وليقتلن طلحة والزبير

(تنبيه) ورد في مناقب علي حديث كثر كلام الحفاظ فيه فاردت ان ألخص المعتمد فيه ولفظه عن أنس رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل رواه الترمذي والمعتمد عند محققي الحفاظ انه ليس بموضوع بل له طرق كثيرة قال الحاكم في المستدرك رواه عن أنس رضي الله عنه أكثر من ثلاثين نفسا انتهى وحينئذ فيتقوى كل من تلك الطرق بمثله ويصير سنده حسنا لغيره والمحققون أيضا على ان الحسن لغيره يحتج به كالحسن لذاته ومن جملة طرقه طريق رواتها كلهم ثقات الا واحدا قال بعض الحفاظ لم أر من وثقه ولا من جرحه وطريق أخرى رواتها كلهم ثقات أيضا الا واحدا قال النسائي فيه ليس بالقوي وهو معارض بان غير واحد وثقه وذكر الحاكم انه صح عن علي وأبي سعيد وسفينة لكن تساهله في التصحيح معلوم فالحق ما سبق ان كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به ولكثرتها جدا خرج الحافظ أبو بكر بن مردويه فيها جزأ وأما قول بعضهم انه موضوع وقول ابن طاهر طرقه كلها باطلة معلولة فهو الباطل وابن طاهر معروف بالغلو الفاحش وابن الجوزي مع تساهله في الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكر في كتابه العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم يذكره في موضوعاته فالحق ما تقرر ولانه حسن يحتج به على انه لا يلزم عليه محذور لانه مؤول قطعا والا لاقتضى انه أحب الى ربه من نبيه صلى الله عليه وسلم فهو عام مخصوص وقد صح من الاحاديث جملة مستكثرة تخرج الثلاثة عنه أيضا فاستفد ذلك كله فانه مهم *(تنبيه آخر)* مما كثر الاختلاف فيه أهو موضوع أم لا

(قوله أوباش) هم الضعفاء الداخلون في القوم وليسوا منهم حكى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول

لقد خانوك وانصرفوا
فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم
فتبا للذي صنعوا

(قوله سنة خمس وثلاثين) *(فائدة)* لم يذكر فيما سبق ولا هنا تاريخ وفاة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد أرخ بعضهم وفاته صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة بالجمل في قوله سنة (يا) النبي والصديق (جي) عمر (كج) عثمان (هل) علي (لى) (قوله حسنا لغيره) اعلم ان المقبول

حديث يا على "لا يحل لاحد يجنب فى المسجد غيرى وغيرك" ومعنى يجنب فيه هنا يمكث فيه جنبا ويتعين انه مراد من عبر بيستطرقه جنبا لان الاستطراق بظاهره حلال فلا خصوصية فيه لاحد ثم هذا الحديث كثر الاختلاف فى سنده أيضا فقال بعض الحفاظ انه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائى ضعيف لا ينتهى الى الوضع وقال الترمذى انه حسن لكن اشتد انكار الحفاظ عليه فى تحسينه له بان فيه ثلاثة ضعفاء وكل منهم شيعى وثلاثة متهمين بالكذب ومما يدل على نكارة هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الامة بشئ من الرخص فيما يقتضى تعظيم حرماته والقيام باجلاله أصلا وانما ترخصه فى الامور الدنيوية كاباحة ماوراء الاربع فى النكاح ونحو ذلك فلم يكن صلى الله عليه وسلم يترخص عنهم باباحة الجلوس فى المسجد جنبا أبدا انتهى ومال الحافظ بن حجر الى تحسين الترمذى بان له شاهدا عند البزار ورواته ثقات قال والسبب فى ذلك ان بيت على كان كبيته صلى الله عليه وسلم فى كونه مجاورا للمسجد وبابه منه وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم لما أمر بسد الابواب الشارعة فى المسجد الا بابه على شق ذلك على بعض الصحابة فاجابهم بعذر نفسه فى ذلك (و) اقسم عليك (بباقى أصحابك) العشرة المبشرين بالجنة فى الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل الامر شورى بين الستة انكر عليه بانهم ليسوا رضا فقال ماعسى ان تقولوا فى على "سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول له يدك فى يدى تدخل معى يوم القيامة حيث ادخل وذكر فى عثمان حديث انه يوم يموت تصلى عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وفى طلحة ان رحل النبى صلى الله عليه وسلم سقط فى ليلة فقال من يسوى لى رحلى وهو معى فى الجنة فبدر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك فى أهوال يوم القيامة حتى انجيك منها وذكر فى الزبير انه جلس يذب عن وجه النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تزل قال لم أزل قال بابى أنت وأمى قال هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم وذكر فى سعد بن أبى وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد أوتر قوسه أربع عشرة مرة يدفعها اليه فداك أبى وأمى وذكر فى عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله أمر دنياك وأما أمر آخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حراء لما ارتج وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد قال له النبى صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد ومنها رواية سعيد بن عمرو بن نفيل أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة فنشدوه بالله عنه ثم فقال أما اذا أنشدتمونى فانا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف أحدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه أفضل من عمر أحدكم ولو عمر عمر نوح (المظهر) أى المبين (الترتيب) بينهم من النبى صلى الله عليه

من الاحاديث التى رواتها آحاد أى غير متواترة أربعة صحيح لذاته وهو ما استوفى شروطا خمسة عدالة الراوى وتمام ضبطه وكون سنده متصلا وسلامته من الشذوذ وسلامته من العلة القادحة وحسن وهو ما اجتمعت فيه هذه الشروط الخمسة لكن ان خف الضبط أى نقص فهو الحسن لذاته وان كثرت طرق الحسن لذاته صار صحيحا لغيره وان كان فى رجال السند من فحش غلطه أو كثرت غفلته أو ساء حفظه لكن تابع حديثه معتبر من أهل الحديث صار ذلك الحديث حسنا لغيره والمراد بالمتابعة ان يشارك الراوى راو آخر فى رواية الحديث وهى المتابعة التامة وان شارك شيخه فمن فوقه فالناقصة وكل منهما يفيد التقوية (قوله يجنب فى المسجد) قال فى المختار يقال أجنب وجنب من باب ظرف (قوله يمكث فيه جنبا) المعتمد فى الفروع الفقهية ان جواز المكث مع الجنابة خاص برسول الله فالامام على كغيره فى حرمة المكث مع الجنابة لضعف هذا الحديث عندهم فلا يثبت حكما وعليه فان كان مستندهم للحكم بالاختصاص بالنبى غير هذا الحديث فظاهر وان لم يكن لهم مستند غيره فلا يظهر العمل به فى طرف دون الآخر كما ذكره ابن علان فحرر (قوله ومما يدل على نكارة هذا الحديث الخ) فى شرح الخصائص الصغرى لابن علان المكى ما نصه وعجيب ما فى شرح المنهاج لابن حجر من قوله ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم المكث فى المسجد جنبا وعلى ليس مثله فى ذلك وحديثه ضعيف وان قال الترمذى انه حسن غريب كما فى المجموع وقد نظر فيه تلميذه الاشجر بأن الحديث الذى ضعفه هو الذى أثبت به الحكم للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف يعمل به فى طرف دون الآخر (قوله باقى أصحابك العشرة) حمل باقى الاصحاب العام على هذا الخاص بقرينة الاقتصار على ابدالهم منه ويمكن ان يقال المراد الاقسام بجميع الاصحاب الباقين وخص باقى العشرة بالذكر اهتماما بهم لمزيد فضلهم فتأمل (قوله اهالة) كل شئ من الادهان مما يؤتدم به انتهى من الغريبين للهروى (قوله من رواية سعيد) لم يذكر فى هذه

وسلم

وسلم وهو مفعول (فينا) أى لنا (تفضيلهم) على حسب مراتبهم التى بها شرفهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله وعكس ذلك الشارح والاول أظهر (و) المظهر ذلك بينهم لنا أيضا (الولاء) أى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم ومن ثم سئل بعض محققى المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل تجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث الدين والقرب الى الله تعالى ورسوله يجب ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة أو احسان لا يجب ان تكون كذلك وما قاله فى الخلفاء الاربعة يأتى فى بقية الصحابة رضوان الله عليهم (طلحة) بن عبد الله القرشى السهمى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة أصحاب الشورى فى أمر الخلافة بعد عمر الذين توفى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر لكونه السبب فى اسلامهم وسماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة (الخير) وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث انه باع أرضا له بسبعمائة ألف دينار فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وفى رواية ففرقها فى ليلته على فقراء المدينة وجاءه رحم له يسأله برحمه فاعطاه ثلثمائة ألف وكان مغله بالعراق فى كل سنة أربعمائة ألف وكان يكفى ضعفاء قومه وقوم أبى بكر بنى تيم ويقضى ديونهم ويرسل الى عائشة رضى الله تعالى عنها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق فى يوم بمائة ألف درهم ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلى فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن شهدها أجرا وسهما قيل لانه كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم أرسله هو وسعيد بن زيد رضى الله عنهما للتجسس على خبر عير قريش وخرج لبدر فرجعا الى المدينة فوافيا منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا زبير ان لكل نبى حوارى وأنتما حواريای أى ناصراى وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال وخلفه فى الصلاة فى الصف الاول وليس أحد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب أو شهد (المرتضيه) أى الذى كان ارتضاه النبى صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العائد على أل المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة وأوجب النصب أى لئلا يلزم عليه اجتماع أداتى تعريف ويرده ان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا فمن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بأل ان كان مثنى أو جمعا على حده كالضاربا زيدا والضاربو زيدا أو أضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل أو المضاف اليه كالقاصد باب الكريم أو الى ضمير هى مرجعه كما هنا ومن قال التقدير الذى ارتضى هو النبى صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير مرجعه أل فتنبه له (رفيقا واحدا) هو ما فى أكثر النسخ وفى نسخة أحد وهو الفاعل أى الذى ارتضاه أحد رفيقا ففيه اسناد مجازى وفى أخرى أحدا وهو على نزع الخافض أى فى أحد (يوم) ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من أحد أى بناء على النسخة الثانية بعيد (فرت الرفقاء) عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم أحد وفيه كسعد وسعيد والامانة والامناء وأتاه وأنى وتمسكت واستمسكت وانطوت وانطوى وأغثنا والغوث والغيث الآتيات جناس الاشتقاق أو شبهه وفى ذكر واحدا فى أكثر النسخ نظر بل المنقول فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس أربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفى البخارى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض أهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم أحد وقى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج

الرواية ابن الجراح (قوله والمناصرة الواجبة علينا الخ) وفى ابن عبد الحق أى الذى أظهر الترتيب بينهم وبين من بعدهم من الصحابة تفضيله صلى الله عليه وسلم لهم بذكر فضائلهم وولاؤهم أى مناصرتهم له صلى الله عليه وسلم المناصرة الكاملة ويجوز ان يقرأ بكسر الواو أى ومتابعتهم له صلى الله عليه وسلم المتابعة الكاملة كما يعلم من سيرهم وهذا أولى لسلامته من الايطاء اللازم على الاول انتهى بحروفه اذا تأملت ذلك وجدت عبارته مصرحة بان المراد بقول الناظم ترتيبهم الترتيب بين الستة غيرهم من الصحابة وان المراد بالولاء نصرهم للنبى صلى الله عليه وسلم بخلاف عبارة الشارح فانه يقتضى الترتيب بين افراد الستة ونصرنا لهم وما سلكه ابن عبد الحق أوضح وقوله لسلامته من الايطاء أى لذكره الولاء بهذا المعنى قبل ذلك ببيتين

وجهه بيده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق اذا احدث عن يوم أحد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ أوجب طلحة أى وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع فبرك له طلحة رضى الله تعالى عنه فصعد على ظهره فاستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عائشة انها قالت قال أبو بكر كنت أوّل من جاء يوم أحد فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر ما بين طعنة وضربة ورمية واذا قد انقطعت اصبعه فاصلحنا من شأنه ثم رأيت حديثا صحيحا مصرحا بما فى النظم على نسخة واحدا وهو لقد رأيتنى يوم أحد وما فى الارض قربى مخلوق غير جبريل عن يمينى وطلحة عن يسارى ولما رجع صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء فقال هذا منهم وأشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من أراد ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وصح أيضا طلحة والزبير جاراى فى الجنة وكان رجل يقع فيه وفى الزبير بحضرة سعد بن أبى وقاص فينهاه فيأبى فصلى ثم دعا عليه انه ان كان مبطلا يريه الله فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج شق الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد ابن المسيب انا رأيت الناس يتبعون سعدا يقولون هنيأ لك يا أبا اسحق أجيبت دعوتك وكان قد خرج هو والزبير على على رضى الله تعالى عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما يأتى ووعظ طلحة فتأخر ووقف فى بعض الصفوف فجاءه سهم فى ركبته فقتله فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاءه على فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة الله عليك يا أبا محمد يعز على أن أراك مجدلا (وحواريك) أى ناصرك (الزبير) بن العوام القرشى وأمه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد الثمانية السابقين والستة أصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه كحمزة وعلى أحد فى الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أوّل من سل سيفا فى سبيل الله لانه سمع أخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فقال له ما بالك قال أخبرت انك أخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضاء والهمة العلياء اخترق صفوف الروم مرتين من أولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر عصيان بنى قريظة فقال انا فاعاد فقال انا فاعاد فقال أنا فقال صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوارى وحوارى الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين أبويه فقال ارم فداك أبى وأمى وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم فيما علمت وانه كان لأحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج فى كل يوم فيتصدق به فى مجلسه ولا يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على على يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج على وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى ادعوا الى الزبير فدعى له فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال له ناشدتك الله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مكان كذا وكذا وقال يا زبير تحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالى وابن عمتى وعلى دينى فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك ثم

(قوله فجاءه سهم) ويقال ان سهما غربا أتاه فوقع فى حلقه فقال بسم الله وكان أمر الله قدرا مقدورا ويقال ان مروان بن الحكم قتله وهو الاصح انتهى ابن الجوزى فى تنقيح فهوم الآثار قال فى الصحاح وأصابه سهم غرب يضاف ولا يضاف يسكن ويحرك اذا كان لا يدرى من رماه (قوله ودعا له) عطف تفسير (قوله وفتح اليرموك) موضع من الشام (قوله لكل نبى حوارى) كذا فى النسخ ولعله مرسوم على لغة ربيعة فان الذى فى باب فضل الطليعة من كتاب الجهاد من صحيح البخارى ان لكل نبى حواريا قال القسطلانى بفتح الحاء المهملة والواو بعد الالف راء مكسورة فتحتية مشددة أى خاصة من أصحابه انتهى ونقل الزركشى عن الزجاج ان حواريا منصرف لانه منسوب الى حوارى وليس كبخاتى وكراسى لان واحده بختى وكرسى وقوله وحوارى الزبير قال القسطلانى أضافه الى ياء المتكلم فحذف الياء وقد ضبطه جماعة بفتح الياء وآخرون بالكسر وهو القياس لكنهم حين استثقلوا ثلاث يا آت حذفوا ياء المتكلم وابدلوا من الكسرة فتحة انتهى كذا بخط الشيخ العجمى

أدبر راجعا فقال له ولده عبد الله مابالك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل لتصلح بين الناس فأبى وفى رواية انه قال له جبنا جبنا فقال قد علم الناس انى لست بجبان ولكن ذكرنى حديثا خلفت ان لا أقاتله وفى رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب على أفيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فاغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره على الحديث زيادة فى اعلامه ثم سار فلما وصل وادى السباع نام فجاء رجل فقتله فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلى قال لابنه عبد الله ما أرانى الا سأقتل اليوم مظلوما ثم أكد عليه فى أن يبيع أمواله ويقضى دينه من أرضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا وكان قدر دينه ألف ألف ومائتا ألف وماولى امارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيأ وماخلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا نقض ماعليه وقضيت ديونه من ثمن تلك الارض والدور وكان ولده عبد الله ينادى فى الموسم مدة أربع سنين ألا من له دين على الزبير فليأتنا فلما لم يأت أحد أخرج ثلث ماله لانه أوصى به ثم قسم الباقى بين ورثته وكان له أربع نسوة فاصاب كلا منهن ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف هذا ملخص مافى صحيح البخارى لكن اعترض بان الصحيح ان الذى تركه بما وفى الدين والوصية وماورث عنه تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وماله كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه لان اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان أموالهم امامن سلب أوسهم من الغنيمة أوالفىء أوتجارة مبرورة وأوصى اليه سبعون من الصحابة بأموالهم وأولادهم فحفظها وكان ينفق على أولادهم من ماله ومن مدح حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه * عن المصطفى والله يعطى ويجزل

فما مثله فيهم ولا كان قبله * وليس يكون الدهر مادام يذبل

ثناؤك خير من فعال معاشر * وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

(أبى القرم) بفتح القاف وسكون الراء أى السيد الكريم عبد الله أبى خبيب ابن بنت أبى بكر (الذى أنجبت) أى أتت (به) فى غاية النجابة والشجاعة والرأى الحازم والتصرف الصائب (أسماء) بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ماأبطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى الله عليه وسلم أعطاه دمه وقال غيبه فى موضع لا يراك فيه أحد فلما جاء اليه قال مافعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار بطنك وويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى فى الخلافة لما مات يزيد سنة أربع وستين فاطاعه أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة لتهدمها وسماعه من خالته عائشة ماروته له عن النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربى وجعلت بابها الشرقى لاطئا بالارض كما كانت فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد أن شاور الصحابة فمنهم من أمره بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان أجر ذلك البناء باقياله الى ان يهدمها ذو السويقتين فان البناء الموجود الآن كله بناؤه الا حائط الميزاب فان الحجاج لما حصره أول الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصرا له الى ان قتله سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان أدخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة أذرع كما أدخله ابراهيم وأخرج الستة ثم أخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربى وأعلى

(قوله وادى السباع) اسم واد بقرب البصرة (قوله فجاء رجل فقتله) عبارة جامع الاصول لابن الاثير فقتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة ودفن بوادى السباع ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها ثم قال وعمير مصغر ٢ وجرموز بضم الجيم وسكون الراء وضم الميم وبالزاى وسفوان بفتح السين المهملة وفتح الفاء والنون (قوله منها الغابة) اسم موضع بالحجاز (قوله ما كان يذبل) بالذال المعجمة اسم جبل (قوله ذات النطاقين) النطاق ككتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل يجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان انتهى قاموس ثم قال وذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر لانها شقت نطاقها ليلة خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخرى عصاما لقربته (قوله ويل لك) أى كرب يثبت لك بمحاصرة الحجاج لك الى أن يقتلك كما سيأتى وقوله وويل للناس منك أى كرب يثبت لهم بعد موتك من أجل طاعة أهل اليمن وغيرهم بعداوة الحجاج لهم بسبب ذلك فيتعرض لهم فليس المراد بالويل منه رضى الله عنه اضراره لاحد من الناس تعديا حاشاه الله

٢ قول المحشى وعمير مصغر الذى فى القاموس عمرو غير مصغر

الباب الشرقى لتصير كما كانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها حينئذ قصر بهم المال الحلال عن أن يجعلوها كما كانت فى زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان عبد الله بن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما وأكثر قوام الطلس لا لحية له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه أكبر منهم سنا فليس فى طبقتهم (والصفيين) تثنية صفى وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات (توأم الفضل) من أتأمت المرأة ولدت اثنين أى ان الفضل انتجهما لكثرة ما قام بهما منه ولو قال توأما الفضل كان أوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا فى الفضائل الجليلة صارا كأنهما مولودان فى حمل واحد (سعد) أبى اسحق بن أبى وقاص بن مالك القرشى الزهرى وهو أحد الستة أصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام وأقام كذلك سبعة أيام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من أراق دما فى سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم أحد ألف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير فى فتح مدائن كسرى وغيرها ومن كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس فى غاية الطمأنينة كأنهم سائرون بالبر وكان الذى يسايره سلمان الفارسى رضى الله عنه وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم أحد و يقول ارم فداك أبى وأمى واقبل والنبى صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه فقال هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالى فان الخال والد وعاله وقال اللهم سدد رميته وأجب دعوته وفى رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة وأشرف على الموت فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه يعيش فقال لعل الله ان يرفعك فينتفع بك أقوام و يضر بك أقوام آخرون واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيأ من تلك الحروب توفى بقصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلت عليه أمهات المؤمنين فى حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان أوصى ان يكفن فى جبة صوف لقى المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبؤها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفى مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة نزلت فى ستة منهم سعد وابن مسعود (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة شهد المشاهد كلها وعده البخارى فيمن شهد بدرا ومر فى ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما أجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج أخته والسبب فى اسلامه كما مر ولذلك لم يدخله فى أهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن به انه حابى أقاربه وأخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه أخذ لها قطعة أرض فقال ما كنت لأفعل بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من أرض ظلما طوقه من سبع أرضين فقال مروان لا أسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها فذهب بصرها و بينما هى تمشى فى أرضها وقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت أصابتنى دعوة سعيد وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وأنه أعطاها الذى ادعت به ثم دعا عليها بما مر توفى رضى الله عنه سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وأبوه زيد توفى فى الجاهلية لكن جاءت أحاديث تدل على انه من أهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتى يوم القيامة أمة واحدة بينى و بين عيسى (ان عدت الاصفياء)

(قوله ولو قال توأما الفضل) أى بالقطع عن تبعيته لما قبله بجعله خبر مبتدا محذوف تأمل (قوله مدائن كسرى) قال السيوطى فى المزهر النسب الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم مدنى والى مدينة المنصور مدينى والى مدينة كسرى مدايني (قوله فكان مجاب الدعوة) من ذلك انه دعا على الكاذب عليه من أهل الكوفة بقوله انه كان لا يعدل فى القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فقال سعد اللهم ان كان كاذبا فاعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتن قال عبد الملك بن عمير فانا رأيته بعد يتعرض للاماء فى السكك فاذا سئل كيف أنت يقول كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد وفى رواية فمامات حتى عمى وافتقر حتى سأل الناس ومن ذلك دعاؤه على الذى سمعه يسب عليا وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته وقال يتهددنى كانما يتهددنى نبى فقال سعد اللهم ان كنت تعلم أنه سب أقواما قد سلف لهم منك سابقة واسخطك سبه اياهم فاره اليوم آية تكون آية للعالمين فخرجت ناقة نادة فخبطته حتى مات ومن ذلك دعاؤه على امرأة كانت تطلع عليه فنهاها فلم تنته فقال شاه وجهك فعاد وجهها فى قفاها اه من كتاب الهمبان فى نكت

فهذان من أكابرهم كيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة (و) عبد الرحمن (بن عوف) بن الحرث بن زهرة القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين للاسلام والستة أهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أي نصفه وفي رواية الواقدي وابن عساكر يا خالد ذروا لي أصحابي متى ينك أنف المرء ينك المرء ولو كان أحد ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم يدرك غدوة وروحة من غدوات أو روحات أحدهم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم أحد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم أو قال شريفهم ففتح الله عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له أبا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به في غزوة تبوك فصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابي غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته فادركهم الوقت فاقاموا الصلاة فقدمهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ولما أتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته وائتم صلى الله عليه وسلم بابي بكر أيضا لكنه أخرج نفسه عن الامامة بتأخره وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد أشرت اليك ما كان ينبغي لابن أبي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن بن عوف ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدى صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسراء والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله أعتق في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما أعتقه ثلاثون ألفا وفي حديث انه أمين في السماء أمين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة خفت ان تهلكني كثرة المال فقالت له يا بني أنفق قال فاني أنفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم أربعين ألف دينار ثم عقلها ثم بخمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفي رواية ألف وخمسمائة راحلة وأوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت باربعمائة ألف وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرا باربعمائة دينار وكانوا مائة وكان من جملتهم عثمان فأخذ مائة وهو أمير المؤمنين وبالف فرس في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال أشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع أرضا من عثمان باربعين ألف دينار فقسمها في أقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك قال ما الذي أقرضه قال تتبرأ من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذي صح من ذلك أتاني جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين وروى أبو نعيم وغيره ان رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي أحد الا فاضت عيناه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تكن فاضت عيناه فقد فاض قلبه وفي حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفي

العميان للصفدي (قوله لا تسبوا أصحابي الخ) الخطاب للصحابة السابقين نزلهم لسبهم الذي لا يليق بهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره اه ومن تدبر هذا الحديث لم يجد في مناقب الصحابة شيأ أبلغ منه (قوله ما بلغ مد الخ) أي لا يساوي تصدقه بذلك تصدق الواحد منهم بمد من شعير أو نصفه (قوله مد أحدهم) المد نصف صاع وروى بفتح الميم بمعنى الغاية اه مختصر النهاية للسيوطي لعله ربع صاع بدل نصف (قوله كان كفارة لما هو فيه) وهذا من باب حسنات الابرار سيآت المقربين اذ هو رضي الله عنه كان في أجل طاعة بماله كما علمت من سبر أحواله فلم يقع منه بسببه معصية حتى يحتاج لتكفيرها بما ذكر تأمل (قوله من أغنياء أمتي) وفي الترمذي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة عني به النبي صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة ليكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة اه من شرح المنهاج للدميري

آخر رواه أحمد والطبرانى رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا وفى رواية لاحمد فدرأيته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وفى رواية لابن سعد وابن عساكر كانى بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم أخرى حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله أمر دنياك وأما أمر آخرتك فانا ضامن لها وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فأتاه بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة توفى رضى الله تعالى عنه عن اثنين أو خمس وسبعين سنة سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان وصلى عليه علىّ وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما أمر أقاربه وقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع أقاربه فى الله وأنا أصلهم فى الله فنذر أن لا يكلمه أبدا وترك من الذهب ماجاء ربع ثمنه ثمانين ألف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته ماله كثرة فيها تفوق الحصر قال (من) بدل مما قبله (هونت نفسه الدنيا) أى صيرت أموالها وأمتعتها رخيصة عنده (ب) سبب (بذل) لها فى وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع الى الدرجات العلى كما مر فى الاحاديث وذلك البذل الكثير (بعد اثراء) أى كثرة المال الذى فتح الله به عليه وأكثره من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا (والمكنى أبا عبيدة) وهو عامر بن الجراح القرشى الفهرى أمين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفى رواية وامينى وفى أخرى وامينها أيتها الامة وأحد العشرة المبشرين بالجنة والرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثانى عمر وأحد الخمسة الذين أسلموا فى يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم أحد مع النبى صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا فى وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم القاء مقدم الاسنان وولاه أبو بكر لما أرسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا أميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر رضى الله عنه أعاده لكن أمره أن يستشير خالدا وهو أول من سمى أمير الامراء بالشام وروى أنه صلى الله عليه وسلم أمره على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له أبوه يوم بدر فأعرض عنه فلازمه فلما أكثر عليه قتله فأنزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لا تأمر على رجل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن أدركنى أجلى وهو موجود استخلفته لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة أمينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة عامر بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال أين أخى أبو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام من ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل ملء هذه الدار ذهبا أنفقه فى سبيل الله وقال آخر جوهرا أنفقه كذلك فقال عمر وأنا أتمنى لو ان هذه الدار مملوءة رجالا مثل أبى عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا مامن أحد من أصحابى الا لوشئت لاخذت عليه فى بعض خلقه غير أبى عبيدة بن الجراح توفى سنة ثمانى عشرة شهيدا بالطاعون فى طاعون عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس أول ماوقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووى رحمه الله تعالى زرته فرأيت عنده عجبا ورأيت عليه من الجلالة ماهو لائق به (اذ) ظرف لاقسم المقدر أو تعليل له (يعزى) أى ينسب (اليه) أى أبى عبيدة (الامانة الامناء) وأجلهم نبينا

(قوله فيها حيس) هو تمر يخلط بسمن واقط اه مختار (قوله لا تجد قوما) أى لا ينبغى أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد لا ينبغى أن يوادوهم ولو كانوا آباءهم الخ أى ولو كان المحادون أقرب الناس اليهم وقوما المفعول الاول لتجد والمفعول الثانى يوادون الخ (قوله فى طاعون عمواس) عبارة جامع الاصول مات فى طاعون عمواس بالاردن ودفن ببيسان ثم قال وعمواس بفتح العين المهملة والميم وقد تسكن وبالسين المهملة اسم موضع وبيسان بفتح الموحدة وسكون الياء التحتية وبالسين المهملة والنون مدينة الاردن معروفة والاردن بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون نهر معروف ومنه بحيرة طبرية تجتاز بالغور

(قوله حمزة والعباس) لم يسلم من أعمام النبي سواهما وأدرك أبو طالب وأبو لهب الاسلام ولم يسلما اه جامع الاصول لابن الاثير (قوله فهي استعارة الخ) تأمله فان الظاهر ان كلا فيه تشبيه بليغ لا استعارة لوجود الجمع بين الطرفين فان الفلك هو السماء الذي شبه به المجد والشمس والقمر هما النيران اللذان شبه بهما العمين وتأمل أيضا قوله وأثبت الخ اذ الفلك هو المشبه به وهو مذكور فاين المكنية وكيف يكون اثبات المشبه به تخييلا اذ التخييل اثبات لازمه وتقدم في كلامه مثل ماذكره هنا والاعتراض عليه مرارا (قوله وسبب اسلامه الخ) في تفسير الثعالبي عند قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يريد أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويستكن ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله تعالى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل ابن هشام وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل بن هشام اه (قوله استشهد بأحد) وهو ابن تسع وخمسين سنة وكبر عليه رسول الله سبعين تكبيرة ودفن هو وعبد الله ابن جحش في قبر واحد ولما أجرى معاوية رضي الله عنه العين بالمدينة أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما اه من تنقيح فهوم أهل الاثر لابن الجوزي وانظر قوله وكبر عليه سبعين تكبيرة فان هذا خلاف ما في الفروع من ان شهيد المعركة لا يصلى عليه ومن كون المطلوب أربع تكبيرات فان زاد كان خلاف السنة من الاقتصار على الاربع ولا تبطل الصلاة بالزيادة وأجيب بأن الصلاة على حمزة وزيادة التكبير الى سبعين من خصوصياته رضي الله عنه كما ذكره في المواهب أو ان الزيادة على الاربع لبيان الجواز وهو في حقه صلى الله عليه وسلم مطلوب وان كان في حق غيره غير مطلوب وانظر قوله وهو ابن تسع وخمسين الخ مع قول الشارح السابق وكل منهما أسن من النبي بنحو سنتين وعمر النبي نحو ثلاث وستين سنة نظرنا فوجدنا المراد بكونهما أسن منه بنحو السنتين انهما ولدا قبله بسنتين لا أنهما زيد سنهما عن سنه بسنتين فلا ينافي كون عمر حمزة ماذكر وعمر العباس ثمانيا وثمانين سنة كما سيأتي تأمل

صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وفي رواية وأميني وفي أخرى وأميننا أيتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في أبي ذر انه أصدق من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان أولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض وأما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما عمن لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما على أولئك لم يقتض ذلك تفضيلا أيضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد في الفاضل لانه خلف تلك المزايا مزايا أخرى أجل منها وأعظم فتحصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما تميز به المفضول (و) أقسم عليك (بعميك) أخوي أبيك لابيه وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بنحو السنتين (نيري) تثنية نير وهو الكوكب المضيء (فلك) هو ما يسير فيه الكواكب (المجد) أي الكرم والحسب شبه المجد بالسماء وأثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا فهي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر وأثبت لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاءة فهي أيضا استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها أيضا استعارة تجريدية بذكر المجد الملائم للعمين (وكل) منهما (أتاه) أي حصل له (منك أتاء) بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والنماء كما في القاموس وقال الشارح وهو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الأشجار ولعله تفسير مراد أما حمزة فيكنى أبا عمارة ويلقب بأسد الله وأسد رسوله فكان عظيما شجاعا أخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أسلم قديما وسبب اسلامه ان اللعين أبا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه وانصرف أبو جهل الى نادي قريش عند الكعبة وأقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه فأخبروه وهو أعز فتى في قريش وأشد شكيمة فغضب وعمده فشجه في رأسه شجة منكرة وقال أتشتمه وأنا على دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم فمنعهم أبو جهل خشية الفتنة وهو أول من اتخذ له النبي صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه صلى الله عليه وسلم الى سيف البحر بكسر السين أي جهته استشهد بأحد في نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد أن قتل احدا وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال وحشي رأيته يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتي فأصابته ووليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشي هذا فقبله النبي صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني أي خشية أن

يصيبه منه شئ اذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك فقد أصابه ما أصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريقا في الخمر وقال ابن هشام بلغني أنه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود قال ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وليس في هذا نوح ولا تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء يوم القيامة وانه لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق ان الملائكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب وأما العباس وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأى وكمال وعقل وافر معظما بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وبعده وكانت تنسب اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به في أمره كله أسر ببدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم لما سمعه يئن فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن أخيه بعد ان قال مامعي شئ فقال له صلى الله عليه وسلم وأين المال الذي قلت لام الفضل أي زوجته حين خرجت اذا أنا مت فافعلي به كذا وكذا فقال من أعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري وغيرها فأسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه ختمت الهجرة وكان ردأ للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار أهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب له ان بقاءك بمكة خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن أختنا العباس الفداء أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقي به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب أو رمضان سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ثمان وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس مني وأنا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من آذى العباس فقد آذاني فانما عم الرجل صنو أبيه وحديث أوصاني الله بذي القربى وأمرني ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب وأخرج الدارقطني في الافراد ليكونن من ولد العباس ملوك يلون أمر أمتي يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه أحسن ما عمل وتجاوز عنه سيء ما عمل وأصلح له ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذوني ومن سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي ووارثي وأخرج الرافعي ألا أبشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه تطفأ نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وأبو نعيم في الحلية الا أبشرك يا أبا الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر

وبذريتك

(قوله مات غريقا في الخمر) مع قوله يحد في الخمر ينافي الحكم بعدالته الواجب له كباقي الصحابة (قوله باكيا قط أشد من بكائه) تقدم ان البكاء بعد الموت منهي عنه وقد يجاب بان المراد ببكائه نزول الدموع اللازم لظهور صوت غالبا أو البكاء على حقيقته ووقع لبيان عدم حرمته وان النهي نهي كراهة فيكون حينئذ مطلوبا في حقه مثابا عليه للتشريع وفي حقنا مكروها وانما قلنا اللازم الخ لان الصوت قد يوجد بدون دمع (قوله لولا جزع النساء الخ) قضية شرطية لا تقتضي جواز الوقوع فلا يقال التجهيز واجب كفاية فكيف يجوز الترك من غير تكفين ودفن (قوله اذا قحط) بفتح القاف والحاء وحكى الفراء الكسر وقحط على صيغة المجهول (قوله وها نحن نستسقي بعم نبيك) وحكمة توسله به دون النبي صلى الله عليه وسلم مع انه أعظم وسيلة حيا وميتا الاشارة الى رفعة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربهم من الله (قوله ان من ذريتك الخ) وقيل لما أسلم العباس ألبسه النبي صلى الله عليه وسلم عمامته السوداء فأوحى الله اليه لأجعلن

وبذريتك يختم وكون المهدى من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن أيضا فهو حسنى وفيه شعبة من ولد الحسين أيضا فهو حسينى وشعبة من العباس والترمذى وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن أحبهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما أسر وما أعلن وما أبدى وما أخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب يا عباس أنت عمى وصنو أبى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى (و) أقسم عليك (بام السبطين الحسن والحسين فاطمة وهى أصغر بناته صلى الله عليه وسلم (زوج) جرده عن التاء لانه أفصح (على) زوّجها له النبى صلى الله عليه وسلم ثانى سنى الهجرة بوحى من الله بذلك كما ورد وبنى بها بعد تزوّجها بسبعة أشهر ونصف فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وقيل نحو عشرين سنة وسن على احدى وعشرين سنة وأشهر وقال ابن عبد البر وهى وأم كلثوم أفضل بناته وكانت فاطمة أحب أهله اليه وكان يقبلها فى فمها ويمصها لسانه واذا أراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم أول ما يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة احدى عشرة فبينهما نحو ستة أشهر وسنها تسع وعشرون سنة أى على القول الثانى وقد أسر اليها النبى صلى الله عليه وسلم انها أول أهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها على ليلا بوصية منها واختلف فى محل دفنها والاشهر انها فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب أبو العباس المرسى يجزم به قيل فلعله كوشف به وروى أحمد فى المناقب والدولابى انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت أنا مقبوضة الآن فلا يغسلنى أحد ولا يكفنى فماتت فامتثل على وصيتها لكن يعارضه انها أمرت فاطمة بنت عميس بان تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية (وبنيها) يعنى أولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب وأولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وأم كلثوم ولدت لعمر ذكرا وأنثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوّج الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم على وأم كلثوم وانتشر نسلهما فلهم شرف أعلى من شرف أولاد عبد الله من غير زينب وأدون من شرف أولاد الحسنين لمزيتهما عليهما وردفيهما للعباسيين والطالبيين شرف أيضا ومن ثم لقب بالشرف كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر وجعفر الصادق ولدا سمه اسحق تزوّج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا (ومن حوته العباء) وهم النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلى وابناهما ومر لبعض هؤلاء فضائل كعلى وابنيه رضى الله عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن أبيها القائل تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها ويغضبنى ما أغضبها أحب أهلى الى فاطمة اذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها ويبسطنى ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الا نسبى وحسبى وصهرى فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران أما ترضين ان تكونى سيدة نساء أهل الجنة قالت فاطمة رضيت نزل ملك من السماء فاستأذن الله ان يسلم على فبشرنى ان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكونى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الامة وخبر

لذريته تاج الولاية الى يوم القيامة ببركة عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من شرح المالكى (قوله وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة) وتوفيت وعمرها أربع وعشرون سنة اه وأما على انها دخل بها وسنها نحو عشرين فتكون قد توفيت وسنها تسع وعشرون كما سيأتى (قوله ومحسنا) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المكسورة كذا ضبطه الشامى (قوله ومن ثم لقب بالشرف الخ) قال السيوطى فى الخصائص الصغرى ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم أولاد على وعقيل وجعفر والعباس كذا مصطلح السلف وانما حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين فى مصر خاصة من عهد الخلفاء الفاطميين (قوله وفاطمة وعلى وابناهما) تقدم الاقسام بهم تفصيلا ثم عاد الاقسام بهم اجمالا بلفظ يشملهم وغيرهم (قوله بضعة منى) قال النووى فى شرح مسلم بفتح الباء لا يجوز غيره وهى قطعة اللحم اه والذى فى المواهب البضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها وكسرها أيضا وبسكون المعجمة قطعة لحم واستدل به السهيلى على ان من سبها يكفر

أتانى جبريل بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسرى بى فعلقت خديجة بفاطمة فكنت اذا
اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة ردا على تصحيح الحاكم له انه كذب
موضوع جلى الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسراء وصح انه صلى الله عليه وسلم
جعل على على وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا منهم فقال انك على خير وفى رواية ألقى عليهم كساء ووضع يده
عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى أخرى
ان الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت ببيت أم سلمة فارسل
صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو مامر وفى أخرى انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صحتا
فهى نزلت مرتين وفى أخرى ان أم سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وانه ادخلها الكساء بعد ماقضى
دعاءه لهم وفى أخرى صحيحة انها قالت يارسول الله انا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله وفى أخرى ان
واثلة قال لما سمعته صلى الله عليه وسلم يصلى عليهم وهم تحت الكساء قلت وعلى يارسول الله فقال
اللهم وعلى واثلة وفى أخرى صحيحة قال واثلة وأنا من أهلك قال وأنت من أهلى قال واثلة وانها لمن أرجى
ما أرجو قال البيهقى وكانه جعله فى حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا وأشار المحب
الطبرى الى ان التجليل بالكساء لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة وبيت فاطمة
وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم وماجللهم به وما دعا لهم به وما أجاب به
واثلة وأم سلمة وفى أخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى
وصنو ابى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت فقالت آمين ثلاثا (و) اقسم عليك (بازواجك اللواتى تشرفن بان صانهن) عن النار والنقائص
لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه فى الجنة (منك) حال من
قوله (بناء) أى دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغى
تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها وهن
احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات وأربع عربيات واسرائيلية أولهن خديجة تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة وأشهر وله خمس
وعشرون سنة عند الاكثرين وكانت قد عرضت نفسها عليه كما مر وهى أول من آمن به من النساء
وفى الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام أو شراب فاذا هى قد
أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب أى لؤلؤ مجوف لا صخب فيه
ولا نصب وأولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها الا ابراهيم واختلف فى عدتهم وجملة ما اتفق عليه
منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف فيه وأربع بنات
زينب وهى أكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالها أبى العاص بن الربيع ولدت منه
عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وأمامة التى حملها فى صلاته تزوجها
على بعد فاطمة رضى الله تعالى عنهم ثم رقية توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزى بها قال الحمد
لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابى ثم أم كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها
عثمان بعد ابنى أبى لهب ثم فاطمة الزهراء البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى وأربعين من
مولده صلى الله عليه وسلم والذى رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة قال ابن الجوزى قبلها بخمس
سنين وسميت فاطمة والزهراء لما مر وبتولا لان الله قطعها عن النساء حسبا وفضلا أو لانقطاعها الى
الله تعالى واختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير أولئك الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد
الله وقيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر وأما

(قوله فان قلنا تحرم) هو
المعتمد فى الفروع (قوله
لا صخب فيه) الصخب بفتح
الصاد والخاء الصوت المختلط
المرتفع والنصب المشقة
والتعب ويقال فيه نصب
بضم النون واسكان الصاد
وفتحها لغتان حكاهما
القاضى وغيره كالحزن
والحزن والفتح أشهر
وأفصح وبه جاء القرآن اه
شرح مسلم (قوله ولا نصب)
قال فى المصباح نصب الرجل
بالكسر نصبا تعب (قوله
القاسم) هو أول أولاده
صلى الله عليه وسلم ثم زينب
ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم
ثم عبد الله ثم ابراهيم اه
ذكره اللقانى عن شيخه
الشيخ سالم السنهورى
(قوله وأمامة) عطف على
عليا فهى بنت زينب (قوله
ثم أم كلثوم) ولا يعرف
لها اسم وانما تعرف بكنيتها
اه مواهب (قوله بعد ابنى
أبى لهب) هما عتيبة
مصغرا وعتبة مكبرا

ابراهيم

ابراهيم فمن سريته مارية القبطية ولد فى الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم أبيه قبل السابع أو فيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله مخفية وأظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو فى العوالى عند ظئره الحداد فيأخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفى وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة أشهر وقيل غير ذلك وفى رواية انه لم يصل عليه أى بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه وفى حديث لو بقى لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ النووى فى تزييفه وبطلانه ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضى الله تعالى عنهما أخى سهيل بن عمرو بمكة لما رجعا من الحبشة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جمع به بين الخلاف فى ذلك وأراد طلاقها لما أسنت فوهبت نوبتها لعائشة رضى الله عنها فأمسكها توفيت بالمدينة فى شوال سنة أربع وخمسين ثم عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها بالمدينة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم أكثر من بقية نسائه ولما فقدها فى بعض اسفاره قال واعروساه خرجه أحمد وكانت فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت رضى الله عنها بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير لا بسقط أسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهى وخديجة أفضل أمهات المؤمنين ثم الاصح أن خديجة أفضل لما صح أن عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقنى خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين احرمنى الناس ولانه صلى الله عليه وسلم أقرأ عائشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى والاصح أيضا أن فاطمة أفضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ والخبر المقتضى لخيرية خديجة أجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقى السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة واختار أيضا ان مريم أفضل من خديجة للاختلاف فى نبوتها ثم حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهن تزوجها سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من هجرة الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فأوحى الله اليه أن راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة توفيت سنة خمس وأربعين ثم أم سلمة هند بعد موت ابى سلمة سنة أربع وكانت من أكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست وزوجها النجاشى لعمرو بن أمية الضمرى وكيله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهى أول من مات منهن بعده وصح عن عائشة لم تكن امرأة خيرا منها فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأوسع صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى أى وهو الدبغ رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى فى الجاهلية أم المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا وورواية محرما معناها انه فى الحرم على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له أن ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث الخزاعية وكانت

(قوله وهو فى العوالى) جمع العالية وهى مواضع وقرى بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق من ميلين الى ثمانية أميال اهـ شرح البخارى للعينى (قوله وتوفيت خديجة) ولم يمت فى حياته من زوجاته الاحدى عشرة الا هى وزينب بنت خزيمة (قوله ثم الاصح أن خديجة أفضل) قال السبكى فى مقاصد المقاصد فضلى النساء مريم ففاطمة فخديجة أو عائشة فآسية ثم قال وقد نظمتهن وزدت ان مريم وأخت موسى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجنة فقلت

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة
فأمها أوفمن قدرا الله
فزوج فرعون مع أخت الكليم ومر
يم لأحمد زوجات بأخراه

(قوله أشد ابتذالا) من البذلة وهى المهنة (قوله بسرف) بفتح السين وكسر الراء وبالفاء وهو مكان بقرب مكة بينها وبينه ستة أميال وقيل سبعة وقيل اثنا عشر اهـ شرح مسلم للنووى (قوله معناها أنه فى الحرم الخ) أى أو فى الشهر الحرام كقول الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما
ودعا فلم أر مثله مخذولا

أى لان قتله كان فى أيام التشريق اهـ شوبرى أى

يجاب بان الصحيح عند الاصوليين ترجيح القول على الفعل اذا تعارضا لان القول يتعدى للغير والفعل مقصور على الفاعل (قوله ابن شماس) بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبالسين المهملة (قوله من بنى المصطلق) حى من خزاعة (قوله من نسل هرون) يدل لذلك رواية أبى نعيم فى الحلية باسناده عن أنس رضى الله عنه قال بلغ صفية أن حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت لها يابنت اليهودى فبكت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه (٢٥٤) وسلم وهى تبكى فقال ماشأنك فقالت قالت لى حفصة يابنت اليهودى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لبنت نبى يعنى هرون وان عمك لنبى يعنى موسى وانك لتحت نبى فبم تفتخر عليك حفصة ثم قال اتقى الله ياحفصة لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته (قوله فهؤلاء نساؤه الخ) وليست المتعوذة منهن فهى فى الثنتى عشرة قال القسطلانى فى شرحه على البخارى ان التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت النعمان بن شراحيل على الصحيح وقيل عمرة بنت الجون (قوله الامان الخ) جواب الاقسام السابقة مفعول به أو مفعول مطلق فالعامل على الاول أنلنا وعلى الثانى أمنا وفى كلام الشارح مايشير الى الاعرابين تأمل (قوله وكون المحبة الخ) جواب عما يقال كيف ادعيت محبته مع اعترافك أولا باقتراف الذنوب والمحب لايخالف أمر محبوبه ولا نهيه فتأمل (قوله هى لا تحد بحد الخ) قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى فى رسالة القصد المحبة من الله أخذه لقلب عبده من كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويعالج بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمس ابكار الحقائق وثيبات العلوم وقال رضى الله عنه المحبة لله سر فى القلب من المحبوب اذا ثبت قطعك عن كل محبوب وقال رضى الله عنه حقيقة المحبة رؤية المحبوب على العيان وكمالها افتقادك فى كل وقت وأوان

وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى فكاتبها فجاءت تسأل النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال لها هل لك الى ماهو خير لك من ذلك أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بايديهم من أقوامها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها أعتق فى سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق خرجه أبو داود وعن ابن شهاب أنه اختارها من السبى فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب من نسل هرون صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وهى من سبى خيبر أذن صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبى فى أخذ جارية من السبى فأخذها فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم أعطيته سيدة بنى قريظة والنضير وهى لا تصلح الا لك نخشى عليه الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فىّ قالت يارسول الله انى كنت أتمنى ذلك فى الشرك وكان بعينها حفرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم فى حجرها فرأت قمرا وقع فى حجرها فأخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت رضى الله عنها فى رمضان سنة خمس ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا فى ثنتى عشرة امرأة فبعضهن الاصح فيه أنه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه أنه لم يتزوجهن ومحل بسط ذلك كتب السير (الأمان) أى أقسم عليك بهؤلاء المذكورين وما منحتهم به أن تنيلنى من حضرتك بواسطة شفاعتك فىّ الى من لا يخيب شفاعتك وان تؤمننى الامان (الامان) تأكيد أى من عقاب ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب (انّ) بالفتح تعليلا وبالكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة (فؤادى من) أجل (ذنوب أتيتهن هواء) أى خال عن فهم ما ينفعنى فى دينى ودنياى لفرط الحياء والخجل من الله تعالى والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفى نسخة هباء أى لا وجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك علىّ حتى يزيد اعتناؤك بى وامدادك لى انى (قد تمسكت) أى توثقت واعتصمت (من ودادك) أى بمحبتى لك وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبى كما يدل عليه حديث يارسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب أو ان المستلزم لذلك هو كمالها أو ان ذلك من الناظم من كمال هضم النفس بتقدير ما لم يقع واقعا كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا أو فى بعض الاحوال (بالحبل) أى السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم (الذى استمسكت به الشفعاء) من الاولياء والانبياء والعلماء والصلحاء فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا أورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم فى الاغيار أورثتنى وقوع شفاعتك فى بجامع أنى أحبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين واعلم أن العلماء والعارفين اختلفت عباراتهم فى المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا فى حقيقتها بل فى أحوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التى لا تحد كما أطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره وهى لا تحد بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وانما تكلم الناس فى أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها فحدودهم ورسومهم

وقال رضى الله عنه أوصاف المحبين أن يكون دائم الفكر كثير الذل قليل العبارة دائم الصمت لا يخاف ولا يرجو لا يسمع اذا نودى ولا يبصر اذا نظر وقال رضى الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته وقال رضى الله عنه حرام عليك أن تتصل بالمحبوب ويبقى لك فى العالمين محبوب وقال رضى الله عنه (٢٥٥) اذا منعك مما تحب وردك الى ما يحب فذلك من علامة محبته لك وعن الشبلى أنه قال مرة لتلميذه الحصرى فى بداية أمره يا حصرى ان خطر فى بالك من الجمعة الى الجمعة الثانية غير الله فلا تحضرنى فانه لا يجىء منك شىء ومن كلام الحلاج اذا تخلص العبد الى مقام المعرفة أوحى اليه بخواطره وحرس سره عن أن يسنح فيه غير خاطر الحق ثم قال ومن علامات العارف أن يكون فارغا من أمور الدنيا والآخرة مشتغلا بالله وسئل عن صفة المريد فقال هو الرامى بأول قصده الى الله فلا يعرج حتى يصل وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال أهونه ما ترى وكان يقول من لاحظ الاعمال حجب عن المعمول له ومن لاحظ المعمول له حجب عن الاعمال وكان يقول لا يجوز لمن يرى غير الله أن يدعى انه عارف بالله عز وجل وكان يقول من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبادة التجريد ومن طلب الحق بنور الايمان كمن طلب الشمس بنور الكواكب وكان يقول ما انفصل الخلق عنه ولا اتصلوا به وكان يقول من شرط التوكل أن لا يأكل شيأ وهو يعلم ان فى بلده من هو أحوج منه (قوله أحب اليه) أفعل تفضيل بمعنى المفعول على غير قياس وان كثر اذ القياس كونه بمعنى الفاعل لا يقال افعل ومعموله لكونهما كالمتضايفين لا يجوز الفصل بينهما باجنبى فكيف فصل بينهما باليه لان الجار والمجرور والظرف يتوسع فيهما فتأمل

ورسومهم دارت على هذه الشريطة وتنوعت بها العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحاء التى هى من أقصى الحلق والباء الشفهية التى هى نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب الضم الذى هو أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماها وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب الكسر لخفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعانى تعلمك بان غير لغة العرب لا تلحقها واعلم أيضا انه صح فى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم أى الميل اليه اختيارا لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا أو أمارة كان مرجوحا وفى كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان ورد بانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شىء مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفى صحيح البخارى أن عمر قال يا رسول الله أنت أحب الى من كل شىء الا من نفسى التى بين جنبى فقال صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذى أنزل الكتاب عليك لأنت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قد تم ايمانك فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل لعمر قطعا وانما وقع لان حب الانسان نفسه طبيعى وغيره اختيارى بواسطة الاسباب وهذا هو الذى أراده من عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه الانفس فجواب عمر أولا بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالدليل أنه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا لكونه هو الذى أنقذه من هلاك الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار فأجابه بالآن أى عرفت فنطقت بما يجب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره ومنهيه على جميع أغراضه قال القرطبى وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شىء من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته صلى الله عليه وسلم على أهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر فى قلوبهم من محبته صلى الله عليه وسلم غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات والشهوات عليهم (وأبى الله) أى لم يرده كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما تفضل به عليك كقوله عز قائلا ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من أخلاقك الجميلة والذى دلت عليه آثارك الجليلة أن من لجأ اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضاك ومن ثم أخبرتنا عنه سبحانه وتعالى أنه يقول لك فى ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع (أن يمسى السوء بحال) أى فى حال من الاحوال الدنيوية والاخروية (و) الحال ان (لى اليك التجاء) أى استناد لمزيد محبتى لك ولخدمتى لجنابك ومن هو كذلك حقيق بان لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك (قد رجوناك) معشر محبيك وخدامك أيها النبى الكريم أى أملناك (للامور) الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات (التى أبردها) أى أيسرها (فى فؤاد نار رمضاء) أى نار تتقد من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا

و بين أبردها و رمضاء والفقر والغنى المطابقة (وأتينا اليك) بقلوبنا أى وجهناها الى الاستعاذة بك من كل مكروه أو الى قبرك المكرم حال كوننا (انضاء) جمع نضو بكسر النون أى مهازيل (فقر) من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله (حملتنا الى حضرتك التى فيها (الغنى) الاكبر (أفضاء) أى ركائب مهازيل أجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحات كرمها والتملى بشهود احسانها ونعمها (وانطوت) أى استترت (فى الصدور) أى القلوب (حاجات نفس) أملت حصولها من جنابك الكريم برفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه أقرب منك اليه ولا أحد بعدك يعول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت تلك الحاجات (مالها عن ندى) أى عطاء (يديك) الكريمتين (انطواء) أى استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يمن بها غير عطائك الهامع فلا انفصال لنا عن واسع جودك ولا انصراف لنا عن ساحة حرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى آثارك طامعين فى حصول كل ما أملناه بشفاعتك التى هى مطمع المقربين ووسيلة المقصرين (فأغثنا) بها لتقضى جميع حاجاتنا لوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك يا من هو الغوث) للمكروبين والملجأ للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد (والغيث) المريع للمضطرين المشبع للجائعين المجزل لهم من الفوائد فأزل شكوانا وارفع لأوانا (اذا أجهد الورى اللأواء) أى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على التلف (والجواد) الاعظم (الذى) لم يخلق الله من يصل الى أوفى مراتب جوده فضلا عن أن يساويه فيه (به) أى بسببه (تفرج الغمة عنا) معشر أمته (وتكشف الحوباء) بفتح أوله وضمه أى الاثم أى عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والغماء والحوباء فى معانيها المذكورة من غم الهلال اذا استره غيم أو نحوه والخبر استجم (يا) نداء يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف أو مستأنف لكنه بعيد (رحيما) من الرحمة وهى رقة القلب وغايتها التفضل والانعام أو ارادته وما مر فى يا سماء أول أبيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا (بالمؤمنين) مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما ومر فى شرح قوله رحمة كله ما يعلمك سعة رحمته لا سيما بالمؤمنين وباهر رأفته لا سيما على الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالى فى الاجمالى والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضرورى كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار كما نقله النووى عن أهل السنة لكن أشار الغزالى رحمه الله تعالى الى ما اختاره جمع محققون غيره انه من أهل الجنة وتركه التلفظ به معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد فى النار والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا أو انكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كالمحدثين أى من كماله فالميت مؤمنا فاسقا تحت المشيئة قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد فى النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة *(تنبيه)* مهم يتعين الاحاطة به لعظيم جدواه وعزة فحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه أبلغ من الرحمن وانه يستعمل فى الله تعالى وفى غيره لكن فى استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم قال بعض

(قوله أو الى قبرك المكرم) يؤيد هذا قوله حملتنا الخ ولا مانع من ضم الاول اليه (قوله فأغثنا بها) أى شفاعتك (قوله بالمؤمنين) خصهم بالذكر مع ان رحمته شاملة للكافرين كانقاذهم من هول الموقف بشفاعته لانهم المقصودون بالذات (قوله وهى محال) أى الزيادة على معنى قادر محال لان الايجاد شئ واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد وأجيب بان المبالغة لما تعذر رجاها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التى دل السياق عليها فهى بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف انتهى اتقان

الائمة صفات الله التى على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها انما تثبت للشئ أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية الكمال وأيضا فهى انما تكون فى صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقى السبكى وغيره فاستشكل والله على كل شئ قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهى محال وأجاب الزركشى عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرائع وفى الكشاف والمبالغة فى التواب أى فى نحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو فى قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وعبر الزركشى عن الثانى بما يؤل الى ما قاله الزمخشرى وهو أن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التى دل السياق عليها فهى بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم أيضا ان نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جئ به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب قابل التوب قابل فى الاول المبالغة فى الجمع وفى الثانى صيغة اسم الفاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد وبأنه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما يأخذه واذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل أولى وبانه بمعنى ذى ظلم ونسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان أقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبانه أراد بليس بظلام ليس بظالم تأكيد اللنفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه ورد ردا على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهى مناسبة رؤس الآى (اذ) ظرف لرحيما (ما) زائدة (ذهلت) أى غفلت عن ابنائها (الرحماء) مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا ليس لانتفائها فى غيره بل لانها فى هذا اليوم أظهر وأعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى فى فصل القضاء ما يعلم جميع أهل ذلك الموقف انه لا أقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع فى ذلك اليوم الا نسبه وحسبه وفى الرحيم والرحماء رد العجز على الصدر وفى الذمام وذماء وصاعدات وصعداء واقتفى واقتفاء ووعرة وعراء ويتقى والاتقاء وذرعا وذرعاء والعرج والعرجاء ورضا ورضاء والحب والحباء جناس الاشتقاق أو شبهه وبين أعمال ومال جناس ناقص وبطان وبطاء لاحق وحروا الحر محرف (ياشفيعا) من الشفاعة وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه (فى المذنبين) فى غفران ذنوبهم وكشف كروبهم (اذا) ظرف لشفيعا وفيه ما فى الذى قبله (ما) زائدة (أشفق) أى ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهش وحمله على هذا هو الصواب وأما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا أيضا له لكنه لا يتأتى هنا لانه لا يلائم قوله (من) أجل (خوف) عقاب (ذنبه) عائد للبرآء المتقدم رتبة وأفرده نظرا اللفظ لا للمعنى أو لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث (البرآء) من الكبائر جمع برئ بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم أكثر الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة بل صغائر بل لا يخرج عن ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف أيضا

(قوله فلا مفهوم له) أى لان تكرير اللفظ اذا وردوا بالكلام خاص لا مفهوم له انتهى اتقان (قوله جوابا عن الثانية) أى الآية الثانية وهى وما كان ربك نسيا (قوله تذهل كل مرضعة) الذهول ترك الشئ بدهشة ونسيان (قوله ما زائدة) هكذا ثبتت فى نسخ الشرح وهى زائدة لفظا أيضا اذ لا يستقيم الوزن معها فالصواب حذفها كما هو المتن فاعرفه انتهى طبلاوى (قوله وأفرده نظرا اللفظ) فيه ان لفظه جمع كمعناه فتأمله

وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء عليهم الصلاة والسلام شعارهم فى ذلك اليوم اللهم سلم سلم (جد) يامن تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا أوجه منك عند ربك (لعاص) استأسرته الخطايا وأحاطت به المحن والبلايا والاصل لى أولنا فهو تجريد والتفات وآثر فيه التنكير لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسؤل بان يجود عليه فى ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب (وما) نافية (سواى) أى غيرى (هو العاصى ولكن تنكرى) الواقع فى قولى لعاص (استحياء) منك ان أذكر لك نفسى بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح بارتكابها مانهيتها عنه وحمل الاستحياء على التنكر مبالغة كرجل عدل فان قلت ذانك مصدران بخلاف هذا قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر فى كل يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا لتباين مدلوليهما هذا تقرير عبارته وفيه مؤاخذتان احداهما الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ماذكره صاحب المفتاح وشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق أى لا رزاق سواه وفى الفائق وكلام الكشاف يميل اليه أيضا أن تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصى دال على حصر العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد من النفى الداخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على ماهو المشهور ان النفى يتوجه للقيد فان توجه للمقيد أيضا توجه الاعتراض الآتى من باب أولى وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القائم احتمل مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه هو وغيره قائمان واذا أفهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه أثبت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصى وحده أى ادعاء وهضما للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف ذلك ثانيتهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء ولئن أفاده فان شأن السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه حينئذ غير لائق ولك ان تجيب عن الاولى بان من الواضح ان سوى كغير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بهما مطلقا وان أل فى العاصى للعهد الذهنى فهى للجنس على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير أخرى وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ماهر وصار المعنى وماسواى عاصيا بل أنا العاصى وحدى وعن الثانية بان السائلين على أقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكاب ما كان سببا لسؤاله فيستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبائح سترا واحتشاما من اعترافه بالنقائص والفضائح خشية من انه قد يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى لمزيد اجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضى لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل حياء من أن يبين نفسه أو معصيتها فيكون ذلك سببا لرده ﴿تنبيه﴾ لازلت أطلب أن ماذكره الناظم هنا من أن سبب التنكير له قد يكون للاستحياء هل صرح به أحد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو قولهم لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فمن أسباب التنكير ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أى وحده أو ارادة النوع نحو هذا ذكر أى نوع من الذكر وعلى أبصارهم غشاوة أى نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شئ من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ماء أى كل نوع منها من كل نوع منه أو كل فرد من أفرادها من أفراد النطف أو ارادة للتعظيم بمعنى انه أعظم من أن يعين أو يعرف نحو فأذنوا بحرب ولهم عذاب أليم ان لهم جنات وسلام عليه أو ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا أى وافرا عظيما جليلا أو ارادة التقليل نحو ورضوان من الله أكبر أى ورضوان قليل منه أكبر من الجنات باسرها وارادة

(قوله مبالغة) أى حيث جعل تنكره عين الحياء مع ان الحياء وصف قائم بالشخص كقيام العدل بالرجل لانه عينه (قوله يحتاج لتأويل) فكما أول رجل عدل بذى عدل أو بعادل ليصح الحمل يؤول هنا بتقدير مضاف أى سبب تنكرى استحياء لصحة الحمل (قوله وفيه مؤاخذتان) أى فى النظم (قوله من يغلب عليه الحياء) أى ومنهم من يظهر نفسه عند رفع حاجته ليعرف حاله فيحصل العطف عليه والناظم لاحظ مقام الحياء تارة كما هنا فتنكر ولاحظ التعطيف تارة فتعرف حيث قال فيما يأتى كل يوم ذنوبه الخ (قوله أى كل نوع الخ) عبارة المطول أى كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه وهو نوع النطفة الذى يختص بذلك من الدواب (قوله من أفراد النطف) وهى نطفة أبيه المختصة به

التحقير بمعنى انحطاط شأنه الى حد لايمكن ان يعرف نحو من أى شئ خلقه أى من شئ حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء الذى ذكره الناظم * وهنا قاعدة يعم نفعها وهى ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثانى عين الاول غالبا دلالة على المعهود الذى هو الاصل فى اللام والاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أو نكرتين فالثانى غير الاول غالبا وقد اجتمعا فى آية فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر فى القسمين أو الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول أو عكسه حكمت القرائن ونقضت هذه القاعدة بآيات كثيرة نحو هل جزاء الاحسان أى العمل الا الاحسان أى الثواب وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ويؤت كل ذى فضل فضله ويرده مامر من انها أغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع ما أورد عليها من الآيات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شئ لكن فى بعضه تكلف (وتداركه) أى أدركه (بالعناية) مثل له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا يأتى قط بهفوة (مادام له بالذمام) بمعجمة قسم متعلق بتداركه أى تداركه والالزم خلوه عن معنى يليق بالسياق بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك مادام له (منك ذماء) بالمعجمة أى تعلق وأصله بقية الروح فى المذبوح أى مادام فيه أدنى تعلق واستمساك بك لانك أكرم الكرماء فى الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل مايخافه من أليم العذاب وبعد الحجاب ولم لا وقد (أخرته) أى ذلك العاصى (الاعمال) السيئة التى ارتكبها (والمال) الفانى الذى أمسكه عن صرفه فى وجوه الخير أو جمعه من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش فى جمعه لبه ولم يبال من أى واد جمعه ولا باى وصف اكتسبه (عما قدمه) (الصالحون) جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة ومن ثم أخبر صلى الله عليه وسلم أن المصلى اذا قال فى تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت كل عبد صالح فى السماء والارض وبين أخرته وقدم جناس التطابق كالحسنات والسيآت والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومى وليلتى والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء الآتيات (والاغنياء) من الاعمال الصالحات والانفاق فى وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثانى للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية متندما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال (كل يوم) وليلة (ذنوبه صاعدات) مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون أعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا لعظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصى (وعليها) أى من أجلها (أنفاسه صعداء) أى متواترة ممدودة من شدة مايلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى ورطتها انه (ألف البطنة) بالكسر أى ملء بطنه من الطعام والشراب كذا قال الشارح والذى فى القاموس انها الاشر والبطر وقال فى البطر انه النشاط والاشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة أو الطغيان بالنعمة وكراهة الشئ من غير أن يستحق الكراهية اه وكل ذلك صحيح هنا وقال فى البطن بوزن كتف انه الاشر المتمول ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهى عن الاكل (المبطنة السير) الى الله تعالى أى المعوقة عن الاجتهاد فى رضاه باستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحة التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن النقائص وعن كل وصف دنئ وخلق رذيل ولو لم يكن من شؤم البطنة الا ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء من أنها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه وقوته (بدار) وهى الدنيا (بها) أى فيها (البطان) جمع بطين ككرام جمع كريم (بطاء) جمع بطئ على وزن الجمع قبله فهم متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين (ف) بسبب عصيانه (بكى ذنبه بقسوة قلب) أى مع شدته وغلظته المؤديين الى أن البكاء صورى

(قوله بالذمام) أى الحرمة انتهى صحاح (قوله ذماء) بفتح المعجمة ممدود بقية الروح وهو فى الاصل مصدر ذمى المذبوح يذمى اذا تحرك انتهى قاله ابن مالك (قوله فى سبعة أمعاء) قال الشارح فى شرح الشمائل والمراد المبالغة فى شرهه ونهمته لا حقيقة العدد أو حقيقة لقول أهل التشريح ان للآدمى سبعة أمعاء فالمؤمن يكتفى بملء واحد منها والكافر لا يكتفى الا بملء جميعها والمراد الجنس والا فكثير من المؤمنين يأكلون أكثر من غيرهم وقيل المراد المؤمن الكامل وهو لكثرة فكره واشفاقه من المناقشة فى الحساب حتى من المباح يقلل أكله دائما اه قال الهروى وفيه وجه أحسن من ذلك وهو انه مثل ضربه للمؤمن زهد فى الدنيا والكافر حرص عليها

لا حقيق ومن ثم (نهت) ألا القوة (الدمع) عن أن يبرز منه شئ من عين ذلك الباكى (ف) بسبب هذا النهى انقلب (البكاء) عن حقيقته وهو حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع و يتبع الرجوع وصار ذلك البكاء كانه (مكاء) بالتخفيف أى كالصفير بجامع أن كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتأثر به القلب وبين البكا والمكاء الجناس المضارع (وغدا) أى صار ذلك العاصى بعد ما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا يفيد لمزيد قسوة قلبه (يعتب) من عتب عليه وجد عليه (القضاء) من قضاه صنعه وقدره أى يقول لم أو كيف قدر على هذا (و) الحال انه (لا عذر لعاص) يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه وتندفع مؤاخذته (فيما سوقه) اليه (القضاء) والقدر من المعاصى لان الله تعالى أجرى عادته الالهية فى هذا العالم على أسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب و ينسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل فى الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فأسند تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الرمى واليهم القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى أنه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا أو يذموا باعتبار جريان تلك الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وأن نعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق و يثبتون قدرة العبد تخيلا منهم أنهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن انه يلزمهم ما هو أقبح من ذلك وهو أن يجرى فى ملكه تعالى ما لا يشاؤه على أن نسبة أفعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشئ انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف فى ملكه بما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأن تعتقد بطلان مذهب الجبرية أيضا لانه يلزم عليه أن لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان الجبر هو المكره على الشئ من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء أن الله تعالى أسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم أخرى فتعين ما قلناه من التوسط بين المذهبين بأن نظرنا الى الافعال من حيث الصورة وأنطنا بها أحكاما ومن حيث الحقيقة وأنطنا بها أحكاما لان هذا هو العدل السوى والطريق الواضح الجلى ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية وأهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان وأكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا أولئك الاكثرين وأهل السنة عدلوا فوالوا الكل ورضوا عنهم فكانوا فى الجنة وكان كل من ذينك هنا وفيما مر فى النار فان قلت قوله ولا عذر الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر فى قصته المشهورة مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى عليهما الصلاة والسلام أنت أبونا آدم الذى أخرجتنا من الجنة بخطيئتك أى بالنسبة لمقامك والا فهى ليست بخطيئة حقيقة لانه نسى كما فى الآية أيضا ولعموم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال له ألم تجد فى التوراة قد قدر على ذلك قبل أن أخلق بأربعين سنة فقال نعم فقال أتلومنى على ذنب قدره الله على قبل أن أخلق بأربعين سنة قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح فحج آدم موسى وكذا احتج عمر على أبى عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فرأى فيها طاعونا فأراد الرجوع فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله تعالى يا أمير المؤمنين فقال له عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفى منه ما وجب عليه به ليمنع بذلك مؤاخذته به لم يجز أيضا وان كان لا ليمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى وأما الثانى فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر فى ذلك وانما هو بيان لاسرار ما جاءت

(قوله يعتب من عتب) قال فى المختار عتب عليه وجد وبابه ضرب ونصر وقال فى فصل الواو من باب الدال ووجد عليه فى الغضب موجدة بكسر الجيم ووجدانا أيضا بكسر الواو ووجد فى الحزن وجدا بالفتح (قوله واليهم القتل) تأمله فانه لم يسنده اليهم وانما أسنده اليه سبحانه فلم يوجد الا نفيه عنهم (قوله احتجاج آدم) احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام قال أبو الحسن القابسى معناه التقت أرواحهما فى السماء فوقع الحجاج بينهما قال القاضى عياض و يحتمل أنه على ظاهره وانهما اجتمعا بأشخاصهما (قوله نسى) أى سهوا لان النسيان مستحيل على الانبياء لانه نقص (قوله قدر على ذلك) المراد بالتقدير هنا الكتابة فى اللوح المحفوظ أو فى صحف الملائكة أى كتبه الله على قبل خلقى بأربعين سنة ولا يجوز أن يكون المراد حقيقة القدر فان علم الله وما قدره على عباده وأراده من خلقه أزلى ولم يزل سبحانه مريدا لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر اه من شرح مسلم للنووى (قوله لو غيرك قالها) أى كلمة أبى عبيدة (قوله لاوجعته) أى لاعتراضه على فى مسئلة اجتهادية وافقنى عليها أهل الحل والعقد اه شرح مسلم

به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول والالم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضى الله تعالى عنه أن المسببات منوطة باسبابها من غير نظر فى عواقبها وان الله تعالى كما قدر على أناس الموت بالطاعون قدر على آخرين عدم الموت به فالامتناع من الدخول فرار من القدر الى قدر آخر والدخول تجاسر على مانع له يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله أيضا قلت هذا أخف لان الاول القاء باليد الى التهلكة وهى منهى عنها فى الكتاب والسنة والثانى بمنزلة التداوى والفرار من الهلاك وهذا محمود فى الكتاب والسنة فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوائهما فى المعنى المعلل به فيهما قلت لا مساواة بينهما الا انا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك يؤدى الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز ثم رأيت الغزالى ذكر ما قررته فى الجواب عن كلام عمر رضى الله تعالى عنه ونقله عنه النووى وغيره وأقروه حيث قال فان قيل ما فائدة الدعاء مع القضاء مع ان الدعاء لا يرده فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه اهـ فتأمل هذا المحل فانه مهم نفيس وفيه شبه كثيرة أزالها بحمد الله تعالى هذا التقرير الواضح لمن ألهم رشده وأسعد الله جده وخلصه من ورطات الفتن وغوائل البدع والمحن حقق لنا ربنا ذلك عنه وكرمه واذا تقرر أن لا عذر فيما سوقه القضاء بالمعنى السابق سواء أكانت المعصية صغيرة أو كبيرة فكيف يعتذر من (أوثقته) أى حبسته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الآخرة عن مقامه المكرم (من الذنوب) حال متقدمة على صاحبها وهو (ديون) أى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله تعالى وحقوق عباده (شددت فى اقتضائها) أى فى طلبها منه (الغرماء) لان حقوق الآدميين مبنية على المشاححة والمضايقة (ماله حيلة) أى طريق فى التخلص من تلك الديون (سوى حيلة الموثق) أى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك تنحصر فى شيئين لا ثالث لهما الا انهما (اما توسل) الى الله تعالى فى خلاصه بما سبق له من عمل خالص أو بشفاعة الشافعين (أو دعاء) اليه فى أن يرضى عنه غرماءه ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه (راجيا) حال من عاص وضمائره المذكورة أى مؤملا أملا قريبا (ان تعود أعماله السوء) عليه (بغفران الله) له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب (و) الحال ان تلك الاعمال (هى) فى جنب الغفران (هباء) أى مثله فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت عليه عند طلوعها من كوة (أو) ان (ترى سيئاته حسنات) منة عليه بان دراجه فى سلك الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات (ف) بسبب استحالة السيئات حسنات (يقال) عند رؤية ذلك (استحالت الصهباء) أى الخمرة من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التى هى من لوازم المشبه به تخييلية (كل أمر تعنى) أى تعتنى وتهتم أنت يا رسول الله (به) وتلتفت اليه (تقلب الاعيان) جمع عين وهو الجسم وهو معنى تغييرها بانها المبصر مستقلا بنفسه (فيه) بان تتحول من صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها (وتعجب البصراء) جمع بصير حسا ومعنى أى ذوو البصائر والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك الفعل اذ (رب) هى هنا للتكثير قاله الشارح (عين) من

(قوله وغوائل) أى دواهى

(قوله تخييلية) فيه أن التخييلية انما تكون للمكنية لا للتصريحية

(قوله كل أمر تعنى) قال فى المختار وعنى بحاجته يعنى بها على ما لم يسم فاعله عناية فهو بها معنى على مفعول ثم قال وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه أى ما لا يهمه

(قوله جمع عين وهو الجسم الخ) هذا بيان لمعناها الاصلى والا فالمراد بها هنا الصفات بقرينة قوله بان تتحول صفتها الخ أو هنالك مضاف محذوف أى صفات الاعيان

عيون الماء أى عيون كثيرة (نفلت) أى بصقت (فى مائها الملح) الذى لا يتساغ لاحد (فاضحى) ماؤها الملح (و) الحال انه (هو الفرات) أى العذب السائغ للشاربين أو هو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو أحد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث (الرواء) بالفتح أى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه قال الشارح فى وهو الفرات الرواء الجملة خبر أضحى انتهى وهو جار فى ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور أنكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام ولعل نسخته بلا واو وقيل هو *(تنبيه)* لم أر لخصوص التفل فى ماء عين ملح فانقلبت عذبا فضلا عن كثرته التى قالها الشارح سلفا ويحتمل أن الناظم أخذ ذلك مما رواه أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر أريس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها فوجود الاعذبية فى هذه ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها منزل منزلة ماء ملح صار عذبا وفى حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة وهذا يقتضى أن ماعدا بئر رومة من بقية آبار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة هذه بئر اريس وقد صارت ببركة تفله صلى الله عليه وسلم فيها أعذب بئر بالمدينة فصار ماؤها الذى تقرران به ملوحة أعذب بئر بالمدينة فتنتج من هذا صحة ماقاله الناظم رحمه الله تعالى فتامله ثم رأيت للبغوى فى الصحابة عن بشر الاسلمى ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء الحديث السابق فى بئر رومة فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقرر فى بئر اريس يدل على زوال ملوحتها بالكلية وانها صارت أعذب حتى من بئر رومة ثم رأيت الشريشى شارح مقامات الحريرى ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان أجاجا وماذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقى انه لم ير أصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم فى بئر اريس قال غيره ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحينئذ ماقاله الشريشى لا أصل له ولا عند ابن جماعة لان فيها زيادة كون مائها كان اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم رحمه الله رأى ذلك فى كلام مثل الشريشى ممن لا يعتد به فى الحديث فاعتمده ثم رأيت الحافظ السيوطى ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بيعذب لا بأعذب ان ريقه صلى الله عليه وسلم فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما فى النظم أصلا واذ قد فرط منى ماسبقت الاشارة اليه فلا يسعنى الا مزيد الندم والتوجع منه والتأوه عليه بان أقول على الدوام والاستمرار (آه) كلمة توجع أى توجعى عظيم وتندمى زائد دائم (من) أجل (ماجنيت) على نفسى من الذنوب وقبائح العيوب (ان) هى بمعنى اذ على حد وخافونى ان كنتم مؤمنين وماقررته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم الندم توبة أى معظمها المتكفل بباقيها كالحج عرفة (كان يغنى أنف من عظيم ذنب) من اضافة الصفة للموصوف (وهاء) أى مسماهما وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح ان تكون ان على حالها من الشك لا باوان سلمنا ان كلمة آه تفيد الندم لكن قبولها ظنى لا قطعى على الاصح ولك ان تمنعه بانه يكفى فى كونها بمعنى اذان قبولها ظنى لان ظن الوقوع ينافى وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها ليبين ان الاهتمام بها لمنع من الاكتفاء عنها بالتعريض فقال (ارتجى) أى أؤمل لحسن ظنى بربى عملا بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن ظنه بربه وبقوله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن عبدى بى الا خيرا (التوبة) وهى الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابستها فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر أيضا وعزمه على أن لا يعود اليها ماعاش كذلك أيضا لا لنحو قطع ذكره

والخروج

(قوله أى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه) الذى فى القاموس أن الرواء بالفتح كسماء الماء الكثير المروى فمن أين أخذ الشارح التقييد بالقلة وقد يقال مراد الشارح الذى يحصل بقليله كما يحصل بكثيره فليس مراده اخراج غيره من مدلول الرواء فتأمل (قوله دار أنس) لعله بئر دار أنس (قوله ماقاله الناظم) لكن الكثرة التى صرح الشارح أنها معنى لرب لم يظهر وجهها (قوله كان أجاجا) أى ملحا مرا كما فى المختار (قوله فى بئر أريس) بفتح الهمزة مصروف كما فى شرح مسلم (قوله ولعل الناظم الخ) أى داع لحمل النظم على ذلك الذى لم يثبت دون حمله على ماء بئر أنس على الوجه السابق (قوله آه) ويقال أيضا أوّاه وأوه وكل اسم فعل بمعنى أتوجع (قوله وهو التوجع) على تقدير مضاف أى اسم أتوجع لان ألفا وهاء اسمان مسماهما آه ومسمى آه أتوجع (قوله من التردد فيه) فيه أن مطلق التردد يشمل الظن فلا ينافى الا لو قلنا وضع ان للشك بمعناه المعروف فتدبر وهذا

قول المحشى قوله دار انس الذى فى نسخ الشارح بئر أريس فلعل ما كتب عليه المحشى وقع له فى نسخة

هو المشهور فى وضع ان بقرينة قوله على حالها من الشك وحينئذ فقوله من التردد المراد به خصوص الشك تأمل (قوله واستغفارنا الخ) قال الغزالى فى الاحياء لا تظن أن رابعة تذم حركة اللسان بالاستغفار من حيث انه ذكر الله تعالى بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج الى استغفارين قال وهذا معنى

والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك أدائه فورا وباداء ما عصى باخذه ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب وتصح على الاصح أيضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك (النصوح) أى التى لا يعود من حصلت له الى الذنب أبدا الوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو أخرويا كأن تاب لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر فى صحة أصل التوبة وانما يؤثر فى كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن أنى يفيدنى هذا الترجى (و) الحال انى متلبس بما قد ينافيها اذ (فى القلب نفاق) من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما ظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك لا يصدر الا ممن آمن بلسانه فقط (وفى اللسان) والاركان (رياء) أى نظر الى الخلق باعتبار ان ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفق أو ثناء من مخلوق ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رحمها الله تعالى استغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار (ومتى) للاستفهام التعجبى (يستقيم قلبى) بان لا يبقى فيه نظر الى ما يحجب عن الله تعالى من أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك بل الى الله تعالى وحده (و) الحال انى قد وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هى انه حصل (للجسم اعوجاج من) أجل (كبرتى) أى كبر سنى ووهن عظمى من كبر بكسر الباء أى أسن (وانحناء) لقامتى وهو من عطف الرديف أو الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة بخلاف أيام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى وعظ يؤثر فيه وأقل زاجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما أخرت التوبة الى هذا الزمن لانى (كنت فى نومة الشباب) التى تكثر فيها الغفلات وتتوالى على أهله الهفوات فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق من نومه الا بمحرك قوى (فما استيقظت) من تلك الغفلة فى حال من الاحوال (الا و) الحال ان (لمتى) أى لحيتى (شمطاء) أى اختلط سوادها ببياضها وما تقرر فى زمن الشباب أولا انه محل قرب التوبة والانزجار بأدنى وعظ وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافى بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصى الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسا وصلب فلا يتقوم اعوجاجه الا بعد اليأس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق (و) حينئذ بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر (تماديت) أى طلبت ان (اقتفى) أى اتبع (أثر القوم) الصالحين السابقين الى المراتب العلية والفائزين بنيل المآرب السنية (فطالت) على (مسافة) بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها (واقتفاء) لاعمالهم وأخلاقهم لانهم استغرقوا فيها أوقاتهم وانقطعوا الى الله تعالى عن كل غفلة وتبعة (ف) بسبب طول المسافة التى بينى وبينهم

قول القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين وقوله القائل الصادق ربما يوهم انه حديث وليس كذلك بل هو من كلام شيخ الطائفة الجنيد كما فى فتاوى شيخ الاسلام الحديثية وفى طبقات الاولياء للمناوى فى ترجمة الجنيد (قوله من كبرتى) عبارة الصحاح الكبر فى السن وقد كبر الرجل يكبر كبرا وزان عنب أى اسن ومكبرا أيضا بكسر الباء يقال علاه المكبر والاسم الكبرة بالفتح يقال علت فلانا كبرة وكبر بالضم يكبر أى عظم فهو كبير وكبار فاذا أفرط قيل كبار بالتشديد والكبر بالكسر العظمة وكذا الكبرياء وكبر الشئ أيضا معظمه قال تعالى والذى تولى كبره وفى القاموس كبر كبرا كعنب وكبرا بالضم وكبارة بالفتح نقيض صغر فهو كبير وكبار كرمان ويخفف ثم قال وكبر كفرح كبرا كعنب ومكبرا كمنزل طعن فى السن ثم قال وكبر كصغر عظم وجسم انتهى المراد منه (قوله كنت فى نومة الشباب) شبه غفلته فى حال شبابه بالنومة بجامع عدم الانتفاع والاحتياج الى موقظ بل بجامع الانتفاع على طريق الاستعارة المصرحة (قوله والحال ان لمتى) قال فى المصباح اللمة بالكسر الشعر اذا لم يجاوز شحمة الاذن والجمع لمم ولمام فاذا جاوز شحمة الاذن فهو جمة بالضم هذا يقتضى ان اللمة شعر الرأس الموصوف بما ذكر لا أنه اسم للحية كما صنع الشارح (قوله ويشهد لذلك الحديث الخ) ليس فيه ما يفيد الفرق بين زمن الشباب وزمن الشيخوخة فتدبر

(وراء) خبر مقدم (السائرين) أى السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا وعدل اليه عن ورائهم الذى هو القياس ليفيد انهم أحيوا ليلهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة (وهو) أى ذلك الوراء (امامى) جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه و بينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه و بينهم موانع أيضا (سبل) مبتدا مؤخر أى طرق (وعرة) أى يعسر سلوكها لان أوائك القوم كفوا نفوسهم من الاعمال والتخلق بكرائم الاخلاق والاحوال ما أوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به أوائك (وأرض عراء) بفتح أوله أى فضاء واسعة (حمد) أوائك القوم (المدلجون) أى السائرون من أول الليل أو أكثره والقياس حمدوا أيضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله أو أكثره وهذا القسم الثانى أفضل وأكمل لانهم رأوا ما تجدد به حمدهم مما لم يره من قبلهم (غب) أى عاقبة (سراهم) من الفوز برضا الله تعالى وقربه والاطلاع على حقائق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى (وكنى من تخلف) عنهم فى سيرهم وهذا راجع لقوله فوراء السائرين وقوله حمد راجع لقوله السائرين ففيه لف ونشر مرتب (الابطاء) أى التأنى فى السير المفوت لادراك منازلهم وفى ذكره هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم بذكره حالهم التى حمدوا عقباها وفاتته لعجزه عن ادراكها لما هو عليه مما لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطائف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه من الجد فى السير الى الله تعالى (رحلة) عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن الشبهات وقبائح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها لانى (لم يزل يفندنى) أى يكذب على أو يضعف رأيى (الصيف اذا ما) زائده (نويتها والشتاء) كذلك أى اذا جاء الشتاء أنوى الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف أقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسر فيه أكثر ومن ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى سنده من ضعفه جماعة ووثقه آخرون والارجح توثيقه فى هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له أحاديث منها مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فيطول للقائم وأما نهاره فيقصر للصائم وحديث لم ينزل قط عذاب من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء ومما أوجب ابطائى عن تلك الرحلة انه (يتقى حر وجهى) وهو ما يبدو من الوجنة (الحر والبرد) باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة فى الشتاء والصيف كما ان ما فى البيت الذى قبله كذلك (و) الحال انه (قد عز) أى صعب على (من لظى) أى جهنم متعلق بقوله (الاتقاء) لانى متلبس بما يؤول بى اليها الان يتغمدنى الله برحمته ولاجل هذا (ضقت ذرعا) بالمعجمة (من) أجل (ما) موصولة أو مصدرية (جنيت) أى ضعفت طاقتى عن ان تحمل وزره ولم أجد من يخلصنى من ثقله واصل الذرع الخلق (فيومى قمطرير) أى شديد وهذا كذكر عزوا الرحلة والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه اقتباس من الآيات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص (وليلتى درعاء) بالمهملة أى مظلمة كناية عن شدة ما ألقى فيها وأصل الدرعاء التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه فى واحد منهما * (تنبيه) * وقع للشارح انه قال الليلة الدرعاء بالمهملة ليست من الليالى البيض بل هى احدى الليالى الثلاث التى تلى الليالى البيض وليس بصحيح وعبارة القاموس وليلة درعا يطلع قمرها عند الصبح وليال درع بالضم وكصرد للثلاث التى تلى البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها انتهت ففيه التصريح بان الدرعاء ليست من احدى تلك الثلاث وان تلك الثلاث لها وهى جمع معنى غير المفرد وتوهم الشارح ان الجمع اذا كان معناه ذلك لزم انه معنى المفرد وهو اغا يتم ان كانت درعاء مفرد ذلك الجمع وعبارة القاموس صريحة

(قوله وهو السير ليلا) عبارة القاموس السرى كالهدى سير عامة الليل انتهى وذلك أخص مما ذكره الشارح

(قوله أحيوا ليلهم أى عامة ليلهم) كما أفادته عبارة القاموس فيحمل عليه قوله أولا وهو السير ليلا بان يراد عامة ليل وعليه فتساوى عبارته عبارة القاموس (قوله والقياس حمدوا) أى القوم (قوله منهم من يحيى بعض الليل) أى قليلا منه لان احياء أكثره وصف الفرقة الاولى من الفرقتين السارين والمدلجين هذا والذى يفيده كلام الشارح الراجع للقاموس كما سبق ان القوم اما سارون أو مدلجون وان السارين هم الذين أحيوا معظم الليل وان المدلجين هم الذين أحيوا كل الليل أو أكثره وينبغى ان يراد هنا احياء كله ليحصل التغاير بين الفرقتين فيراد بالفرقة الاولى التى أحيت معظم الليل وبالثانية التى أحيت كله وأما الفرقة التى أحيت بعض الليل أى أقل من معظمه فلم تستفد من كلام الناظم اذ ليس من مدلول السارين ولا من مدلول المدلجين كما عرفت فهذه الفرقة الثالثة هى الفرقة المتمادية فى السير المتخلفة عن اللحوق التى جعل الناظم نفسه منها تواضعا رضى الله عنه

(قوله أى يكذب على) كان الظاهر يكذبنى قال فى القاموس وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطأ رأيه كافنده

في

في خلاف ذلك لانه فسرها بمعنى غير معنى الجمع فتأمله (و) لكن خفف عني ذلك ني (تذكرت رحمة الله) أي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي أي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا (ف) بسبب ذلك (البشر) أي الفرح والسرور (لوجهي) متعلق بخبر البشر وهو تلقاء وهذا أولى من جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا أيضا (انى) أي في أي مكان (انتحى) أي أتوجه (تلقاء) أي مقابل أي فالبشر مقابل لوجهي في أي مكان توجهت اليه لاني مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا (ف) بسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضية لسعة لرجاء (ألح) أي أقام (الرجاء والخوف في القلب) فهما على حد سواء كما هو الراجح عند أئمتنا ان الانسان مادام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا أمنت غلبة أحدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منه المحذور الذي في مقابله أما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى أي يظن انه يغفر له ويرحمه (وللخوف والرجا اذا توارداعلى القلب (احفاء) أي استقصاء ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر للنفس لا يطاقان لان من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شأن الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده المقتضيات لئلا يغلب أحدهما فيخشى منه المحذور السابق آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس (صاح) أي يا صاحبي وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي (لا تأس) من رحمة الله (ان ضعفت عن) الدأب في (الطاعة) لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة (واستأثرت) أي انفردت (بها الاقوياء) بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من ألذ مألوفاتها وأعظم مشتهياتها (ان) فيه شائبة تعليل للنهي عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة (لله رحمة) عظيمة ادخرها لبعض عباده ثم القوي والضعيف والشريف والوضيع (وأحق الناس منه) متعلق بقوله (بالرحمة الضعفاء) أي الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم

(قوله ان الله كتب كتابا) يحتمل انه اللوح المحفوظ ويحتمل انه غيره وقوله فهو عنده فوق العرش أي في محل عظيم (قوله أي ان مظاهر الخ) أشار بذلك الى جواب ما قيل ان الرحمة والغضب يرجعان الى صفتين من صفاته تعالى وهما الاحسان والانتقام أو ارادتهما وصفات الله المتعلقة بذاته لا ترتيب فيها ولا سبق لبعضها على بعض وحاصل الجواب ان المراد بسبق الرحمة غلبة مظاهرها من المخلوقات وكثرتها على مظاهر الغضب تامل (قوله تلقاء) المصادر انما تجيء على التفعال بفتح التاء كالتذكار والتكرار ولم يجئ بالكسر الا حرفان وهما التبيان والتلقاء (قوله فيغلب الرجاء) فائدة كان الشبلي يقول انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قرب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة وكذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضيء (قوله احفاء) بالحاء المهملة (قوله من رحمة الله) مع قوله فيما يأتي للنهي عن اليأس غير مناسب تفسير المتن به لان تأس من الاسا وهو الحزن وما ذكره الشارح بيان لليأس والاياس يقال يئس وأيس بمعنى قنط فكان الظاهر ان يقول في البيان أي لا تحزن حزنا يؤدي لليأس أي القنوط من رحمة الله للنهي عن اليأس الخ تامل (قوله واستأثرت بها) أي بكثرتها (قوله ادخرها الخ) أخرج الطبراني عن معاوية ابن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل خلق مائة رحمة رحمة بين خلقه يتراحمون بها وادخر لاوليائه تسعة وتسعين اه من البدور السافرة للسيوطي وظاهر ان مراد الشارح بالرحمة المدخرة العامة لمن ذكرهم هي الرحمة التي ذكرها في الحديث بين خلقه (قوله أي الذين الخ) انظره مع سياق الكلام ومقتضى المقام اه طبلاوي أي لان المقام والسياق يقتضيان تفسير الضعفاء بالقليلين الاعمال ويجاب بان ذلك أشار اليه بقوله مع قيامهم الخ وبين بان محل كونهم أحق بالرحمة من الله مع قلة أعمالهم ان اتصفوا بما ذكر

(قوله والله يغفر له) المشهور في الصحيح ان هذا الكلام مقول في الصديق رضي الله عنه وفي رواية انه مقول في عمر رضي الله عنه وعلى كلا الروايتين فليس في ذلك تنقيص لمن قيل فيه ذلك ولا اشارة لذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ونعمت الدعامة وفي الحديث الصحيح كان المسلمون يقولون افعل كذا والله يغفر لك وهذا كعادة العرب في قولهم تربت يمينك وقال بعضهم هذا اخبار منه عليه الصلاة والسلام بان الله قد غفر له وجازاه على القيام بامر الامة على أتم الوجوه وقال القاضي ابن العربي لما رأى عليه الصلاة والسلام مدة الصديق قصيرة قال والله يغفر له أي يرضى عنه ويعطيه ثواب أطول مدة وأكثر عمل (قوله بخلاف المكثر الخ) فانه من الحمق الذين أعمالهم وان كثرت كالهباء فقد ورد كما في الاحياء حبذا نوم الاكياس وفطرهم يغبنون سهر الحمقى وصيامهم ومثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من أعمال المغترين اه وقد بين في حديث الكيس والاحمق حيث قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله يغبنون أي يغلبون (قوله رب معصية الخ) وقال العارف بالله الشاذلي رضي الله عنه كل شهوة تدعوك الى الرغبة في مثلها فهي عدة الشيطان وسلامه لانك

لله في عباداتهم فهم أقوى نية في العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفعة سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي أي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في منامه الذي رآه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة أبي بكر وطول مدة خلافة عمر أثبت لابي بكر مع انه أفضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام نحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بئر وانه نزع منها بدلو وان أبا بكر أخذها منه فنزع بها دلوا أو دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور انما ينظر الى الاعمال والقلوب أي لا الى الاعمال فقط بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار أو ضدهما ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود فقال (ف) بسبب الاحتمية المذكورة للضعفاء (ابقى في) الضعفاء المشبهين بنحو (العرج) جمع أعرج وهو من برجله ما يمنعه من استقامة المشي (عند منقلب الذود) أي رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم كذا وقع للشارح وهو سبق قلم سرى اليه من تعبير النهاية بقوله واللفظة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم اه فتوهم ان قوله كالغنم راجع الى قوله والذود من الابل ما بين الخمس الى التسع وقيل ما بين الثلاث والعشر واللفظة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم فهذا صريح في ان التشبيه انما هو في انه لا واحد له من لفظه لا غير وعبارة القاموس وثلاثة أبعرة الى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ولا يكون الا من الاناث وهو واحد وجمع أو جمع لا واحد له أو واحد جمع أذواد وقولهم الذود الى الذود ابل يدل على انها في موضع اثنين لان الاثنين الى الاثنين جمع انتهت (في العود نسبق العرجاء) اليه فتفوز منه بمأمولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما أوجب لك السبق على المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخالف تأخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي أفاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي يصحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه له واذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار و(لا تقل) حال كونك (حاسدا لغيرك) الذي أكثر منها أي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه (هذا) القوي بسبب قوته (اثمرت نخله) أي كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لان النخلة أفضل الشجر لانها خلقت من فضل طينة آدم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا شابهت الآدمي في كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى (ونخلي) أي أعمالي (عفاء) بالفتح أي كالتراب لا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب ضعف

وكل شهوة تدعوك الى طاعة الله والرغبة في سبيل الخير فهي محمودة وكل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت فلا تعدلها أجرا وكل سيئة اثمرت خوفا وهربا الى الله ورجوعا اليه فلا تعدلها وزرا اه ومن مقام العارفين ما حكى عن الامام أبي محمد النيسابوري انه دخل المسجد مرة يعتكف في رمضان فرأى المتعبدين يجتهدون والقراء يقرؤن فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له في ذلك فقال لما رأيت تعظيمهم بعباداتهم واعتمادهم عليها دون الله لم يسعني الا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم (قوله كالتراب) فالعفاء التراب قال صفوان بن محرز اذا دخلت بيتي فاكلت رغيفا وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفاء اه من المختار

لانك حينئذ تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل منكما بما أراده وقدره ومن ثم كان الحسد كفر النعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج بحاسد المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل مالغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا فى اثنتين الحديث واحذر ان تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع عمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد (وأت بالمستطاع من عمل البر) امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما يقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وهو أولى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار (ف) كما انه (قد يسقط الثمار) الكثيرة أو النفيسة (الاتاء) أى النخل الصغار اذا خلصت أرضه وزادريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه ففى كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من أرق فنون البلاغة وألطف طرق البراعة وتفسير الاتاء بالنخل الصغار وقع فى كلام الشارح ولم يبين ضبطها هو بفتح الهمزة أو كسرها ولا انه بالمثناة أو المثلثة ولم أر فى القاموس هذا الذى ذكره الشارح وانما الذى فيه الاتاء بالفوقية ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجر والثمار وفى الاثاء كاناء بالمثلثة تفسيره بالحجارة والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه أى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك أن تسقط بعض ثمرها بضربة بحجر واعلم ان أفضل الاعمال وأسرعها انتاجا وأعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى وأخروى (و) حينئذ فعليك ان تكون ممن امتلأ قلبه (بحب النبى) صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغى مراجعته واذا احظيت بهذه المحبة (فابغ) أى اطلب (رضا الله فى حبه الرضا) من الله تعالى المنعم بما ليس فى الحساب (والحباء) أى العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها نعم الوسيلة فاتبعونى يحببكم الله ثم عاد الى الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والتحزن والاستغاثة بمن لا يخيب المستغيثين به فقال مؤملا انه ببركة توسله به يتخلص من فرطات ذنوبه (يانبى الهدى) أى الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (استغاثة) بالرفع خبر مبتدا محذوف أى مسؤلى وهى نداء من يخلص من شدة أو يخففها والنصب مفعول مطلق أى أستغيث بك استغاثة أى أناديك نداء (ملهوف) أى مضطر متحسر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه (اضرت بحاله الحوباء) أى مسكنه ذنوبه وضعف همته وذلك لانه (يدعى الحب لله) ورسوله (وهو) أى والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال (يأمر) نفسه أوغيره (بالسوء) أى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولهذا أشار الى تمنيه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال (ومن) استفهامية أى من الذى يتكفل (لى) فيه التفات (أن تصدق) منى (الرغباء) أى العزيمة المصممة فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص أى نقص ومما يكذبه أيضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يمر بباله ولا فى النوم ومن هذا حاله (أى حب يصح

منه) التفات (و) الحال ان (طرفى) التفات (للكرى) أى النوم (واصل) لا ينفك النوم عنه فى وقته وليس هذا شأن المحب (وطيفك) أى خيالك (راء) أى محتجب عنى كما احتجب الراء عن واصل بن عطاء الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة فيها راء بل يراد فها أو مقاربها خشية من ان يعبر بلثغته بالراء فصار هجر الشئ المستمر يمثل عندهم بهجر واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتابع لانه أشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكارى أى كيف تصدق محبتى وأنا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم لا تؤثر فى المحبة لانها أمر وجدانى فكيف توجد مع عدم خطور خيال المحبوب بالضمير يقظة ولا فى حالة النوم وهذا ينافى المحبة كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه فى ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك أو لغيره فقال (ليت شعرى) أى ليتنى علمت (أذاك) أى اعدم خطور طيفه بقلبى (من) أجل (عظم ذنب) وقع منى وهو الظاهر (أم حظوظ المتيمين) أى المحبين (حظاء) جمع حظوة بالكسر والضم وهى المكانة والقياس فى الجمع الضم والكسر كعروة وعرى وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق أى أنصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل (ان يكن عظم زلتى) التى ارتكبتها (حجب رؤياك) أى رؤيا طيفك عنى فى النوم التى فقدتها (فقد عز داء قلبى الدواء) أى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء يوجد لانه لا يوجد الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه آخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يكن لاحد غيره ان ينقذه منه ثم هذا التردد فى وجوه المحبة الذى سبق انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على مدرجة ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا لا لزوال محبته بل هى باقية ورجاؤه فى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة فحينئذ (كيف يصدا) أى يسود (بـ) سبب (الذنب) الذى ارتكبه ذلك المحب (قلب محب) لك (و) هى للحال (له) أى لقلبه متعلق بجلاء (ذكرك) مضاف للمفعول أى ذكره لك بالصلاة والسلام عليك وسؤال الوسيلة وغيرهما مما يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى ذلك ويصح للفاعل أى ذكرك له الجميل العائد على الذاكر بما لم يكن فى حسابه (جلاء) ولما غلب على ظنه ما أشار الى التردد فيه بان فى قوله ان يكن الخ من ان سبب حجب رؤياه عنه عظيم ذنبه صرخ كما يصرخ من وجد آخذ ماله أو قاتل أبيه بعد يأسه منه فقال (هذه علتى) التى قد أنحلت جسمى وأدهشت لبى لا غيرها (و) الحال انك (أنت طبيبى) العالم بها الماهر فى ازالتها فانك ليس يخفى عليك فى القلب داء وأنت لا أحد من الخلق أكرم ولا أحلم منك فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء من وصبه جميع ما هنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب (و) انما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان (من الفوز) أى النجاة والظفر لمثلى بجميع المطلوبات الذى لا فوز أعظم منه (ان أبثك) من بث وأبث نشر واظهر (شكوى) هى الاخبار عن النفس أو الغير بسوء فعله لكن هذه انما (هى شكوى) منى لنفسى (اليك) لا الى غيرك أى انشر واظهر بين يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح عيوبى رجاء ان تمنحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان رجائى فيك واسع ومحبتى لك متزايدة (وهى) أى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المديح البديع (اقتضاء) أى طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الورطات وانجو من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لا سيما الخادم حضرتك الفانى فى محبتك كيف وقد (ضمنتها) بالبناء للمفعول أى تلك الشكوى لتقبل وتعود على بركتها واياها هو المقصود منها بالذات (مدائح) لجنابك بديعة جمع مدحة أى

(قوله وأنا مواصل للكسل) هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه (قوله عظم ذنب) قال فى المختار عظم الشئ بوزن قفل أكثره ومعظمه (قوله عظم زلتى) أى ان يكن غاية عظم زلتى حجب الخ (قوله داء قلبى) أى لداء (قوله كيف يصدا بالذنب الخ) اعلم ان الناظم معربه بحسب تجلياته سبحانه عليه فلا يدوم على حالة فتارة يرى الذنوب فيتحسر على ما سلف منه من ارتكابها وتارة يرى النعمة فيشكر ولا يرى لنفسه قدرا

كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح المباين للحمد أو المرادف له أو الاعم منه أو الاخص منه أقوال مرت (مستطاب) بالرفع صفة مدائح الذى هو نائب الفاعل (فيك منها) أى من تلك الشكوى متعلقان بما قبلهما أو بعدهما ومن تبعيضية (المديح) لك (والاصغاء) من سامعها اليها لان أوصافك الكريمة زينتها فصارت بها فى غاية الكمال الذى يشنف الاسماع ويملأ عبيره أرجاء القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله تعالى يسره على فى هذه القصيدة البديعة ببركة الجانى اليك اذ (قل ما) مصدرية (حاولت) تلك الشكوى (مديحك) أى لابراز معنى فيه لم أسبق اليه أو أسلوب من أنواعه اللائقة بك والمطلوب فيها ان تجرى على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة (الاساعدته ميم ودال وحاء) أى مسمى هذه الاسماء وهو مدح أيضا أى ما توقف على معنى أو نوع من تلك الانواع فوجهت همتى الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى الى تأديته بغاية الالطاف وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتأتى قريحتى منه بما هو أبدع وأبلغ وكون ما مصدرية هو ماذكره الشارح وعليه فالمعنى قلت محاولتها مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تقل حينئذ بل تكثر اه ويلزم عليه وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى أو شبهه وهو النهى أو الاستفهام وهو ممنوع عند أكثر النحاة ومن جوزه فى الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جائز بخلاف النفى عنهم الا فردا فانه جائز فان قلت جوز المبرد التفريغ فى موجب يلزمه نفى كلو ولولا نحو لولا القوم الا زيد لا كرمتك وما هنا كذلك لان قل يلزمه نفى ما عدا القليل فهو نفى فى الجملة قلت ماذكره رد بان التفريغ يدخل فى الجملة الثانية التى هى الاولى وأما الجواب الذى هو منفى فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل يفيد نفيا يشبه النفى الذى فى التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تأويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما أردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدنى مدحك على أكمل ما ينبغى ولاجل هذه المساعدة المشتملة على ما أردته من أعلى أنواع البلاغة (حق) أى ثبت واستقر (لى فيك) أى فى مدحك ما لم يكن فى حسابى وهو (ان أساجل قوما) وهم الشعراء الذين مدحوك أى أفاخرهم فأقول ما صنعته خير مما صنعتموه وأبين لهم ذلك حتى يذعنوا الى فى ذلك ويصيروا قد (سلمت منهم لدلوى الدلاء) وحينئذ أفوز منك بأبلغ مما فازوا به وعبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيمة المملوءة مذكر يملأ الدلو ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال ككتاب أى سجل منها على هؤلاء وأخرى على هؤلاء ذكره فى القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المستقين على بئر بدلاء مختلفة ليريد كل منهم ان يظفر على دلوه قبل الآخرين شبه بهم المادحين فى تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل ان ما أبرزه خير مما أبرزه غيره فهى استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم أشار الى علة أخرى لتميزه عنهم وتسليمهم له ذلك فقال (ان لى غيرة) بالفتح على مديحك أى حمية توجب لى أن لا أحب ان غيرى يسبقنى اليه (و) الحال انه (قد زاحمتنى فى معانى) ألفاظ (مديحك الشعراء) وأرادوا ان يسبقونى فيه (و) الحال انه استحكم (لقلبى فيك) أى فى محبتك (الغلو) أى مجاوزة الحد الذى بلغ اليه أمثالى (وأنى) يكون (لسانى فى مدحك الغلواء) أى الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك بنظرك لى بما يميزنى عليهم فانى استفهامية بمعنى كيف نحو أنى يحيى هذه الله بعد موتها أو بمعنى من أين نحو انى لك هذا وترد أيضا بمعنى متى أو حيث ويحتمل الكل نحو فأتوا حرثكم انى شئتم لكن الذى اختاره أبو حيان وغيره انها فى الآية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شأنها ان تكتفى بما بعدها

أى يكون كلا مايحسن السكوت عليه اسما كان أو فعلا ويصح كسران أى وانى فالياء اسمها لكن الاول أبلغ وأظهر كما لا يخفى (ف) بسبب صدق محبتى وشدة غيرتى ومزاحمة اقرانى لى مع ارادتهم التقدم على (أثب خاطرا) أى قريحة لى على هذا المدح البديع بان تمدها بما يفوق به جميع مزاحميها ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبى (يلذ له مدحك) لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبلك فى اختراع مالم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه (علما) أى لاجل علمه (بانه) أى مديحك (اللاء لاء) أى الفرح التام كذا فى القاموس وغيره فان كان الفرج بالجيم فواضح أو بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلألأ البرق بمعنى لمع أى علما بان مديحك يضىء قلوب المادحين لاسيما أبلغهم حتى يأتى فى مدحك بالمعانى البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لى فى هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه (حاك) أى نسج ذلك الخاطر فيه (من صنعة القريض) أى الشعر (برودا) جمع برد وهو نوع من أنواع الثياب اليمانية فيه زينة (لك لم تحك وشيها) أى نقشها بالالوان المختلفة (صنعاء) مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشى شبه المعانى البديعة فى ادهاشها للقلوب عند سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها وأثبت لها ماهو من لوازم المشبه به وهو الوشى والحوك كما أثبت للمشبه به ماهو ملايم له وهو القريض ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشى والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد (أعجز الدر نظمه) أى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف الابصار ضوئه وصفائه (فاستوت فيه) أى فى العجز عنه (البدان) أى القريحتان (الصناع) بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة أى الحاذقة الماهرة (والخرقاء) أى الغبية (ف) بسبب ماتميز به هذا النظم عن غيره (ارضه) أى اقبله ياخير من أمله المادحون ورجاه العارفون وأكرم خلق الله وأجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة مالا يدركه غيرك يا (أفصح امرئ نطق الضاد) أى بها أى يا أفصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان أحسنوه لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم أحد الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى تأديتها وكأن وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ماأتى به وان بالغ فى بلاغته لايتأهل الى حد مدحه صلى الله عليه وسلم لان فصاحته معجزة لغيره فاى بلاغة تؤدى مايليق به فكأنه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ماجئت به وان لم يشم أدنى رائحة من روائح فصاحتك بل ولا وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتى أبذكر الآيات الخ (ف) بسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذرنها بتسه على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد (قامت) فاعله الظاء وأشار بقامت الى انها تسمى بالظاء القائمة حال كونها (تغار منها) أى الضاد (الظاء) لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية أى أرادت الظاء فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة فلم تحصل لها فغارت حينئذ ثم طلبى من كرمك يا أكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها فى مدحك بل للطمع فى سعة حلمك وجودك (أبذكرى الآيات) فى هذا النظم أى الخصائص والمعجزات التى علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق (أوفيك مدحا) لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من أحاط بمقامك وأنى ذلك لغيرك مثلى (أين منى) الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين (وأين منها الوفاء) بذلك وهى محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم غير محصورة (أم) متصلة (أمارى) أى أجادل (بهن) أى بذكرى لتلك الآيات (قوم نبى) أى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم أى لم أذكر تلك الآيات

(قوله أنا أفصح من نطق بالضاد) نقل الحافظ السيوطى فى كتابه اللآلى المنتثرة فى الاحاديث المشتهرة عن الحافظ ابن كثير ان هذا الحديث المذكور لا أصل له فاحفظه ولا تغتر بسكوت الشارح عليه (قوله لغيرك) لعله لغيره (قوله أجادل) أى أخاصم خصاما شديدا وما ذكره قبل من قوله حق لى فيك ان أساجل الخ ليس من قبيل الجدال كما لا يخفى بل من باب التحدث بنعمة الله عليه حيث أجرى على خاطره ولسانه مالم يصل اليه غيره من المادحين له صلى الله عليه وسلم

بقصد ان أوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان أجادل بها أمتك ومن ظن بى واحدا منهما فهو غبى لا يفهم ولا يعقل شيأ و (ساء ماظنه بى الاغبياء) لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه (ولك) استئناف أو عطف على محذوف أى لك الآيات التى لا تحصى ولك (الامة) الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس (التى غبطتها) من الغبطة وهى كما مر ودّ الانسان ان له من الخير مثل غيره من غير سلبه عنه والحسد ودّ ذلك مع سلبه عنه (بك لما) أى حين (أتيتها) أى أرسلت اليها (الانبياء) فانهم وان كانوا من أمتك بنص واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ومر الكلام عليها لكنهم ودوا أن يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك أمتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك بها الانبياء لانها أفضل من أممهم بنص جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس أى ودّوا ان يكون لهم مثلهم كما صرح به موسى صلى الله عليه وسلم فيما يأتى قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب الذى هو من أحد أنواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من افراده فتأمله ثم رأيت ما يدل للقياس المذكور وهو ما رواه أبو نعيم أيضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى عليه الصلاة والسلام صفات هذه الامة قال يارب فاجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلنى من أمة ذلك النبى قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال ولعل نظرك اليها (لم تحف بعدك الضلال) عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التى لا يزيغ عنها الا هالك (و) الحال ان (فينا) أعلام الهدى وهم (وارثو نور هديك) أى ما كنت عليه وأصحابك وهؤلاء هم (العلماء) الذين هم أهل السنة والجماعة وهم اتباع أبى الحسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى رضى الله تعالى عنهما وذلك كما أخبرتنا به بقولك فى الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك أى وهؤلاء هم أهل العلوم الشرعية والالهية من أهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة وضلالة دينية وبقولك أيضا العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر صححه جماعة وفى رواية زيادة يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر وفى أخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفى أخرى أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد وفى أخرى كاد حملة القرآن ان يكونوا أنبياء الا انهم لا يوحى اليهم وفى أخرى من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ورواية علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل لا أصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان العلماء ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود أى فى العلم والحكمة والنبوة والرسالة ومنه فهب لى من لدنك وليا يرثنى للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وأشار الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه الامة فى التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة فى شرفه صلى الله عليه وسلم منها كما فى حديث أبى نعيم ان موسى عليه السلام لما رأى مدح هذه الامة فى التوراة قال يارب أجد فى الالواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد ثم ذكر ذلك مع أوصاف أخر وكرر جوابه كذلك قال يارب فاجعلنى من أمة محمد فقال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى الآية فقال رضيت يارب وفى رواية انه سأل ربه هل فى الامم أكرم عليك من أمتى فبين ان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كفضله تعالى على سائر خلقه ومنها ان أحدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض تصح صلاتهم فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل مسجد الضرار ومجموع الصلوات الخمس والتأمين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع

(قوله انا نحن) تقدم ان الرواية انا معاشر بدون نحن وان رواية نحن بدون انا فرواه بالمعنى وظاهر كلامه هنا وجود رواية فيها ذكر الضميرين فحرر ٣ (قوله سائر الانبياء) أى أمم الانبياء.

٣ قول المحشى قوله سائر الانبياء لعل هذا فى نسخة وقعت له والا فالنسخ التى بايدينا سائر أمم الانبياء

(قوله أقطابا) جمع قطب وهو أخص هؤلاء الطوائف ولم يرد فيه شئ فى السنة وانما ورد فيه بعض آثار (قوله وأوتادا) هم أربعة يحفظ الله بهم العالم لكل واحد من الاربعة ركن من أركان البيت وهم أخص من الابدال (قوله وابدالا كما فى احاديث فى الابدال) منها قوله صلى الله عليه وسلم الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وورد انهم بالشام وورد انهم اربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان حديث الثلاثين لمن كان على قلب ابراهيم كما ذكر فيه والعشرة الزائدة مع النساء الاربعين قلوبهم على قلب غيره من الانبياء وانما سموا ابدالا لابدال الله مكان من مات منهم غيره وروى الحكيم الترمذى أن الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا وقيل انما سموا أبدالا لتبدل سيئاتهم (٣٧٢) حسنات وهذا المعنى يشمل غير الابدال بالمعنى الخاص المقتضى حصرهم فى العدد السابق ولذا قال العارف المرسى جلت فى الملكوت فرأيت أبا مدين معلقا بساق العرش فقلت ما مقامك قال رأس الابدال قلت فالشاذلى قال ذاك بحر لا يحاط به وقال المرسى كنت جالسا بين يدى أستاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتى فلم أرهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت أنه أول مراتب البدلية ومن علامات البدل أنه لا يولد له واذا رحل عن موضع جعل موضعه حقيقة روحانيته فاذا جاء موضعه أحد تجسدت له تلك الحقيقة الروحانية فكلمته وكلمها وهو غائب عنهم قال فى الفتوحات قوله فى الخبر على قلب ابراهيم وقوله فى خبر آخر على قلب آدم معناه انه يتقلب فى المعارف الالهية بقلب ذلك النبى اذ واردات العلوم الالهية انما ترد فى على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من رسول أو ملك يرد على قلب الولى الذى هو على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وذكروا ان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد على قلبه من الاولياء لانه لم يخلق الله قلبا مثل قلبه فقلوب الانبياء والمرسلين والملائكة بالنسبة الى قلبه كسائر الكواكب بالنسبة الى الشمس قال العارف النووى رضى الله عنه شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة اه وقد سبق ان البدلاء بالشام وذلك مروى عن على بن أبى طالب وروى عنه ان النجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والخضر عليه الصلاة والسلام سيد القوم وعن الخضر ان النجباء سبعون وأن النقباء عشرة وان العرفاء سبعة وان الاوتاد أربعون وتقدم نقلا عن بعضهم انهم أربعة وما ذكرناه ان نبينا لم يكن أحد من الاولياء على قلبه ولا على قدمه لما سبق منقول عن روض

الخبر به رواه البزار والطبرانى ومن ثم قال جمع مفسرون ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعى مع الراكعين بصلى مع المصلين وان صفوفهم فى الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخارى وساعة الاجابة فى يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه فى الآية لمطلق الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا فى سنده مجهول ونظر الله اليهم أوله وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم آخر ليلة فيه رواه البيهقى بسند لا بأس به بلفظ أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار والسحور وتأخيره وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع ليلا الى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع أثقال التكليفات التى كانت على من قبلهم كتحتم القصاص حتى فى الخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وموضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة والمؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم فى دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذى اعتمده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم أكمل من سائر الشرائع كما ان نبيهم صلى الله عليه وسلم أكمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد كان لموسى وشريعته من الجلال الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل فيها الامران فسلمت من شدة تلك ولين هذه واعتدلت فى جميع جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس وأعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم فى القيامة فأقامهم مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الشهادة عليهم وكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الامم كما كمل نبيهم عليه الصلاة والسلام ما فرقه فى الانبياء ولكتابهم ما فرقه فى الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما فى الحديث المشهور وأسانيده كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفى حديث ضعيف منقطع اختلاف أصحابى لكم رحمة وفى رواية اقتضى كلام الخطابى ان لها أصلا عنده وبه رد زعم كثيرين من الائمة انه لا أصل لها اختلاف أمتى رحمة للناس وان الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم لخبر به رجاله ثقات وانهم حفظوا آثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره فى أمة وان منهم أقطابا وأوتادا ونقباء ونجباء وابدالا كما جاء

في أحاديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم أول من تنشق عنهم الارض رواه أبو نعيم ويميزون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء رواه البخاري أي ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويميزون أيضا بسيما السجود في وجوههم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو بياض شديد وقال شهر بن حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود الآية وقيل هذا في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن أو سمت الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من أثر السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم رواه أحمد وغيره ويسعى نورهم بين أيديهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج وصدقة ودعاء وقراءة بل وكل عبادة عند كثيرين وآية وأن ليس للانسان الا ما سعى منسوخة أو في حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبراني والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون ألفا (ف) بسبب ان في هذه الامة وارثي هديك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم من الامم (انقضت آي الانبياء) أي معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وان من كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب موسى (وآياتك) أي معجزاتك (في الناس) قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك (ما لهن انقضاء) فيه العكس نحو لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ورد العجز على الصدر اما الاولان فقدم منهما جملة منها ما في كتب الله تعالى من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب وما جرى بين يدي أيام مولده ومبعثه من الامور العجيبة الموهنة للكفر ولاهله والمؤيدة لشأن العرب كقصة الفيل وعقاب أهله وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف الصارخة به صلى الله عليه وسلم وبأوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته صلى الله عليه وسلم وتظليل الغمام له في سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار الى بعثته صلى الله عليه وسلم مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته عليه الصلاة والسلام وأما الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كما قال (والكرامات) الواقعة (منهم) أي الناس (معجزات) اذ كل منهما أمر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها في الحقيقة معجزات لك (حازها من نوالك) أي عطائك وكرمك (الاولياء) وكان القياس حازوها لكنه أظهر ليبين ان مراده بهم العائد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما الى ما يغضبهما أو مفعول لان الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولي انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفات العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المتكررة الدائمة أيضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى أيضا هذا كله مع قطع النظر الى القرآن الكريم أما بالنظر اليه وانه معجزته الكبرى ففيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى أيضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله في البدء بأن جعله أول الانبياء خلقا واجابة يوم ألست بربكم جعله أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول ناظر الى ربه وأول نبي يقضي بين أمته وأولهم اجازة بامته على الصراط وداخلا الجنة وهم أول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحد كبعثه را كبا وتخصيصه

الرياحين لليافعي لكن رأيت في مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه لبعض المحققين ان قلب هذا القطب وقدمه على قلب وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نقل عنه انه قال أنا على قدم جدي رسول الله ما رفع قدما الا وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه الا أن يكون قدما من أقدام النبوة فانه لا سبيل الى أن يناله غير نبي اه ويمكن الجمع بان ما قاله القطب الجيلاني في غير ما تميز به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخلق من العلوم والاسرار فانه لم يصل أحد لجميع ما وصل اليه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب وكلام اليافعي على ذلك (قوله أي معجزاتك) المراد بها مطلق الخوارق أعم من أن تكون معجزة حقيقة أو ارهاصا وتأسيسا أو كرامة لقوله قبل وجودك وبعد وفاتك فان الموجود حينئذ من الخوارق لا يسمى معجزة حقيقة لعدم القرن بالتحدي وسيشير لذلك بقوله مما هو تأسيس (قوله فيه العكس) وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر وهو في البيت انقضت وانقضاء وان كان أحدهما مثبتا والآخر منفيا وان اختلفا صورة فان الاول فعل والثاني مصدر فلا يجب ان يكون نظير الآية وهذا يقال له العكس اللفظي ولهم عكس معنوي وهو ان يأتي شاعر بمعنى ويأتي آخر بعكسه كقوله قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل فعكس ذلك المعنى آخر فقال وربما فات بعض القوم أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى فى فصل القضاء و بلواء الحمد الذى تحته آدم فمن دونه و بالسجود
أمام العرش و يفتح عليه حينئذ بما لا يفتحه عليه ولا على أحد قبله ولا يفتح أيضا على أحد بعده
والنداء بيا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله عليه وسلم عن يمين
العرش الذى لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الأولون والآخرون وشهادته للأنبياء عليهم الصلاة والسلام
على أممهم *(تنبيه)* علم مما تقرر ان الكرامة ظهور أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة
على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به والا فهى استدراج أو سحر أو اذلال كما
وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى انه جاءه أعور يدعو له فدعا له فعميت الصحيحة أيضا وتسمى اهانة
وقد يظهر الخارق على يد عامى تخليصا له من فتنة و يسمى معونة وأنكر جماعة محرومون كأكثر
المعتزلة وان وافقهم بعض منا لكن يتعين تأويل كلامه لان جلالته تأبى ان يرضى بهذا الزيف الذى
انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها وعليه قيل يمتنع كونها بقصد واختيار لادائهما الى السقوط عن
مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبى والا لالتبست بالمعجزة وردهما الفخر الرازى رحمه
الله تعالى بأن المرضى تجويز حمله على خوارق العادات فى معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة
انما هو ادعاء النبوة وكأنه لم يرض قول جماعة منهم القشيرى لا تنتهى الى احياء ميت ولا الى وجود ولد
من غير أب ومن ثم رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولى وليس من شرط
المعجزة غير القرآن اذ لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن أدلة الجواز ان الوقوع
ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل
مثل ذلك ببعض اتباعه اكراما له ومن أدلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا
المحراب الآية وفى ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام ولأصحاب الكهف ولوزير سليمان عليه
الصلاة والسلام فى عرش بلقيس ونظائر ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون
به سلمناه هو لا يمنع تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر المعنوى وان كانت التفاصيل
آحادا فى كرامات الصحابة لا سيما ما وقع لعمر وعلى رضى الله تعالى عنهما وتابعيهم ومن بعدهم الى زمننا
بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا عجب من انكار المبتدعة
ذلك فانهم حرموا من مشاهدة شئ منها من أنفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا يخرجها عن كونها
خارقة خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك فى المعجزة على ان الكثرة فيها لا تنافى قلتها بالنسبة للعادة المستمرة
وظهور الخارق على يد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يخل بقدرهم بل يزيد فى جلالة أقدارهم
والرغبة فى اتباعهم حيث نالت أممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم
والاستقامة على طريقتهم و بما مر ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من مر يعلم ان
الكرامة لا تشتبه بالسحر أصلا لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط
الولاية فذلك الخارق كرامة فى حقه والا فهو سحر أو غيره مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب
عينا كآدمى حمارا ولا يقلب طبيعة بخلاف الولى ليس فى محله بل الخلاف فيهما واحد قال جمع
يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز فى حقهما ذلك وهو الاصح وأما قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا
الا من ارتضى من رسول الآية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه يسلك الخ بل بعينه أن غيبه مفرد
مضاف فهو للعموم واستغراق النفى فى هذا الكل فرد فرد من المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كلى
ولا كل خلافا لمن وهم فيه فمحمل الآية عليه باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها أحدا
من خلقه وانما غايته من أطلعه منهم انه أطلعه على جزئيات مخصوصة و بتقدير انه متصل وان المراد
انه لا يظهر على بعض غيبه الا الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضرورى بوقوع الكرامات
للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء يعين ان المراد من الآية غيب مخصوص أى لا يظهر على

(قوله و بالسجود الخ) أى لانه باق على وضوء غسل الموت كما قاله الجلال البلقينى أو يقال ليست تلك الدار دار تكليف فلا يتوقف السجود على وضوء وفى مسند الامام أحمد ان زمن هذه السجدة قدر جمعة من جمع الدنيا

ذلك

ذلك الغيب المخصوص الا من ارتضى من رسله وأما البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا يظهرهم على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح ماحكى عن بعض الكرامية ان الولى غير النبى قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق رتبة النبوة وان الولى قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالى رحمه الله تعالى وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرر أوائلك فى الدين أشد وليس من أولئك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوى ابن العربى والسراج ابن الفارض واتباعهما بحق خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغى قلمه الا ان يكون أراد عما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم (ان) تأكيد لقوله مالهن انقضاء (من معجزاتك) الباهرة (العجز) من سائر الناس (عن وصفك) مفرد مضاف فهو للعموم أى عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصك الله بها (اذ لا يحده) أى الوصف المذكور (الاحصاء) أى العد (كيف يستوعب الكلام) الصادر من واصفيك (سجاياك) أى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة أقصى ما يمكن البشر الرقى اليه وهى لا حد لها باعتبار أنك لا تزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة و بعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى مالا نهاية له ولا انقضاء (وهل تنزح البحار) المشبهة أوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود الحسى و بهذه قيام الوجود المعنوى لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى فى امداده (الركاء) المشبهة بها الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح اذ أوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من أول الزمان الى آخره لا تحد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا أنه (ليس من غاية لوصفك) أى أوصافك توجد حتى انى (ابغيها) أى أطلبها (وللقول) أى منى (غاية) لما تقرر أن ذلك الترقى لا نهاية له اذ لا مطمع فى الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود متناه وبهذا أعنى قولى منى أولا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما أشار اليه الشارح من اشكال فى ذلك (وانتهاء) تأكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتبارى ومما يزيده بيانا وايضاحا أيضا أن نقول (انما فضلك) أى فضائلك (الزمان) أى يشبهه من حيث الاجمال فيهما وأما بالنسبة الى التفصيل فجزئيات كل كجزئيات الآخر (وآياتك) أى معجزاتك وخصائصك (فيما نعده) ونحسبه (الآناء) جمع انى كمعى وامعاء كذا ذكره الشارح والذى فى القاموس والأنى ويكسر والانو بالكسر الوقت والساعة من الليل أوساعة ما منه والانى كالى وعلى كل النهار اه والمراد هنا مطلق الساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا ولا تظن أنى باطالتى فى هذه القصيدة معددا أوصافه صلى الله عليه وسلم أخالف ما قدمته أنها لا تعد لانى (لم أطل فى تعداد مدحك) فيها (نطقى و) الحال ان (مرادى بذلك استقصاء) أى حصر لاوصافك وانما مرادى بذلك برد الغليل وشفاء العليل كما أفاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء الذى هو منقطع هنا (غير أنى) لم أرد الحصر لكنى (ظمآن وجد) أى بى من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتواء من سماعها (وما) أى ليس يحصل (لى بقليل من) الماء الذى أشربه حال (الورود) منه (ارتواء) مما بى من العطش فاطالتى فى التعداد لطلب مزيد الارتواء من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتلك الآيات وذكر أفضل الصفات بظما شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء (ف) بسبب حصول الارتواء لى من تلك الاطالة اختمها بما هو المتعين من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فأقول (سلام) عظيم شريف أى سلامة من

(قوله الكرامية) بفتح الكاف وتخفيف الراء نسبة الى محمد بن كرام على زنة قطام (قوله وعن بعض المتصوفة) أى الناسبين أنفسهم للتصوف وليسوا من أهله فانه لم يقع لاحد من أهله انهم نصبوا خلافا بين مطلق النبوة والرسالة وان نصبوه بين ولاية الرسول ورسالته فقال المحقق ابن العربى فى فتوحاته ان ولايته أكمل من رسالته لشرف المتعلق فان ولايته متعلقة بالله وحده ورسالته متعلقة بالخلق (قوله وليس من أولئك الخ) أشار بذلك للرد على ابن تيمية حيث جعلهما منهم حاشاهما وبئس من نسبهما الى ادنى ضلالة رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما (قوله فانه محدود الخ) أى لانه مركب من الحروف المتناهية والمركب من المتناهى متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى (قوله ما أشار اليه الشارح) عبارة الشارح رحمه الله تعالى ثم ذكر شيأ من معجزاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو عجز الواصفين عن استيعاب ما فيه من الفضائل والفواضل اذ هى لسعة الامداد لا يحصرها الضبط بالأعداد ثم استدل على ذلك بانها لا تتناهى لانها فضل من الله ومواهب وفضله ومواهبه لا غاية لها ولا انتهاء والقول متناه لانه مركب من الحروف المتناهية فهو متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى وفى هذا الدليل كلام ليس هذا موضع ذكره اه فتأمله مع ما ذكره الشارح (قوله مصرحة) أى وتبعية لجريانها فى المشتق وهو ظمآن بعد جريانها فى المصدر وهو الظمأ (قوله أى سلامة الخ) هذا بيان لاصل

كل آفة ونقص كائنة (عليك تترى) أي يتكرر و يتبع بعضه بعضا دائما وفي القاموس ترى يترى كرمى تراخى وأترى عمل أعمالا متواترة بين كل عملين فترة اهـ وقد يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ماذكر الا أن يجاب بانه أراد أصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ماهو أخص أو أعم منه للضرورة مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص أو العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله (من الله وتبقى به) أي بسببه على ممر الازمنة الى فنائها ومابعد ذلك مما لا منتهى لآخره (لك البأواء) أي الفخر لان تسليم أمتك عليك مع التكرار والدوام زيادة في شرفك وفخرك (و) انما ذكرت سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى أشرفيته وسلامك ثانيا الا انك في الحقيقة لا يكافئك من سلام الخلق غير سلامك على نفسك فحينئذ (سلام عليك منك فما) أي ليس (غيرك) من المخلوقين (منه) متعلق بالسلام (لك) متعلق بكفاء ولك بمعنى عليك (السلام كفاء) أي مكافئ لحضرتك من المكافأة وهي المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل أحد السلام عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال (وسلام) عليك (من كل ماخلق الله) من كل ناطق وجامد وفي نسخة من خلق فالاولى غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد ولله يسجد من في السموات ومن في الاوض وانما جئت بهذا العموم (لتحيا بذكرك الأملاء) جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سائر وجوه السلامة فيه وفي شريعته وأمته وجميع آثاره ولاجل هذا العموم الذي يوجد في السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكروا كما ذكرته في كتابي الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم الذي لم يصنف في هذا الباب مثله في ايثار الزائر للسلام وتكرره دون الصلاة ما يؤخذ منه ماذكرته فتأمله (وصلاة) وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم أي من الله تعالى ومنك ومن كل مخلوق نظير مامر في السلام (كالمسك) في الطيب والنفع البالغ (تحمله) أي ذلك المسك الذي هو عين صلاتي (مني شمال) وهي التي تهب من جهة القطب الى المغرب (اليك) حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيا الارواح بنشره ومسيره (أو نكباء) وهي الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب وهي التي تهب من سهيل الى المغرب والدبور وهي التي تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهي حارة يابسة أو من ورائها فالدبور وهي باردة رطبة أو من يمينها فالجنوب وهي حارة رطبة أو من شمالها فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدأ بها الناظم *(تنبيه)* تفسير النكباء بما ذكر وقع في كلام بعضهم وعبارة القاموس والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ومر بسط عبارته في ذلك في شرح قول الناظم فكأن الصبا لديك رخاء وعبارة كفاية المتحفظ الرياح أربع الصبا والدبور والشمال والجنوب فالصبا هي الريح الشرقية ويقال لها القبول وهي تهب من مشرق الاستواء وهو مطلع الشمس في زمن الاعتدال والدبور تقابلها وهي الغربية لأنها تهب من مغرب الشمس والشمال وهي الريح الشآمية وتسمى الجربياء وهي تهب من ناحية القطب والجنوب وهي الريح اليمانية وتسمى النعامى والازيب وهي تهب من ناحية سهيل وكل ريح انحرفت عن مهاب هذه الرياح الاربع ووقعت بين ريحين منها فهي نكباء وجمعها نكب اهـ المقصود منه وبه يعلم مافي تفسير النكباء بالصبا وهو وان صح تجوزا لكن لا حاجة اليه مع ايهامه انه وضع حقيقي لها (وسلام على ضريحك) أي قبرك المكرم وهو أفضل حتى من الكعبة بل ومن العرش ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التي ضمت أعضاءه الشريفة لم يكن في افراده السلام هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر (تخضل) بمعجمتين أي تبتل (به منه)

معنى السلام والمراد هنا زيادة التعظيم لان سلامته مماذكر حاصلة له فلا معنى لطلبها ولا سيما بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم في دار البقاء تأمل (قوله وسلام عليك منك) أي أطلب من الله ان يجرى على لسانك سلاما عليك لائقا بك (قوله ولاجل هذا العموم الخ) فيه ان الصلاة تكون ممن ذكر أيضا نعم يظهر توجيه التخصيص بانه قد يطلب تقديمه على الصلاة عند القدوم على قبره الشريف للزيارة فانه حينئذ أفضل من الصلاة كما سبق (قوله خصه بالذكر) كان الاولى قدمه على الصلاة والا فهو لم يخصه بذلك بل قرنه مع الصلاة (قوله هو عين صلاتي) تأمله فان المشبه غير المشبه به نعم قالوا في الاستعارة ان المشبه عين المشبه به بادعاء

أى القبر المكرم (تربة وعساء) أى لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ فى النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكر تخضل (وثناء) فى هذه القصيدة (قدمته) (بين يدى نجواى) أى سؤالى منك بلوغ المأمول الواقع فى هذه القصيدة بقولى جد لعاص الخ وفى غيرها (اذ) أى لاجل أنى (لم يكن لدى) أى عندى (ثراء) بالمثلثة أى مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية وجاء انه لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم الصدقة بين يدى النجوى غير على كرم الله وجهه ورضى عنه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدى زيارته صلى الله عليه وسلم صدقة والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه أنه كان يعتقد بقاء الندب فاعتذر انه لا مال له يتصدق به بين يدى سؤاله وانه جعل حسن توسله وثنائه بدل المال الذى يتصدق به * (تنبيه) * تفسيرى لدى بعندى لانها مثلها فى أكثر أحكامها من كونها ظرف مكان تستعمل فى الحضور والقرب الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر عند ربهم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى ولا تستعمل الا ظرفا او غير ذلك فلا ينافى ذلك انها قد تفارقها فى كثرة جر عند بمن خاصة وامتناع جر لدى مطلقا وفى أن عند تكون ظرفا للاعيان والمعانى وتستعمل فى الحاضر والغائب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدى لدن فى أن ذينك يصلحان فى ابتداء غاية وغيرها وبكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ولدينا كتاب ينطق بالحق ولدينا مزيد ونحوه ويعربان بخلافها فى لغة الاكثرين وجر لدن أكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد تضاف للجملة بخلافهما قال الراغب لدن أخص من عند وأبلغ لانها تدل على ابتداء الفعل (ما) مصدرية ظرفية (اقام الصلاة) اللغوية أو الشرعية (من عبد الله) وأبد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا لا نسلم انقطاعه لان أهل الجنة يدعون ويتعبدون كما علم من أحاديث اقرأ وارق وغيرها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا يضر فى ذلك التأبيد انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح أيضا لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء أن الله قبيلها يرسل ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا ماتت ثم تتمحض الكفرة فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ثم تقوم الساعة (و) ما (قامت) أى بقيت على أبلغ نظام واتقن احكام (بربها) أى بايجاده وامداده (الاشياء) أى الموجودات فى الدنيا والآخرة وأبدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما مر وللتبرك بذكر المتعبد بن آخر كلامه وبالثانى الذى لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثانى مع الاشارة بالختم بذكر الرب سبحانه وتعالى الى استفتاح أبواب تربيته واستمناح موانح لطفه وهدايته جعلنا الله تعالى ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه واسعاده وآمننا من كل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا بكل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك أفضل صلاة وأفضل سلام وأفضل بركة على أفضل الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد معلوماتك وعلينا معهم كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون قال مؤلفه رحمه الله تعالى وافق الفراغ منه قرب نصف ليلة الجمعة ثانى جمادى الاولى سنة ست وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

(قوله مصرحة) لعله مكنية لذكر المشبه وحذف المشبه به ولذا قال وخيل اذ التخييلية انما هى للمكنية تأمل (قوله مع انقطاعه الخ) أى ان خصصناه بغير أهل الجنة والا فلا انقطاع كما سبق له قريبا * وهذا آخر ما من به الملك الوهاب واليه سبحانه وتعالى المرجع والمآب نسأله من فضله ان يجعلها هداية نافعة لكل قلب منيب كاشفة ظلمات الاوهام عن كل صب مصيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين حقيقة الصلوات وروح الكلمات محمد جامع الاجمال الذاتى القرآنى حاوى التفصيل الصفاتى الفرقانى وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأحبابه * قال جامعها حفظه الله وكان الفراغ من تعليقها يوم الاربعاء غرة شهر شعبان سنة سبعين ومائة وألف من هجرة أشرف المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام وأسأل الله من فضله حسن الختام ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى خلق نبيه على أكمل الصفات وخصه بما لا يوجد فى غيره من المزايا والمعجزات فقد أفصح القرآن عن علاه بما يبهر العقول وصرح من صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومحبيه واحزابه (أما بعد) فان الله تعالى أوجب تبجيل رسوله على سائر البريه بذكر مناقبه ومآثره وأحواله وأوصافه السنيه فتفنن الناس فى ذلك بالنظم والنثر وقاموا بتعظيمه فى السر والجهر ومن أبلغ ما مدح به من النظم الرائق وأحسن قصيدة فى ذلك من الوزن الفائق قصيدة الهمزية للهمام الذى لا يدرك شأوه اذا جورى العارف أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى وقد اعتنى بشرحها جهابذة أعلام خدمة لجناب سيد الانام واعظم شروحها شرح من اليه العوارف تنتمى العلامة الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى فقد أودع فيه فوائد جمة تشفى الغليل وتحقيقات مهمة يرتاح لها قلب العليل فهو جدير بان يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق فى تحصيله المحصلون وكان طبع بالمطبعة الاميرية الكائنة ببولاق مصر المعزية فتلقفته أيدى الراغبين وانتهبته عزائم المحصلين حتى صارت نسخه أعز من بيض الانوق وأبعد من مناط العيوق وتعسر خصوصا على الفقير الحصول عليه والنفوس متشوفة له والابصار طامحة اليه فبادرت الى طبعه المطبعة العلية الخيرية ذات الادوات الباهرة والاوضاع البهية فتم بحمد الله تعالى بشكل يسر أرباب النهى واليقين ورونق تقر به أعين الناظرين مصححا بغاية الدقة والتحرير سالما من التحريف والتبديل والتغيير موشى الطرر بحواش عليه لطيفة وتقريرات رائقة منيفة للاستاذ العارف بالله تعالى المغنى سيدى محمد الحفنى على ذمة صاحبى المطبعة المذكورة التى هى بالخيرات معمورة حضرتى السيد عمر حسين الخشاب والسيد محمد عبد الواحد الطوبى وشريكهما شكر الله سعيهما وأسبغ نعمه عليهما وفاح مسك الختام فى أوائل ذى الحجة الحرام سنة سبعة وثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف



